

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكهف

مقصودها^٢ وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجرا عن الشريك الذي هو خلاف ما قلم عليه [الدليل -^٥] في "سبحن" من أنه لا وكيل دونه، ولا إله إلا هو، وقاصًا بالحق أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم ه وفق ما وقع الخبر به في "سبحن" من أنه يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء، وأدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان

(١) زيد قبله في ظ: «بسم الله الرحمن الرحيم يسريا كريم، قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الحبر البحر الفهامة المحقق المدقق الرحلة الحافظ الأواحد الأمة برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين أبو الحسن إبراهيم البقاعي الشافعي لطف الله تعالى به في الدارين وحشره في زمرة المصطفى جد الحسن والحسين، ونفعنا بعلومه آمين»؛ وأما نسخة م فتنتقع من هنا إلى نهاية سورة النمل (٢) الثامنة عشرة من سور القرآن، وهي مكية كلها في المشهور، وهي مائة وإحدى عشرة آية عند البصريين، ومائة وعشرة عند الكوفيين، ومائة وست عند الشاميين، ومائة وخمسة عند الحجازيين - كما في روح المعاني ٣/٥ (٣) زيد في الأصل: بما، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذفناها (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: بالذي (٥) زيد من ظ و مد.

أمرهم موجبا - بعد طول رقادم - للتوحيد وإبطال الشرك (بسم الله)
الذى لا كفوه له ولا شريك (الرحمن) الذى أقام عباده على أوضاع
الطرق بقيم الكتاب (الرحيم) بتفضيل من اختصه بالصواب .

لما ختمت تلك بأمر الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم بالحمد
عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدئت هذه
بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التى منها البراءة عن
كل نقص، منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا^٢
الوجه الأحكم^٣ بهذا الكتاب^٤ القيم الذى خصمت لجلاله العلماء الأقدمون،
و عجز عن معارضته الأولون و الآخرون، الذى هو الدليل على ما ختمت
١٠ به تلك من العظمة و الكمال، و التنزه و الجلال، فقال^٥ ملقنا لعباده
حمده، معلما لهم كيف يثنون عليه، مفقها لهم فى اختلاف العبارات
باختلاف المقامات^٦: (الحمد) أى الإحاطة / بصفات الكمال (الله)
أى المستحق لذلك لذاته .

/ ٣٤٨

و لما أخبر باستحقاقه ذلك لذاته، أخبر بأنه يستحقه أيضا لصفاته
١٥ و أفعاله، فقال تعالى: (الذى)^٧ و لما كان المراد وصف جملة الكتاب

(١) من مد، وفى الأصل و ظ: اختص (٢) - سقط من مد (٣) من مد، وفى
الأصل و ظ: لاحكم (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: الدين (٥) من ظ و مد،
و فى الأصل: بجلالة (٦-٦) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) العبارة من هنا إلى
« دون التنزيل قال » متأخرة فى الأصل و ظ عن « سورة البقرة قال »
و الترتيب من مد .

بالإنجاز^١ من غير نظر إلى التفريق والتدرج، عبر^٢ بالإنزال دون التزليل فقال:
 ﴿ انزل ﴾ و عدل عن الخطاب بأن يقول: عليك، كما يقول: فلعلك باخع
 نفسك، كما في ذلك من الوصف بالعبودية والإضافة إليه سبحانه من الإعلام
 بتشريفه صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتنبيه على علة^٣ تخصيصه بالإنزال
 عليه كما تقدم في سورة البقرة، فقال - مقدما له على المنزل لأن المراد ٥
 الدلالة على صحة رسالته بما لا يحتاج؛ فيه قرش إلى سؤال اليهود ولا
 غيرهم من تخصيصه بما لا يقدر عليه غيره - : ﴿ على عبده ﴾ وإشارة
 إلى أنه الذي أسرى به إلى حضرات مجده ليريه من آياته ﴿ الكتب ﴾
 الجامع لمعانى الكتب المشار إليه في آخر التي قبلها بما أشير إليه من
 العظمة كما آتى موسى التوراة الآمرة بالعدل في الأحكام، و داود الزبور ١٥
 الحادى إلى^٤ الزهد والإحسان، على ما أشير إليه في^٥ "سبحن".

ولما كان الجامع لا يخلو من عوج أو قابلية له إلا أن كان من علام
 الغيوب. نفي القابلية والإمكان دلالة على أنه من عنده ليتنى [العوج -^٦]
 بطريق الأولى فقال تعالى: ﴿ ولم ﴾^٧ أى والحال^٨ [أنه لم -^٩]
 ﴿ يجعل له ﴾ ولم يقل: فيه ﴿ عوجا^{١٠} ﴾ أى شيئا من عوج،^{١٠} أى ١٥
 بل هو مستقيم في جميع معانيه من غير اختلاف أصلا، هادٍ إلى كل

- (١) زيد في الأصل وظ: فلم يكن، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها.
 (٢) من مد، وفي الأصل وظ: عليه (٣) سقط من ظ (٤) في مد: لا تحتاج.
 (٥) من ظ، وفي الأصل ومد: على (٦) من مد، وفي الأصل وظ: من.
 (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى
 الأعيان « ساقطة من ظ.

صواب ، لأن العوج - بالكسر : فقد الاستقامة في المعاني ، وبالفتح
 في ' الأعيان ؛ وأتبعه ' حالا أخرى له بقوله تعالى : (قبا) تصريحا
 باللازم ' تأكيدا له ' ، ومقيدا أنه مهيم على ما قبله من الكتب
 ' مقيم لغيره ' ، وقد مضى في الفاتحة ثم في الأنعام عن الإمام سعد الدين
 التفتازاني الشافعي رحمه الله أن كل سورة افتتحت [بالحد - ١]
 فلاشارة إلى نعمة من أمهات النعم التي هي ' إيجاد وإبقاء أولا ، وإيجاد
 وإبقاء ثانيا ، وأنه أشير في الفاتحة لكونها أم الكتاب ' إلى الأربع ،
 وفي الأنعام إلى الإيجاد الأول ' وهو ظاهر ، وفي هذه السورة إلى الإبقاء
 الأول ' ، فان نظام العالم وبقاء النوع الإنساني يكون بالنبي و الكتاب -
 ١٠ انتهى . ويؤيده أنه في هذه السورة ذكر أنه انتظم بأهل الكهف
 أمر من اطلع عليهم من أهل زمانهم ثم بالخضر عليه السلام كثير من
 الاحوال ، ثم بنى القرنين أمر جميع أهل الأرض بما يسر له من
 الأسباب التي منها السد الذي بينا وبين ياجوج وماجوج الذين يكون
 بهم - إذا أخرجهم الله تعالى - فساد الأرض كلها ، ثم ذكر في التي تليها
 ١٥ من أهل وده واصطفائه من اتبعهم لنظام العالم بما وقفهم له من طاعته ،
 وبصرم به من معرفته ، واستمر كذلك في أكثر السور حتى ذكر السورة التي
 أشار فيها إلى الإيجاد الثاني ، و اتبعها بالتي أشار فيها إلى الإبقاء الثاني . ولما
 كان إبقاء الأول يقتضى مهلة لبلوغ حد التكليف ^٦ [وإجراء القلم - ١]

(١) من مد ، وفي الأصل : من (٢-٢) في ظ : بصلة (٢-٢) سقط ما بين
 الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد في مد : من (٦) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : القرآن (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : التمييز .

ثم مهلة أخرى يكون فيها العمل و الاستعداد لما لآجله كان هذا الوجود من العرض على الرحمن ، للجزاء بالإساءة أو الإحسان ، ومهلة أخرى يجس فيها السابق من الخلائق إلى ورود مشرع الموت لانتظار اللاحق ، إلى بلوغ ما ضرب سبحانه من الأجال ، لازمان الإمهال ، و قيام الناس أجمعين ، لرب العالمين ، وهو البرزخ و كان ما قبل التكليف شيئا بالعدم إلا في ٥

تعلم / الكتاب و التوحيد و الاجتماع على أهل الدين ، و الوفاء بما تقدموا فيه بالعهد [من الأحكام - ٢] ، و دورا عليه من الحلال و المحرام ، أشير إليه بما بين الفاتحة و الانعام التي هي سورة الإيجاد الأول من السور الأربع ، و كأن سن' الاحتلام كان أول الإيجاد من الإعدام ، و أشير إلى بقية العمر - وهو زمان التكليف - بما بين الانعام و هذه السورة من السور التي ذكر ١٠ فيها مصارع الأولين و أخبار الماضين تحذيرا من مثل أحوالهم ، لمن نجح على منوالهم ، و ختمت بالتحديد مقترنا بالتوحيد [إشارة - ١] إلى أنه يجب الاجتهاد في أن يختم الأجل في أعلى ما يكون من خصال [الدين - ١] .

و أشير إلى مهلة البرزخ بما بين هذه و سورة الإيجاد الثاني من السور التي ذكر في غالبها مثل ذلك ، و أكثر فيها [كلها من - ٢] ذكر الموت ١٥ و ما بعده من البرزخ الذي يكون لانقطاع [العلائق - ٢] باجتماع الخلائق ، لأجل التخلي في رد العظمة ، والكشف البليغ عن قوذ الكلمة ،

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل ؛ هنا (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل و ، .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بين (٥) العبارة من هنا إلى من خصال الدين و عاقبة من ظ (٦) زيد من مد ،

و التحلى بالحكم باستقرار الفريقين في دار النعيم أو غار الجحيم، وأكثر
 فيما بين هذه وبين سبأ من أمر البعث كثرة ليست فيما مضى حتى صدو
 بعضها به، و بناها عليه كسورتي الأنبياء "أقرب للناس حسابهم" والحج
 "ان زلزلة الساعة هي عظيم" و لما [لم -] يمكن بين البعث و ما
 بعده مهلة. لشيء من ذلك، عقب سورة الإجماد الثاني بسورة الإبقاء الثاني
 من غير فاصل ولا جازر ولا حائل - والله أعلم .

ولما وصف الكتاب بما له من العظمة في جميع ما مضى من أوصافه
 من الحكمة و الإحكام، و التفصيل و البيان، و الحقيقة، و الإخراج من
 الظلمات إلى النور، و الجمع لكل معنى و التبيان لكل شيء، أتبعه ذكر
 ١٠ فائدته * مقدا ما هو الأهم من درء المفسدة بالإنذار، لأنه مقامه كما هو
 ظاهر من "سبحن" فقال: (لينذر) أو قصره على^١ المفعول الأول ليعم
 كل من يصح قبوله الإنذار و لو تقديرا، و ليفيد أن الغرض بيان المنذر
 به لا المنذر (بأسا شديدا) كائنا (من لدنه) أي أغرب ما عنده
 من الخوارق بما في هذا الكتاب من الإعجاز * لمن خالف أمره من
 ١٥ عذاب الدنيا و الآخرة كوقعة^٢ بدر و غيرها^٣ المفيد لإدخال الإسلام^٤

(١) من ظ و مند . وفي الأصل: دار (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم،

وفي الأصل: أي (٣) يريد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: من .

(٥-٥) يسقط ما بين الرقيين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «لا المنذر» ساقطة من

ظ (٧) في مد: عن (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لوقعة (٩) العبارة من هنا

إلى « من الضعف » ساقطة من ظ (١٠) من مند، وفي الأصل: من سلام :

عليهم و هم كارهون ، بعد ما كانوا فيه من القوة و هو من الضعف
 (و يبشر المؤمنين) أي الراسخين في هذا الوصف (الذين يعملون الصلوات)
 و هو ما أمر به غالبا [له - '] ، و ذلك من ' أسنان مفتاح الإيمان
 (ان لهم) أي من حيث هم عاملون (اجرا حسنا) و هو النعيم ،
 حال كونهم (ما كتبت فيه ابداء) بلا انقطاع أصلا ، فان الابد زمان
 لا آخر له ، فجمعت هاتان العلتان جميع معاني الكتاب فانه لا يكون
 كذلك إلا و قد جمع أيضا جميع شرائع الدين و أمر المعاش
 [و أمر المعاد - '] و ما يعينهم فعله أو تركه أو اعتقاده ، و ما يتبع ذلك ،
 و ذلك هو القيم ، أي المستقيم في نفسه ، المقيم لغيره .

و لما كان الغالب على الإنسيان المخالفة للاوامر ، لما جبل عليه من
 النقص ، كان الانذار فأم أعاده^{١١} لذلك و^{١٢} لأن المقام له كما مضى ،
 ذاكرا فيه بعض المتعلق^{١٣} المحذوف من الآية التي قبلها ، تبكيها لليهود
 المضلين لهؤلاء العرب و لمن قال بمقاتلتهم فقال تعالى : (و ينذر)

(١) في ظ: هي (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى «مفتاح الإيمان» ساقطة
 من ظ (٤) سقط من مد (٥-٥) ما بين الرقيين متقدم في مد على «و يبشر
 المؤمنين» (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الكتب (٧) زيد من ظ و مد .
 (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من مد (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : ما .
 (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : غسل (١١-١١) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 لانذارهم و اعاده (١٢-١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد ، و تستمر
 سقطة ظ إلى « كما مضى » (١٣) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في
 ظ و مد فحذفناها .

١. واكتصر هنا على المفعول الاول ليذهب الفكر في الثاني - الذي عبر عما
 يحتمل تقديره [ب- ٢] فيما معنى به ولدته - كل مذهب فيكون أهول
 (الذين قالوا اتخذ الله) أى تكلف ذو العظمة التي لا تضاهى كما
 يتكلف غيره أن أخذ (ولداه) وهم بعض اليهود / والنصارى / ٣٥٠
 ٥. والرب؛ قال الاصمعياني؛ وعادة القرآن [بجارية - ٢] بأنه إذا ذكر
 قصة كلية صطف عليها بعض جزئياتها تنبها على كون ذلك البعض
 أعظم جزئيات ذلك الكل، ولم أجعل الآية من الاحتمال لنقص المعنى.
 ثم امتأفت معللا في جواب من كأنه قال؛ ما لهم خصوا بهذا الوعيد
 الشديد؟ فقال تعالى: (ما لهم به) أى القول؛ (من علم) أصلا
 ١٠. لأنه بما لا يمكن أن يطلق العلم به لأنه لا وجود له ولا يمكن وجوده؛
 ثم قرر هذا المعنى وأكد بقوله تعالى: (ولا لا بألأهم) الذين هم
 مغتبطون بتقليد من في الدين حتى في هذا الذى لا يتخيله عاقل، ولو
 أخطأوا في تصرف دينوى لم يقعوم فيه، تنبها على أنه لا يحل لأحد
 أن يقول على الله تعالى ما لا علم له به، ولا سيما في أصول الدين؛
 ١٥. ثم هول أمر ذلك بقوله تعالى: (كبرت) أى مقالتهم هذه (كلية)
 (١) العبارة من هنا إلى «فيكون أهول» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفي
 الأصل: ليذكر (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٥) العبارة من هنا إلى «لنقص المعنى» ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل
 و ظ: جوابه (٧) العبارة من هنا إلى «وأكد بقوله تعالى» ساقطة من ظ .
 (٨) من مد، وفي الأصل: لم .

أى ما أكبرها من كلمة ١ 'وصور فظاعة اجترائهم على النطق بها بقوله تعالى: (تخرج من افواههم^١) أى لم يكفهم خطورها في نفوسهم ، وتردها في صدورهم ، حتى تلفظوا بها ، وكان تلفظهم بها على وجه التكرير - بما أشار إليه التعبير بالمضارع^١ ؛ ثم بين^٢ ما أفهمه^٢ الكلام من أنه كما أنهم لا علم لهم بذلك لا علم لأحد به أصلا ، لأنه لا وجود له فقال ه تعالى: (ان) [أى ما -^٣] (يقولون الا كذبا ه) أى قولا لا حقيقة له بوجه من الوجوه .

وقال ابن الزبير في برهانه : من الثابت المشهور أن قريشا بعثوا إلى يهود بالمدينة يسألونهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فأجابت يهود بسؤاله عن ثلاثة أشياء ، [قالوا -^٤] : فان أجابكم^٥ فهو نبي ، وإن عجز فالرجل متقول^٦ فرؤا فيه رأيكم ، وهى الروح ، وفتية ذهبوا^٧ في الدهر الأول وهم أهل الكهف ، وعن^٨ رجل طواف^٩ [بلغ -^{١٠}] مشارق الأرض ومغاربها . فأزل الله عليه جواب ما سأله ، وبعضه في سورة الإسراء " ويسئلونك عن الروح " - الآية ، واستفتح سبحانه وتعالى سورة الكهف بحمده ، وذكر نعمة الكتاب ١٥

(١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « الكلام من » ساقطة من ظ (٣) من مد ، وفي الأصل : الهم (٤) زيد من مد (ه) زيد من ظ ومد . (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : جاء بذلك (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : متبول (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : من (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : طاف (١١) زيد في ظ : قل الروح من امر ربي .

وما أنزل بقريش وكفار العرب من البأس يوم بدر و عام الفتح ،
 وبشارة المؤمنين [بذلك - ١] وما منحهم الله تعالى من النعيم الدائم ،
 وإنذار القائلين بالولد من النصارى وعظيم مرتكبهم وشناعة قولهم
 ” ان يقولون الا كذبا “ وتسلية نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
 ٥ في أمر جميعهم ” فلعلك باخع نفسك “ - الآية ، والتحمت الآى أعظم
 التحام ، وأحسن التتام ، إلى ذكر ما سأل عنه الكفار من أمر الفتية
 ” ام حسبت ان اصحب الكهف و الرقيم كانوا من ايتنا عجبا “ ثم بسطت
 الآى قصتهم ، وأوضحت أمرهم ، واستوفت خبرهم ؛ ثم ذكر سبحانه
 أمر ذى القرنين وطوافه و انتهاء أمره ، فقال تعالى ” ويسئلونك عن
 ١٠ ذى القرنين “ - الآيات ، وقد فصلت بين القستين بمواعظ وآيات مستجدة
 على أمم ارتباط ، وأجل اتساق ٢ ، ومن جملتها قصة الرجلين و جنتى
 أحدهما وحسن الجنتين وما بينهما وكفر صاحبها و اغتراره ، وهما
 من بنى لإسرائيل ، ولهما قصة ، وقد أفصحت هذه الآى منها ٣ باغترار
 أحدهما بما لديه وركونه إلى توهم البقاء ، و تعويل صاحبه على ما عند ربه
 ١٥ ورجوعه إليه و انتهاء أمره - بعد المحاورة الواقعة فى الآيات بينهما - إلى إزالة
 ما تخيل المفتون بقاءه ، ورجع ذلك كأن لم يكن ، ولم يبق يده / إلا الندم ،
 ولا صح له من جنته بعد عظيم تلك البهجة سوى التلاشى و العدم ، وهذه
 حال من ركن [إلى ما - ١] سوى المالك ، و من كل شىء إلا وجهه سبحانه
 و تعالى فان و هالك ” انما الحيوة الدنيا لعب و لهو “ ، ” ففروا الى الله “

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : انتشاق (٣) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : منها (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الى (٥) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : بينها .

ثم أعقب ذلك بضرب مثل الحياة الدنيا لمن اعتبر واستبصر، وعقب تلك الآيات بقصة موسى والخضر عليهما [السلام - ١] إلى تمامها، وفي كل ذلك من تأديب بني إسرائيل وتقريرهم وتوبيخ مرتكبهم في توقفهم عن الإيمان وتعنيفهم في توهمهم عند قوام لكفار قريش بسؤاله عليه السلام عن القصص [الثلاث - ١] أن^٢ قد حازوا العلم^٣ و انفردوا بالوقوف على ما [لا - ٤] يعلمه غيرهم، فجاء جواب قريش بما يرغم الجميع ويقطع دابرهم، وفي ذكر قصة موسى والخضر إشارة لهم لو عقلوا، وتحريك لمن سبقت له منهم السعادة، وتنيه لكل موفق في تسليم الإحاطة لمن هو العليم الخبير، وبعد تقريرهم وتوبيخهم بما أشير إليه عاد الكلام إلى بقية سؤلهم فقال تعالى "ويستلونك عن ١٠ ذى القرنين" - إلى آخر القصة، وليس بسط هذه القصص من مقصودنا وقد حصل، ولم يبق إلا السؤال عن وجه انفصال جوابهم ووقوعه في السورتين مع أن السؤال واحد، وهذا ليس من شرطنا فلننساه بحول الله إلى موضعه إن^٤ قدر به - انتهى . وقد تقدم في سورة الإسراء من الجواب [عن هذا أن - ١] الروح ضمت إليها، لأنها من ١٥ سر الملكوت كالإسراء، وبقى أنه لما أجمل سبحانه أمرها لما ذكر من عظيم السر، وعيب عليهم اشتغالهم بالسؤال وترك ما هو من عالمها، وهو أعظم منها ومن كل ما برز إلى الوجود من ذلك العالم من الروح

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: انه (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: لعلم (٤) زيد من مد .

المعنى الذى به صلاح الوجود كله ، وهو القرآن العظيم ، و 'عظم أمره' بما ذكر فى الإسراء إلى أن اقتضى [الحال - ٢] فى إنهاء عظمته أن يدل على إصلاح الوجود به بما حرره وفصله وقرره من أمر السؤلين الباقين اللذين هما من ظاهر الملك فيما ضم إليهما بما تم به الأمر ، و اتضح به [ماله - ٢] من جليل القدر ، كان الأكل فى ذلك أن يكون ما انتظم به ذلك سورة على حدتها ، ولما كان أمر أهل الكهف من حفظ الروح فى الجسد على ما لم يعهد مثله ثم إفاضتها ، قدم الجواب عن ٣ السؤال عنهم ليلى أمر الروح ، وختم بنذى القرنين لإحاطة أمره بما طاف من الأرض ، ولما جعل من السد علما على انقضاء شأن هذه ١٠ الدار و ختام أمرها ، و طوى ما برز من نشرها - والله سبحانه وتعالى أعلم .

ولما كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم شديد الحرص على إيمانهم شفقة عليهم وغيره على المقام الإلهى الذى ملأ قلبه تعظيما له ، خفض عليه سبحانه بقوله تعالى : ﴿ فلعلك باخع ﴾ أى قسب عن قولهم هذا ، المبين جدا لما تريد لهم ، الموجب لإعراضهم عنك أنك تشفق أنت و من يراك على تلك الحالة من أتباعك من أن تكون قاتلا ﴿ نفسك ﴾ من شدة الغم^٧ والوجد ، وأشار إلى شدة فقرتهم وسرعة مفارقتهم وعظيم مباعدهم بقوله تعالى : ﴿ على آثارهم ﴾ أى حين تولوا

(١-١) من مد . وفى الأصل و ظ : عظيم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لمن (٤) فى مد : ما (٥) من ظ ، وفى الأصل و مد : يزيد . (٦) زيد فى ظ : باخعاى (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

عن إجابتك 'فكانوا كمن قوضوا خيامهم وأذهبوا أعلامهم'
(ان لم يؤمنوا) .

'ولما صور بعدهم ، صور قرب ما دعاهم إليه ويسر تناوله بقوله

تعالى: ﴿ بهذا الحديث ﴾ أى القيم المتجدد تنزيهه على حسب التدرج

﴿ اسفاه ﴾ منك على ذلك ، و الأسف : أشد الحزن 'و الغضب' ، ثم بين ٥

٣٥٢/

علة إرشاده / إلى الإعراض عنهم بغير 'ما يقدر عليه من' التبليغ 'للبشارة

والنذارة' بأنهم لم يخرجوا عن مراده سبحانه ، 'و أن الإيمان لا يقدر على

إدخاله قلوبهم غيره' فقال تعالى: ﴿ انا ﴾ أى 'لا نقفل ذلك لانا ﴾ جعلنا

'بما لنا من العظمة' ﴿ ما على الارض ﴾ من 'المواليد الثلاثة': الحيوان

و المعدن و النبات ﴿ زينة لها ﴾ بأن حسنا^٢ في العيون ، و أبهجنا به ١٠

النفوس ، 'و لو لا مضرة الحيوانات المؤذية من الحشرات و غيرها كانت

الزينة بها ظاهرة ، و الظاهر أنه لو أطاع الناس كلهم لذهبت مضرتها

فبدت زينتها ، كما يكون على زمن عيسى عليه السلام حيث تصير

لها للولدان .

و لما أخبر بزينتها ، أخبر بعلته فقال تعالى: ﴿ لنبلوهم ﴾ أى نعاملهم ١٥

معاملة المختبر الذى يسأل لخصاء الأمر عليه بقوله تعالى: ﴿ ايهم احسن عملا ﴾

'أى باخلاص الخدمة لربه' ، فيصير ما كنا نعلمه منهم ظاهرا بالفعل

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و في

الأصل : حسنا (٤) من مد ، و في الأصل : خلف (٥) العبارة من « الذى يسأل »

إلى هنا ساقطة من ظ .

تقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بأن من أظهر موافقة الأمر^١ فيما نال من الزينة حاز المثوبة، ومن اجترأ على مخالفة الأمر بما آتيناها منها^٢ فعمل على أنها للتعيم بها فقط^٣ استحق العقوبة . ولما كان دعاءه الزينة إلى حقيقة الحياة الدنيا من اللهو واللعب ظاهراً لموافقته لما [طبعت - ٢] عليه النفوس من الهوى لم يمتنع إلى التنبه^٤ عليه أكثر من لفظ الزينة .

و لما كان دعاءها إلى الزهد فيها والإعراض عنها جملة والاستدلال بها على تمام علم صانعها وشمول قدرته على إعادة الخلائق كما ابتدأهم وغير ذلك خفياً، لكونه مستورا عن العقول بهوى النفوس^٥، نبه عليه ١٠ بقوله تعالى: ﴿ وانا لجاعلون ﴾ أى بما لنا من العظمة^٦ ثابت لنا هذا الوصف دائماً^٧ ﴿ ما عليها ﴾ من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه^٨

﴿ صعيدا ﴾ أى تراباً بأن نهلك تلك الزينة بازالة اخضرارها فيزول المانع من استيلاء التراب عليها ثم نسلط عليها الشمس والرياح فيردها بذلك إلى أصلها تراباً ﴿ جرزا ﴾ أى يابساً لا ينبت شيئاً بطبعه، وكذا نفعل ١٥ بمن سبب تسليط البلاء عليه من الحيوان آدمياً كان أو غيره سواء^٩ .

و لما كان من المشاهد إعادة النبات بأذن الله تعالى بازال الماء عليه إلى الصورة النباتية التى هى الدليل على إحياء الموتى مرة بعد مرة ما دامت

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: لامر (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: التعمية (٥) فى مد: النفس .

الأرض موجودة على هذه الصورة ، طوى ذكر ذلك سترًا لهذا البرهان المنير عن الأغنياء^١ المشغولين بالظواهر ، علما منه سبحانه بظهوره لأولى البصائر .

ولما كان هذا من العجائب [التى تضال عندها العجائب -^٢] ،

و الغرائب التى تخضع لديها الغرائب ، وإن صارت مألوفة بكثرة التكرار ،^٥ و التجلى على الأبصار ، هذا إلى^٢ ما له من الآيات التى تزيد على العد ، ولا يحصر بحد ، من خلق السماوات و الأرض ، و اختلاف الليل و النهار ، و تسخير الشمس و القمر و الكواكب - و غير ذلك ، حقر آية أصحاب^٢ الكهف - و إن كانت من أعجب العجب - لاضمحلالها فى جنب ذلك ،

لأن الشيء إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجبا ، فبه على ذلك بقوله ١٠
 'تعالى عطفًا على ما تقديره': أعلمت أن هذا وغيره من عجائب قدرتنا؟:

﴿ ام حسب ﴾ 'على ما لك من العقل الرزين و الرأى الرصين'
 ﴿ ان اصحب الكهف ﴾ أى الغار الواسع المنقور فى الجبل كالبيت ﴿ و الرقيم لا ﴾
 أى القرية أو الجبل ﴿ كانوا ﴾ هم فقط ﴿ من ايتنا عجبا ﴾ 'على ما لزم

من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود و العرب' ، / و الواقع أنهم ١٥ / ٣٥٣ -
 - و إن كانوا من العجائب - ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا ، و بالنسبة

إلى هذا العجب [النبأى -^٢] الذى أعرضتم^٥ عنه بألفكم^٦ له من كثرة تكررهِ فيكم ، فانه سبحانه أخرج نبات الأرض على تباين

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاغنياء (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط

من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل :

اعرضتكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالفكر .

أجناسه، و اختلاف ألوانه و أنواعه، و تضاد طبائعه، من مادة واحدة،
يهتز^١ بالينبوع، يبهج الناظرين و يروق المتأملين، ثم يوقفه ثم يرده
بالبس و التفريق إلى التراب فيختلط به حتى لا يميزه عن بقية التراب.
ثم يرسل الماء فيختلط بالتراب فيجمعه فيخرج أخضر يانعا يهتز بالنوع على
أحسن ما كان، و هكذا كل سنة، فهذا بلا شك أعجب حالا من
حفظت أجسامهم مدة [عن التغير - ٢] ثم ردت أرواحهم فيها،
و قد كان في سالف الدهر يعمر بعض [الناس - ٢] أكثر [من مقدار - ٢]
ما لبثوا، و هذا الكهف - قيل : هو [في جبال - ٢] بمدينة طرسوس و هو
المشهور، و قال أبو حيان^٢ : قيل : هو في الروم، و قيل : في الشام،
١٠ و قيل : في الأندلس^٤، قال : في جهة غرناطة بقرب قرية [تسمى - ٥] لوشة
كهف فيه موتى^٦ و معهم كلب [رمة، و أكثرهم - ٧] قد انجرد لحمه، و بعضهم
متماسك^٨ و قد مضت القرون [السالفة - ٥] و لم نجد من عرف شأنهم، و يزعم
ناس أنهم أصحاب الكهف، و نقل عن ابن عطية قال : دخلت إليهم سنة
أربع و خمسمائة فرأيتهم بهذه الحالة و عليهم مسجد و قريب منهم^٩ بناء
١٥ روى يسمى الرقيم، [و هو - ٧] في فلاة من الأرض، و بأعلى حضرة غرناطة
بما يلي القبلة آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس، و نقل أبو حيان

(١) من ظ و مد، و في الأصل : مهتز (٢) زيد من ظ و مد (٣) في البحر
المحيط ١٠١/٦ و ١٠٢ (٤) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد
لحذفها (٥) زيد من البحر (٦) من ظ و مد و البحر، و في الأصل : سوى .
(٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من مد و البحر، و في الأصل و ظ : متماسكا .
(٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد و البحر، و في الأصل : منه .

عن أبيه أنه 'حين كان' بالآندلس كان الناس يزورون هذا الكهف
 و يذكرون أنهم يغلطون^٢ في عدتهم^٣ إذا عدوهم و أن معهم كلبا. قال:
 و أما ما ذكرت^٤ من مدينة دقيوس التي بقبلي^٥ غرناطة، فقد مررت
 عليها مرارا لا تحصى، قال: و يرجح كون^٦ أصحاب الكهف
 بالآندلس - انتهى ملخصا. قلت: و فيه نظر، و الذي يرجح المشهور^٥
 ما نقل البغوي^٧ [وغيره -^٨] عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال: غزونا مع معاوية بجر الروم^٩ ففررنا بالكهف
 [الذي فيه أصحاب الكهف -^{١٠}] فان معاوية لم يصل إلى بلاد الآندلس
 - و الله أعلم .

١٠ و لما صغر أمرهم بالنسبة إلى جليل آياته و عظيم بيناته و غريب
 مصنوعاته، لخص قصتهم التي عدوها عجبا و تركوا الاستبصار على
 وحدانية الواحد القهار بما هو العجب العجيب. و النبأ الغريب، فقال
 تعالى: ﴿ اذ اوى ﴾ أى كانوا على هذه الصفة حين أووا، و لكنه
 أبرز الضمير لبيان أنهم شأن ليسوا بكثیری العدد فليست [لهم -^٨]
 أسنان استفادوا بها من التجارب و التعلم ما اهدوا إليه من الدين و الدنيا. ١٥

(١-١) من مد، و في الأصل وظ: كان حين (٢) من مد و البحر، و في الأصل
 وظ: يغلطوا (٣) من البحر، و في الأصل ومد: عددهم، و في ظ: عددهم.
 (٤) من البحر، و في النسخ: ذكر (٥) من ظ و مد و البحر، و في الأصل:
 بمدينة (٦) من البحر، و في النسخ: ان (٧) في معالم التنزيل - راجع هامش
 الباب ١٦٧/٤ (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد في الأصل: قال، و لم تكن الزيادة
 في ظ و مد و المعالم لحدفتها (١٠) زيد من ظ و مد و المعالم.

ولا كثرة حفظوا بها ممن يؤذيههم أبقاظا ورفودا فقال تعالى:
 ﴿الفتية﴾ وهم أصحاب الكهف المسئول عنهم، والشبان أقبل للحق
 وأهدى للسيل من الشيوخ ﴿الى الكهف﴾ المقارب لقربتهم
 'المشهور ببلدتهم' فرارا بدينهم كما أويت^١ أنت والصديق إلى غار ثور
 ٥ فرارا بدينكما^٢ ﴿قالوا﴾ عقب^٣ استقرارهم فيه: ﴿ربنا آتنا﴾ ولما
 كانت الموجودات - كما مضى عن الحرالي في آل عمران - على ثلاث
 رتب: حكيات جارية على قوانين العادات، وعنديات خارقة للطردات،
 ولدييات مستغرقة^٤ في الامور الخارقات، طلبوا أعلاها فقالوا:
 ﴿من لدنك﴾ أى من^٥ مستطن الامور التى عندك ومستغربها
 ١٠ / ٣٥٤ ﴿رحمة﴾ أى إكراما تكرمنا به كما يفعل / الراحم بالمرحوم
 ﴿وهي لنا﴾ أى جميعا لا تخيب منا أحدا^٦ ﴿من امرنا رشدا﴾
 'أى وجهها ترشدنا فيه إلى الخلاص فى الدارين'، لاجرم صارت قصتهم
 على حسب ما أجابهم ربهم 'بديعة الشأن'^٧ فردة فى الزمان، يتحدث
 بها فى سائر البلدان، فى كل حين وأوان .
 ١٥ ولما أجابهم سبحانه، عبر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿فضربنا﴾ أى
 عقب هذا القول وبسيه ﴿على أذنه﴾ أى سددها وأمسكها عن

(١ - ١) سقط ما بين الرمين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل ومد : تاوى .
 (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بدينك (٤) فى الأصل يياض ملأناه من ظ
 ومد (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : مستغربة (٦) سقط من مد (٧-٧) من
 ظ ومد ، وفى الأصل : يدغمه التانى .

السمع ، وكان أصله ؛ ضربنا عليها حجبا بنوم ثقيل 'لا تزعج منه الأصوات ، لأن من كان مستيقظا أو نائما نوما خفيفا وسمعه صحيح سمع الأصوات ' (في الكهف) أي المعهود ' .

أو لما كانت مدة لبثهم نكرة بما كان لأهل ذلك الزمان من الشرك ، عبر بما يدل على النكرة فقال تعالى : (سنين) : ' ولما كان ربما ظن ه أنه ' ذكر السنين للبالغة لأجل بعد هذا النوم عن ' العادة ، حقق الأمر بأن قال مبدلا منها معرفا لأن ' المراد بجمع القلة هنا الكثرة : (عددا) أي ' متكاثرة ؛ قال الزجاج ' كل ' شيء مما ' يعد إذا ذكر فيه العدد ووصف أريد أكثرته لأنه إذا قل فهم مقدار عدده بدون التقدير فلم يحتاج إلى أن يعد . (ثم بشنهم) أي ' نهناهم من ' ذلك النوم ١٠ (لنعلم) علما مشاهدا ' لغيرنا كما كنا نعلم غيبا ' ما جهله من يسأل فيقول : (أي الحزين) هم أو من عثر عليهم من أهل زمانهم (احصى) ' أي حسب وضبط ' (لما) ' أي لأجل [علم - '] ما

- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « هنا الكثرة » ساقطة من ظ (٣) في مد : ان (٤) في مد : على (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « إلى أن يعد » ساقطة من ظ (٧) وذكر قوله أيضا في الكشف ١/٦٤ ه مختصرا . (٨-٨) من مد . وفي الأصل : منها (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : بعد . (١٠) من مد ، وفي الأصل وظ : [شاعدا (١١) العبارة من هنا إلى « علم ما » ساقطة من ظ (١٢) زيد من مد .

(البشوا امداع) أى وقع إحصاءه لمدة لبثهم [فانهم هم أحصوا البشهم - ٢]
 فقالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، ثم تبرأوا من [علم - ٢] ذلك [و ردوه
 إلى عالمه و أهل البلد ، أحصوا ذلك بضرب النقد الذى وجد معهم
 أو غير ذلك - ٢] من القرائن التى دلتهم عليه ، و لكنهم و إن صادق
 قولهم ما فى نفس الامر أو ٢ قريبا منه فعلى سبيل الظن و التقريب ،
 لا القطع و التحديد ، بقوله تعالى ” قل الله اعلم بما لبثوا “ ٤ فاذا علم
 - مجهل كل من الحزين بأمرهم - [أن - ٥] الله هو المختص بعلم ذلك ،
 علم أنه المحيط بصفات الكمال ، و أنه لم يتخذ ولدا ، و لا له شريك فى
 الملك ، و أنه أكبر من كل ما يقع فى الوهم .

١٠ و لما كان الكلام على اختلاف وقع فى مدتهم ، و كان الحزبان
 معاهم و من خالفهم متقاربين فى الجهل باحصائه على سبيل القطع ،
 و كان اليهود ٢ الذين أمروا قريشا بالسؤال عن أمرهم تشكيكا فى
 الدين لا يعلمون أمرهم على الحقيقة ، نبه على ذلك بقوله - جوابا لمن
 كأنه قال : أيها إحصاءه ؟ - : (نحن) أو يقال : [و - ٢] لما أخبر الله ٤
 ١٥ سبحانه عن مسألة قريش الثانية . و هى قصة أهل الكهف ، مجملا لها
 بعض الإجمال بعد إجمال الجواب عن المسألة الأولى ، و هى الروح ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : مدة (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، وفى
 الأصل و ظ « و » (٤) العبارة من هنا إلى « فى مدتهم » ساقطة من ظ .
 (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : لما (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم
 تكن فى ظ و مد فخذناها (٨) سقط من ظ و مد .

كان السامع جديرا بأن تستشرف نفسه إلى بيان أكثر من ذلك فيضيق^١
 صدره خشية الاقتصار على ما وقع من ذلك من الأخبار ، فقال جوابا
 لمن كأنه قال : أسأل الإيضاح^٢ وبيان الحق من خلاف الحزين^٣ :
 نحن ﴿ نقص ﴾^٤ أي نخبر إخبارا تابعا لآثارهم قدما قدما^٥ ﴿ عليك ﴾
 على وجه التفصيل ﴿ بنام بالحق^٦ ﴾ أي خبرهم العظيم^٧ [وليس أحد غيرنا
 يقصه إلا -^٨] قصا ملتبسا يبطل : زيادة أو نقص ، فكأنه قيل : ما
 كان نأهم ؟ فقال تعالى : ﴿ انهم قتيه ﴾ أي شبان ﴿ امنوا بربههم ﴾^٩
 المحسن إليهم الناظر في مصالحهم الذي تفرد بخلقهم ورزقهم ، وهداهم
 بما وهب لهم في أصل الفطرة من العقول الجيدة النافعة^{١٠} .

ولما^١ دل على الإحسان باسم الرب ، وكان في فعله معهم من
 باهر القدرة ما لا يخفى ، التفت إلى مقام العظمة فقال^٢ تعالى عاطفا على
 ما تقديره : فاهدتوا / بإيمانهم^٣ : ﴿ وزدتهم ﴾ بعد أن آمنوا ﴿ هدى قلوبهم ﴾
 بما قدفنا في قلوبهم من المعارف ، وشرحنا لهم صدورهم من المواهب
 التي حملتهم على ارتكاب المعاطب ، والزهد في الدنيا والانتقطاع إليه
 ﴿ وربطنا ﴾^٤ بما لنا من العظمة^٥ ﴿ على قلوبهم ﴾^٦ أي قلوبناها^٧ ،
 فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد ، فكانت حالهم في الجلوة كحالهم

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيشق (٢-٣) سقط ما بين الرقعين من ظ .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد في الأصل : اي ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد
 فخذفناها (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : السامعة (٦) زيد في الأصل : كان ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذفناها .

في الخلوة ﴿ اذ قاموا ﴾ الله تعالى حق القيام^١ في ذلك [الجليل - ٢]
الكافرين بين يدي طاغيتهم دقيانوس ﴿ فقالوا ﴾ مخالفين لهم : ﴿ ربنا ﴾ الذي
يستحق أن نقرده بالعبادة لتفرد به بتدبيرنا ، هو ﴿ رب السموت والارض ﴾
أى 'موجدهما' و'مديرهما' ﴿ لن ندعوا من دونه الها ﴾ بعد أن ثبت
عجز كل من سواه ، والله ا ﴿ لقد قلنا اذا ﴾ [أى - ٢] إذا دعونا
من دونه غيره ﴿ شططاه ﴾ أى قولاً ذا بعد مفرط^٢ عن الحق جداً ؛
ثم شرعوا يستدلون على كونه شططاً بأنه لا دليل عليه ، ويجوز أن
يكونوا لما قالوا ذلك عرض لهم الشيطان بشبهة التقليد فقالوا مجيبين
عنها : ﴿ أهولاء ﴾ 'و أن يكونوا' قالوا ذلك للترك إنقاذاً له من شرك
الجهل ، وبين المشار إليهم بقولهم : ﴿ قومنا ﴾ أى^٣ وإن كانوا أسن
منا 'وأقوى' وأجل في ' الدنيا ﴾ اتخذوا ﴾ أى مخالفين مع منهاج
العقل داعى الفطرة الأولى ﴿ من دونه الهة ﴾ أشركوم [معه - ٢]
لشبهة وإهية استغواهم بها الشيطان : ثم استأنفوا على طريق التخصيص
ما ينه على أنهم من حين عبادتهم إلى الآن لم يأتوا على ذلك بدليل ،
١٥ فقالوا 'منبهين على فساد التقليد فى أصول الدين وأنه لا مفتح فيه بدون
القطع ' : ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ ياتون ﴾ الآن .

- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : حسدا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن .
(٦) العبارة من هنا إلى « إليهم بقولهم » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد : لا .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (٩) زيدت الواو فى ظ .

' و لما كانوا بعبادتهم لهم قد أحلوا محل العلماء ، قال تعالى :
 ﴿ عليهم ﴾ ' أى على عبادتهم إياهم ، و حققوا ما أرادوا من الاستعلاء
 بقولهم : ' ﴿ بسطن ﴾ أى دليل قاهر ' ﴿ بين ' ﴾ مثل ما نأتى نحن
 على تفرد معبودنا بالأدلة الظاهرة ، و البراهين الباهرة ، فان مثل هذا الأمر
 لا يتنع [فيه - ٢] بدون ذلك ، و قد جمعنا الأدلة كلها فى ' الاستدلال ه
 على تفرد الله باستحقاقه للعبادة بأنه ' تفرد بخلق الوجود ، فسبب عن
 عجزهم عن دليل أنهم أظلم الظالمين لا تعاملهم الكذب عن ملك الملوك
 و مالك الملك ، فلذلك قالوا : ﴿ فمن اظلم عن اقترى ﴾ أى تعد
 ﴿ على الله ﴾ ' أى الملك الأعظم ' ﴿ كذبا ' ﴾ ' فالآية دالة على فساد
 التقليد فى الوجدانية ' .

١٠

و لما استدلوا على معتقدهم ، و علوا سفه من خالفهم ، و هم قوم
 لا يدان لهم بمقاومتهم ، لكثرتهم و قلتهم ' ، تسبب عن ذلك هجرتهم
 ليسلم لهم دينهم ، ' فقال تعالى شارحا لما بقى من أمرهم ، عاطفا على ما
 تقديره : ' ' و قالوا ' أو من شاء الله منهم ' حين خلصوا من قومهم نجيا :
 لا ترجعوا إلى قومكم أبدا ما داموا على ما هم عليه ، هذا إن كان المراد ١٥
 قيامهم [بين يدي دقيانوس ، و إن كان المراد من القيام - '] الانبعاث
 بالعزم الصادق لم يحتج إلى هذا التقدير : ﴿ واذ ﴾ ' أى حين ' ﴿ اعزلتهم ﴾

(١-١) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) - سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانه .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لقلتهم (٧-٧) فى ظ : فقالوا (٨) العبارة من
 هنا إلى « إلى هذا التقدير » ساقطة من ظ (٩) زيد من مد .

أى قومكم ﴿ وما ﴾ أى واعتزلتم ما ﴿ يعبدون الا الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال^١، وهذا دليل على أنهم^٢ كانوا يشركون، و يجوز أن يكونوا سموا الانقياد كرها لمشيتته والخضوع بزعمهم لاقضيته عبادة ﴿ فاوآ ﴾ أى بسبب هذا الاعتزال^٣، وهذا دليل^٤ العامل فى "اذ"^٥

٥ ﴿ الى الكهف ﴾ أى الغار الذى فى الجبل ﴿ ينشر ﴾^٦ أى يحيى ويعث^٧ ﴿ لكم ربكم ﴾^٨ الذى لم يزل يحسن إليكم ﴿ من رحمته ﴾ ما يكفيكم به المهم من أمركم ﴿ ويهين لكم من أمركم ﴾^٩ الذى / من شأنه أن يهينكم ﴿ مرفقا ﴾^{١٠} ترتفقون به^{١١}، وهو بكسر الميم وفتح الفاء فى قراءة الجماعة، و بفتحها و كسر الفاء للنافع و ابن عامر^{١٢}، وهذا الجزم من آثار الربط على قلوبهم بما علوا من قدرته على كل شىء، و حمايته من لاذبه و لجأ إليه و عبده و توكل عليه، ففعلوا ذلك ففعل^{١٣} الله ما رجوه^{١٤} فيه، فجعل لهم أحسن مرفق بأن أنامهم ثم أقامهم بعد [مضى -] قرون و مرور دهور^{١٥}، و هدى بهم ذلك^{١٦} الجبل الذى أقامهم فيه ﴿ و ترى ﴾ لو رأيت كهفهم ﴿ الشمس اذا طلعت ﴾ .

/ ٣٥٦

١٥ و لما كان حالهم خفيا، و كذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه،

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى ظ : انما (٣) فى ظ : هو (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اذا (٥) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : بفعل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : رجوا (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد فى الأصل : دهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (١١) سقط من ظ .

أدغم تاء التفاعل نافع و ابن كثير و أبو عمرو ، و أسقطها عاصم و حمزة
و الكسائي ، فقال تعالى : ﴿ تزور ﴾ أى تمايل^٢ و تحرف ، و لعل
قراءة ابن عامر و يعقوب تزور بوزن تحمر ناظرة إلى الحال عند^٣ نهاية
الميل ﴿ عن كهفهم ﴾^٤ بقلص شاعها^٥ ، بارتفاعها^٥ إلى أن تزول^٥
(ذات اليمين) إذا كنت^٦ مستقبلا القبلة و أنت متوجه إليه^٥ أو مستقبلا
الشمس^٥ فيصيبهم^٧ من حرها ما يمنع عنهم التعفن و يمنع سقف الكهف
شدة الحرارة المفسدة^٨ في بقية النهار ﴿ و اذا غربت ﴾^٩ أى أخذت في الميل
إلى الغروب ﴿ تقرضهم ﴾^٩ أى تعدل في مسيرها عنهم ﴿ ذات الشمال ﴾
كذلك^٩ ، لثلا يضرهم^{١٠} شدة الحرارة ، و يصيبهم من منافعها^{١١} مثل ما
كان عند الطلوع ، فلا يزال كهفهم رطبا ، و يأتيه من الهواء الطيب^{١٠}
و النسيم اللئيم ما يصونهم عن التعفن و الفساد^{١١} . فتحرر بذلك^{١١} أن
باب الغار مقابل لبنات نعش ، و أن الجبل الذى هم فيه شمالى مكة المشرقة ،
^{١٢} و يجوز أن يكون المراد يمين من يخرج من الكهف و شماله ، فلا يلزم
ذلك ، [و-^{١٤}] قال الأصهباني : قيل : إن [باب-^{١٤}] ذلك كان مفتوحا

(١) العبارة من « و لما كان » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا إلى
« نهاية الميل » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : عنه (٤-٤) من ظ ،
و فى الأصل و مد : تقاص بشاعها (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ
و مد ، و فى الأصل : كانت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتصيبهم (٨) من
ظ و مد ، و فى الأصل : المقيدة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك (١٠) فى
ظ : لثلا تضرهم (١١) فى ظ و مد : نافعها (١٢) فى مد : ذلك (١٣) العبارة من
هنا إلى « على شابه » ساقطة من ظ (١٤) زيد من مد .

إلى جانب الشمال إذا طلعت الشمس عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت على شماله .

ومادة ' قرض' - - وليس لها إلا هذا التركيب - تدور على القطع،

ويلزمه ' الميل عن الشيء و العدول و الازورار عنه، قرضت الشيء -

٥ بالفتح - أقرضه - بالكسر: قطعه بالمقراض أو بغيره - لأنك إذا وصلت

إليه ' فقد حاذيته ' فإذا قطعه تجاوزته فأنحرفت عنه، و القرض: قول

الشعر خاصة - لأنه لا شيء من الكلام يشبهه فهو مقطوع منه مائل عنه '

بما خص به من الميزان، ' وهل مررت بمكان كذا؟ فقول: قرضته

ذات اليمين ليلاً، أى كان عن يميني، و القرض: ما تعطيه من المال

١٠ لتقضاه - لأنك قطعه من مالك، و القرض - بالكسر: لغة فيه عن

الكسائي، و القرض: ما سلفت من إحسان أو إساءة - على ' التشبيه،

و التقريض: المدح و الذم - لأنه يميز الكلام ' فيه تمييزاً ظاهراً، و هما

يتقارضان كذا - كأن كلا منهما مقرض لصاحبه و موف له على ما

أقرضه '، و المقارضة: المضاربة - لأن صاحب المال قطع من ماله، و العامل

١٥ قطع من عمله حصة ' لهذا المال، و ' قرض فلان الرباط - إذا مات،

(١) من ظ و مد، و في الأصل: يلزم (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل:

فقد حاذيته (٣) سقط من ظ (٤) و قبله في التاج: قال الجوهري: و يقول

الرجل لصاحبه (٥) من ظ و مد، و في الأصل: عن (٦) في ظ: المتكلم (٧) من

مد، و في الأصل و ظ: أقرضه (٨) من ظ و مد، و في الأصل: قصة (٩) زيد في

الأصل: قد، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها .

لأنه إذا انقطعت حياته انقطع كل رباط له في الدنيا، وجاء فلان
وقد قرض رباطه - إذا جاء مجهدا قد أشرف على الموت - كأنه أطلق
عليه ذلك للمقاربة ، و المقارضة : المشامة - ' لقطعها العرض ' وما بين
المشأمتين ^٢ ، و الاقتراض : الاغتياب - من ذلك و من القرص أيضا ،
لأن من اغتاب اغتیب ، و قرص - بالكسر - إذا زال من شيء إلى ه
شيء - لأنه يوصل الثاني / قطع الأول ، و قرص - إذا مات ، و المقارض :
٢٥٧ / الزرع القليل - إما للإزالة على الضد من الكثير ، أو تشبيه بمواضع
الاستقاء ^٢ في البئر القليلة الماء ، فان المقارض [أيضا - ^٤] المواضع التي
يحتاج المستقى إلى أن يقرض منها الماء ، أي يبيع ، أي يدخل الدلو في
البئر فيملأها لقلة الماء - لأنها مواضع قطع الماء برفعه ^٥ عن البئر ، ١٠
و المقارض أيضا : الجرار الكبار - كأنها لكبرها و قطعها كثيرا من
الماء هي التي قطعت دون الصغار ، و ما عليه قراض ، أي ما يقرض عنه
العيون فيستره ^١ لتعدل عنه العيون - لعدم نفوذها إلى جلده ، و القرص
في السير ^٢ هو أن تعدل عن الشيء في مسيرك ، فإذا عدلت عنه فقد ^٤
قرضته ، و المصدر القرص و أصله من القطع ، و ابن مقرض - كنبز : ١٥
عربية تقتل الحمام - كأنها سميت لقطعها حياة الحمام ، و قرص البعير جرتة :
(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : لتقطعها القرص (٢) من ظ و مد ، و في
الأصل : المشأمتين (٣) في مد : الاستقاء (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ
و مد ، و في الأصل : برفنها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : فيسره (٧) زيدت
انوار في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فخذناها (٨) في مد : عند.

مضعها فهي^١ قريض - لتقطيعها بالمضغ و لتقطعها من^٢ بطنه بردها إلى
خنكها للمضغ^٣ .

ولما بين تعالى أنه حفظهم من حر الشمس ، بين أنه أنعشهم بروح
الهواء ، وألطفهم بسعة الموضع في فضاء الغار فقال : (وهم في فجوة منه^٤)
هـ أى فى وسط الكهف ومتسعه . ولما شرح هذا الامر الغريب ، والنبأ
العجيب ، وصل به نتيجة فقال تعالى : (ذلك) أى المذكور العظيم
من هدايتهم ، وما دبروا لأنفسهم ، وما دبر لهم من هذا الغار المستقبل^٥
للنسيم الطيب المصون عن كل مؤذ ، وما حقق به رجاءهم مما^٦ لا يقدر
عليه سواه (من آيت الله^٧)^١ أى الملك الأعلى المحيط بكل شئ . علما
١٠ . وقدرة^٨ ، وإن كان إذا قيس إلى هذا القرآن القيم^٩ وغيره مما خصت
به هذه الأمة كان يسيرا .

ولما كان انفرادهم بالهدى عن أهل ذلك القرن كلهم عجبا ، وصل
به ما إذا توكل زال عجزه فقال تعالى : (من يهد^{١٠})^١ ولو أسر هداية -
بما دل عليه حذف الياء فى الرسم^{١١} (الله^{١٢})^١ [أى الذى له الأمر كله^{١٣}
١٥ بخلق الهداية فى قلبه للنظر فى آياته التى لا تعد والاتقاع بها (فهو)

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : فهو (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بمن .

(٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : بالمضغ (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل :

المستقل (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : من (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من

ظ (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : العظيم (٨) فى الأصل فقط : يهدى (٩) وقع

فى الأصل وظ بعد « من يهد » والترتيب من مد .

خاصة (المهتدج) في أى زمان كان ، فلن تجد له مضلا مغويا
 (ومن يضل)^١ إضللا ظاهريا بما دل عليه الإظهار = [باعماته عن
 طريق الهدى ، فهو لا غيره الضال (فلن تجد له) أصلا من دونه ،
 لاجل أن الله الذى له الأمر كله ولا أمر لاحد معه أضله (وليا مرشداً)
 فتجده يرى الآيات بعينه ، ويسمعها بأذنه ، ويجسها بجميع حواسه ،
 ولا يعلم أنها آيات فضلا عن أن يتدبرها ويتفحص بها ، فالآية من
 الاحتباك : ذكر الاهتداء أولا دليلا على حذف الضلال ثانيا ، والمرشد
 ثانيا دليلا على حذف المضل أولا .

ولما نبه سبحانه هذا التنبيه تسلياً للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
 وتثبيتاً أن يمنع نفسه ، عطف على ما مضى بقية أمرهم [فقال - ٢] : ١٠
 (وتحسبهم ايقاظاً) لافتتاح أعينهم للهواء ليكون أيقظ لها ، ولكثرة
 حركاتهم (وهم رقودٌ) وقلوبهم) بظمتنا^٢ في حال نومهم تقليباً كثيراً
 بحسب ما يفهم كما يكون النائم (ذات)^٣ أى في الجهة التي هي
 صاحبة (اليمين) منهم (وذات الشمال)^٤ لينال روح النسيم جميع
 أبدانهم ولا يتأثر ما يلي الأرض منها بطول المكث (وكلهم باسط)^٥
 وأعمل اسم الفاعل هذا ، لأنه ليس بمعنى الماضى بل هو حكاية حال
 ماضية فقال : (ذراعيه بالوصيد^٦) أى يباب الكهف ، وفناه^٧
 كما هي عادة الكلاب ، وذكر هذا الكلب على [طول - ٣] الآباد

(١) العبارة من هنا إلى « طريق الهدى » ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و مد .

(٣) سقط من ظ (٤ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ .

بجميل هذا الرقاد^١ من بركة صحبة الأجداد^٢.

ولما / كان هذا مشوقاً^٣ إلى رؤيتهم، وصل به ما يكف عنه بقوله

/ ٣٥١

تعالى: ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾^٤ وهم على تلك الحال ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾

أى^٥ حال وقوع بصرك عليهم ﴿ وللمت ﴾^٦ فى أقل وقت بأيسر

أمر^٧ ﴿ منهم رعباء ﴾^٨ لما ألبسهم الله من الهية، وجعل لهم من

الجلالة، تديرا منه لما أراد منهم ﴿ وكذلك ﴾^٩ [أى - °]^{١٠} فعلنا بهم^{١١}

هذا من آياتنا^{١٢} من النوم وغيره^{١٣}، ومثل ما فعلناه بهم ﴿ بشئهم ﴾

بما لنا من العظمة^{١٤} ﴿ ليتساءلوا ﴾^{١٥}، وأظهر بالاقتيال إشارة إلى أنه

فى غاية الظهور. ولما كان المراد تساؤلا عن أخبار لاتعدوم قال

١٠ تعالى: ﴿ بينهم ﴾^{١٦} أى^{١٧} عن أحوالهم فى نومهم ويقظتهم^{١٨} فيزدادوا

إيمانا، وثباتا وإيقانا، بما ينكشف لهم من الأمور العجبية، والأحوال

الغريبة^{١٩} فيعلم^{٢٠} أنه لا علم لأحد غيرنا، ولا قدرة لأحد سوانا، وأن

قدرتنا تامة، وعلمنا شامل، فليعلم ذلك من أنكر قدرتنا على البعث

وسأل اليهود البعداء البغضاء عن نبيه^{٢١} الحبيب الذى أتاهم بالآيات،

١٥ وأراهم اليئات. فان كانوا يستنجسون اليهود فليستلوم عما قصصنا^{٢٢}

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: الاخيار (٣) من ظ و مد،

وفى الأصل: مشوة (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من

هنا إلى «ومثل ما» متكررة فى الأصل فقط (٧) زيد فى العبارة المتكررة من

الأصل: من (٨) من ظ، وفى الأصل و مد: ويعلم (٩) زيد فى ظ: العرب -

كذا (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: قصصناهم.

من هذه القصة ، فان اعترفوا [به - ١] لزمهم جميعا^٢ الإيمان و الرجوع عن النفي و العدوان ، وإن لم يؤمنوا علم قطعا أنه لا يؤمن إلا من أردنا هدايته بالآيات البينات كأهل الكهف و غيرهم ، لا بانزال الآيات المقترحات .

- و لما كان المقام مقتضيا لأن يقال : ما كان تساؤلهم ؟ أوجب بقوله ه
- تعالى : ﴿ قال قائل منهم ﴾^٢ مستفهما من إخوانه^٢ : ﴿ كم لبثتم ﴾^١
- نائمين^٢ في هذا الكهف^٢ من ليلة أو يوم ، وهذا يدل على أن هذا القائل استشعر طول لبثهم بما رأى من هبتهم أو لغير ذلك من الأمارات ؛ ثم وصل [به في - ١] ذلك الأسلوب أيضا بقوله تعالى : ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾^١
- و دل على أن هذا الجواب مبنى على الظن بقوله دالا حيث أقرم عليه ١٠ سبحانه على جواز الاجتهاد و القول بالظن المخطئ ، وأنه لا يسمى كذبا وإن كان مخالفا للواقع^٢ ﴿ او بعض يوم ﴾^١ كما تظنون أتم عند قيامكم من القبور إن لبثتم إلا قليلا ، لأنه لا فرق بين صديق و زنديق في الجهل بما غيبه الله تعالى ، فكأنه قيل : على أي شيء استقر أمرهم في ذلك ؟ فأجيب بأنهم ردوا الأمر إلى الله بقوله^١ : ﴿ قالوا ﴾ أي قال ١٥ بعضهم^٢ إنكارا على أنفسهم^٢ و وافق الباقون بما عندهم [من - ١] التحاب في الله و التوافق [فيه - ١] فهم في الحقيقة إخوان الصفا^٢
-
- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بذلك (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الأمارات » ساقطة من ظ . (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : تعالى (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : الضعفاء .

وخلان الآلفة و الوفا (ربكم) المحسن إليكم (اعلم) أى من كل أحد^١ (بما لبثتم فابعثوا) أى فتسبب عن إسناد العلم إلى الله تعالى أن يقال : اتركوا الخوض^٢ في هذا واشتغلوا بما ينفعكم بأن تبعثوا (احكم بورقكم) أى فضتكم (هذه)^٣ التى جمعتموها لمثل هذا^٤ (الى المدينة) التى خرجتم منها وهى طرسوس^٥ 'ليأتينا بطعام فانا جياع' (فلينظر ايها)^٦ 'أى أى أهلها' (ازكى) أى أطهر وأطيب (طعاما فلياتكم) 'ذلك الأحدا' (برزق منه) لتأكل (وليلطف) فى التخنى بأمره حتى لا يتفطنوا له (ولا يشعرن) أى هذا المبعوث منكم فى هذا الأمر (بكم احداه) أن فطنوا [له - °] ١٠ قبضوا عليه ، وإن المعنى : لا يقولون ولا يفعلون ما يؤدى من غير قصد منه إلى الشعور بكم فيكون قد أشعر بما كان منه من السبب ، وفى قصتهم دليل على أن حمل المسافر ما يصلحه من المنفعة رأى المتوكلين لا المتأكلين المتكئين على الإنفاقات على ما فى أوعية^٧ القوم من النفقات ، وفيها صحة الوكالة؛ ومادة 'ورق' بجميع تراكيها الخمسة عشر / قد تقدم فى سورة ١٥ سبحان وغيرها أنها [تدور - ^] على الجمع ، فالورق مثله وككتف

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الخواض .
(٣) وكان اسمها يوم خرجوا منها أفسوس - كما فى روح المعانى ٢٦/٥ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « صحة الوكالة » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : اوطية (٨) زيد من ظ ومد (٩) العبارة من هنا إلى « أول الجمع » ساقطة من مد .

و جبل : الدرهم المضروبة - تشبيها بالورق في الشكل وفي الجمال ،
 وبها جمع حال الإنسان ، 'و حالها مقضض للجمع' ، و الوراق : الكثير
 الدرهم وهو أيضا موزق الكتب ، و حرفه الوراق ، و ما زلت منك
 موارد ، أى قريبا مدانيا - أى كالذى يسايلك في قطاف الورق من
 شجرة واحدة فهو يأخذ من ناحية و أنت من أخرى ، و المدانة : أول الجمع ه
 و الورق - محركة : جمال الدنيا و بهجتها - لأنها تجمع ألوانا و أنواعا ،
 و لعل منه الورقة ، قال [فى - ٢] مختصر العين : إنها سواد فى غبرة .
 و حمامة ورقاء - أى منه ، و فى القاموس : و الأورق من الإبل : ما فى
 لونه يياض إلى سواد ، و رأى رجل الغول على جبل أورق فقال : جاء
 بأم الريق على أريق ، [أى - ٤] بالداهية العظيمة ، صغر الأورق ١٠
 كسويد فى أسود ، و الأصل و ريق فقلت و اوه همزة ، و الأورق أيضا :
 الرماد و عام 'لا مطر' فيه ، و اللبن ثلثاه ماء - كل ذلك جامع للونين
 فأكثر ، و الورق 'محركة أيضا' من الكتاب و الشجر^٧ معروف - لأنك
 لا [تكاد - ٢] تحد واحدة منه على لون واحد ، و لأنه يجمع الواحدة
 منه إلى الأخرى و يجمع معنى [ما - ٨] يحمله ، قال فى مختصر العين : ١٥
 و الورق : آدم [رقاق - ٢] منه ورق المصحف ، و الورق أيضا : الخط -
 (١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى القاموس :
 جاءنا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس (ه-ه) من ظ و مد و القاموس ،
 و فى الأصل : امطر (٦-٦) فى ظ : أيضا محركة (٧) زيد بعده فى الأصل : أيضا ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من مد .

لأنه لما كانت الإبل تعلقه كان كأنه هو الورق لا غيره، و الورق:
الحى من كل حيوان - لأن الحياة هى الجمال، وبها جماع الأمور، ولأن
الورق دليل على حياة الحى من الشجر، فهو من إطلاق اسم الدال
على المدلول، و الورق أيضا: ما استدار من الدم على الأرض، أو ما
سقط من الجراحة - لأن الاستدارة أجمع الأشكال، وهو تشبيه
بورق الشجر فى الشكل، و الورق: المال من إبل ودرهم وغيرها -
لأن جماع حياة الإنسان و كمالها بذلك كما أن كمال حياة الشجر بالورق،
ولرعى المال من الحيوان الورق، و الورق: حسن القوم وجمالهم -
من ذلك، لأنه يجمع أمرهم و يجمع إليهم غيرهم، و الورق [من
القوم -]: "أحداثهم أو الضعاف من الفتيان - تشبيه بالورق لأنه
لا يقيم [غالبا -] أكثر من عام، ولأنه ضعيف فى نفسه، و ضعيف
النفع بالنسبة إلى الثمر، و الورقة - بهاء: الخسيس، و الكريم، ضد -
للنظر تارة إلى كونه نافعا للرعى و دالا على الحياة، و إلى كونه
غير مقصود بالذات أخرى، و "رجل ورق و امرأة ورقة: خسيسان
١٥ أى لا تمر لهما، و من ذلك أورق الصائد - إذا رمى فأخطأ أى لم يقع

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ورق (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اجم.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٤) زيد من ظ و مد و القاموس .
(٥-٥) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: احوالم و الورق (٦) زيد من
ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الشجر (٨) من ظ و مد و القاموس،
و فى الأصل: الخشيش (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: النظير (١٠) تكرر فى
الأصل فقط (١١) فى مد: او .

على غير الورق، أى لم تحصل له ثمرة، بل وقع على شجرة غير مشمرة،
وكذا أورد القوم: 'أخفقوا فى حاجتهم، أى رجعوا بلا ثمرة، ومن
ذلك أيضا أوردوا: كثر^٢ ما لهم و دراهمهم - ضد، هذا بالنظر إلى أن فى
الورق جمال الشجر وحياته، و التجارة مؤرقة للمال كمجلبه أى مكثرة؛
و منه قول القزاز فى ديوانه: هذا رجل مؤرق له دراهم^٤، و المؤرق: الذى ه
لا شيء له - ضد، أو أنه تارة يكون للإيجاب و الصيرورة نحو أعدَّ البعير،
و تارة للسلب نحو أشكيت^٥، و الوراق - ككتاب: وقت خروج [الورق -^٦
من الشجر، و شجرة وريقة وورقة^٧: كثيرة الورق، و الوراق^٨: الشجرة الخضراء
الورق الحسنة^٩، و الوراق - كسحاب: خضرة الأرض من الحشيش،
و ليس من الورق فى شيء، و ذلك أن تلك الخضرة لا تخلو^{١٠} عن لون
آخر، و الرقة - كعدة: أول نبات النصى و الصليان و هما نباتان أفضل
مراعى الإبل، لأنها سبب لجمع المال للرعى، و الرقة: الأرض / التى
يصيبها المطر فى الصفرية^{١١} - أى^{١٢} أول الخريف - أو فى القبط قنبت

٣٦٠ /

(١) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
و مد، و فى الأصل: لا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كثرت (٤) من ظ
و مد، و فى الأصل: بدراهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: شكيت (٦) زيد
من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: و رقيه (٨) من ظ
و مد و القاموس، و فى الأصل: الوراق (٩-٩) من ظ و مد و القاموس،
و فى الأصل: الورقة الحسنة - كذا (١٠) زيد فى مد: لايها سبب لجمع المال
لرعى و الرقة الأرض عن لون آخر - كذا (١١) من ظ و مد و القاموس،
و فى الأصل: الصفرية (١٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ
و مد فحذفناها.

فكون خضراء - كأن ذلك النبات يكون أقل خضرة من نبات الربيع ،
ويكون اختلاطه لغيره من الألوان أكثر مما في الربيع ، وفي القوس
ورقة - بالفتح : عيب ، 'و الورقاء : الذئبة' - من أجل أن الورق الخالي
عن الثمر تقل الرغبة في شجره وهو دون الثمر ، ولأن الورق محتلط
٥ اللون ، والاختلاط في كل شيء عيب بالنسبة إلى الخالص ، وتورقت
الناقة : أكلت الورق . وقار الرجل يقور : مشى على أطراف قدميه
ثلاثا يسمع صوتها - لأن فاعل ذلك جدير بالوصول إلى ما أراد مما
يجمع شمله ، ومنه قار^٢ الصيد : ختله^٢ - لأن أهل الخداع أولى بالظفر ،
ألا ترى الأسود تصاد به^٢ ، ولو غولبت عز أخذها ، وقار الشيء : قطعه
١٠ من وسطه خرقا مستديرا كقوره - لأن الثوب يصير بذلك الخرق
يجمع [ما يراد -^٤] منه ، والاستدارة أجمع الأشكال كما سلف ،
والقوارة - كثامة : ما قور من الثوب وغيره ، أو ينخص^٦ بالأديم ،
وما قطعت من جوانب الشيء ، والشيء الذي قطع^٧ من جوانبه -
ضد ، وهو من تسميه [موضع -^٤] الشيء باسمه ، والقارة : الجبل^٤
١٥ الصغير الصلب المنقطع عن الجبال - لشدة اجتماع أجزائه بالصلابة

(١-١) من ظ ومد والقاموس ، وفي الأصل : الورقة الدينية (٢-٢) من
ظ ومد والقاموس ، وفي الأصل : المصيد ختله (٣) سقط من ظ (٤) زيد
من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : جم (٦) من ظ ومد والقاموس ،
وفي الأصل : تحصى (٧) من ظ ومد والقاموس ، وفي الأصل : قطعت -
(٨) في القاموس : الجليل .

واجتماعه في نفسه بانقطاعه عن غيره مما لو خالطه لفرقه ، ولم يعرف حده على ما هو ، والقارة^١ : الصخرة العظيمة ، والأرض ذات الحجارة السود - لاجتماعها في نفسها بتمييزها عن غيرها [بتلك الحجارة^٢] ، ودار قوراء : واسعة - تشبيها بقوارة الثواب ، ولأنها كلما^٣ اتسعت كانت أجمع ، والقار : الإبل أو القطيع الضخم منها ، والاقورار : تشنج الجلد^٥ وانحناء الصلب هزالا وكبرا - لأن كلا من التشنج والانحناء اجتماع ، والاقورار^٥ : الضمر - لأن الضامر اجتمعت أجزاؤه ، والاقورار : السمن - ضد ، لأن السمين جمع اللحم والشحم ، والاقورار : ذهاب نبات الأرض - لأنها تصير بذلك قوراء فتصير^٦ أجدر بأن تسع الجموع ، ويمكن أن يكون الاقورار كله من السلب إلا ما للسمن ، والقور : ١٠ القطن الحديث أو ما زرع من عامه - [لأنه^٢ -] يلبس فيجمع^٧ البدن ، ولقيت منه الأقورين - بكسر الراء ، والأقوريات أي الدواهي القاطمة - تشبيها بما قور من الثوب ، فهي^٨ للسلب ، والقور - محركة : العين^٩ - لأن محلها يشبه القوارة ، والمقور^{١٠} - كعظم : المطلق بالقطران - لاجتماع أجزائه بذلك ، واقتار : احتاج ، أي صار أهلا لأن يجمع ، ١٥

(١) زيد في ظ : هو (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر في مد (٤) من ظ و مد والقاموس ، وفي الأصل « و » (٥) في مد : الاقوار (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : فيصير (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيجتمع (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : فهو (٩) في مد - الغنى ، وفي القاموس : العور (١٠) من ظ و مد والقاموس ، وفي الأصل : المقورة .

و تقور الليل^١: تهور، أى مضى، من القطع، و تقورت الحية: تثنت
أى تجمعت، و القار: شجر مر - كأنه الذى تطلّى به السفن، و هذا أقيز
من هذا: أشد مرارة^٢ - لأن المرارة تجمّع اللهوات عند الذوق، و القارة
قيلة - لأن^٣ ابن السداخ^٤ أراد أن يفرقهم^٥ فقال شاعرهم:

دعونا قارة لا تدعرونا^٦ فنجفل مثل إجمال الظلم
فسموا القارة بهذا^٦ و كانوا رماة، و فى المثل: قد أضف القارة
من رامها .

و الرقوة: فوق الدعص^٧ من الرمل، و يقال رقو، بلاهه - كأنه
يلجعه^٨ الكثير من الرمل، أو يلجمه من يطلب الإشراف على الأماكن
١٠ البعيدة بالعلو عليه لترويح النفس - و الله الموفق .

و لما نهوا رسولهم عن الإشعار بهم عللوا ذلك فقالوا: (انهم)
أى أهل المدينة (ان يظهروا) "أى يطلعوا عالين" (عليكم يرجوكم)
أى يقتلوكم "أخيت قلة" إن استمسكتم بدينكم (او يعيدوكم) قهرا "

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس فخذناها.
(٢) زيدت الواو فى ظ و مد (٣-٣) من مد و تاج العروس، و فى الأصل
وظ: من السداخ (٤) فى بنى كنانة و قريش - كما صرح فى التاج، و فى الأصل:
يقرهم، والتصحيح من ظ و مد و التاج (٥) من التاج، و فى النسخ: لا تجفلونا،
و فى اللسان و المستقصى ١٨٩/٢، لا تنفرونا (٦) تكرر فى مد (٧-٧) من مد
و القاموس، و فى الأصل: فريق الدعص، و فى ظ: فريق الدعص (٨) من
مد، و فى الأصل وظ: يجمعه (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠-١٠) من
مد، و فى الأصل: خبت قلة، و ما بين الرقين ساقط من ظ (١١) سقط
من ظ .

: ٣٦١ /

(في ملتهم) إن لنتم لهم (ولن تفلحوا إذا) أي إذا عدتم فيها مطمئنين بها ، لأنكم وإن / أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة (ابداء) [أي - ٢] فبعثوا أحدهم فنظر الأزكى وتلطف في الأمر ، فاسترابوا منه لأنهم أنكروا ورقه لكونها من ضرب ملك لا يعرفونه فجهدوا^٢ به فلم يشعر بهم أحدهم من المخالفين ، وإنما أشعر بهم^٣ الملك لما رآه موافقاً لهم في الدين لأنه لم يقع النهى عنه (وكذلك) أي فعلنا^٤ بهم ذلك الأمر العظيم من الربط على قلوبهم ، والستر لأخبارهم والحماية من الظالمين والحفظ لأجسامهم^٥ على مر الزمان ، وتعاقب الحدثان ، ومثل ما فعلنا بهم ذلك (اعثرنا) أي أظهرنا^٦ إظهاراً اضطرارياً^٦ ، أهل البلد^٦ وأطلعناهم ، وأصله أن الغافل عن الشيء ينظر إليه إذا عثر به نظر^{١٠} إليه فيعرفه^{١٠} ، فكان العثار سبباً لعله به فأطلق اسم السبب على المسبب (عليهم ليعلموا) أي أهل البلد بعد أن كان حصل لبعضهم شك في حشر [الأجساد - ٢] لأن اعتقاد اليهود والنصارى أن البعث إنما هو للروح فقط^١ (إن وعد الله) الذي له صفات الكمال بالبعث للروح والجسد معاً^١

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من مد ، وفي الأصل : بجهلوا (٤) في ظ : ولم ؛ والعبارة فيه من « فاسترابوا » إلى ما قبل هذه الكلمة ساقطة (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : احد (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : به (٧) زيد بعده في الأصل : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد نحذفناها . (٨) وقد طرأ الانطاس على نسخة مد من هنا إلى ما سنبه عليه (٩) العبارة من هنا إلى « المسبب » ساقطة من ظ (١٠) والعبارة يعتورها بعض النصوص .

(حق) لأن قيامهم بعد نومهم نيفا وثلاثمائة سنة مع خرق العادة بحفظ أبدانهم عن الفناء من غير أكل ولا شرب مثل قيام من مات بحسبه الذي كان سواء على أن مطلق النوم دال على ذلك كما قال بعض العارفين: عليك باليقظة بعد النوم علم بالبعث بعد الموت، و البرزخ واحد ٥ غير أن للروح^١ بالجسم في النوم تعلقا لا يكون بالموت، و تستيقظ على ما تمت عليه كذلك تبعث على ما مات عليه .

ولما كان من الحق ما قد يداخله شك قال تعالى: (وان) أي وليعلموا أن (الساعة لا ريب فيها) مينا أنها ليست موضع شك^٢ أصلا لما قام عليها من أدلة العقل، المؤيد في كل عصر بقواطع النقل، ١٠^٣ و من طالع تفسير "الزيتون" من كتابي هذا حصل له هذا ذوقا^٤؛ ثم بين أن هذا الإعتار أتاهم بعلم نافع حال تجاذب و تنازع فقال: (اذ) أي ليعلموا ذلك،^٥ و أعثرنا حين^٦ (يتنازعون) أي أهل المدينة .

ولما كان التنازع في الغالب إنما يكون بين الأجنب، وكان تنازع هؤلاء مقصورا عليهم كان الأمم يبان محله مقدمه فقال تعالى: ١٥ (بينهم امرم) أي أمر أنفسهم في الحشر فقاتل يقول: تحشر الأرواح مجردة، و قاتل يقول: بأجسادها، أو أمر الفتية فقاتل يقول: ناس^٧ صالحون، و^٨ ناس يقولون: لا ندري من أمرم غير أن الله تعالى

(١) من ظ، و في الأصل: الروح (٢) في ظ: ريب (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤-٤) في ظ: اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: الناس (٧-٧) من ظ، و في الأصل: قاتل يقول .

أراد هدايتنا^١ بهم (فقالوا) أى تسبب عن هذا الإعثار أو التنازع أن قال أكثرهم : (ابنوا عليهم) على كل حال (بنيانا^٢) يحفظهم ، و تركوا التنازع فيهم ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : (ربهم)^٣ أى المحسن إليهم بهدايتهم وحفظهم وهداية الناس بهم^٤ (اعلم بهم^٥) أن كانوا صالحين أو لا ، و أما أتم فلا طريق لكم إلى علم ذلك ؛ ثم استأنف على طريق الجواب لمن كأنه قال : ما ذا فعلوا ؟ فقال : (قال الذين غلبوا على^٦)^٧ أى وقع أن كانوا غالبين على^٨ (أمرهم) أى ظهوروا [عليه -^٩] و عللوا أنهم ناس صالحون^{١٠} فروا بدينهم من الكفار^{١١} و ضعت من بنازعهم^{١٢} ؛ و يجوز - وهو أحسن - أن يكون الضمير لأهل البلد أو للغالبين أنفسهم ، إشارة إلى أن الرؤساء منهم و أهل القوة كانوا أصلحهم [إيمان -^{١٣}] إلى أن الله تعالى أصلح بهم [أهل -^{١٤}] ذلك^{١٥} الزمان (لتخذن عليهم) ذلك البيان الذى / اتفقنا عليه (مسجداه) و هذا دليل على أنهم حين ظهوروا عليهم و كلبواهم أماتهم الله بعد أن عللوا أن لهم مدة طويلة لا يعيش مثلها أحد فى ذلك الزمان ، و قبل أن يستقصوا جميع أمرهم ، و فى قصتهم ترغيب فى الهجرة .

١٥

ولما ذكر تعالى تنازع أولئك الذين هدام [الله -^{١٦}] بهم ، ذكر^{١٧} ما يأتى من^{١٨} إفاضة من علم قريشا أن تسأل النبي صلى الله عليه و على آله و سلم منهم فى^{١٩} الفضول الذى ليس لهم إليه سبيل ، و لا يظفرون

(١) من ظ ، و فى الأصل : هذا تثبتا (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : صالحين (٥) من ظ ، و فى الأصل : بذلك (٦) من ظ ، و فى الأصل : « و » .

فيه [بدليل-١] 'علما من أعلام النبوة' فقال تعالى: ﴿سيقولون﴾^٢ أى أهل الكتاب ومن واقفهم فى الخوض فى ذلك بعد اعترافهم بما قصص عليك من نيام^٣ بوعده لا خلف فيه: هم ﴿ثلاثة﴾ أشخاص ﴿رابعمهم كلبهم﴾^٤ ولا علم لهم بذلك^٥، ولذلك أعراه عن الواو فدل إسقاطها على أنهم ليسوا بثلاثة وليس الكلب رابعا^٦ ﴿ويقولون﴾ أى وسيقولون أيضا: ﴿خمسة سادسهم كلبهم﴾.

ولما تغير قولهم حسن جدا قوله تعالى: ﴿رجما بالغيب﴾^٧ أى رميا، بالامر الغائب عنهم الذى لا اطلاع لهم عليه بوجه ﴿ويقولون﴾ أيضا دليلا على أنه لا علم لهم بذلك: ﴿سبعة وثمانهم كلبهم﴾^٨ وتأخير هذا عن الرجم - وإن كان ظنا^٩ - مشعر بأنه حق^{١٠}، ويؤيده هذه الواو التى تدخل^{١١} على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل الواو حالا عن المعرفة فى نحو "الأولها كُتِبَ معلوم" فان فائدتها^{١٢} تؤكد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصاف الموصوف بالصفة أمر ثابت مستقر، فدلّت هذه الواو على أن أهل هذا القول قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس، ولم يرجعوا^{١٣} بالظن، وفى براءة،

(١) زيد من ظ (٢-٢) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « فى ذلك » ساقطة من ظ ، ومن هنا استأنفت نسخة مد (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، وفى الأصل ومد : الغالب (٦) فى ظ : منه (٧) العبارة من هنا إلى « مجردا عنها » ساقطة من ظ (٨-٨) فى مد : هذا الواو الذى يدخل .
(٩) سورة ١٥ آية (١٠) من مد ، وفى الأصل : فائدة (١١) من مد ، وفى الأصل : لم يرجعوا .

كلام نفيس عن^١ اتباع الوصف تارة بواو وتارة مجردا عنها . فلما ظهر كالشمس أنه لا علم لهم^٢ بذلك كان كأنه قيل^٣: ما ذا يقال لهم؟ فقيل: ﴿قل ربّ﴾ أي المحسن إلى باعلاى بأمرهم وغيره^٤ ﴿اعلم بعدتهم﴾ [أى -^٥] التي لا زيادة فيها ولا نقص، فكان كأنه قيل: قد فهم من صيغة 'اعلم' أن^٦ من الخلق من يعلم أمرهم فقيل: ﴿ما يعلمهم الا قليل﴾^٧ .
 أي^٨ من الخلق^٩ وهو مؤيد لأنهم أصحاب القول الغالب، وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما، وكان يقول: أنا من ذلك القليل^{١٠} . ﴿فلا﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقول لك على سبيل البت الداخلة تحت النهى عن قفو ما ليس لك به علم: لا ﴿تمار﴾ أى تجادل وتراجع^{١١} ﴿فيهم﴾ أحدا ممن يتكلم بغير ما أخبرتك به ﴿الامرآة ظاهرا﴾ أدته، وهو ١٠ ما أوحيت إليك به^{١٢} ولا تفعل فعلهم من الرجم بالغيب ﴿ولا تستفت﴾ أى تسأل سؤال مستفيد^{١٣} ﴿فيهم﴾ أى أهل الكهف ﴿منهم﴾ أى من الذين يدعون العلم من بنى إسرائيل أو غيرهم ﴿احدا﴾ .
 ولما كان نهيه عن استفثائهم موجبا لقصر همته على ربه سبحانه

فكان من المعلوم أنه إذا سئل عن شيء، التفتت نفسه إلى^{١٤} تعرفه من قبله، فربما قال لما يعلم^{١٥} من إحاطة علم الله سبحانه وكرمه لديه: سأخبركم به [غدا -^{١٦}]، كما وقع من هذه القصص، عليه الله ما يقول فى كل أمر

- (١) فى مد: على (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى الأصل: لهم، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحدفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من مد .
 (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: ان (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: لا يعلم .
 (٨) زيد من ظ ومد .

مستقبل يعزم عليه بقوله تعالى : ﴿ ولا تقولن لشئى ﴾ أى لأجل شئ^١ من الأشياء التى يعزم عليها جليلها وحقيرها ، عزمت على فعله : عزما صادقا من غير تردد وإن كنت عند نفسك فى غاية القدرة عليه :

﴿ انى فاعل ذلك ﴾ أى الشئ^٢ ' وإن كان / مهما^٣ ﴿ غدا لا ﴾ أى فيما يستقبل
 ٥ ' فى حال من الأحوال ' ﴿ الآ ﴾ قولا كائنا معه ﴿ ان يشاء ﴾ ' فى المستقبل ذلك الشئ^٤ ' ﴿ الله ﴾ أى مقرونا بمشيئة^٥ الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه^٦ سبحانه تعظيما لله أن يقطع شئء دونه و اعترافا بأنه لا حول ولا قوة إلا به ،^٧ ولأنه إن قيل ذلك دون استثناء فات قبل الفعل أو عاقبه عنه عائق كان كذبا منفرا عن القائل .

/ ٢٦٣

١٠. ولما كان النسيان من شأن الإنسان وهو غير مؤاخذ به قال تعالى :

﴿ واذكر ربك ﴾ أى المحسن إليك برفع المؤاخذة حال النسيان ﴿ اذا نسيت ﴾

الاستثناء بالاستعانة والتوكل عليه و تفويض الأمر كله إليه بأن تقول : إن شاء الله ، ونحوها فى أى وقت تذكرت ؛ وأخرج الطبرانى فى معجمه

الأوسط فى ترجمة محمد بن الحارث الجبلى - بضم الجيم وفتح الموحدة - عن

١٥ ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا خاص برسول الله صلى الله عليه و على

آله وسلم وليس^٨ لأحد منا^٩ أن يستثنى إلا بصلة اليمين . ثم عطف

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بمشيئته .

(٤) من مد ، وفى الأصل وظ : او (٥) العبارة من هنا الى « عن القائل » ساقطة

من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : عاق (٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :

لأحد ، وفى روح المعانى ٤/٥ ؛ حيث ذكر هذه الرواية : لأحدنا .

على ما أفهمه الكلام و هو : فقل إذا نسيت : إني فاعل [ذلك - ١]
 غدا إن شاء الله - ونحو ذلك من التعليق بالمشيئة المؤذن بأنه لاجول ولا قوة
 إلا بالله و لا مشيئة لاحد معه [قوله - ٢] : ﴿ وقل عسى أن يهدين ربى ﴾
 أى ٢ المحسن إلى ﴿ لا قرب ﴾ أى إلى أشد قربا ﴿ من هذا ﴾ أى
 الذى عزمت على فعله و نسيت الاستثناء فيه فقضاء الله و لم يؤاخذنى ، أو ٥
 فأتنى أو ٤ تعسر على لكونى لم أقرن العزم عليه بذكر الله ﴿ رشداه ﴾ أى
 من جهة الرشد بأن يوفقنى للاستثناء ١ فيه عند العزم عليه مع كونه أجود
 أثرا و أجل عنصرا فأكون كل يوم فى ترق بالأفعال الصالحة فى معارج
 القدس ٢ ، و 'اقرب' أفضل تفضيل من قرب - بضم الراء - من الشيء ، لازم ،
 لا من المكسور الراء المتعدى نحو ٤ " و لا تقربوا الزنى ١ " ، " و لا تقربوا ١٠
 مال اليتيم ١١ " - الآية ، و الاقرب من رشد الاستدلال بقصة أهل الكهف
 التى الحديث عنها على صحة نبوة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ، و نحو
 ذلك الاستدلال على وحدانية الصانع و قدرته على البعث و غيره بالأمور ١١
 الكلية أو الجزئيات القرية المتكررة ، لا بهذا الأمر الجزئى النادر المتعب
 و نحو هذا من المعارف الإلهية .

١٥

- (١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ،
 و فى الأصل " و " (٥) زيد فى مد : مع كونه أجود أثرا و أجل عنصرا .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستثناء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 القدير (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحرف (٩) سورة ١٧ آية ٣٢ .
 (١٠) سورة ٦ آية ١٥٢ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالامر .

ولما فرغ من هذه الترية في أثناء القصة وختمها بالترجية في الهداية
 للأرشد، وكان علم مدة لبثهم أدق و أخفى من علم عددهم، شرع في
 إكمالها مبينا لهذا الاخفى، عاطفا على قوله " قالوا ربكم اعلم بما لبثتم "
 أو على " فآووا إليه، الذي أرشد إلى تقديره ' قولهم " فآوا الى الكهف "
 ٥ كما مضى، المحتوم بنشر الرحمة و تهينة المرفق بعد قوله تعالى " اذ اوى الفتية "
 المحتوم بقولهم " وهبى لنا من امرنا رشدا " فقال يانا لإجمال " سنين
 عددا " محققا لقوله تعالى " قل الله اعلم بما لبثوا " : (ولبثوا في كهفهم)
 نياما (ثلث) [أى - ٢] مدة ثلاث (مائة سنين) شمسية بحساب
 اليهود الأمرين بهذا السؤال، و عبر بلفظ السنة إشارة إلى ذمها بما وقع
 ١٠ فيها من علو أهل الكفر، و طغيانهم بما أوجب خوف الصديقين
 و هجرتهم و إن كان وقع فيها خصب في النبات و سعة في الرزق،^٢ و ذلك
 يدل على استغراق الكفر لمدة نومهم^٣.

ولما كان المباشرون للسؤال هم العرب قال: (وازدادوا تسعا)
 [أى - ٢] من السنين القمرية^٢ إذا حسب الكل بحساب القمر، لأن
 ١٥ تفاوت ما بين السنة الشمسية و القمرية عشرة أيام و إحدى
 و عشرون ساعة و خمسا / ساعة كما تقدم في النسخ من برآة^٥، فاذا
 حسبت زياده^٦ السننى القمرية على الثلاثمائة الشمسية^٦ باعتبار نقص أيامها

/ ٢٦٤

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: تقريره (٢-٢) سقط ما بين الرقمن من ظ .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الكهف (٥) راجع
 نظم الدرر ٨ / ٤٦١ (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: السنين الثلاثمائة
 الشمسية على القمرية .

عنها كانت تسع سنين ، و كان ^١ مدة لبثهم كانت عند اليهود أقل من ذلك أو أكثر ، فقال على طريق الجواب لسؤال ^٢ من يقول : فان قال أحد غير هذا فما يقال له ؟ : ﴿ قل الله ﴾ ^٣ أى الذى له الإحاطة الكاملة ^٤ ﴿ اعلم ﴾ منكم ﴿ بما لبثوا ﴾ ثم علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ غيب السموات و الارض ﴾ ^٥ يعلمه كله على ما هو عليه ، و لا ينسى شيئا من الماضى و لا يعزب عنه شيء من الحاضر ، و لا يعجز عن شيء من الآتى ، فلا ريب فيما يخبر به .

ولما كان السمع و البصر مناطى العلم ، و كان متصفا منها بما لا يعلمه حق عليه غيره ، عجب [من ذلك - ^٦] بقوله تعالى : ﴿ ابصر به و اسمع ﴾ ^٧ و لما كان القائم [بشيء - ^٨] قد يقوم غيره مقامه ^٩ إما بقهر أو شرك ، ^{١٠} نفي ذلك فانسد باب العلم عن غيره إلا من جهته ^{١١} فقال تعالى : ﴿ ما لهم ﴾ أى هؤلاء السائلين و لا المسؤولين الراجين بالغيب فى أصحاب الكهف ﴿ من دونه ﴾ ^{١٢} و أعرق بقوله تعالى : ﴿ من ولى ﴾ ^{١٣} يحيرهم منه أو يخبرهم بغير ما أخبر به ﴿ و لا يشرك ﴾ أى الله ﴿ فى حكمة احداه ﴾ ^{١٤} فيفعل شيئا بغير أمره أو يخبر بشيء من غير طريقه . ^{١٥} و لما تقرر أنه لا شك فى قوله : و لا يقدر أحد أن يأتي ^{١٦} بما

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : كانت (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : السؤال (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : مقاومة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : انقلم (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : جهة (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقدر .

بمائه فكيف بما ينافيه مع كونه مختصاً بتمام العلم وشمول القدرة، حسن تعقيه بقوله عطفاً على "قل الله اعلم": ﴿وازل﴾ 'أى اقرأ على وجه الملازمة' ﴿مأ اوحى اليك﴾ 'و بنى الفعل للجهول لأن الخطاب مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو على القطع بأن الموحى إليه هو الله سبحانه وتعالى' ﴿من كتاب ربك﴾ الذى أحسن تربيتك في قصة أهل الكهف وغيرها، على من رغب فيه غير ملتفت إلى غيره واتبعوا ما فيه واثقين بوعدده ووعيده وإثباته وتقيه 'وعلى غيرهم'.

ولما كان الحامل على الكف عن إبلاغ رسالة المرسل^٢ وجدان من ينقضها أو عمى على المرسل، قال تعالى: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ ١٠ فلا شك في وقوعها فلا عذر في التخصير في إبلاغها، 'والنسخ ليس بتبديل بهذا المعنى بل هو غاية لما كان' ﴿ولن تجد﴾ 'أى بوجه من الوجوه' ﴿من دونه﴾ 'أى أدنى منزلة من رتبته الشاه إلى آخر المنازل' ﴿ملتجداً﴾ أى ملجأ 'ومتحيزاً' تميل إليه فيمنعك منه إن قصرت في ذلك .

١٥ ولما كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم شديد الحرص على إيمانهم كثير^٣ الأسف على توليهم عنه يكاد يخضع نفسه حسرة عليهم وكانوا يقولون [له - ٤] إذا رأوا مثل هذا الحق الذى لا يجدون له مدفعا:

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الرسل .
(٣) تكرر في الأصل فقط (٤) زيد من ظ ومد .

لو طردت هؤلاء الفقراء و أبعدهم عنك مثل عمار و صهيب و بلال فإنه
يؤذينا ربح جبايهم و نأف^١ من مجالسهم جلسنا إليك و سمعنا منك
و رجونا أن تبعك ، قال يرغبه في أتباعه مزهدا فيمن عداهم كاتنا من
كان ، معلما أنه ليس فيهم ملجا لمن خائف أمر الله و أنهم لا يريدون
إلا تبديل كلمات الله فيسذلهم عن قريب و لا يحدون لهم ملتجدا : ه
(و اصبر نفسك) أى احبسها و ثبتها^٢ في تلاوته و تبين معانيه
(مع الذين يدعون ربهم) شكرا لإحسانه ، و اعترافا بامتانه ، و كنى عن
المداومة [بما -^٤] يدل على البعث الذى كانت قصة أهل الكهف دليلا
[عليه -^٤] فقال تعالى : (بالندوة)^٦ أى [التى -^٤] الانتقال فيها من
النوم إلى اليقظة كالانتقال من الموت إلى الحياة (و العشى)^٧ أى ١٠
[التى -^٤] الانتقال فيها من اليقظة إلى [النوم كالانتقال من الحياة إلى -^٤]
الموت ؛ ثم مدحهم بقوله تعالى معللا لدعائهم^٨ : (يريدون) أى بذلك
(وجهه) لا غير ذلك من رجاء ثواب أو خوف عقاب^٩ و إن كانوا^{١٠} فى
غاية الرثامة ؛ و أكد ذلك بالنهى عن ضده فقال مؤكدا للمعنى لقصر الفعل
و تضمينه فعلا آخر^٨ : (و لاتعد عينك)^٩ علوا و نبوا و تجاوزا^{١٥}

٣٦٥ /

(١) تكرر فى مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : تائق (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) العبارة من « و كنى عن » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) العبارة
من هنا إلى « الحياة » ساقطة من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الموت » ساقطة من
ظ (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « غاية الرثامة »
ساقطة من ظ (١٠) من مد ، وفى الأصل : كان .

(عنهـم ج) 'إلى غيرهم ، أى لا تعرض عنهم' ، حال كونك
 (تريد زينة الحيوة الدنيا ج) التى قدمنا فى هذه السورة أنا زينا
 بها' الأرض لنبلوهم بذلك ، فانهم و إن كانوا اليوم عند^٢ هؤلاء مؤخرين
 'فهم عند' الملك الأعلى مقدمون^٣ ، و ليكون عن قريب - إذا بعثنا
 ه من زيد من تعباد بالحياة من برزخ الجهل - فى الطبقة العليا من أهل
 العز ، و أما بعد البعث الحقيقى فلتكون لهم مواكب يهاب الدنو منها كما
 كان لأهل الكهف بعد بعثهم من هذه الرقدة بعد أن كانوا فى
 حياتهم قبلها هاربين مستخفين فى غاية الخوف و الدل ،^٤ و أما إن عدت
 العيان أحدا لما غفل عنه من الذكر ، و أحل به من الشكر ، فليس ذلك
 ١٠ من النهى فى شيء لأنه لم يرد [به -^٥] إلا الآخرة .

ولما بالغ فى أمره صلى الله عليه و على آله وسلم بمجالسة المسلمين^٦ ،
 نهاه عن الالتفات إلى الغافلين ، و^٧ أكد الإعراض عن التاكبين فقال
 تعالى : ﴿ و لا تطع من اغفلنا ﴾ بعظمتنا^٨ ﴿ قلبه ﴾ أى جعلناه غافلا ،
 لأن الفعل فيه لنا لاله^٩ ﴿ عن ذكرنا ﴾ بتلك الزينة .

- (١-١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بهما .
 (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : عنه (٤-٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فعند .
 (٥) فى ظ : مقدمين (٦) فى مد « و » (٧) العبارة من هنا إلى « إلى الغافلين »
 - ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، وفى الأصل : المجالسين .
 (١٠) فى ظ : ثم (١١) - سقط من ظ .

أو لما كان التقدير: ففضل، لأن عظمتنا لا يغلبها شيء فلا يكون إلا ما زيد، عطف على فعل المطاوعة قوله تعالى: ﴿ واتبع هونيه ﴾ بالميل إلى ما استدرجناه به منها^٢ و الأنفة من مجالسة أوليائنا الذين أكرمناهم بالحماية منها لأن ذكر الله مطلع الأنوار، فاذا أفلت^٣ الأنوار تراكت الظلمة فجاء الهوى فأقبل على الخلق^٤ ﴿ و كان امره فرطاه ﴾ أي متجاوزا ه للحد مسرفا فيه متقدما على الحق، فيكون الحق منبوذا به [وراء - °] الظهر المفرطا فيه بالتقصير^٥ فان ربك سبحانه سينجي [أتباعك - °] على ضعفهم منهم كما أنجى أصحاب الكهف، ويزيدك بأن يعليهم عليهم ويدفع الجبارة في أيديهم^٦ لأنهم مقبلون على الله معرضون عما سواه، وغيرهم مقبل على غيره معرض عنه^٧.

١٠

ولما رغبه^٨ في أوليائه، وزهده في أعدائه، برضية بقدره^٩ بعد [أن - °] قص الحق من قصة أهل الكهف للتعنتين، اعلمه ما يقول لهم^{١٠} على وجه يعمهم و يعم غيرهم و يعم القصة وغيرها فقال^{١١} تعالى مهددا و متوعدا - كما نقل عن علي رضي الله عنه و كذا عن غيره^{١٢} :

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بها (٣) من مد، وفي الأصل: قلت (٤) العبارة من «والأنفة» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد قبله في مد: عما لا يحق له (٧) في ظ و مد: يديهم . (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: رغب (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: في قدره (١٠) زيد من مد (١١) من مد، وفي الأصل و ظ: قال (١٢) زيد في ظ: فقال .

(وقل) أى لهم^١ ولنغيرهم: هذا الذى جئتكم به من هذا الوحي العربى العرى عن العوج، الظاهر الإعجاز، الباهر^٢ الحجج (الحق) كاتنا (من ربكم نص) المحسن [إليكم -^٤] فى أمر أهل الكهف [وغيرهم -^٥] من صبر نفسى مع المؤمنين، والإعراض عن سوامم وغير ذلك، لا ما قلموه فى أمرهم، ويجوز أن يكون الحق مبتدأ^٦ (فمن شاء) ^٧ أى منكم ومن غيركم^٨ (فليؤمن) بهذا الذى قصصناه فيهم وفى غيرهم^٩، فهو مقبول مرغوب فيه وإن كان فقيرا زرى^{١٠} الهية^{١١} ولم ينفع إلا نفسه (ومن شاء) منكم^{١٢} ومن غيركم^{١٣} (فليكفر) فهو أهل لأن^{١٤} يعرض عنه ولا يلتفت إليه وإن كان أغنى الناس وأحسنهم هية، وإن تعاضمت هيته لما اشتد من أذاه، وأفرط من ظله، وسنشقى قلوب المؤمنين^{١٥} فى الدارين^{١٦} بالانتقام منه^{١٧}، والآية^{١٨} دالة على أن كلا من الكفر والإيمان موقوف على المشيئة بخلق^{١٩} الله تعالى، لأن الفعل الاختيارى يتمتع حصوله بدون القصد إليه وذلك القصد إن كان بقصد آخر يتقدمه / لزم أن

/ ٣٦٦

- (١) زيد فى ظ: هذا كله، والعبارة من هنا إلى «الباهر الحجج» ساقطة منه.
 (٢) من مد، وفى الأصل: الباهرة (٣) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فخذفناها (٤) زيد من ظ ومد (٥) زيد من مد (٦) العبارة من «فى أمره» إلى هنا ساقطة من ظ (٧-٧) فى ظ: منهم (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: زوى (١٠) من ظ، وفى الأصل: إن لا، وفى مد: لا - كذا (١١) العبارة من هنا إلى «التهديد تفصيلا» ساقطة من ظ.
 (١٢) من مد، وفى الأصل: لانه (١٣) من مد، وفى الأصل: خلق.

يكون كل قصد مسبوqa بقصد آخر إلى غير النهاية وهو محال، فوجب أن تنتهى [تلك - ١] القصود إلى قصد يخلفه الله فى العبد على سبيل الضرورة يجب به الفعل^٢، فالإنسان مضطر فى صورة مختار، فلا دليل للمعزلة فى هذه الآفة .

و لما هدد السامعين بما حاصله : ليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا ه
 عند الله تعالى ، اتبع هذا التهديد - تفصيلا لما أعد للفريقين من الوعد [و الوعيد - ٢] لفا و نشرنا مشوشا - بما يليق بهذا الأسلوب المشير إلى أنه لا كفوء له من نون العظمة فقال تعالى : ﴿ انا اعتدنا ﴾ أى هيانا بما لنا من العظمة تهمة قريفة جدا ، و أحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير
 ﴿ للظلمين ﴾ أى لمن لم يؤمن ، و لكنه وصف إشارة إلى تعليق الحكم به ١٠
 ﴿ ناراً ﴾ جعلناها معدة لهم ﴿ احاط بهم ﴾ كلهم ﴿ سرادقها ﴾ أى حاطها الذى يدار حولها كما يدار الحظير حول الخيمة من جميع الجوانب .

و لما كان المحرور شديد الطلب للاء قال تعالى : ﴿ و ان يستغيثوا ﴾
 من حر النار فيطلبوا الغيث - و هو ماء المطر - و الغوث باحضاره لهم : ١٥
 و شاكل استغاثتهم تهكما بهم فقال تعالى : ﴿ يغاثوا بماء ﴾ ليس كالماء الذى قدمنا الإشارة إلى أنا نحى به الأرض بعد صيرورتها صعيدا جرزا ،
 (١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : الا لفعل (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : باحضار .
 (٦) العبارة من « و الغوث » إلى هنا - أقطعة من ظ .

- [بل - ١] ﴿ كالمهل ﴾ و هو القطران الرقيق و ما ذاب من صفر أو حديد
 [و الزيت - ٢] أو درديّة^٢ - قاله في القاموس . و شبهه به من أجل تناهى
 الحر مع كونه ثخيناً ، و بين وجه الشبه بقوله تعالى : ﴿ يشوى الوجوه^٣ ﴾
 أى إذا قرب إلى القم^٤ فكيف بالقم و الجوف^٥ ثم وصل بذلك ذمه
 فقال تعالى : ﴿ بشىء الشراب^٦ ﴾ أى هو ، فانه أسود متن غليظ حار ،
 و عطف عليه ذم النار المعدة [لهم - ٧] فقال تعالى : ﴿ و سآآت مرتفقاء ﴾
 أى منزلاً يعد للارتفاق^٦ ، فكأنه قيل : فالمن آمن ؟ فقال تعالى :
 ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ و لما كان الإيمان هو الإذعان للأوامر ، عطف
 عليه ما يحقق ذلك فقال تعالى : ﴿ و عملوا الصلحت ﴾ ثم^٧ عظم جزاءهم
 ١٠ بقوله تعالى : ﴿ انا لانضيع ﴾^٨ أى بوجه من الوجوه لما يقتضيه عظمتنا^٩
 ﴿ اجر من احسن عملاً ﴾ مشيراً باظهار ضميرهم إلى أنهم استحقوا
 بذلك الوصف بالإحسان ، فكأنه قيل : فالهم ؟ فقال^٨ مفصلاً لما أجل
 من وعدمهم^٨ : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ لهم جنت عدن ﴾ أى
 إقامة ، فكأنه قيل : ما لهم فيها ؟ فقيل^٩ : ﴿ تجرى من تحتهم ﴾ أى^٩
 ١٥ تحت منازلهم ﴿ الانهر ﴾ فكأنه قيل : ثم ما ذا ؟ فقيل : ﴿ يجلون فيها ﴾
 (١) زيد من مد (٢) زيد من القاموس (٣) من القاموس ، وفى الأصول : درذبة
 - كذا (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : القهم (٥) العبارة من هنا إلى « فكأنه قيل »
 متكررة فى مد بعد « الذين آمنوا » (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الارتفاق .
 (٧) سقط من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ . (٩) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : قيل (١٠) زيد فى ظ : من .

أو بنى الفعل للمجهول لأن القصد وجود التحلية، وهي لعزتها إنما يؤتى بها من الغيب فضلا من الله تعالى .

ولما كان [الله - ٢] أعظم من كل شيء، فكانت نمته لا يبصى

نوع منها، قال تعالى مبعضا: ﴿ من أساور ﴾ جمع أسورة جمع سوار،

كما يلبس ذلك ملوك الدنيا من جارية الكفرة في بعض الأقاليم كأهل

فارس . ولما كان لمقصودها نظر إلى التفضيل والفعل بالاختيار على

الإطلاق، وقع الترغيب في طاعته بما [هو - ٢] أعلى من النفضة فقال

مبعضا أيضا: ﴿ من ذهب ﴾ أى ذهب هو في غاية العظمة . ولما كان

اللباس جزاء [العمل - ٢] وكان موجودا عندهم، أسند الفعل إليهم فقال

تعالى: ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا ﴾ ثم وصفها بقوله تعالى: ﴿ من سندس ﴾ ١٠

وهو ما رق من الديباج ﴿ واستبرق ﴾ وهو ما غلظ منه؛ ثم استأنف

الوصف عن حال جلوسهم فيها^٦ بأنه جلوس الملوك المتمكنين من النعم^٦

فقال تعالى: ﴿ متكئين فيها ﴾^٦ أى لأنهم / في غاية الراحة ﴿ على الآرائك ﴾

٣٦٧ /

أى الأسرة عليها^٦ [الحجج - ٢]، ثم مدح هذا فقال تعالى: ﴿ نعم الثواب ﴾

أى هو لو^٦ لم يكن لها وصف غير ما سمعتم فكيف ولها من الأوصاف ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « قال تعالى مبعضا » ساقطة من ظ (٢) من مد، وفي

الأصل و ظ : او (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « مبعضا أيضا » ساقطة

من ظ (٥) العبارة من « هو في غاية » إلى هنا ساقطة من ظ (٦ - ٦) سقط ما

بين الرقيين من ظ (٧) من مد، وفي الأصل: عليهم، والكلمة ساقطة من ظ .

(٨) سقط من مد .

ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ١ وإلى ذلك أشار بقوله تعالى:
 ﴿وحسنت﴾ أى الجنة كلها، وميز ذلك بقوله تعالى: ﴿مرتفعا﴾.

ولما كان إنما محط حال المشركين العاجل، وكان قد تقدم قولهم

”أو يكون لك جنة من نخيل وعنب“ - الآية، وقوله تعالى ”أنا جعلنا

٥ ما على الأرض زينة لها“ - الآية، وقوله تعالى فى حق فقراء المؤمنين

الذين تقدرهم^٢ ”ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا“ - الآية،

واستمر إلى أن ختم بأن جنات المؤمنين عظيم حسنها من جهة الارتفاق،

عطف على قوله تعالى ”وقل الحق من ربكم“ قوله تعالى كاشفا بضرب

المثل أن ما فيه الكفار من الارتفاق العاجل ليس أهلا لأن يفتخر به

١٠ لأنه إلى زوال: ﴿واضرب لهم﴾ أى لهؤلاء الضعفاء والمتجبرين

الذين يستكبرون على المؤمنين، ويطلبون طردهم لضعفهم و فقرهم:

﴿مثلا﴾ لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا، فاعتمدوا عليه و ركنوا إليه

ولم يشكروا^٦ من آتاهم إياه عليه، بل أدام إلى الافتقار والتكبر

على من زوى ذلك [عنه -^٧] إكراما له وصيانة عنه ﴿رجلين﴾

١٥ فكأنه قيل: فما^٨ مثلها؟ قيل: ﴿جعلنا﴾ أى بما لنا من العظمة^٩

﴿لاحدهما﴾^{١٠} وهو المفعول مثلا لهم^{١١} ﴿جتين﴾ أى بساتين يستر ما

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: فقر.

(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: يقدرهم (٤) من ظ و مد، وفى الأصل:

احوال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ. وفى الأصل و مد: لم يشكروا (٧) زيد

من ظ و مد (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: ما (٩) العبارة من هنا إلى

» من يدخلها « - آفة من ظ.

فيهما^١ من الأشجار من يدخلها على أى وضع من الأوضاع كانتا . و من جملة الأوضاع أن تكون إحداهما في السهل و الأخرى في الجبل ، ليعد عموم عاهة لهما لأنها إما من برد أ. حر (من اعتاب) لأنها من أشجار البلاد الباردة و تصبر على الحر ،^٢ و هى فاكهة و قوت بالعنب و الزبيب و الخل و غيرها^٣ (و حففنهما)^٤ أى حطناهما بعظمتنا^٥ (بنخل)^٥ لأنها [من -]^٦ أشجار البلاد الحارة ، و تصبر على البرد ، و ربما منعت عن الأعناب بعض أسباب العاهات ،^٧ و ثمرها فاكهة بالبسر و الرطب و قوت بالتمر و الخل . فكأن النخل كالإكليل من وراء العنب ، و [هو -]^٨ مما يؤثره الدهاقين لأنه في غاية البهجة و المنفعة (و جعلنا بينهما)^٩ أى أرضى^{١٠} الجنتين (زرعاه)^{١١} لبعث شمولى الآفة للكل ، لأن زمان^{١٢} الزرع و مكانه غير زمان^{١٣} أثمار الشجر المقرم و مكانه ،^{١٤} و ذلك هو العمدة في القوت ، فكانت الجنتان أرضا جامعة لخير الفواكه و أفضل الأقوات ، و عمارتهما متواصلة متشابهة لم يتوسطها ما يقطعها و يفصل بينها ، مع سعة الأطراف ، و تباعد الأكناف . و حسن الهيئات و الأوصاف^{١٥} .

و لما كان الشجر قد يكون فاسدا من جهة أرضه ، نفي ذلك بقوله ١٥
تعالى ، جوابا لمن كأنه قال : ما حال أرضهما المنتج لركاه^{١٦} ترمهما^{١٧} ؟ :

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بينهما (٢-٢) - سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٢) زيد من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « البهجة و المنفعة » ساقطة من
ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : أرض (٧-٧) تكرر فى
مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازكا - كذا (٩) زيد فى الأصل : او جنته ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها .

(كلتا) 'أى كل واحدة من' (الجنتين) المذكورتين (اتت اكلهما)
 'أى ما يطلب منها و يؤكل من ثمر و حب' ، كاملا غير منسوب شيء
 منهما إلى نقص^١ و لا رداة^٢ ، و هو معنى : (و لم تظلم) 'أى تنقص
 حسا و لا معنى كمن يضع الشيء فى غير موضعه' (منه شيئا لا) .

و لما كان الشجر ربما أضر بدوامه قلة السقى قال تعالى : (و فجرنا)

'أى تفجيرا يناسب عظمتنا' (خطلها نهارا)^٣ 'أى يمتد فيتشعب فيكون
 كالأنهار' لتدوم طراوة الأرض و يستغنى عن المطر عند القحط ؛ ثم

زاد^٤ فى ضخامة هذا الرجل فين أن له غير هاتين الجنتين [و الزرع -^٥]

بقوله تعالى : (و كان له) 'أى صاحب الجنتين' (ثمرج) 'أى مال

ثمر غير ما / [تقدم -^٦] كثير ، اذو أنواع ليكون متمكنا من العبارة ١٠ / ٣٦٨

بالأعوان و الآلات و جميع ما يريد' (فقال) 'أى هذا الكافر'

(لصاحبه) 'أى المسلم المجمعول مثلا لفقراء المؤمنين' (وهو) 'أى

صاحب الجنان (يماورة)^٧ 'أى يراجعه الكلام . [من -^٨] حار

يحمور - إذا رجع . افتخارا عليه و تقييحا لحاله^٩ بالنسبة إليه . و المسلم

(١-١) سقط ما بين الرهين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى

الأصل : رادة - كذا (٤) العبارة من هنا إلى « كالأنهار » ساقطة من ظ .

(٥) من مد ، و فى الأصل : بالابصار (٦) من مد . و فى الأصل و ظ : حلاوة .

(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اراد (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من

هنا إلى « إلى الدنيا » ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١) من مد ، و فى

الأصل : له .

بجأره بالوعظ و تقييح^١ الركون إلى الدنيا: (انا أكثر منك مالا)
 لما ترى من جنائ و ثماري (و اعز قراه)^٢ أي ناسا يقومون معي في
 المهمات ، و ينفرون عند الضرورات^٣ ، لأن ذلك لازم لكثرة المال
 (و دخل جته)^٤ و حد لإرادة الجنس^٥ و دلالة على ما أفاده الكلام
 من أنها لاتصلها كالجنة الواحدة ، و إشارة إلى أنه لاجته له غيرها ه
 لأنه لا حظ له في الآخرة (وهو)^٦ أي و الحال^٧ [أنه -] (ظالم لنفسه ج)
 بالاعتماد على ماله و الإعراض عن ربه ؛ ثم استأنف آيان ظله بقوله^٨ :
 (قال)^٩ لما استولى عليه من طول أمله و شدة حرصه و تمادي غفله
 و اطراحه للنظر في العواقب بطول المهلة و سبوغ النعمة^{١٠} : (ما أظن ان تبيد)
 أي تهلك هلاكا [ظاهرا -]^{١١} مستويا (هذه ابداء)^{١٢} ثم زاد^{١٣} في ١٠
 الطغيان و البطر بقصر النظر على الحاضر فقال^{١٤} : (و ما أظن الساعة قائمة^{١٥})
 استلذاذا بما هو فيه و إخلاذا [إليه -]^{١٦} و اعتمادا عليه .

١١ و لما كان الإنسان مجبولا على غلبة الرجاء عليه ، فاذا حصل له من
 دواعي الغنى و طول الراحة و بلوغ المأمول^{١٢} و الاستدراج بالظفر
 بالسؤل ما يريه ، و ثبت أصوله و يقويه ، اضمحل الخوف^{١٣} فلم يزل^{١٤} ١٥
 يتضاءل حتى يتلاشى فكان عدما . فقال تعالى حاكيا عن هذا الكافر

(١) من مد ، وفي الاصل : يفتح (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) العبارة
 من هنا إلى « في الآخرة » ساقطة من ظ (٤) من مد . وفي الأصل : اعاده .
 (٥) زيد من مد (٦-٧) في ظ : قوله (٧) العبارة من هنا إلى « مستويا » ساقطة
 من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : ازداد (٩) زيد في الأصل : تعالى ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة
 من هنا إلى « القدم مقسبا » ساقطة من ظ (١٢) من مد . وفي الأصل : الامل .
 (١٣-١٤) من مد ، وفي الأصل : فلم .

ما أتمر له الرجاء من أمانه من سوء ما يأتي به القدر مقسما :
 ﴿ واثن رددت ﴾ [أى ردتى راد - ١] ﴿ الى ردى ﴾ المحسن إلى فى
 هذه الدار ، فى الساعة على تقدير قيامها الذى يستعمل فى فرضه أداة
 الشك ﴿ لاجدن خيرا منها ﴾ أى هذه الجنة ؛ وقرأ ابن كثير وابن
 عامر^٥ بالثنية للجتين ﴿ منقلباه ﴾ ؛ أى من جهة الانقلاب وزمانه
 ومكانه^٦ ، لأنه ما أعطانى ذلك إلا باستحقاقى^٧ ، وهو وصف لى غير
 منفك فى الدارين ، وإن لم يقولوا [نحو - ١] هذا بالسنة^٨ مقالهم
 فان السنة أحوالهم ناطقة به ، فكأنه قيل : إن هذا لى عداد البهائم
 حيث قصر النظر على الجزئيات ، ولم يجوز أن يكون التمويل استدراجا .
 ١٠ فما قال له الآخر؟ فقيل : ﴿ قال له صاحبه وهو ﴾ أى ؛ والحال إن
 ذلك الصاحب ﴿ بحجارة ﴾ منكر^٩ [عليه - ١] : ﴿ اكفرت ﴾ .

؛ ولما كان كفره بانكار البعث . دل عليه بقوله تعالى ؛
 ﴿ بالذى خلقك من تراب ﴾ ؛ بخلق أصلك ﴿ تم من نطفة ﴾ متولدة من أغذية^{١٠}
 أصلها تراب ﴿ ثم سوزك ﴾ بعد^{١١} أن أولدك ؛ و طورك فى أطوار النشأة ؛

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « للجتين » - ساقطة من ظ (٣-٣) من
 مد ، وفى الأصل : ابن عامر و ابن كثير (٤-٤) سقط ما بين الرفين من ظ .
 (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالاستحقاق (٦) العبارة من هنا إلى « ناطقة به »
 ساقطة من ظ (٧-٧) من مد . وفى الأصل . هذه السنة (٨) سقط من ظ (٩) زيد
 فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذفناها (١٠) من مد ، وفى
 الأصل و ظ : غذاه (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ثم .

(رجلاه) حيث نقيت إعادته لمن ابتدأ خلقهم على هذا الوجه تكديبا للرسل واستقصارا للقدرة، ولم تثبت لها في الإعادة ما ثبت لها بملك في الابتداء، ثم لم تجوزها^٢ بعد القطع بالنفي لإعلى سبيل الفرض بأداة الشك، وهي^٣ من دعائم أصول الدين الذي لا يقتنع [فيه -^٤] إلا بالقطع، ونسبته إلى العيب الذي لا يرضاه عاقل إذا جعلت غاية هذا الخلق^٥ البديع في هذا التطوير العظيم الموت [الذي -^٦] لو كان غاية - كما زعمت - لفوت على المطيع الثواب، وعلى العاصي العقاب .

ولما أنكر على صاحبه، أخبر عن اعتقاده بما يصاد اعتقاد صاحبه،

فقال "مؤكدًا لأجل إنكار صاحبه مستدركا لأجل كفرانه"^١: (لكننا)

"لكن أنا . ولما كان سبحانه لا شيء أظهر منه ولا شيء أبطن منه، ١٠

أشار إلى ذلك جميعا باضماره قبل الذكر فقال تعالى"^{١١}: (هو) "أى

الظاهر آتم ظهور / فلا يخفى أصلا، ويجوز أن يكون الضمير للذي^{١٢}

خلقك (الله) "أى المحيط بصفات الكمال"^{١٣} (ربى) وحده، لم يحسن

إلى^{١٤} خلقا ورزقا أحد^{١٥} غيره، هذا اعتقادي في الماضى والحال

(١) من مد، وفي الأصل و ظ: لم يثبت (٢) من مد، وفي الأصل و ظ:

لم يجوزها (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: هو (٤) زيد من ظ ومد (٥) العبارة

من هنا إلى « العاصي العقاب » ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: إذا .

(٧) زيد من مد (٨) من مد، وفي الأصل: لا (٩) من مد، وفي الأصل:

عما، وفي ظ: لا (١٠-١١) سقط ما بين الرقين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى

« للذي خلقك » ساقطة من ظ (١٢) من مد، وفي الأصل: الذى (١٣-١٤) من

ظ ومد، وفي الأصل: ويرزقنى - كذا .

(و لا اشرك برى) المحسن إلى في عبادتى (احداه) كما لم يشاركه في إحسانه إلى أحد ، فان الكل خلقه و عبيده ، و أنى يكون العبد شريكا للرب ا فانى لا أرى الغنى و الفقر إلا منه ، و أنت - لما اعتمدت على مالك - كنت مشركا به^١ .

- ٥ . و لما كان المؤمنون على طريق الأنبياء في إرادة^٢ الخير و الإرشاد إلى سبيل النجاة و عدم الحقد على أحد بشر^٣ أسلفه و جهل قدمه ، قال له مصرحا بالتعليم بعد أن لوح له^٤ به فيما ذكره عن نفسه مما يجب عليه : (و لولا اذ) 'أى و هلا حين' (دخلت جنتك قلت) ما يدل على تفويضك الأمر فيها و فى غيرها^٥ إلى الله تعالى كما تقدم الإرشاد^٦ إليه فى آية " و لا تقولن لشيء " تاركا للاقتضار بها ، و مستحضرا لأن الذى وهبكمها قادر على سلبك إياها ليقودك^٧ ذلك إلى التوحيد و عدم الشرك ، فلا تفرح بها و لا بغيرها مما يفتى لأنه^٨ لا يفتى الفرح إلا بما يؤمن عليه الزوال (ما شاء الله) 'أى الذى له الأمر كله' ، كان ، سواء كان حاضرا أو ماضيا أو مستقبلا ، و لذلك أعراها عن الجواب^٩ ،
- ١٥ لا ما يشاؤه غيره [و لا يشاؤه - '] 'هو سبحانه' ؛ [ثم - '] علل ذلك بقوله تعالى : (لا قوة) أى لأحد 'على بستان و غيره' (الا بالله ج)
-
- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اراة .
 (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشرك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .
 (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : غيره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاشارة (٨) فى ظ : ليقود (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (١٠) زيد من مد .

[أى - ١] المتوحد بالكمال، فلا شريك له، وأفادت هذه الكلمة إثبات القوة لله وبراءة العبد منها، والتنبيه على أنه لا قدرة [لاحد - ١] من الخلق إلا بتقديره، فلا يخاف من غيره، والتنبيه على فساد قول الفلاسفة في الطباع آمن أنها مؤثرة بنفسها.

ولما قدم ما يجب عليه في نفسه منبها به لصاحبه، ثم ما يجب عليه [من - ٥] التصريح بالإرشاد في أسلوب مقرر أن الأمر كله لله، لا شيء لآحد غيره، أتبع قوله تعالى: ﴿ان ترن﴾ أى أيها المفتخر بماله على انا ﴿انا﴾ و لما ذكر ضمير الفصل، ذكر مفعول "ترى" الثانى فقال: ﴿اقل منك﴾^١ وميز القليل^٢ بقوله: ﴿مالا وولدا﴾^٣ أى من جهة المال و الولد الذى هو أعز نفر الإنسان.

ولما أقر هذا المؤمن بالعجز والافتقار، في نظير ما أبدى الكافر من التقوى والافتخار، سبب عن ذلك ما جرت به العادة [في - ١] كل جزاء، داعيا^٤ بصورة التوقع فقال تعالى: ﴿فسى ربى﴾ المحسن إلى ﴿ان يؤتين﴾ من خزائن رزقه ﴿خيرا من جنتك﴾ فيحسن إلى بالفتى كما أحسن إلى بالفقر المقترن بالتوحيد، المنتج للسعادة (ويرسل عليها) ١٥

- (١) زيد من مد (٢) العبارة من بعده إلى « مؤثرة بنفسها » ساقطة من ظ .
 (٣-٣) من مد، وفي الأصل: بانها (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: تقدم .
 (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) سقط من مد .
 (٨) زيد بعده في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (٩) العبارة من « و لا أقر » إلى هنا ساقطة من ظ .

أى جتتك (حسابنا) أى مراى من الصواعق ' و البرد الشديد'
(من السماء) .

'ولما كانت المصابحة بالمصيبة أنكى ما يكون، قال تعالى: (فتصبح)
بعد كونها قرة للعين^٢ بما تهتز به من الأشجار و الزروع (صعيدا زلقا^٣)
أى أرضا يزلق عليها للملاستها^٤ باستئصال نباتها، فلا ينبت فيها نبات،
ولا يثبت فيها قدم (أو يصبح مأوفا غورا) وصف بالمصدر لانه
أبلغ (فلن تستطيع) أنت (له طلباه) .

'ولما كان من المعلوم أن هذا المؤمن المخلص بعين الرضى، كان
من المعلوم أن التقدير: فاستجيب لهذا الرجل المؤمن،^٥ أو: فحقق له
١٠ ما توقعه فخب غيب ظن المشرك، فعطف عليه قوله: (واحيط) 'أى
أوقعت الإحاطة بالهلاك، [بنى للفعول -^٦] لأن الفكر حاصل بإحاطة
الهلاك من غير نظر إلى فاعل مخصوص، و للدلالة على سهولته (بشره)
أى الرجل المشرك^٧. كله، فاستوصل هلاكا [ما -^٧] فى السهل منه
و ما فى الجبل، و ما بصبر منه على^٨ البرد و الحر^٩ و ما لا يصبر
١٥ / ٣٧٠ (فأصبح / يقلب كفيه) ندما، و يضرب إحداهما على الأخرى
تحسرا (على ما اتفق فيها) لعمارتها^{١٠} و نمتاتها (وهى خاوية) أى

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العين .
(٣-٣) فى ظ: أرضا ملساء (٤) العبارة من هنا إلى «على سهولته» ساقطة من ظ .
(٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: المشترك (٧) زيد من ظ
و مد (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الحر و البرد (٩) فى مد: بعمارتها.
ساقطة (١٦)

ساقطة 'مع الخلو' ﴿على عروشها﴾ أى دعائمها التى كانت تحملها فسقطت على الأرض وسقطت هى فوقها ﴿ويقول﴾ تمنا لرد ما فات لحيرته وذهول عقله ودهشته: ﴿يَلِيقِي﴾ 'تمنا لاعتماده على الله من غير إشراك بالاعتقاد على الفانى' ﴿لم اشرك بربى احداه﴾ كما قال له صاحبه، فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط فى الماضى لأجل ما فاتته من الدنيا، ه
لا حرصا على الإيمان لحصول الفوز فى العقبى، لتصور عقله ووقوفه مع المحسوسات المشاهدات ﴿ولم تكن له فئة﴾ أى جماعة لا من نفره الذين^٢ اعتز بهم ولا من غيرهم ﴿ينصرونه﴾ بما وقع فيه^٣ ﴿من دون الله﴾ [أى بغير عون من -^٤] الملك الأعظم ﴿وما كان﴾ هو ﴿متصراة﴾
بنفسه، بل ليس الأمر^٥ فى ذلك إلا لله وحده .

١٠

ولما أتج هذا^٦ المثل قطعا أنه لا أمر لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم، ولإغنائهم بعد فقرهم، ولإذلال أعدائه بعد عزهم وكبرهم^٧، وإفقارهم^٨ بعد إغنائهم وجبرهم^٩، وأن غيره إنما هو كالحَيال لا حقيقة له، صرح بذلك فى قوله تعالى: ﴿هنالك﴾ أى فى مثل هذه الشدائد العظيمة ﴿الولاية﴾

أى النصر - على قراءة الفتح، والسلطان - على الكسر، [وهى قراءة حمزة ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى .

(٣) زيد فى الأصل: أى يهرعون عون - كذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد

لخدمتها (٤) ريد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: كما مر .

(٦) من ظ و مد، وفى الأصل: هنا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل:

انتقارهم (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: حصرهم .

و الكسائي، و الفتح لغيرهما، و هما بمعنى واحد، و هو المصدر كما صدر به في القاموس - [١]. (الله) [أى - ١] الذى له الكمال كله^٢ (الحق^٣) [أى - ١] الثابت الذى لا يحول يوما ولا يزول، ولا يغفل ساعة ولا ينام،^٤ و لا ولاية لغيره بوجه - هذا على قراءة الجماعة بالجر ه [على الوصف - ٤] و هو فى قراءة أبى عمرو و الكسائى بالرفع على الاستئناف و القطع قليلا، تنبيها على أن فزعهم^٥ فى مثل هذه الأزمات^٦ إليه دون غيره برهان قاطع على أنه الحق و ما سواه باطل، و أن الفخر بالعرض الزائل من أجهل الجهل، و أن المؤمنين لا يعيهم قهرم و لا يسوغ^٧ طردهم لأجله^٨، و أنه^٩ يوشك أن يعود قهرم غنى و ضعفهم قوة .

١٠. و لما علم من ذلك أنه أخذ بأيدي عبيده [الابرار - ١٠] و على أيدي عصاته^{١١} الأشرار، قال تعالى: (هو خير ثوابا) لمن أتاه^{١٢} (وخير عقابا) أى عاقبة^{١٣} عظيمة، فإن فعلا - بضمة و بضميتين - من صيغ جموع الكثرة فيفيده ذلك مبالغة و إن لم يكن جمعا^{١٤}، و المعنى

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقعين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «و القطع قليلا» متكررة فى الأصل فقط بعد «فى القاموس» و ساقطة من ظ.
 (٤) زيد من مد و العبارة المتكررة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : فروعهم .
 (٦) فى ظ بعلامة النسخة : أى الشدائد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لا يسوغ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : لاجل (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : إنما هو (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد، و فى الأصل و ظ : عصابة .
 (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : أتاه .

أته - [أى ثوابه -^١] - لأوليائه خير ثواب وعقباه^٢ خير عقبى .
ولما أتم المثل لدينام الخاصة [بهم التى -^١] أبطرتهم ، فكانت
سبب إشقاتهم وهم يحسبون أنها عين إسماعدم ، ضرب لدار الدنيا العامة
لجميع الناس فى^٢ قلة بقائها وسرعة فنائها ، وأن من تكبر بها^٣ كان
أخس منها فقال تعالى : ﴿ واضرب لهم^٤ أى لهؤلاء الكفار المغترين^٥ .
بالعرض الفانى ، المغترين بكثرة الأموال والأولاد وعزة النفرة^٦
﴿ مثل الحيوة الدنيا ﴾^٧ أى التى صفتها - التى هم بها ناطقون - تدل
على^٨ أن ضدها^٩ الأخرى ، فى ينوعها^{١٠} ونضرتها ، واختلابها^{١١} للنفوس
ببهجتها^{١٢} ، واستيلائها على الأهواء بزهرتها ، واختداعها لذوى الشهوات
بزينتها ، ثم اضمحلالها وسرعة زوالها ، أفرح ما كانوا بها ، وأرغب ما^{١٣}
كانوا [فيها -^{١٤}] مرة بعد أخرى ، على مر الأيام و[كر -^{١٥}] الشهور ،
وتوالى الأعوام وتعاقب الدهور ، بحيث نادى على نفسها بالتحذير
منها والتنفير عنها للعاقل اللقن ،^{١٦} والكيس الفطن ، رغبة إلى الباقى الذى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : عداه (٣) من مد ، وفى الأصل :
من ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى «أخس منها» ساقطة من ظ .
(٤) من مد ، وفى الأصل : فيها (٥) العبارة من هنا إلى «عزة النفرة» ساقطة
من ظ (٦) فى مد : المفخرة (٧) العبارة من هنا إلى «الأخرى» ساقطة من ظ .
(٨-٨) من مد ، وفى الأصل : صدها - كذا (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل :
تنوعها (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : اختلاسها (١١) من ظ و مد ، وفى
الأصل : وبهجتها (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) بهامش ظ : اللقن : الذى
فى غاية الفطنة .

يدوم سروره ، و يبقى نعيمه و حبوره ، و ذلك المثل ﴿ كما أنزلناه ﴾
 بعظمتنا و اقتدارنا^١ بعد / يبس الأرض و جفاف ما فيها و زواله ،
 و بقلعه^٢ كما تشاهدونه و استئصاله ، و قال : ﴿ من السماء ﴾ تنبها على
 بليغ القدرة في إمساكه في العلو و إنزاله في وقت الحاجة . على الوجه
 النافع ﴿ فاختاط ﴾ أى فتمقب و تسبب عن^٣ إنزاله أنه اختلط
 ﴿ به نبات الأرض ﴾^٤ أى التراب الذى كان نباتا ارفقت بطول العهد^٥
 في بطنها ، فاجتمع بالماء و التفت^٦ و تكاثف ، فهياناه بالتخمير و الصنع
 الذى لا يقدر عليه سوانا حتى أخرجناه من الأرض أخضر يهتز على ألوان
 مختلفة و مقادير متفاوتة ثم أيسناه ﴿ فاصبح هشيا ﴾^٧ أى يابسا مكسرا
 مفتتا^٨ ﴿ تذروه ﴾ أى تثيره و تفرقه^٩ أو تذهب به^{١٠} ﴿ الريح ﴾ حتى
 يصير عما قليل كأنه بقدرة الله تعالى لم يكن ﴿ و كان الله ﴾^{١١} أى المختص
 بصفات الكمال^{١٢} ﴿ على كل شيء ﴾ من ذلك و غيره إنشاء و إفناء
 و إعادة ﴿ مقتدرا ﴾ أزلا و أبدا ، فلا تظنوا أن ما تشاهدونه من
 قدرته حادث .

١٥ و لما تبين بهذين المثلين و غيرهما أن الدنيا - التى أوردت أهلها
 [الموارد -^{١٤}] و أحلتهم أودية المعاطب - سريعة الزوال . و شبكة الارتحال ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قدرتنا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 تقلعه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٤-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٥) العبارة من هنا إلى « و تكاثف » - ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل :
 النعت (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و مد .

مع كثرة الانكاد، و دوام الاكدار، من الكد^١ و التعب،
 و الخوف و النصب^٢ كالزرع سواء، تقبل أولا في غاية النضرة و الهجة،
 تزايد نضرتها و بهجتها شيئا فشيئا. ثم تأخذ في الانتقاص و الانحطاط
 إلى^٣ أن تنتهى إلى الفناء، فهى جديرة لذلك بالزهد فيها و الرغبة عنها،
 و أن لا يفتخر بها عاقل فضلا عن أن يكثر بها غيره^٤، قال تعالى: هـ
 ﴿المال و البنون﴾ الفانيان الفاسدان^٥، و هما أجل ما فى هذه الدار
 من متاعها ﴿زينة الحيوة الدنيا﴾ التى لو عاش الإنسان جميع أيامها
 لكان حقيقا لصيرورة ما هو فيه [منها - ٦] إلى زوال بالإعراض عنها
 و البغض^٦ لها، و أنتم تعلمون ما [فى - ٦] تحصيلهما من التعب، و ما لها
 بعد الحصول من سرعة العطب، و هما مع ذلك قد يكونان^٧ خيرا إن ١٠
 عمل فيها بما يرضى الله، و قد يكونان^٨ شرا و ينجب الأمل^٩ فيها،
 و قد يكون كل منهما سبب هلاك صاحبه و كدره، و سوء حياته و ضرره^{١٠}
 ﴿و البقيت الصالحات﴾ و هى أعمال الخير المجردة التى يقصد بها
 وجه الله تعالى، التى رغبنا فيها بقولنا "لنبلوهم ايهم احسن عملا" و ما
 بعده ﴿خير﴾ أى من الزينة الفانية^{١١}. و لما كان أهم ما إلى من حصل ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: النكد (٢) العبارة من هنا إلى « إلى الفناء »
 ساقطة من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمن من ظ (هـ) فى ظ:
 فقال (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: النقص (٨) من
 ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: سرا
 و تخيبا لامل لا - كذا.

النفاس لكفائته من يحفظها^١ له لوقت حاجته قال : ﴿ عند ربك ﴾
 أى^٢ الجليل المواهب، العالم بالعواقب،^٣ و خير^٤ من المال والبنين فى
 العاجل والآجل ﴿ ثوابا و خير ﴾^٥ من ذلك كله^٦ (املاه)^٧ أى من
 جهة ما يرجو فيها من الثواب ويرجو فيها من الآمل^٨، لأن ثوابها
 إلى بقاء، وأملاها كل سباعة فى تحقق وعلو وارتقاء،^٩ وأمل^{١٠} المال
 والبنين يمتان أحوج ما يكون إليهما .

ولما ذكر المبدأ ونبه على زواله . وختم بأن المقصود آمنه الاختبار^١
 للرفعة بالثواب أو الضعة^٢ بالعقاب، و^٣ كان الخزى والصغار، أعظم شىء
 رهبه النفوس الكبار، لاسيما إذا عظم الجمع واشتد الأمر، فكيف
 ١٠ إذا انضم^٤ إليه الفقر^٥ ! فكيف إذا صاحبها الحبس^٦ ! و كان يوم
 الحشر يوما يجمع^٧ فيه^٨ الخلائق . فهو بالحقيقة المشهود، وتظهر فيه
 العظمة فهو وحده المرهوب، عقب ذكر الجزاء ذكره، لأنه أعظم يوم
 يظهر فيه . فقال تعالى عاطفا على^٩ " واضرب " : ﴿ و يوم ﴾^{١٠} أى و اذكر^{١١}
 لهم يوم ﴿ تسير^{١٢} الجبال ﴾ عن وجه الأرض بعواصف القدرة كما
 ١٥ يسير^{١٣} نبات الأرض - بعد أن صار هشيا - بالرياح " فترى الجبال

(١) من ظ و مد، وفى الأصل : يحفظ (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى ه بالعقاب « ساقطة من ظ (٥) من مد،
 وفى الأصل : لعل (٦-٦) تكرر فى مد (٧) من مد، وفى الأصل : الصحة - كذا .
 (٨) زيد فى ظ : لما (٩) من ظ و مد، وفى الأصل : ضم (١٠) من ظ و مد،
 وفى الأصل : الفقير (١١) فى مد : تجمع (١٢) زيد فى ظ : جميع (١٣) فى مد : ذكرهم .
 (١٤) هذه قراءة ابن كثير وأبى عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بالنون -
 راح نثر المرحان ٤/٤٥٠، (١٥) من ظ و مد، وفى الأصل : يصير .

٣٧٢ /

تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب" (وترى الارض) / بكاملها
 (بارزة لا) لا غار فيها ولا صدع ولا جبل ولا نبت ولا شجر ولا ظل
 (و) الحال انا قد (حشرتهم) أي الخلائق بعظمتنا قبل التسيير^٢
 بتلك الصيحة، فهرا إلى الموقف الذي^٣ ينكشف فيه المخبات، وتظهر
 الفضاء والمغيات، ويقع الحساب فيه على النقيض والقطير، والنافذ
 فيه بصير، فينظرون ويسمعون^٤ زلازل الجبال عند زوالها، وقماقم
 الابنية والأشجار في هدها وتباين أوصالها، وفاتها بعد عظيم مرآها
 واضمحلالها (فلم تغادر) أي ترك^٥ بما لنا من العظمة (منهم)
 أي الأولين والآخريين (أحدا) لأنه لا ذهول ولا عجز.

و لما ذكر سبحانه حشرهم^٦، وكان من المعلوم أنه للعرض، ذكر ١٠

كيفية ذلك العرض، فقال بانبا الفعل للفعول على طريقة كلام القادرين،
 ولأن المخوف العرض لا كونه من معين: (وعرضوا على ربك)
 أي المحسن إليك برفع أوليائك وخفض أعدائك (صفا) لاتساع
 الارض والمسابقة إلى داره، لعرض أدل شيء وأصغره، وأطوعه
 وأحقره، يقال لهم تنديها على مقام العظمة: (لقد جئتمونا) أحياء سويين ١٥
 حفاة عراة غرلا (كما خلقنكم)^٧ بتلك العظمة^٨ (أول مرة) منغزلين من

(١) في مد: شجرة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ: التي .

(٤) زيد في الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٥) العبارة من

هنا إلى "من معين" ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: حشرناهم .

(٧) سقط من ظ .

كل شيء كنتم نجتمعونه و تفاخرون^١ به منقادين مذعنين فقولون " هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون " فيقال لكم : ﴿ بل زعمتم ﴾ أى ادعيتم جهلا بعظمتنا (ان) ^٢ أى أنا^٣ ﴿ لن نجعل لكم ﴾ ^٤ على ما لنا من العظمة^٥ (موعداه) ^٦ أى مكانا و وقتا^٧ نجتمعكم فيه هذا الجمع^٨ فننجز ما وعدناكم به على السنة الرسل^٩ (ووضع) ^{١٠} بأيسر أمر^{١١} بعد العرض المستعقب للجمع^{١٢} بأذى إشارة^{١٣} (الكتب) المضبوط فيه دقائق الاعمال و جلائلها على وجهين لا يخفى على قارئى ولا غيره شيء منه (فترى المجرمين) لتقر عينك منهم بشهامة لا خير بعدها [^{١٤} مشفقين مما فيه) من قبائح أعمالهم ، و سببى أفعالهم و أقوالهم^{١٥} أى خائفين دائما خوفا عظيما من عقاب الحق و الفضيحة عند الخلق^{١٦} (و يقولون)^{١٧} أى يحددون [و يكررون قولهم^{١٨} : (يوبلتنا) كناية عن^{١٩} أنه لا نديم لهم إذ ذاك إلا الهلاك (ما ل هذا الكتاب)^{٢٠} أى أى شيء له حال كونه^{٢١} على غير حال الكتب فى الدنيا ، و رسم لام الجر وحده إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب و شدة الكرب يقفون على بعض الكتب ، و فسروا حال الكتاب التى أفضعتهم^{٢٢} و سألوا عنها^{٢٣} بقولهم : (لا يغادر)^{٢٤} أى يترك [أى يقع - ^{٢٥} منه غدر ، أى عدم وفاء

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتفاخرون (٢ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٥) العبارة من هنا إلى « عنها بقولهم » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : قطعتهم (٧) العبارة من هنا إلى « تركها الراعى » ساقطة من ظ . (٨) زيد من مد .

[و هو من غادر الشيء: تركه - كأن كلا منهما يريد غدر الآخر، أى عدم الوفاء به، من الغدير - لقطعة من -^١] الماء يتركها السيل كأنه لم يوف لها بأخذ ما معه، وكذا الغديرة - لناقه تركها الراعى (صغيرة) أى^٢ من أعمالنا .

و لما هالم إثبات^٣ جميع الصغار، بدأوا بها، و صرحوا بالكبار ٥
 - وإن كان إثبات الصغار يفهما - تأكيداً لأن المقام للتحويل و تعظيم
 التفجع،^٤ و إشارة إلى أن الذى جرم إليها هو الصغار - كما قال الفضيل
 ابن عياض رضى الله عنه - فقالوا: ﴿ ولا كبيرة الآ احصناه ﴾
 و لما كان الإحصاء قد لا يستلزم اطلاع صاحب الكتاب و جزاءه عليه،
 نفى ذلك بقوله تعالى: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ كتابة^٥ و جزاء ١٥
 من غير أن يظلمهم [سبحانه-^٦] أو يظلم من عادوم فيه ﴿ ولا يظلم ربك ﴾
 الذى رباك بخلق القرآن، ﴿ احداً ﴾ منهم و لا من غيرهم فى كتاب
 و لا عقاب و لا ثواب، بل يجازى الأعداء بما يستحقون، تعذياً لهم
 و تعميماً لأولياته الذين عادوم فيه للعدل بينهم: روى الإمام أحمد فى
 المسند^٧ عن جابر بن عبد الله^٨ رضى الله عنهما أنه سافر إلى عبد الله ١٥
 ابن أنيس رضى الله عنه مسيرة شهر فاستأذن عليه قال: فخرج يظاً ثوبه
 فاعتنقى و اعتنقته، قلت: حديث^٩ بلغنى عنك أنك سمعته من

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: اثباته .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ: فقال (٦) من ظ و مد، وفى
 الأصل: كناية (٧) زيد من ظ و مد (٨) ٣ / ٤٩٥ (٩-٩) سقط ما بين
 الرقيين من مد (١٠) فى المسند: حديثاً .

رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم في القصاص . فخشيت أن تموت^١

قبل أن أسمع ، فقال : سمعت رسول الله / صلى الله عليه و على آله و سلم

/ ٢٧٣

يقول : يحشر^٢ الله عز و جل^٢ الناس^٢ - أو قال : العباد - حفاة عراة

بهما ، قلت : و ما بهما ؟ [قال -^٤] : ليس معهم شيء ، ثم يناديهم

٥ بصوت يسمعه^٤ من بعد كما يسمعه^٢ من قرب : أنا الملك أنا الديان ،

لا ينبغي لأحد [من أهل النار أن يدخل النار و له عند أحد من أهل

الجنة حق^٥ حتى أقصه منه^٥ ، و لا ينبغي لأحد من أهل الجنة -^٤]

أن يدخل الجنة و له عند أحد من أهل النار حق حتى أقصه منه

[حتى اللطمة -^٤] ، قال : قلنا : كيف و إنما [نأتى الله -^٤] حفاة

١٠ عراة بهما ؟ قال : بالحسنات و السيئات .

و لما ذكر البعث و ختمه^١ بأحسانه بالعدل المثمر لإعطاء كل أحد

ما يستحقه ، أتبعه -^٧ بما له من الفضل^٧ - بابتداء^٤ الخلق الذي هو دليله ،

في سياق مذكر بولايته الموجبة للاقبال عليه ، و عداوة الشيطان الموجبة

للادبار عنه ، مبين لما قابلوا به عدله فيهم و في عدوهم من الظلم^٤ بفعلهم

١٥ كما فعل من التكبر على آدم عليه السلام بأصله ، فتكبروا على فقراء

المؤمنين بأصلهم و أموالهم و عشائرهم ، فكان فعلهم فعله^١ سواء ، فكان

(١) زيد في المسند : أو أموت (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من المسند (٣) سقط

من مد (٤) زيد من ظ و مد و المسند (٥-٥) ليس ما بين الرقنين في ظ و مد .

(٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ (٨) من ظ و مد ، و في

الأصل : ما نبدا (٩) العبارة من هنا إلى « الناس به » - ساقطة من ظ (١٠) من

مد ، و في الأصل : فعل .

قدوتهم و هو عدوهم ، ولم يقتدوا بخير خلقه و هو وليهم و هم أعرف
 الناس به ، فقال تعالى عاطفا على " و اضرب " : (و اذ) أى و اذكر لهم
 إذ (قلنا) بما لنا من العظمة ^١ (للملائكة) الذين هم أطوع شئ
 لاوامرنا و إبليس فيهم ، قال ابن كثير : و ذلك أنه كان قد ترسم
 بأفعال الملائكة و تشبه بهم و تعبد و تنسك ، و لهذا دخل فى خطابهم
 و عصى بالمخالفة (اسجدوا لآدم) أيهم ^٢ نعمة منا عليه ^٣ يجب عليهم
 شكرنا فيها (فسجدوا) كلهم (إلا إبليس ^٤) فكأنه قيل : ما له
 لم يسجد ؟ قيل : (كان) [أى لأنه كان - ^٥] (من الجن) المخلوقين
 من نار ، و لعل النار [لما - ^٦] كانت نيرة و إن كانت نورانيتها مشوبة
 بكدورة و إحراق ، عد من الملائكة لاجتماع العنصرين فى مطلق النور ،
 مع ما كان غلب عليه من العبادة ، فقد روى مسلم فى صحيحه ^٧ عن عائشة
 رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم :
 خلقت الملائكة من نور ، و خلق الجن - و فى رواية : إبليس - من
 مارج من نار ، و خلق آدم مما وصف لكم ^٨ . و فى مكائد الشيطان
 لابن أبى الدنيا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن كانت قبيلة ^٩
 من الملائكة ^{١٠} .

و لما كان أكثر الجن مفسدا ، رجوعا إلى الأصل ^{١١} الذى هو

(١ - ١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) فى ظ : ايكم (٣) زيد فى الأصل :
 عليهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا (٤) زيد من ظ (٥) زيد من
 ظ و مد (٦) باب فى أحاديث متفرقة - كتاب الزهد (٧) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : الارض .

النار المحرقة لما لاصقها، المفسدة له، سبب فسقه عن كونه منهم فقال
 تعالى: ﴿ فسق ﴾ أى خرج، يقال: فسقت الفأرة من جحرها - إذا
 خرجت للبيث^١ والفساد. ﴿ عن امر ربه^٢ ﴾ أى سيده ومالكة
 المحسن إليه بابداعه، وغير ذلك من اصطناعه، فى شأن أيكم، إذ تكبر
 عليه فطرده ربه من أجلكم، فلا تستنوا به فى الافتخار والتكبر على
 الضعفاء،^٣ فإن من كانت^٤ خطيئته فى كبر لم يكن صلاحه مرجوا، ومن
 كانت خطيئته فى معصية كان صلاحه مرجوا، ثم سبب عن هذا ما هو
 جدير بالإنكار فقال تعالى [فى أسلوب الخطاب لأنه أدل على تنهى
 الغضب وأوجع فى التبكيت، والتكلم لأنه أنص على المقصود من
 ١٠ التوحيد -^٥]: ﴿ اقتخذونه ﴾ أى أفسقوا باستحقاقكم فيطرده لاجلكم^٦
 فيكون ذلك سببا لأن تتخذوه^٧ ﴿ وذريته ﴾ شركاء لى ﴿ أولياء ﴾ لكم
 ﴿ من دونى ﴾ أى^٨ اتخذا مبتدئا من غيرى^٩ أو من أدنى^{١٠} رتبة من
 رتبى، ليعم اتخاذ استقلال وشركة، ولو كان المعنى: من دون - أى
 غير - اتخذى، لأفاد الاستقلال فقط، ولو كان اتخاذ مبتدئا منه بأن
 ١٥ كان هو الأمر به لم^{١١} يكن ممنوعا، وأنا وليكم المفضل عليكم

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: للبيث (٢) العبارة من هنا إلى « صلاحه
 مرجوا » ساقطة من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: كان (٤) زيد ما بين الحجزين
 من ظ و مد، إلا أنه ورد فى ظ بعد « وهم لكم » (٥-٥) فى ظ: تتخذونه .
 (٦) العبارة من هنا إلى « لم يكن ممنوعا » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد: غيرى .
 (٨-٨) من مد، وفى الأصل: لادى (٩) من مد، وفى الأصل: لمن .

(وهم لكم) [ولما كان بناء فعول للبالغة ولاسيما وهو شبيه بالمغلاة
 في نحو القول ، أغنى عن صيغة الجمع فقال - ١] : (عدو^١) إشارة
 [إلى أنهم - ١] في شدة العداوة على قلب واحد . ولما كان هذا / الفعل
 أجدر شيء بالذم ، وصل به قوله تعالى : (بنس) وكان الأصل^٢ :
 لكم ، ولكنه أبرز هذا الضمير لتعليق الفعل بالوصف "والتعميم" فقال ه
 تعالى : (للظلمين بدلا ه) إذا استبدلوا من ليس لهم شيء من الأمر وهم
 لهم^٥ عدو بمن له الأمر كله وهو لهم ولي .

ولما كان الشريك لا يستأثر بفعل أمر عظيم في المشترك فيه من
 غير علم لشريكه به ، قال معللا للذم على هذا الظلم بما يدل على^٦ حقارتهم
 عن هذه الرتبة ، عادلا في أسلوب التكلم^٢ إلى التجريد^٢ عن مظهر العظمة ١٠
 لتلا يتعنت من أهل الإشراف متعنت^٢ كما عدل في " دوني " لذلك^٢ :
 (ما أشهدتهم) أي إبليس وذريته (خلق السموات والأرض)
 نوعا من أنواع الإشهاد (ولاخلق انفسهم ص) إشارة إلى أنهم مخلوقون
 وأنه لا يصح في عقل عاقل أن يكون مخلوق شريكا لخالقه أصلا
 (وما كنت)^٢ أي أزلا وأبدا متخدّم . هكذا الأصل ولكنه أبرز ١٥
 إرشادا إلى أن المضل لا يستعان به ، لأنه مع عدم نفعه^٧ يضر ، فقال
 تعالى : (متخذ المضلين عضدا ه) إشارة إلى أنه لا يؤسف على فوات

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) العبارة من هنا إلى «قلب واحد» ساقطة
 من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في ظ : أما (٥) في مد : له .
 (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : تبعه .

إسلام أحد، فإن من علم الله فيه خيرا أسمعه، و من لم يسمعه فهو مضل
ليس أهلا لنصرة الدين .

ولما أقام البرهان القاطع على بعد رتبته عن المنزلة التي أحلوم
بها من الشرك، أتبعه التعريف بأنهم مع عدم نفعهم لهم في الدنيا يتخلون^١
عنهم في الآخرة أحوج ما يكونون إليهم تخيبا لظنهم أنهم يقربونهم
إلى الله زلفى، فقال تعالى عاطفا على "اذ قلنا" عادلا إلى مقام الغيبة،
إشارة إلى بعدهم عن حضرته الشفاء و تعاليه عما قد يتوهم من قوله تعالى
"و عرضوا على ربك صفا" لقد جئتمونا" في حجب الجلال و الكبرياء،
و جرى حمزة في قراءته بالنون على أسلوب التكلم الذي كان فيه مع
١٠ زيادة العظمة^٢: (و يوم)^٣ أى و اذكر يوم^٤ (يقول) الله لهم تهكما بهم:
(نادوا شركآى)^٥ و بين أن الإضافة ليست على حقيقتها، بل هى
تويخ لهم فقال تعالى^٦: (الذين زعمتم) أنهم شركاء (فدعهم) تآمدا
في الجهل و الضلال (فلم يستجيبوا لهم^٧) أى لم يطلبوا و يريدوا أن
يحيبهم^٨ إعراضا عنهم استهانة بهم و اشتغالا بأنفسهم فضلا عن
١٥ أن يعينهم .

ولما كانوا فى غاية الاستعداد لأن يحال بينهم و بين معبوداتهم،
قال فى مظهر العظمة: (و جعلنا بينهم) أى المشركين و الشركاء (موبقاه)
(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يتخلفوك (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط
ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: لكم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تجيبهم .

أى 'هلاكا أو' موضع هلاك، فاصلا حائلا بينهم، مهلكا قويا عميقا ثابتا
حفيظا، لا يشذ عنه منهم أحد، وإنما فسرت به بذلك لأنه مثل قوله تعالى
"فزيلنا بينهم" أى بالقلوب أى جعلنا ما كان بينهم من الوصلة عداوة،
ومثل قوله تعالى "ربنا أهولآء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار" "هولآء
[شركاؤنا] الذين كنا ندعوا من دونك" ونحوه، لأن معنى ذلك كله أنه ه
يدل ما كان بينهم من الوصلة في الدنيا والوصلة بينهم و قطيعة كما قال
تعالى "ثم يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا"
و أن كل فريق يطلب للآخر الهلاك، فافتضى ذلك اجتماع الكل فيه،
هذا ما يرشد إلى المعنى من آيات الكتاب، ونقل ابن كثير عن عبد الله
ابن عمرو رضى الله عنهما^١ أنه قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين
أهل الهدى وأهل الضلالة، وقال الحسن البصرى: [عداوة -^٢].
و أما أخذه من اللفظ فلأن مادة 'وبق'^٣ - ياتية وواوية^٤ مهموزة
وغير مهموزة، ولها^٥ أحد عشر تركيبا: [واحد -^٦] ياتى: بقى،
وسنة واوية: قبو، قوب، بقو، بوق، وقب، وبق، وأربعة مهموزة:
قبأ، قأب، بأق، أبق - كلها تدور على الجمع، وخصوصا ترتيب وبق^٧
(١) العبارة من هنا إلى «موضع هلاك» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفي
الأصل «و» (٣) زيد في ظ: حكاية (٤) - ورة ٢٩ آية ٢٥ (٥) في مد: الآخر.
(٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦/ ١٣٧ (٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من
ظ و مد، وفي الأصل: موبق (٩) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن
الزيادة في ظ و مد لخلافها (١٠) في ظ: لهذا (١١) زيد من ظ و مد.

يدور على الحائل بين شيئين، ويلزمه القوة و الثبات و الحفظ و الهلاك / قوة أو فعلا ، لأن^١ من حيل^١ بينه و بين شيء فقد هلك بفقد ذلك الشيء بالفعل إن كان الحائل موتا ، و بالقوة إن كان غيره ، يقال : قبا الشيء : جمعه^٢ بأصابه ، و البناء : رفعه ، و الزعفران : جناه ، و القبا - بالقصر : نبت - لأنه سبب الاجتماع لرعيه و الانتفاع به و هو يجمع أيضا ، و القبا : تقويس^٣ الشيء - لأنه أقرب إلى اجتماع بعض أجزائه ببعض ، و القبوة : انضمام ما بين الشفتين ، و منه القباء من الثياب ، و قباه تقيية : عباه ، أى جمعه حتى صار كأنه فى مكان مقبو ، و قبي [عليه -^٤] تقيية : عدا عليه فى أمره - لأنه [كان -^٥] كأنه أوقعه فى حفرة ، و الثوب : جعل منه قباء ، ١٠ و تقي القباء : لبسه ، و زيدا : أتاه من قفاه - لأن من يريد رمى أحد فى حفرة كذلك يأتيه مخاتلة ، و تقي الشيء : صار كالقبة ، و امرأة قايية^٦ : تلتقط العصفور و تجمععه ، [و -^٧] القاياء : اللثيم - لأنه بناء مبالغة ، فبدل على كثرة الجمع و الحرص اللازمين للثوم^٧ ، و بنو قاياء : المجتمعون لشرب الخمر - لأنها حالة تظهر لثوم اللثام ، و قباء - بالضم و يذكر و يقصر -

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : معنى احتمل - كذا (٢) زيد فى الأصل : بالشيء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس لخذفناها (٣) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : مقولش - كذا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس . (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى الأصل : تجمع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس لخذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اللوم - كذا .

موضع قرب المدينة الشريفة ، و موضع بين مكة و البصرة ، و انقبى :
استخفى ، و قبي قوسين و قباء قوسين - ككسائه : قاب قوسين ، و المقبي :
الكثير الشحم - كأنه جمع لنفسه منه بالراحة ما صار كالبناء ، و القباية :
المفازة - لأنها تجمع ما فيها كما تجمع القبة و القباء و الوقبة ما فيها .
و من مهموزه : قبا الطعام - بجمع ٢ : أكله ، و من الشراب : امتلا ٥ ،
و القباة ٣ : حشيشة ترعى ٤ - لأن المال يجتمع على رعيها .

و من الواوى : قاب الأرض يقوبها و قوبها ٥ : حفر فيها شبه
التقوير - لأن الدائرة أجمع ما يكون لغيرها و في نفسها ، لأنه لا زوايا
فيها فاصلة ، و قوبت الأرض : أرت فيها ، و القوبة : ما يظهر في الجسد
و يخرج عليه - لأنه ٦ يكون غالبا ٦ على هيئة الدائرة ، و تقوب جلده : ١٠
تقلع عنه الجرب ، و انخلق عنه الشعر - إما من الإزالة ، و إما [لأن - ٧]
آثاره تكون كالدوائر ، و قوب الشيء : قلعه من أصله - لأن أثره ٨ إذا
انقلع يكون حفرا مستديرا ، و تقوب هو : تقلع ، و القاببة و القابة :
البيضة - لأنها لتدويرها ٩ تشبه ذلك الحفر ، و القوب - بالفتح : فلق

(١) تكرر ما بين الرقمين في مد (٢) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل :
لجمع (٣) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : القبا (٤) من مد و القاموس ،
و في الأصل و ظ : مرعى (٥) زيد في الأصل : الأرض ، و لم تكن الزيادة في
ظ و مد لحدفناها (٦-٦) من ظ و مد ، و في الأصل : غالبا يكون (٧) زيد من
ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : الشيء (٩) من ظ و مد ، و في
الأصل : كتدويرها .

الطير يَصْنَهُ، وبالضم: الفرخ - لأنه^١ منها، وفي المثل: تخلصت قاتبة
من قوب - بضرب لمن انفصل من صاحبه، والقوبى: المولع بأكل
الاقواب أى الفراخ، والقوب - كصرد: قشور البيض، و تقوبت البيضة:
انقابت أى انخفرت، وأم قوب: الداھية - لجمعها ما تأتى عليه كأنه
ابتلعه حفر، وقاب: قرب - لأن القرب مبدأ الجمع، وقاب: هرب،
أى^٢ سلب القرب - ضد. وقاب: فلق، أى شق^٣ الجمع فهو من الإزالة
أيضاً، وقاب قوس وقبه، أى قدره - لأن القوس شبه نصف دائرة
من ذلك الحفر، والقاب: ما بين المقبض والسية - لأنه بعض ذلك،
ولكل قوس قابان، والأسود المتقوب: الذى انسلخ جلده من
الحيات - لتدور ذلك الجلد وشبهه بالحفرة، و اقباب الشيء: اختاره،
أى جمعه إليه، ورجل مليء^٤ قوبة - كهزمة: ثابت الدار مقيم - من الثبات
الذى هو لازم الجمع، وقوب من الغبار: اغبر - إما لأن من يحفر
ذلك يغبر، وإما لأن الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك
الحفرة. ومن مهموزه: قاب الطعام - كمنع: أكله، والماء: شربه
١٥ كقثبه - كفرح، أو شرب كل ما فى الإناء، وقثب من الشراب: تملأ،
وهو مقاب^٥ - كمنبر: كثير الشرب^٦ للماء، وإناه قوَاب: كثير الأخذ
(١) من ظ ومد، وفى الأصل: لانها (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: الى.
(٣) من ظ ومد، وفى الأصل: سيق (٤) من ظ ومد وتاج انعروس،
وفى الأصل: مليء (٥) من ظ ومد والقاموس، وفى الأصل: مقتبا (٦) من
مد والقاموس، وفى الأصل وظ: الشراب.

للاء - فهو كما ترى جمع مخصوص بالأكل / و الشرب ، أو أنه جمعه في
وقبة^١ بطنه .

ومن الواوى : بقاء بعينه : نظر إليه - فهو من الحفظ اللازم للجمع ،
و أبوه بَقْوَتَكَ مَالِكٌ و بَقَاوَنِكَ مَالِكٌ ، أى احفظه حفظك^٢ مالك ، و بقوته :
انتظرته - و هو يرجع إلى الثبات و المراقبة التى ترجع إلى الحفظ ، و يلزم ه
الحفظ الثبات . و من اليأى : بقى الشيء بقاء : ثبت و دام ضد فنى ،
و الاسم البقوى - كدعوى . و يضم ، و البقيا - بالضم و البقية ، و قد توضع
الباقية موضع المصدر .

و من واويته : البوقة : الجمع^٣ و الدفعة من المطر الشديدة أو المنكرة
تنباق - لأنها^٤ نزلت من وقبة لشدها ، و البواثق : العوائد - لأنها جامعة ١٠
لمن اعتادها ، و البواثق : الشر - لأنه مهلك ، فكأنه موقع فى المهالك ،
و البوق - بالضم : شبه منقاب^٥ ينفخ فيه الطحان ، أو الذى ينفخ فيه
مطلقا و يزمر - لأنه لتجويفه يشبه الوقبة ، و البوق أيضا : الباطل و الزور -
لأن صوته أشبه شىء بذلك ، و المبوقة^٦ - كمعظم : الكلام الباطل ، و البوق -
و يفتح : من لا يكتم السر - لأن البوق متى نفخ فيه صوت ، و البوقة : ١٥
شجرة دقيقة - لأنها لدقتها يسرع إليها الهلاك كمن^٧ وقع فى وقبة ،

(١) بهامش ظ : أى حفرة (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل :
حفظت (٣) و هذا المعنى لم يلم به ما عندنا من القواميس (٤) من ظ و مد ، فى
الأصل : كانها (٥) فى مد : مثقاب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » .
(٧) فى مد : المبوقة (٨) من مد ، و فى الأصل : يكون ، و فى ظ : لمن .

والباقية^١ : الداهية - كأنها تدفع من أته^٢ في الوقبة ، وانبأقت عليه
بائعة : اقتضت ، و باق : جاء بالشبر والخصومات - [من ذلك -^٣] ،
وكذا باق ، أى تعدى على إنسان ، وانباق به : ظلمه ، و الباقية القوم :
أصابتهم ، كانبأقت عليهم ، أى خرجت لشدها من وقبة ، و الباقية :
٥ الحزمة^٤ من بقل - لاجتماعها ، و باق بك : طلع عليك من غيبة^٥ - كأنها
كان في حفرة مخزج ، و منه باق فلان : هجم على قوم بغير إذنه ،
و باق القوم : سرقهم ، و باق به : حاق^٦ به - أى - أحاط كما تحيط
الوقبة ، و باق القوم عليه : اجتمعوا قتلوه ظلماً ، و باق المال : فسد و بارب
كحال^٧ من وقع في حفره و منه متاع باق : لا تمن له ، و تبوق في
١٠ الماشية : وقع فيها الموت و فشا ، و الحاق باق : صوت الفرج عند الجماع -
لأنه من الجمع ، و لأن الفرج يؤقبة ، و من مهموزه : بأقتهم الداهية بؤوقا :
أصابتهم ، و انباق عليهم الدهر : هجم عليهم بالداهية .
و من الواوى ، الوقبة : كوة عظيمة فيها ظل ، و الوقب و الوقبة :
نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ، و قيل : هى نحو البئر فى الصفا تكوون
١٥ قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء ، و كل نقر فى الجسد و قب كنقر
العين و الكتف^٨ ، و الوقبان من الفرس : هزمتان^٩ فوق عينيه ، و وقب

(١) فى مد : الباقية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : انت (٣) زيد من ظ
و مد (٤ - ٤) من ظ و مد و انقاموس ، و فى الأصل : بعد عن (٥) زيدت
الواوى فى مد (٦) من مد و انقاموس ، و فى الأصل و ظ : غيبته (٧) زيد من مد
و التاج (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لخال (٩) من ظ و مد و انقاموس ، و فى
الأصل : الكشف (١٠) فى مد : لهزمتان .

المحالة: الثقب الذى يدخل فيه المحور، ووقبة^١ الدهن: أنقوعته، وكذلك
 وقبة الثريد، ووقب الشيء: دخل [فى الوقب، و أوقب الشيء: أدخله]،
 فيه، وركية وقباء: غامرة الماء، وامرأة ميقاب: واسعة الفرج وبنو
 الميقاب نسبوا إلى أمهم، يريدون سهم^٢ بذلك، والميقاب: الرجل
 الكثير الشرب للاء، والحقاء أو المحمقة، وسير الميقاب: أن تواصل^٥
 سير يوم و ليلة - كأن ذلك سير الاحق الذى لا يبقى على ظهره، ووقب
 القمر وقوبا: دخل فى الظل الذى يكسفه^٥ - كأنه^٦ حفرة ابتلعت
 ووقبت الشمس وقوبا: غابت كذلك، وقيل: كل ما [غاب -]
 فقد وقب، ووقب^٤ الظلام: أقبل. أى فصار كالوقبة، فابتلع الضياء
 أو ابتلع ما فى الكون فحجبه عن الضياء، ورجل وقب^١: أحمق - كأنه^{١٦}
 وعاء لىكل ما يسمع، لا أهلية له فى تمييز جيده من رديئه، والأشئ:
 وقبة، وقال ثعلب: الوقب: الدنء، أى لأنه^{١٧} يتبع نفسه هواها فيصير
 كأنه الوقبة لا ترد شيئاً مما يلقي فيها، / ووقب الفرس وقبا وهو صوت
 قبه، أى وعاء قضيبه، وقيل: صوت تقلقل جردان الفرس فى قبه -
 لأن وعاء جردانه كالوقبة، فهو من اطلاق اسم المحل على ما فيه، والقبة -
 ١٥

٣٧٧ /

(١) من ظ و مد والقاموس، وفى الأصل: وقب (٢) زيد لفظاً من ظ و مد
 ومعنى من القاموس (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: نسبه (٤) من القاموس،
 وفى الأصول: «وه» (٥) من مد، وفى الأصل وظ: يكسفه (٦) فى ظ: لأنه،
 (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد: وقت - كذا (٩) زيد فى الأصل: أى
 ولم تكن الزيادة فى ظ و مد والقاموس فحذفنا (١٠) فى ظ: أنه

[كعدة - ١] : الإنفحة إذا عظمت من الشاة^٢ ، قال ابن الأعرابي :
ولا يكون ذلك في غير الشاة - لأن شبه الإنفحة بالوقبة ظاهر ، والوقبة :
موضع يمد ويقصر ، والوقبي : ماء لبني مازن - لأنه يجمعهم كما تجمع
الوقبة [ما - ٢] فيها ، والأوقاب : قماش البيت كالبرمة والرحيين والعمد -
لأن البيت لها كالوقبة لجمعها ، أو لأنها جامعة^٣ لشمل من فيه ،
والميقب : الودعة ، وأوقب القوم : جاعوا ، أى تهاؤوا لإدخال الطعام
في وقبة الجوف ، وذكر أوقب : ولآج في الهنات - لأنها كالأوقاب أى
الحفر . والوقب : الإقبال والمجيء ، وهو سبب الجمع .

ووقب^٤ - كوعد ووجل وورث وبقا^٥ وموبقا^٦ : هلك ، أى
١٠ وقع في [وقبة ، أى - ٢] حفرة^٧ كاستوبق ، وكجلس : المهلك
والمحبس ، وواد في جهنم ، وكل شيء حال بين شيئين - لأن الوقبة
تحول بين ما فيها وبين غيره . ومنه قيل للواعد : موبق ، وأوبقه :
حبسه أو أهلكه^٨ .

ومن مهموزه : أبق العبد - كسمع وضرب ومنع^٩ - أبقا

(١) زيد من ظ و مد والقاموس (٢) من مد والقاموس ، وفي الأصل وظ :
الشيء (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، وفي الأصل : جمعها ، وفي مد :
بجمعها (٥) من مد ، وفي الأصل وظ : طامعة (٦) من مد والقاموس ، وفي
الأصل وظ : وقب (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من مد (٨) من ظ و مد ،
وفي الأصل : حفر (٩) في مد : هلكه (١٠) من ظ و مد والقاموس ، وفي
الأصل : منه .

ويحرك - وإيقا - ككتاب: ذهب بلاخوف ولا كد عمل، أو استخفي
ثم ذهب - وكل ذلك يرجع إلى جعله كأنه نزل^٢ في وقبة، ومن
شأنه حيثذ أن يخفي، ومنه تأبق: استتر أو احتبس، وتأبق الشيء:
أنكره - لأن سبب الإنكار الحفاء. وتأبق: تأثم، [أى جانب
الإثم-^٣]، فهو لسبب الجمع أو لسبب الهلاك في الوقبة، والأبق - محركة: ه
الغيب - لشبهه لتجويفه بالوقبة، والأبق: قشره - لقوته اللازمة للجمع
أو لأنه خيوط مجتمعة .

ولما قرر سبحانه ما لهم^٤ مع شركائهم، [ذكر حالهم-^٦] في
استمرار جهلهم، فقال تعالى: ﴿ورأى المجرمون﴾^٧ أى العريقون في
الإجرام^٨ ﴿النار﴾ أى ورأوا، ولكنه أظهر للدلالة على تعليق الحكم ١٠
بالوصف ﴿فظنوا﴾ ظنا ﴿انهم واقعوها ولم﴾ أى والحال أنهم
[لم-^٢] ﴿يجدوا عنها مصرفاً﴾ أى مكانا ينصرفون إليه، فالموضع موضع
التحقق، ولكن ظنهم جرياً على عادتهم فى الجهل كما قالوا "اتخذ الله
ولدا" بغير علم "وما اظن ان تبيد هذه ابدا"، "وما اظن الساعة
قائمة"، "ان نظن الاظنا وما نحن بمستيقنين" مع قيام الأدلة التى ١٥
لا ريب فيها .

ولما كان الكلام فى قوة أن يقال: صرفنا هذه الأخبار بما أشارت

- (١) من ظ ومد والقاموس، وفى الأصل «و» (٢) من مد، وفى الأصل:
ترك، وفى ظ: يزل (٣) زيد من ظ ومد (٤-٤) فى ظ: حالهم (٥) من مد،
وفى الأصل وظ: من (٦) زيد من مد (٧-٧) سقط ما بين الرهين من ظ .
(٨) من ظ ومد، وفى الأصل: ربما .

إليه من الأسرار الكبار، فقامت دلائل الشريعة الجلائل، وأضاءت
 بها جواهر المعاني الزواهر. عطف على ذلك: ﴿ ولقد صرفنا ﴾ أي
 بما لنا من العظمة^١. ولما كانت هذه السورة في وصف الكتاب،
 اقتضى الاهتمام به تقديمه في قوله تعالى: ﴿ في هذا القرآن ﴾ أي القيم
 ٥ الذي لا عوج فيه،^٢ مع جمعه للمعاني ونشره الفارق بين الملابس^٣
 ﴿ للناس ﴾ أي المزلزلين فضلا عن الثابتين^٤ ﴿ من كل مثل ﴾ أي
 حولنا الكلام وطرقاته في كل وجه^٥ من وجوه المعاني وأبناؤه من
 العبارات الرائقة، والأساليب المتناسقة، ما سار بها في غرابته كالثلث،
 يقبله كل من يسمعه، وتضرب به آباط^٦ الإبل في سائر البلاد، بين
 ١٠ العباد، فتبشر به قلوبهم، وتلهج^٧ به ألسنتهم، فلم يقبلوه وجادلوا فيه؛
 ثم نبه على الوصف المقتضى لذلك بقوله تعالى: ﴿ وكان الانسان ﴾
 الذي جعل خصيما وهو آنس بنفسه جبلة وطبعا^٨ ﴿ أكثر شيء ﴾ أو ميز
 الأكثرية بقوله تعالى: ﴿ جدلاه ﴾^٩ لأنه لم ينته عن الجدل بعد هذا البيان،
 الذي أضاء جميع الأكوان^{١٠}.

١٥ ولما بين إعراضهم، بين موجه عندهم فقال: ﴿ وما منع ﴾ أو لما
 كان / الناس تبعا لقريش قال: ﴿ الناس ﴾ أي الذين جادلوا بالباطل،
 الإيمان - هكذا كان الأصل، ولكنه عبر عن هذا المفعول الثاني بقوله تعالى:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: وجوه.
 (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: الآباط (٤) في ظ: بهج.

(ان يؤمنوا)^٢ ليفيد التجديد و ذمهم على الترك^١ (اذ)^٣ أى حير^٤
 (جاءهم الهدى) بالكتاب على لسان الرسول . و عطف على المفعول
 الثانى - معبرا بمثل ما مضى^٢ لما مضى^٢ - قوله تعالى^١: (و يستغفروا ربهم)
 أى^٦ المحسن إليهم .

^٥ و لما كان الاستثناء مفرغا، أتى بالفاعل فقال تعالى^٢: (الآ ان)^٥
 أى^٦ طلب أن (تاتيهم سنة الاولين) فى إجابتهم إلى ما اقترحوه على
 رسلمهم ، المقضى للاستصال لمز استمر على الضلال ،^٧ و من ذلك طلبهم
 أن يكون النبي^٨ ملكا ، و ذلك تقمة فى صورة^٩ نعمة و^{١٠} إتيان بالعذاب^{١١}
 دبرا ، أى مستورا (او) طلب أن (ياتيهم العذاب قبلا) أى مواجهة
^{١٢} و معاينة و مشاهدة من غير ستر له^{١٢} ، هو فى قراءة من كسر القاف و فتح^{١٠}
 الباء^{١٣} واضح ، من قولهم : لقيت فلانا قبلا ، أى معاينة ، و كذا فى
 قراءة من ضمهما^{١٤} ، من قولهم : أنا آتيك قبلا لا دبرا ، أى^{١٥} مواجهة

(١) فى ظ : من ان (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣-٣) سقط ما بين
 الرقين من مد (٤) العبارة من «عطف على» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) فى ظ :
 من ان يستغفروا (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى «أى مستورا»
 ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل : الشىء (٩) من مد ، وفى الأصل :
 وصول (١٠-١٠) من مد ، وفى الأصل : ايتاونا لعذاب - كذا (١١) العبارة
 من هنا إلى «الاولين فعنناه» ساقطة من ظ (١٢) زيد بعده فى الأصل وفى
 نسخة أخرى من مد - من نفس النكتية و نفس الخط و قد ترجع إليها عند
 اشتداد الحاجة - : فى سنة الاولين ، و لم تكن الزيادة فى مد فخذفناها (١٣) راجع
 نثر المرجان ٤ / ١٥٥ (١٤) من مد ، وفى الأصل : ضمها (١٥) سقط من مد .

من جهة وجهك^١ لا من جهة قفاك، قال تعالى "ان كان قبضه
 قد من قبل"^٢، ويصح أن يراد بهذه القراءة الجماعة، لأن المراد بالعذاب
 [الجنس -^٣] أي يأتهم أصنافا مصنفة صنفا صنفا ونوعا نوعا، وقد
 مضى في الأنعام يانه، وهذا الشق قسيم^٤ الإتيان بسنة الأولين، فعناه:
 ٥ من غير أن يجابوا إلى^٥ ما اقترحوا كما تقدم في التي قبلها "فأبى أكثر
 اناس الاكفورا وقالوا لن نؤمن لك - إلى قوله تعالى: أو تسقط السماء
 كما زعمت علينا كسفا"^٦ - الآية^٧؛ وهذه الآية من^٨ الاحتياك: ذكر
 "سنة الأولين" أولا يدل على ضدها ثانيا، و ذكر المكاشفة ثانيا يدل
 على المساترة أولا.

١٠ ولما كان ذلك ليس إلى الرسول، إنما هو إلى الإله. بينه^٩ بقوله
 تعالى: ﴿وما نرسل﴾ على ما لنا من العظمة التي لا أمر لاحد معنا
 فيها ﴿المرسلين الا مبشرين﴾ بالخير على أفعال الطاعة ﴿ومندرين ج﴾
 بالشر على أفعال المعصية، فيطلب منهم الظالمون من أممهم ما ليس إليهم^{١٠}
 من فصل الأمر ﴿ويجادل الذين كفروا﴾ أي يجددون الجدل كلما

(١) زيد بعده في الأصل: اي، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (٢) - سورة ١٢
 آية ٢٦ (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفي الأصل: ان (٥-٥) من مد، وفي
 الأصل: السق قيم - كذا (٦) زيد في الأصل: غير، ولم تكن الزيادة في ظ
 و مد لحذفها (٧) سورة ١٧ آية ٨٩-٩٢ (٨) العبارة من هنا إلى «المساترة أولا»،
 ساقطة من ظ (٩) من مد، وفي الأصل: لمن (١٠) سقط من مد (١١) في
 مد: كما.

أتأم أمر من قبلنا ﴿ بالباطل ﴾ من قولهم : لو كنتم صادقين لآتيتم بما نطلب^١ منكم ، مع أن [ذلك - ٢] ليس كذلك لأنه ليس لأحد غير الله من الأمر شيء^٢ ﴿ ليدحضوا ﴾ أى ليزلقوا فيزيلوا و يطلوا ﴿ به الحق ﴾ الثابت من المعجزات المثبتة لصدقهم .

ولما كان لكل مقام مقال ، و لكل مقال [حد و - ٤] حال ، فأتى فى هـ الجدل بصيغة الاستقبال ، و كان اتخاذ الاستهزاء أمرا واحدا ، أتى به ماضيا فقال تعالى : ﴿ و اتخذوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أن أخذوا ﴿ ايتى ﴾ بالبشارات التى هى المقصودة بالذات لكل ذى روح ﴿ و ما أنذروا ﴾ من آياتى ،^٥ نبي للفعول لأن الفاعل معروف و الخيف الإندار^٦ ﴿ هزواه ﴾ مع^٦ بعدها جدا عن ذلك ، فلا بالرغبة أطاعوا . و لا للرهبة ارتاعوا ، فكانوا شرا ١٠ من البهائم .

٥ ولما حكى عنهم هذا الجدل ، و الاستهزاء و الضلال ، وصفهم بما يوجب الحزى فقال - عاطفا على ما تقديره^٥ : فكانوا بذلك أظلم الظالمين : ﴿ و من أظلم ﴾ منهم - استفهاما على سبيل التقرير^٥ ، و لكنه أظهر للتنبيه على الوصف الموجب للانكار على من شك فى أنهم أظلم . ١٥ فقال تعالى : ﴿ بمن ذكر ﴾^٥ أى من أى مذكر كان^٥ ﴿ بايت ﴾ أى علامات ﴿ زيه ﴾ المحسن إليه بها ؛ قال الأصهباني : و هذا من أفصح

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطلب (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد : شيئا .
(٤) زيد من ظ (هـ-ه) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعد .

التقرير أن يوقف الرجل على ما لا جواب له فيه إلا الذي يريد خصمه .
 ولما كان التذكير سبباً^١ للاقبال فعكسوا فيه / قال تعالى^٢ :
 (فاعرض عنها) تاركاً لما يعرف من تلك العلامات العجيبة^٣ وما يوجه
 ذلك [الإحسان -^٤] من الشكر (ونسى ما قدمت يده^٥) من الفساد
 ٥ الذي هو عارف - لو صرف عقله إلى الفكر فيما ينفعه - أن الحكمة تقتضى
 جزاءه عليه ، وأفرد الضمير في جميع هذا على لفظ " من " إشارة إلى
 أن من فعل مثل هذا - ولو أنه واحد - كان هكذا ، والاحسن أن يقال :
 إنهم لما كانوا قد سألوا اليهود عن صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما
 أشير إليه عند^٦ " . يستلونك عن الروح^٦ " فأمرهم بسؤاله عما جعلوه
 ١٠ أمانة على صدقه ، فلم يؤثر ذلك فيهم ، واستمروا بعد إخباره بالحق على
 التكذيب ، شرح حالهم بالتعقيب بالفاء ، فكان المعنى : من أظلم منهم ،
 لأنهم ذكروا فأعرضوا ونسوا ما اعتقدوا أنه دليل الصدق ، وأنه
 لا جدال بعده ،^٧ وسيأتى لموقع الفاء في آخر السجدة مزيد^٨ بيان ،
 وإسناد الفعل في الإعراض وما بعده إليهم حقيقة بما لهم من [الكسب
 ١٥ كما أن إسناد الجعل وما بعده إلى الله حقيقة بما له من -^٩] الخلق .
 ولما كان كأنه قيل : ما لهم فعلوا ذلك ، أمجهل قبح هذا أحد ؟ قيل :

(١) في مد : مسبباً (٢) العبارة من « قال الأصمعي » إلى هنا ساقطة من ظ -
 (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : عنه -
 (٦) سورة ١٧ آية ٨٥ (٧) العبارة من هنا إلى « الخلق » ساقطة من ظ (٨) سقط من
 مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من مد .

(انا جعلنا) بما لنا من القدرة ' على إعماء البصائر و الأَبصار
 (على قلوبهم) لجمع رجوعا إلى أسلوب " واتخذوا آيتي " لأنه أنص على
 ذم كل واحد (اكنة) ° أى أعطية ' مستعلة عليها استعلاء يدل سياق
 العظمة على أنه لا يدع شيئا من الحيز يصل إليها، فهي لا تعى شيئا من
 آياتنا، و دل بتذكير الضمير على أن المراد بالآيات القرآن فقال تعالى : هـ
 (ان) أى كراهة أن (يفقهوه) أى يفهموه (و فى اذنانهم وقرا)
 أى ثقلا فهم لا يسمعون حق السمع، ولا يعون حق الوعى (و ان تدعهم)
 أى تكرر دعاهم ٢ كل وقت (الى الهدى) لتنجيهم بما عندك من
 الحرص على ذلك و الجد (فلن يهتدوا) أى كلهم بسبب دعائك
 (اذا) أى إذا دعوتهم (ابداه) لأن من له العظمة التامة - و هو ١٠
 الذى إذا عبر عن نفسه بنونها كانت على حقيقتها - حكم عليهم بالضلال،
 أى أنه لا يكون الدعاء وحده هاديا لأكثرهم، بل لا بد معه من السيف
 كما سنأمرك به فقطع الرؤوس فيذل غيرهم ٩، و قد يكون المراد أن
 من كان هكذا معاندا على هذا الوجه كان ١ مؤبدا الشقاء، و قد نفي

(١) العبارة من هنا إلى « و الأبصار » ساقطة من ظ (٣) فى مد: العظمة .
 (٣) زيد فى الأصل و ظ : كل ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) تأخر
 مع الكلمتين التاليتين فى الأصل عن « من آياتنا » و الترتيب من ظ و مد .
 (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد
 بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : لانه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عزهم ، و العبارة من بعده
 إلى « أو التفويض » ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل : كما .

آخر هذه الآية الفعل عن العباد و اثبتة لهم اولها ، و قلما نجد في القرآن آية تسند الفعل إليهم إلا قارنتها أخرى تثبتة لله و تنفيه عنهم ، ابتلاء من الله لعباده ليميز الراسخ - الذي ينسب للكافرين الكسب^١ المفيد لآثر التكليف ، و لله الخالق المفيد لانه سبحانه لا شريك له في خلقه و لا غيره - من الطائش^٢ الذي يقول بالجبر^٣ أو التفويض .

و لما كان هذا مقتضيا لاخذهم ، عطف على ما اقتضاه السياق بما ذكرته من العلة قوله تعالى : ﴿ و ربك ﴾ مشيرا بهذا الاسم إلى ما اقتضاه الوصف من الإحسان بأخذ من يأخذ منهم و إمهال غيره لحكم دبرها ؛ ثم أخبر عنه بما ناسب ذلك من أوصافه فقال : ﴿ الغفور ﴾ ١٠ أى هو وحده الذى يستر الذنوب إما بمحوها و إما بالحلم^٤ عنها إلى وقت ﴿ ذو الرحمة ﴾ أى^٥ [الذى -^٦] يعامل - و هو قادر - مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالإكرام^٧ ؛ ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ أى هؤلاء الذين^٨ عادوك و آذرك ، و هو عالم بأنهم لا يؤمنون لو يعاملهم معاملة المؤاخذ ﴿ بما كسبوا ﴾ حين كسبهم ١٥ ﴿ لعجل لهم العذاب^٩ ﴾ واحدا بعد واحد ، و لكنه لا يعجل لهم ذلك ﴿ بل لهم موعد ﴾ يحله^{١٠} بهم فيه ،^{١١} أو دل على أن مواعده ليس كموعده غيره

(١) في مد : الكسب - كذا (٢) من مد ، وفي الأصل : الطاش (٣) من مد ،
 وفي الأصل : بالخير (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : بالحكم (٥) سقط من
 ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 الذى (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : محله - كذا (١٠) العبارة من هنا =

من العاجزين بقوله دالا على كمال قدرته: ﴿ لن يجدوا من دونه ﴾ [أى - ١] الموعد ﴿ موتلاه ﴾ أى ملجأ ينجيهم منه ، فاذا [جاء - ١] موعدم أهلكتناهم فيه بأول ظلمهم ، آخره .

ولما كانت هذه سنته^٢ في القرون الماضية و الأمم الخالية ، قال
 ٣٨٠ / تعالى عاطفا على قوله " لهم موعد " مروعا لهم بالإشارة إلى ديارهم ه
 المصورة لدمارهم^٣ : ﴿ وتلك القرى ﴾ أى الماضية من عاد و ثمود
 و مدين و قوم لوط و أشكالهم^٤ ﴿ اهلككنهم ﴾ أى حكمتنا باهلاكهم بما لنا
 من العظمة ﴿ لما ظلموا ﴾ أى أول ما ظلموا ، أو أهلكتناهم بالفعل
 حين ظلمهم لكن لا فى أوله . بل أمهلناهم إلى حين تناهى و بلوغه
 الغاية ، فليحذر هؤلاء مثل ذلك^٥ ﴿ وجعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة^٦ .
 ١٠ ﴿ لهلكهم ﴾ أى إهلاكهم بالفعل ﴿ موعداء ﴾ أى وقتا نخلف بهم فيه
 و مكانا لم نخلفه^٧ ، كما أنا^٨ جعلنا لهؤلاء موعدا فى الدنيا بيوم بدر و الفتح
 و حين و نحو ذلك . و فى الآخرة لن نخلفه^٩ ، وكذا كل أمر يقوله^{١٠}
 نبي من الأنبياء عنا لا يقع " فيه خلف " و إن كان يجوز لنا ذلك ، بخلاف
 ما يقوله من نفسه غير مسند إلينا فإنه يمكن وقوع الخلف فيه^{١١} ، كما ١٥

= إلى قوله « كمال قدرته » - ساقطة من ظ .

- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ستة (٣-٣) سقط ما
 بين الرقيين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل « و » .
 (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يخلف (٧) من مد ، وفى الأصل : لم يخلفه .
 (٨) من مد ، وفى الأصل : ان (٩) العبارة من « و مكانا » إلى هنا ساقطة من
 ظ (١٠) زيد فى مد : من نفسه غير مسند إلينا (١١-١١) فى ظ : الخلف فيه .

وقع في الوعد بالإخبار عن هذه المسائل التخلف أربعين ليلة أو ما دونها على حسب فهمهم أن "غدا" على حقيقته .

ولما قدم الكلام على البعث ، واستدل عليه بإبتداء الخلق ، ثم ذكر بعض أحواله ، ثم عقبه بما ضرب لذلك وغيره من الأمثال ، وصرف من وجوه الاستدلال ، وختم ذلك بأنه يجهل عند المساءة ، عقب ذلك بأنه كذلك يفعل عند المرة ، فلكل شيء عنده كتاب ، وكل قضاء بقدر و حساب ، فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما اتفق له في طلبه ، وجعله سبحانه له الخوت آية و موعدا للقاته ، ولو أراد سبحانه لقرب المدى ولم يجرح^١ إلى عناء ، مع ما فيها من الخارق^٢ الدال على البعث ، ومن الدليل على أن من ثبت فضله [وعله -^٢] لا يجوز أن يعترض عليه إلا من كان على ثقة بما يقوله من ربه و'لا أن' يمتحن ، [و -^٢] من الإرشاد إلى ذم الجدل بغير علم ، ووجوب الانقياد للحق عند يانه ، وظهور برهانه ، و من إرشاد من استنكف أن يجالس فقراء المؤمنين بما اتفق لموسى عليه السلام من أنه - وهو كليم الله - اتبع الخضر عليه السلام ليقبس من عله ، و من تبكيت اليهود^٣ بقولهم لقريش لما أمرهم بسؤال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم إن (١) من ظ و مد ، و في الأصل : لم يخرج (٢) في مد : الحوارق (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) في مد : لان . و في النسخة الأخرى من مد مثل ما في الأصل . (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : مع (٦) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .

لم يخبركم فليس بنبي ، الموم للعرب الذين لا يعلمون شيئا أن من شرط النبي^١
 [أن لا -^٢] يخفى عليه شيء ، مع^٣ ما يعلمون من أن موسى عليه
 السلام خفى عليه جميع^٤ ما فعله الخضر عليه السلام ، وإلى نحو هذا
 أشار الخضر عليه السلام بقوله إذ وقع العصفور على حرف السفينة و نقر
 من البحر نقرة أو نقرتين : ما نقص على و عليك يا موسى من علم الله ٥
 إلا كما نقص هذا العصفور من البحر . و باعلامهم^٦ بما يعلمونه من أن موسى
 عليه السلام جعل نفسه تابعا للخضر عليه السلام ، تكذيبا لهم في ادعائهم
 أنه ليس أحد أعلى من موسى عليه السلام في وصف من الأوصاف ،
 و أنه لا ينبغي لأحد اتباع غيره ، و من جوابهم عما لعلهم يقولون للعرب
 بهتاء^٧ و حسدا لو كان نبيا ما قال : أخبركم غدا ، و تأخر عن ذلك ، بما ١٠
 اتفق لموسى في وعده الخضر عليهما السلام بالصبر ، و بما خفى عليه بما
 اطلع عليه الخضر عليهما السلام ، فقال تعالى عاطفا على قوله سبحانه ” و إذ
 قلنا للشككة “ : (و إذ) أى و اذ كر لهم حين^٨ (قال موسى) أى ابن عمران
 المرسل إلى بنى إسرائيل ، أى [قوله -^٩] الذى كان فى ذلك الحين^٩ (لفته)
 يوشع بن نون عليهما السلام : (لا ابرح) أى لا أزال سائرا^{١٠} فى طلب ١٥
 العبد الذى أعلى ربي بفضلته - كما دل عليه ما بأتى (حتى ابلغ مجمع البحرين)

- (١) زيد فى الأصل : صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) تكرر ما بين الرقين فى الأصل فقط (٤) فى مد :
 باعلامه ، وفى نسخة أخرى من مد مثل ما فى الأصل وظ (٥) من مد ، وفى الأصل :
 تهما ، وفى ظ : بهتاء - كذا (٦) فى ظ : اذا (٧) سقط من ظ (٨) زيد من مد .
 (٩) العبارة من « أى قوله الذى » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠-١٠) سقط ما بين
 الرقين من ظ .

'أى ملتقاهما و موضع اختلاطهما الذى سبق / إليه فهمى ، فتعينت البداية به 'فألقاه ثم' (او امضى حقاؤه) إن لم أظفر بمجمع البحرين الذى جمعه ربي موعدا [لى فى لقائه - ٢] ؛ و الحقب - قال فى القاموس - ثمانون سنة أو أكثر و الدهر و السنة أو السنون - انتهى . وما أنسب التوقيت بمجمع بحرى الماء بمجمع بحرى العلم و تزودهما ، بالتون الذى قرنه [الله - ٥] بالقلم و ما يسطرون ، و عين الحياة لأن العلم حياة القلوب ، فسارا و تزودا حوتا مشويا فى مكثل ' كما أمرا به ' ، فكانا يأكلان منه إلى أن بلغا المجمع (فلما بلغنا مجمع بينهما) أى البحرين ، فلم يكن هناك بين أصلا لصيروتها شيئا واحدا (نسيا حوتها) فلم يعلم موسى عليه السلام شيئا من حاله و نسى أن يسأل عنه ، و علم يوشع عليه السلام ' بعض حاله ' فنى أن يذكر ذلك له (فاتخذ) أى ' الحوت ' معجزة فى معجزة ' (سيله) أى طريقه ' الواسع الواضح ' (فى البحر سرباه) أى ' خرقا فى الماء غير ملتئم ، من السرب الذى [هو - ٢] جحر الوحشى ، و الحفيرة تحت الأرض ، و القناة يدخل منها ' الماء الحائط . و قد ورد فى حديثه فى الصحيح ' أن الله تعالى ' أحياء و أمسك عن ' موضع جريه فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى « حياة القلوب » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : تزودها (٥) زيد من مد (٦) سقط من ظ (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من القاموس ، و فى النسخ : الحفر (٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : منه . (١٠) راجع باب حديث الخضر مع موسى عليها السلام - كتاب الانبياء . (١١-١١) من مد . و فى الأصل : احياء فأمسك ، و فى ظ : أمسك عن .

الماء ، فصار طاقا لا يلتئم . ويوشع عليه السلام ينظر ذلك ، وكان
المجمع كان يمندا ، فظن موسى عليه السلام أن المطلوب أمامه ' أوطن
أن المراد بمجمع آخر فسار ' (فلما جاوزا) ' أى موسى و فناه عليهما
السلام ' ذلك الموضوع 'من المجمع' تعب ، ولم يتعب حتى جاوز المكان
الذى أمر به 'معجزة أخرى' ، فلما جاع و تعب (قال لفته اتنا) ' أى ه
أحضر لنا ' (غدا هنا) ' أى لتتقوى [به - ٢] على ما حصل لنا من الإعياء ،
ولذلك وصل به قوله تعالى : (لقد لقينا من سفرنا) ' أى ' الذى سافرناه
فى هذا اليوم خاصة ، ولذلك أشار إليه بأداة القرب فقال تعالى :
(هذا نصباء) و كان الحوت زادم فلم يكن معه ، فكأنه قيل : فما كان
عن أمره ؟ فقيل : (قال) لموسى عليه السلام ' معجبا له ' : (ارهيت) ١٠
ما دهاني ؟ (اذ اوينآ الى الصخرة) التى بمجمع البحرين (فانى) ' أى ' ٢
[بسبب أنى - ٥] (نسيت الحوت ذ) ' أى نسيت أن أذكر لك أمره الذى
كان هناك ؛ ثم زاد التعجب من هذا النسيان بالاعتراض بين الإخبار به
بجملا و بين تفصيل أمره و بإيقاع النسيان عليه ثم على ذكره فقال تعالى :
(و ما أنسنيه) مع كونه عجيبا (الا الشيطان) يوساوسه . ١٥

و لما كان المقام للتدريب فى عظيم تصرف الله تعالى [فى القلوب - ٥]
بإثبات العلم و نفيه و إن كان ضروريا ، ذكر نسيانه ، ثم أبدل من ضميره

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .

(٤ - ٤) فى ظ : قال (٥) زيد من مد .

قوله تعالى: (ان اذكره ج) لك فانه عاش فانساب من المكتل في البحر (واتخذ سييله)^٢ أى طريقه الذى ذهب فيه^٣ (في البحرىءء عجباؤه) وذكره [له -^٢] الآن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا الإنساء ليس مفوتا لطاعة ، بل فيه ترقية لهما في معارج المقامات العالية لوجدان التعب بعد المكان الذى فيه البغية ، وحفظ الماء منجبايا ٥ على طول الزمان وغير ذلك من آيات الإيقان^٤ ، وقوله تعالى ” انما سلطنه على الذين يتولونه ”^٥ ، مبين أن السلطان الحمل على المعاصى ، وقد كان في هذه [القصة -^٢] خوارق حياة الحوت وإيجاد ما كان أكل منه ، وإمساك الماء عن مدخله ، وقد اتفق لنا صل الله عليه وعلى آله وسلم نفسه أو أتباعه ببركته مثل ذلك .

أما إعادة ما أكل من الحوت المشوى - وهو جنبه - فقد روى البيهقي^٦ في أواخر دلائل النبوة عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الحجفة التي حجها حتى إذا كنا بطن الروحاء - فذكر قصة المرأة التي أبرأ / النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولدها من الجنون إلى أن قال : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حجته^٧ انصرف حتى إذا نزل بطن^٨ الروحاء ١٥ / ٣٨٢

(١) العبارة من « ولما كان المقام » إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) في ظ : الايمان (٥) سورة ١٦ آية ١٠٠ . (٦) بسند حسنه ابن حجر في المطالب العالمة - راجع الخصائص الكبرى ٣٦٦/٢ . (٧) زيدت الواو في النسخ كلها ولم تكن في الخصائص لحذفناها (٨) في ظ ومد : بطن .

أته تلك المرأة بشاة قد شوتها^١، فأمر بأخذ تلك^٢ الشاة منها ثم قال :
يا أسيم - وكان إذا دعاه رنخه^٣ ناولني ذراعا^٤، وكان أحب الشاة^٥ إلى
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مقدهما، ثم قال : يا أسيم !
ناولني ذراعا^٥ ! فاولته^٦، ثم قال^٧ : [يا أسيم^٨ ! ناولني ذراعا^٩ ! فقلت :
يا رسول الله ! إنما هما ذراعان وقد ناولتك^{١٠}، فقال - ^أ] : و الذي نفسى ه
يده لو سكت^{١١} [ما زلت تناولني ذراعا ما قلت لك : ناولني ذراعا - ^أ] . [فقد
أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لو سكت - ^٩] أوجد الله لها ذراعا ثم ذراعا
و هكذا، وقوله الحق الذي لا فرق [بينه - ^٩] وهو في عالم الغيب
و بين ما وجد في عالم الشهادة .

و أما حياة [الحوت - ^٩] المشوى فقد مضى عند^{١٠} " و الله يصمك ١٠
من الناس " ما هو أكبر من ذلك في قصة الشاة المشوية^{١١} المسمومة ،
و هو أن ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [أنه مسموم - ^٩]
فهو أعظم من عود الحياة من غير نطق ، وكذا حنين الجذع^{١٢} ، و سلام
الحجر ، و تسييح الحصا^{١٣} ، و تأمين أسكفة [الباب - ^٩] و حوائط

- (١) و من هنا يطرأ بعض الاختلاف على سياق ما هنا و سياق الخصائص (٢) - سقط
من مد (٣) من الخصائص، و في الأصول : ذراعها (٤) في ظ : الشياه (٥) من مد
و الخصائص ، و في الأصل : ذراعها (٦-٦) في مد : فقال (٧-٧) - سقط ما بين
الرقين من الخصائص (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و الخصائص .
(٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و في الأصل : عنه (١١) سورة آية ٦٧ .
(١٢) راجع الخصائص الكبرى ٧٥/٢ (١٣) راجع الخصائص الكبرى ٧٤/٢ .

البيت^١ ونحو ذلك أعظم من عود الحياة إلى ما كان حيا، فقد روى البيهقي^٢ في الدلائل عن عمرو بن سواد قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه و علي آله و سلم، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى؟ فقال: أعطى محمدا^٣ صلى الله عليه و علي آله و سلم^٤ الجذع - الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هبى له المنبر، فلما هبى له المنبر^٥ حن الجذع حتى سمع صوته - فهذا أكبر من ذلك^٦ - انتهى . على أنه قد تقدم في آل عمران و في آخر البقرة^٧ في قصة إبراهيم عليه السلام أشياء من إحياء الموتى له صلى الله عليه و علي آله و سلم و لبعض أمته .

١٠. و أما آية الماء فرجعها إلى صلابته ، و لا فرق بين جموده بعدم^٨ الالتئام بعد الانخراق و بين جموده و صلابته بالامتاع من الانخراق ، و قد روى البيهقي^٩ في ذلك ما فيه آية من^{١٠} الإحياء بسند منقطع عن

(١) راجع الخصائص الكبرى ٧٧/٢ (٢) و قد أخرجه السيوطي في خصائصه عن البيهقي - راجع ٧٦/٢ و ٧٧ (٣) من الخصائص ، و في النسخ كلها: مجد . (٤) زيد في الخصائص: حين (٥) العبارة من هنا إلى « سمع صوته » ليست في الخصائص (٦) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و مد فحذفناها . (٧) من ظ و اخصائص ، و في الأصل و مد: ذلك (٨) من ظ و مد ، و في الأصل: بعد (٩) و الحديث أخرجه عنه السيوطي في باب آياته صلى الله عليه و سلم في إحياء الموتى و كلامهم - الخصائص الكبرى (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ: في .

أنس رضى الله عنه قال: كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم فأتته امرأة [مهاجرة -^١] ومعها ابن لها [قد بلغ -^٢]
فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء
المدينة فرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
و أمر بمجهازه، [فلما -^٣] أردنا أن نغسله قال: ائت أمه فأعلمها، فجاءت
حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما، ثم قالت: اللهم [إني أسئلت لك
طوعا، و خلعت^٤ الأوثان زهدا، و هاجرت إليك رغبة، اللهم -^٥]
لا تشمت بي عبدة الأوثان، و لا تحماني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي
بحملها، قال: فوالله ما تقضى كلامها حتى حرك قدميه، و أتى الثوب
عن وجهه، [و عاش -^٦] حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم و حتى هلكت أمه؛ ثم جهز عمر بن الخطاب رضى الله عنه -
يعنى جيشا، و استعمل عليه العلاء بن الحضرمي، قال: و كنت في غزاته،
فأتينا مغازينا^٧ فوجدنا القوم قد تدرؤا بنا، فعفوا آثار الماء، قال:
و [كان -^٨] حر شديد، فجهدنا العطش و دوأنا، و ذلك يوم الجمعة
فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين، ثم مد يده و ما نرى في ١٥
السماء شيئا، فوالله ما حط [يده -^٩] حتى بعث الله ريحا و أنشأ سبحا
فأفرغت^{١٠} حتى ملأت الغدر و الشعاب، فشربنا و سقينا^{١١} و استقينا^{١٢}

(١) زيد من الحصائص (٢) زيد من ظ و الحصائص (٣) زيد من ظ
و مد و الحصائص (٤) في مد: جعلت (٥) من الحصائص، وفي الأصل: مغازنا،
وفي ظ و مد: مغارنا (٦) في مد: فرغت (٧-٨) سقط ما بين الرقين من مد.

ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجا في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا على يا عظيم يا حلیم يا كريم^١ ثم قال: أجزوا باسم الله! فأجزنا ما يبيل الماء حوافر دوابنا،^٢ فأصبنا العدو غيلة فقتلنا وأسرننا و سبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته فأجزنا^٣ ما يبيل / الماء حوافر دوابنا . وأخبرنا أبو الحسين ابن بشران أنا إسماعيل الصفار نا الحسين بن علي بن عفان [أنبانا - ٣] ابن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه ، قال : اتھينا إلى دجلة وھي مادة ، و الأعاجم خلفھا ، فقال رجل من المسلمین : بسم الله ، ثم أقحم فرسه فاندفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله بسم الله ، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء ، فلما نظر إليهم [الأعاجم - ٤] قالوا : ديوان^٥ ديوان ، ثم ذهبوا على وجوههم ، فما فقدوا إلا قدحا كان معلقا بعذبة سرج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقسموها . أخبرنا أبو عبد الرحمن السلي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد السمذی^٦ ثنا أبو العباس السراج ثنا الفضل بن سهل وھارون بن عبد الله قالا : ثنا سليمان بن المغيرة^٧ أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى الدجلة وھي ترمي بالحشب^٨ من مداها ، فمشى على الماء و التفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا

/ ٣٨٣

٥

١٠

١٥

(١) ومن هنا يتغير السياق عما في الخصائص (٢) في ظ : و اجزنا (٣) زيد من ظ ومد إلا أن في الأول : ثنا ، و ابن نمير هو عبد الله بن نمير يروي عنه الحسن ابن علي بن عفان العاصري (٤) زيد من مد (٥) كلمة فارسية معناها الشياطين - راجع الأخبار الطوال ١٢٦ (٦) من ظ ومد والأنساب ٢١٦/٧ ، وفي الأصل : السميدى (٧) زيد في الخصائص ٢/ ٢٨٣ : عن حميد (٨) من الخصائص ، وفي النسخ كلها : الحشب (٩) في مد : في

فندعو الله^١ - قال البيهقي : [هذا - ٢] [إسناد صحيح .

وفي هذا الأمر من هذه القصة قاصمة للسائلين والأمين لهم
بالسؤال ، لأن المراد - والله أعلم - أن هذا الأمر وقع لني هؤلاء
المضلين ، فرّ قريشا^٢ أن يسألوه عن هذه القصة ، فإن أخبروهم^٣ عنها
بمثل ما أخبرتهم فصدقوهم ، لزمهم أن يؤمنوا بالبعث لأمر هذا الحوت^٤
الذي أحياه الله بعد أن كان مشويا و صار كثير منه في البطون ، وإن
لم يصدقوهم^٥ في هذا و صدقوهم في غيره مما يتعتون به عليك فهو تحكم .
وإن كانوا يتهمونهم في كل أمر كان سؤالهم [لهم - ٦] عبثا ، ليس [من - ٦]
أفعال من يعقل ، فكأنه قيل : [فما - ٧] قال موسى حينئذ ؟ فقيل :
(قال)^٨ منها على أن ذلك ليس من الشيطان ، وإنما هو إغفال^٩ ١٠
من الله تعالى بغير واسطة ليجدا^{١١} العلامة التي أخبره الله بها كما قال النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إني لأنسى - أي^{١٢} ينسني الله تعالى - لأسن^{١٣}) :
(ذلك) أي^{١٤} الأمر العظيم من^{١٥} فقد الحوت (ما كنا نبغ^{١٦})

(١) زيد في الخصائص : فيرده (٢) زيد من ظ (٣) من مد ، وفي الأصل
و ظ : قريش (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : أخبرهم (٥-٥) من ظ
و مد ، وفي الأصل : تصدقوهم (٦) زيد من مد (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) العبارة من هنا إلى «أسن» ساقطة من ظ (٩) من مد ، وفي الأصل : ليجدوا .
(١٠) من مد ، وفي الأصل : ان ؛ والحديث قد ذكره الإمام مالك في الموطأ في
باب العمل في السهو من كتاب الصلاة و أفظه : إني لأنسى أو أنسى لأسن .
(١١) زيد بعده في الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها .
(١٢-١٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .

١ أى تريد من هذا الأمر المغيّب عنا^١، فإن الله تعالى جملة موعداً لى^٢ فى لقاء الخضر (فارتدا على^٣ آثارهما) يقصانها (قصصاً) وهذا يدل على أن الأرض كانت رملاً، لا^٤ علم فيها، فالظاهر - والله أعلم - أنه مجمع النيل والملح الذى عند دمياط، أو رشيد من بلاد مصر، ويؤيده نقر العصفور فى البحر الذى ركبا فى سفينه للتغذية - كما فى الحديث،

فان الطير لا يشرب من الملح،^٥ ومن المشهور فى بلاد رشيد أن الأمر كان عندهم. وأن عندهم سمكا ذاهب الشق يقولون: إنه من نسل تلك السمكة - والله أعلم. فاستمرا بقصان حتى انتهيا إلى موضع فقد الحوت (فوجدوا عبداً من عبادنا) مضافاً إلى حضرة عظمتنا^٦ وهو الخضر

١٠ عليه السلام (اتينيه) بعظمتنا^٧ (رحمة) أى وحياً ونبوة، وكونه نبياً قول^٨ الجمهور (من عندنا) أى بما لم يجر على قوانين العادات غير

أنه ليس بمستغرب عند أهل الاصطفاء^٩ (وعلمته من لدنا) أى من الأمور المستبطنة المستغربة التى عندنا^{١٠} لم يحدث عن الأسباب المعتادات، فهو مستغرب عند أهل الاصطفاء (علماء) قدفناه فى قلبه بغير واسطة؛

١٥ [و - ١] قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى: 'عند' فى لسان العرب لما ظهر، و'لدى' لما بطن، فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخفى المعلوم قطعاً أنه^{١١} خاص بحضرة سبحانه، فأهل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: الى (٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ (٥) العبارة من هنا الى «الجمهور» ساقطة من ظ (٦) من مد، وفى الأصل: قاله (٧) زيد فى ظ: نبوة ووحيا (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بما. (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ: بانه (١١) العبارة من هنا الى «هو العلم اللدنى» ساقطة من ظ.

٣٨٤/

التصوف سوا العلم بطريق المكاشفة العلم اللدني، فاذا سعى العبد في الرياضات
 يزين^١ الظاهر بالعبادة، و تتخلى النفس عن الاخلاق الرذيلة، و تتحلى
 بالأخلاق / الجميلة، و تصير القوى الحسية و الخيالية و الوهمية في غاية
 القوة، [و حينئذ تصير القوة -^٢] العقلية قوية^٣ [صافية، و ربما كانت
 النفس بحسب أصل الفطرة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق -^٤] بالحوادث ه
 البدنية، شديدة الاستعداد لقبول الأمور الإلهية، فتشرق فيها الأنوار
 الإلهية و تفيض عليها من عالم القدس على وجه الكمال فتحصل^٥ المعارف
 و العلوم من غير تفكير و تأمل، فهذا هو العلم اللدني .

ثم أورد سبحانه و تعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير
 سؤال سائل عن كل كلام يرشد^٦ إليه ما قبله، و ذلك أنه من المعلوم ١٠
 أن الطالب للشخص^٦ إذا لقبه كله، لكن لا يعرف عين ذلك الكلام
 فقال لمن كأنه سأل عن ذلك: ﴿ قال له موسى ﴾^٧ طالبا منه على سبيل
 التأدب و التلطف باظهار ذلك في قالب الاستئذان^٧: ﴿ هل اتبعك ﴾
^٧ أى اتباعا بليغا^٧ حيث توجهت؛ و الاتباع: الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد
 كونه^٨ آتيا به^٨؛ و بين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله^٩: ﴿ على^٩ ان تعلمن ﴾ ١٥

(١) زيد في مد: من (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل: القوية .

(٤) - (٤) من مد، و في الأصل: لتحصل (٥) من ظ و مد، و في الأصل: يرسل .

(٦) من ظ و مد، و في الأصل: لتشخص (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من

ظ (٨-٨) من مد، و في الأصل: آتيانه (٩) العبارة من « و الاتباع الإتيان » إلى

هنا ساقطة من ظ .

'وزاد في التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال: ﴿بما علمت﴾ وبناه للفعول لعلم المخاطبين - لكونهم من الخالص - بأن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وللإشارة إلى سهولة كل أمر على الله عز وجل ﴿رشداه﴾ أى علمًا يرشدني إلى الصواب فيما أقصده، ولانقص في تعلم نبي من نبي حتى يدعى أن موسى هذا ليس موسى بن عمران عليه السلام فانه قد ثبت كونه ابن عمران في الصحيح، و أتى صلى الله عليه و على آله و سلم في سؤاله [له - ٢] بهذه الأنواع من الآداب و الإبلاغ في التواضع لما^٢ هو عليه من الرسوخ في العلم، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان عليه بما فيها من البهجة و السعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، فكان تعظيمه^٤ لأرباب العلوم أكمل .

و لما آتم العبارة عن السؤال، استأنف جوابه [له - ٢] بقوله تعالى: ﴿قال﴾ أى^٦ الخضر عليه السلام: ﴿انك لن تستطيع﴾ يا موسى ﴿معى صبراه﴾ أى^٦ هو من العظمة على ما أريد لما بحثك على عدم الصبر من ظاهر الشرع الذى أمرت [به - ٢]، فالتنوين للتعظيم بما تؤذن به^٦ تاء الاستفعال^٨، و أكد لما في سؤال موسى عليه السلام من التلطف المؤذن بأنه يصبر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفي الأصل: كما (٤) من مد، وفي الأصل: تعظيماً (٥) العبارة من «ولانقص» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) سقط من مد (٧) زيد من ظ و مد، والعبارة من بعده إلى «من التعلم» ساقطة من ظ (٨-٨) من مد، وفي الأصل: بالاستفعال .

عليه و لا يخالفه في شيء أصلا . و يؤخذ منه أن العالم إن رأى في التغليظ على المتعلم^١ ما يفيد نفعا و إرشادا إلى الخير كان عليه ذكره ، فإن السكوت عنه بوقوع المتعلم في الغرور و النخوة ، و ذلك يمنعه من التعلم .

و لما كان المقام صعبا جدا لأنه بالنسبة إلى أوامر الله تعالى ، بينه ه على وجه أبلغ من نفي الأخص ، وهو الصبر البليغ ، بالتعجب من مطلق [الصبر - ٢] معتذرا عن موسى في الإنكار . و عن نفسه في الفعل . بأن ذلك بالنسبة إلى الظاهر و الباطن ، فقال عاطفا على ما تقدّمه : فكيف تتبعني الاتباع البليغ^٢ : ﴿ وكيف تصبر ﴾ يا موسى ﴿ على ما لم تحط به خيرا ﴾ أي من جهة العلم به ظاهرا و^٣ باطنا ، فأشار بالإحاطة إلى أنه كان يجوز أن يكون على صواب ، و لكن تجوزا لا يسقط عنه وجوب الأمر ، و يجوز أن يكون هذا تعليلا لما [قبله - ٧] ، فيكون الصبر الثاني هو الأول . و المعنى أنك لا تستطيع [الصبر الذي أريده - ٧] لأنك لا تعرف^٤ فعلى^٥ ما هو عليه فقرأه فاسدا ﴿ قال ﴾ أي^٦ موسى عليه السلام . آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ، إرشادا لما ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله له^٧ ١٥

(١) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها (٢) زيد من ظ ومد . (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « و باطنا » - اقطعة من ظ (٥) من مد ، و في الأصل : او (٦) العبارة من هنا إلى « فقرأه فاسدا » - اقطعة من ظ (٧) زيد من مد (٨-٨) من مد ، و في الأصل : فعل (٩) سقط من ظ .

'و النفع / به' : ﴿ مستجدين ﴾ فأكد الوعد بالسين ؛ ثم أخبر عنه سبحانه أنه قوى تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى 'لعله بصعوبة الأمر' على الوجه الذي تقدم الحث عليه في هذه [السورة - ٤] في قوله تعالى "ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ" - الآية . ليعلم أنه 'منهاج الانبياء و سبيل الرسل . فقال تعالى : ﴿ ان شاء الله ﴾ أي الذي له صفات الكمال' ﴿ صابرا ﴾ على ما يجوز الصبر عليه ؛ [ثم - ٤] زاد التأكيد بقوله 'عظفا بالواد على "صابرا" لبيان التمكن في كل من الوصفين' : ﴿ ولا أعصى ﴾ أي وغير عاص' ﴿ لك امراء ﴾ تأمرني به غير مخالف 'لظاهر أمر' الله ﴿ قال ﴾ أي 'الحضر عليه السلام : ﴿ فان اتبعني ﴾ يا موسى 'اتباعا بليغا' ١٠ ﴿ فلا تستلني عن شيء ﴾ أقوله أو أفعله ﴿ حتى آحدث لك ﴾ خاصة '﴿ منه ذكرا ﴾ ﴿ بين لك وجه صوابه ، فاني لا أقدم على شيء إلا وهو صواب جائز في نفس الأمر و إن كان ظاهره غير ذلك .

و لما تشارطا وتراضيا على الشرط سبب قوله تعالى ١ : ﴿ فانطلقا رقتا ﴾

١٥ 'أي موسى والحضر عليهما السلام' على الساحل . يظلبان سفينة يركبان فيها واستمرا ﴿ حتى آ اذا ركبا في السفينة ﴾ 'و أجاب الشرط بقوله تعالى ١ : ﴿ خرقها ﴾ و عرفها لإرشاد السياق بذكر مجمع البحرين إلى أن

(١-١) - سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : توكيده .

(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : البحث (٤) زيد من ظ و مد (ه-ه) - سقط

ما بين الرقنين من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : انها (٧-٧) في

ظ : لامر (٨) سقط من ظ .

انطلاقهما [كان - '] لطلب سفينة، فكانت لذلك كأنها مستحضرة في
الذهن، ولم يقرن " خرق " بالفاء لأنه لم يكن مسيا عن الركوب
ولا كان في أول أحيائه؛^١ ثم استأنف قوله تعالى^٢: ﴿ قال ﴾ أي موسى
عليه السلام، منكرًا لذلك لما في ظاهره من الفساد باتلاف المال المفضي
إلى فساد أكبر منه باهلاك النفوس، [باسيا - '] لما عقد على نفسه لما دهمه ه
بما عنده من الله - وهو الإله العظيم - من العهد الوثيق المكرر في جميع
أسفار التوراة بعد إثباته في لوحى الشهادة في العشر كلمات؛ التي نسبتها
من التوراة كنسبة الفاتحة من القرآن بالأمر القطعى أنه لا يقر على
منكر، ومن المقرر أن النهى واجب على الفور، على أنه لو لم ينس
لم يترك الإنكار، كما فعل عند قتل الغلام، لأن مثل ذلك غير داخل ١٠
في الوعد، لأن المستثنى شرعا كالمستثنى وضعا، ففي الأولى نسي الشرط،
وفي الثانية نسي - لما دهمه من فظاعة القتل الذى لم [يعلم - '] فيه من الله
أمرًا - أنه^٣ ينبغي تقليده لثناء الله تعالى عليه^٤: ﴿ اخرقها ﴾ وبين عذره
في الإنكار بما في غاية الخرق^٥ من الفظاعة فقال: ﴿ لتغرق اهلهاج ﴾
و الله ا ﴿ لقد جئت شيئا امراه ﴾ أى عظيما [منكرًا عجيبا شديدا - '] ١٥
﴿ قال ﴾ أى الخضر عليه السلام: ﴿ ألم اقل انك ﴾ يا موسى ا

(١) زيد من ظ ومد (٢ - ٣) - سقط ما بين الرقيعين من ظ (٤) - سقط من ظ .
(٤) في مد: الكلمات (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: لأنه (٦) من ظ ومد،
وفي الأصل: لا (٧) زيد في ظ: قال (٨) من مد، وفي الأصل: الحريق .
(٩) زيد من مد (١٠) سقط من ظ ومد .

﴿ لن تستطيع معي صبراه ﴾ فذكره بما قال له عند الشرط ﴿ قال ﴾ موسى : ﴿ لا تؤاخذني ﴾ يا خضر ﴿ بما نسبت ﴾ من ذلك الاشتراط ﴿ ولا ترهقني ﴾ أي تلحقني بما لا أطيعه و تعجلني عن مرادى باتباعك على وجه القهر ناسبا لي إلى السفه و الخفة و ركوب الشر ﴿ من امرى عسراه ﴾ بالمؤاخذه على النسيان ، فكل منهما صادق. فيما قال ، موفٍ بحسب ما عنده ، أما موسى عليه السلام فلأنه ما خطر [له -^٢] قط أن يعاهد على أن لا ينهى عما يعتقد [منكرا -^٢] ، و أما الخضر فانه عقد على ما في نفس الامر لأنه لا يقدم على منكر ، و مع ذلك فافني [إلا -^٢] الصبر البليغ الذي دل عليه بزيادة تاء الاستفعال ، و قد حصل ما يطلق عليه صبر . لأنه لما ذكره كف عنه لما تذكر بثناء الله عليه أنه لا يفعل باطلا ، و لم يحصل الصبر البليغ الذي / في نفس الخضر بالسكوت في أول الامر و آخره ﴿ فانطلقا دفقة ﴾ بعد نزولها من السفينة و سلامتها من الفرق و الغصب ﴿ حتى اذا لقيا غلما ﴾ لم يبلغ الحلم وهو في غاية القوة ﴿ فقتله لا ﴾ حين لقيه - كما دلت عليه الغاء العاطفة على الشرط . ثم

١٥ أجاب الشرط بقوله مشعرا بأن شروعه في الإنكار في هذه أسرع^١ : ﴿ قال ﴾ أي^٦ موسى عليه السلام : ﴿ اقتلت ﴾ يا خضر ﴿ نفسا زاكية^٤ ﴾

/ ٣٨٦

(١) العبارة من هنا إلى « ركوب الشر » ساقطة من ظ (٢) سقط من مد .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٦) العبارة من « ثم أجاب » إلى هنا ساقطة من ظ .
 (٧) سقط من ظ (٨) و أما قراءة ابن عامر و الكوفيين فهي على زنة فعيلة ، و قال البيضاوي : قال أبو عمرو : الزاكية التي لم تذهب قط ، و الزكية التي =

بكونها على الفطرة الأولى من غير أن تدنس بخصيته توجب القتل
 ﴿بغير نفس^١﴾ قتلها ليكون قتلها قودا؛^٢ وهذا يدل على أنه كان
 بالغا حتى إذا قتل قتيلا أمكن قتله به إلا أن يكون شرعهم لا يشترط
 البلوغ؛ ثم استأنف قوله^٣: ﴿لقد جئت^٤﴾ في قتلك إياها ﴿شيئا^٥﴾
 و صرح [بالإنكار-^٦] في قوله: ﴿نكراه^٧﴾ لأنه مباشرة. و الخرق ه
 تسبب^٨ لا يلزم منه الفرق^٩.

ولما كانت هذه ثانية ﴿قال﴾ الخضر عليه السلام: ﴿الم اقل﴾
 و زاد قوله: ﴿لك انك﴾ يا موسى ﴿لن تستطيع معي﴾^{١٠} اى
 خاصة^{١١} ﴿صبراه قال﴾ موسى عليه السلام حياه منه لما أفاق بتذكرة^{١٢}؛
 حصل من فرط الوجد لأمر الله فذكر أنه ما تبعه إلا بأمر الله: ١٠
 ﴿ان سالتك عن شىء بعدها﴾ يا أخى! و أعلم بشدة ندمه على الإنكار
 بقوله^{١٣}: ﴿فلا تصحبنى ج﴾ بل فارقتى؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿قد بلغت^{١٤}﴾
 أو أشار إلى أن ما وقع منه من الإخلال بالشرط من أعظم الخوارق
 التى اضطر إليها فقال^{١٥}: ﴿من لدنى عذراه﴾ باعتراضى مرتين^{١٦} و احتمالك
 لى فيها^{١٧}. و قد أخبرنى الله بحسن حالك^{١٨} فى غزارة علمك ﴿فانطلقا فمئة﴾ ١٥
 بعد قتله ﴿حتى^{١٩} إذا آتيا أهل قرية﴾ عبر عنها هنا بالقرية دون المدينة^{٢٠}

= أذنبت ثم غفرت له - راجع نثر المرجان ٤/ ١٧٠.

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: قتلها (٢-٢) - قط ما بين الزميين من ظ (٣) زيد
 من ظ و مد (٤) و من هنا يتبدى الجزء السادس عشر من القرآن الكريم .
 (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بما (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: تهلك .

لأنه أدل على الذم، لأن مادة 'قرا' تدور على الجمع الذي يلزمه الإمساك كما تقدم في آخر سورة يوسف عليه السلام^١؛ ثم وصفها^٢ ليين [أن-^٣] لها مدخلا في لؤم أهلها بقوله تعالى: ﴿استطعماً﴾ وأظهر ولم يضم في قوله: ﴿أهلها﴾ لأن الاستطعام لبعض من أتوه، أو كل^٤ من الإتيان والاستطعام لبعض ولكنه غير متحد، وهذا هو^٥ الظاهر، لأنه هو الموافق للعادة.

قال الإمام أبو الحسن الحرالي في كتابه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل: ولتكرار الأسماء بالإظهار والإضمار بيان سنين^٦ الألفاظ في القرآن: اعلم أن لوقوع الإظهار والإضمار في بيان القرآن وجهين: ١٠ أحدهما يتقدم فيه الإظهار وهو خطاب المؤمنين بآيات الآفاق وعلى نحوه هو خطاب الخلق^٧ بعضهم لبعض لا يضمرون إلا بعد أن يظهروا، والثاني يتقدم فيه الإضمار وهو خطاب اتقنين بآية الأنفس، ولم يصل إليه مخاطب الخلق. فإذا كان البيان عن إحاطة، تقدم الإضمار "قل هو الله احد" وإذا كان عن اختصاص، تقدم [الإظهار-^٨] "الله الصمد" ١٠ وإذا رد عليه بيان على حدة أضمر "لم يلد [ولم يولد ولم يكن له كفوا احد-^٩]"، أي هذا الذي عم بأحدثه وخص بصمديته، وإذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « لؤم أهلها »
ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « الموافق للعادة » ساقطة
من ظ (٥) من مد، وفي الأصل: لكل (٦) سقط من مد (٧) من مد، وفي
الأصل وظ: متين (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: من (٩) في ظ: الاظهار.
(١٠) زيد من مد، وموضعه في ظ: الاضمار (١١) زيد من ظ ومد والقرآن.

أحاط البيان بعد اختصاص استوفى له إحاطة باستئناف إظهار محيط
 أو باضممار، أو بجمع المضمر والمظهر^١ "بأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين
 يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم"^٢، "ان بطش ربك لشديد
 انه هو يبدئ ويعد^٣"، "هو الله الذي لا اله الا هو علم الغيب والشهادة"^٤
 والتفطن لما اختص به بيان القرآن^٥ عن بيان الإنسان من هذا النحو من ه
 مفاتيح أبواب الفهم، ومن نحوه "ايا اهل قرية استطعنا / اهلها" استأنف
 للمستطعمين^٦ إظهارا^٧ غير إظهار عموم المأتين^٨ - انتهى . [وجعل السبكي
 الإتيان للبعض، والاستطعام للكل، لأنه أشد ذمًا لأهل القرية وأدل
 على شر طبعها، ومن قال بالأول مؤيد بقول الشافعي في كتاب الرسالة^٩
 في باب ما نزل من الكتاب عاما^{١٠} يراد به العام و يدخلها الخصوص ١٠
 وهو بعد البيان الخامس في قول الله عز وجل "حتى اذا اتيا قرية استطعنا
 اهلها": وفي هذه الآية أدل^{١١} دلالة على أنه^{١٢} لم يستطعنا كل أهل القرية
 وفيها خصوص - انتهى . وبيان ذلك أن نكرة إذا أعيدت كانت
 الثانية غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة كانت عينا في الأغلب . ولما أسند

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: المضمرة (٢) سورة ٤٩ آية ١ (٣) سورة ٨٥ آية ١٢
 و١٣ (٤) سورة ٥٩ آية ٢٢ (٥) زيد بعده في الأصل: أي المحش المذكور، ولم تكن
 الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٦) من مد، وفي الأصل وظ: المستطعمين (٧) من
 ظ ومد، وفي الأصل: اظهار (٨) العبارة من هنا إلى « المستطعمون » ص ١١٦
 ص ٦ ساقطة من ظ (٩) ص ١١ (١٠) من الرسالة، وفي مد: على ما (١١) ليس في
 الرسالة (١٢) من الرسالة، وفي مد: ان .

الإتيان إلى أهل القرية كان ظهراً تناول الجميع، فلو قيل: استطعمهم لكان المراد بالضمير عين المأتين، فلما عدل عنه - مع أنه أخصر - إلى الظاهر ولا سيما إن جعلناه نكرة كان غير الأولى وإلا لم يكن للعدول فائدة، وقد كان الظاهر أن الأول للجميع فكان الثاني للبعض،
 ٥ وإلا لم يكن غيره ولا كان للعدول فائدة - [١] - ﴿فابوا﴾ أي قسب عن استطعمهما أن أبي المستطمعون من أهل القرية ﴿ان يضيفوهما﴾ أي يزلوهما ويطعموهما، فانصرفا عنهم ﴿فوجدوا فيها﴾ أي القرية، ولم يقل: فيهم، إيداناً بأن المراد وصف القرية بسوء الطبع ﴿جداراً﴾ مشرفاً على السقوط، وكذا قال مستعيراً لما لا يعقل صفة ما يعقل:
 ١٠ ﴿يريد ان ينقض﴾ أي يسقط سريعاً فسح الخضر يده ﴿فاقامه﴾
 ١٥ ولما انقضى وصف القرية وما تسبب عنه أجاب 'إذا' بقوله:
 ﴿قال﴾ أي له موسى عليه السلام: ﴿لوشئت لتخذت﴾ لكوننا لم يصل إلينا منهم شيء ﴿عليه﴾ أي على إقامة الجدار ﴿اجراء﴾ نأكل به، فلم يعترض عليه في هذه المرة لعدم ما ينكر فيها، وإما ساق ما يترتب عليها من ثمرتها مساق العرض والمشورة غير أنه يتضمن السؤال ﴿قال﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) تأخر في الأصل عن «المستطمعون» والترتيب من ظ ومد (٣) زيد في الأصل: أي، ولم تكن الزيادة في مد لخذناها، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى «أهل القرية» ساقطة من ظ .
 (٤-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) في ظ: لذا، والعبارة فيه من بعده إلى «ما يعقل» ساقطة (٦) زيد في مد: لا (٧) سقط من مد .

الخضر عليه السلام: (هذا) أى الوقت ' أو السؤال . ولما كان ذلك سبب الفراق أو محله ، سماه به مبالغة فقال: (فراق بينى و بينك ج) يا موسى !^٢ بعد أن كان الينان بينا واحدا لاتصالهما فلا^٣ بين ، فهو فى الحقيقة فوق ما كان متصلا من بينهما ، أو فراق التقاؤل الذى كان بيننا ، أى الفراق الذى سببه السؤال ، و إذا نزل^٤ على الاحتباك ازداد ظهورا ، ه تقديره : فراق بينى من بينك كما أخبرت ، و فراق بينك من بينى كما شرطت ، و قد أثبتت هذه العبارة [الفراق - °] على أبلغ وجه ، و ذلك أنه إذا وقع فراق بينى من بينك بمائل يحول بينهما فقد وقع منك بطريق الأولى ، و حقيقة أن البين هو الفراغ المبسط الفاصل بين الشئين و هو موزع بينهما ، فبين كل منهما من منتصف^٥ ذلك الفراغ إليه ، فإذا دخل ١٠ فى ذلك الفراغ شئ فصل بينهما ، و صار بين كل منهما ينسب إليه ، لأنه صار^٦ بين ما ينسب إلى كل منهما من البينين ، و حينئذ يكون بينهما مباينة ، أى أن [بين - °] كل منهما غير بين الآخر ، و من قال : إن معنى " هذا فراق^٧ بيننا " زوال الفصل و وجود الوصل ، كذبه أن معنى هذا اتصال بيننا ، المواصلة . فلو كان هذا معنى ذاك أيضا لاتحد ١٥ معنى ما يدل على الوصل بمعنى ما يدل على الفصل ، و قد نبه الله سبحانه

(١-١) سقط ما بين الزقنين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « يدل على الفصل » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : فلها (٤) من مد ، و فى الأصل : ترد . (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : منتصف (٧) زيد فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى مد فخذناها (٨) سقط من مد .

و تعالى موسى عليه السلام - ١ كما في تفسير الأصبهاني^٢ وغيره - بما
 فعل الخضر عليه السلام على ما وقع له هو^٣ من مثله سواء بسواء،
 فبهبه - بخرق^٤ السفينة الذي ظاهره هلك و باطنه نجاة من يد الغاصب -
 [على التابوت الذي أطبق عليه وألقى في اليم خوفاً عليه من فرعون
 ٥ الغاصب - °] فكان^٥ ظاهره [هلكا - °] و باطنه نجاة، و بقتل الغلام
 على أنه كان معصوم الحركة في نفس الأمر في قتله^٦ القبطي و إن لم يكن
 إذ ذاك يعلمه لكونه^٧ لم ينبأ، و باقامة الجدار من غير أجر على سقيه
 لبنات شعيب عليهم السلام من غير أجر مع احتياجه^٨ لذلك .

و لما كان من المعلوم شدة استشراف موسى عليه السلام إلى الوقوف
 ١٠ على باطن هذه الأمور ، قال مجيباً له عن هذا السؤال : (سانبتك)
 يا موسى^{١٠} بوعد لا خلاف فيه إنباء عظيماً^{١١} (بتاويل) أى بترجيع
 (ما لم تستطع عليه صبراً) - لمخالفته عندك الحكمة - [إلى الحكمة - °]
^{١٢} و هو أن عند تعارض الضررين يجب ارتكاب الأدنى لدفع الأقوى
 بشرط التحقق^{١٣} ، و أثبت تاه الاستفعال^{١٤} هنا و فيما قبله إعلاماً بأنه

(١) العبارة من هنا إلى « وغيره » - ماقطة من ظ (٢) هو العلامة تسمى الدين
 أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الشافعي التوفي سنة ٧٤٩ هـ - كشف الظنون
 ١/٤٤٣ و ٤٤٣ (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : هذا (٤) في ظ : بخرقه (٥) زيد
 من ظ ومد (٦) زيد في مد : من (٧) في ظ : قتل (٨) من ظ ومد ، وفي
 الأصل : بكوته (٩) في ظ : ققره (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .
 (١١) سقط من ظ .

٣٨٨ /

ما نقي إلا القدرة البليغة على الصبر، إشارة / إلى صعوبة ما حمل موسى
من ذلك، لا مطلق القدرة على الصبر (أما السفينة) التي أحسن إلينا
[أهلها - ٢] فخرقتها (فكانت لمسكين) ٣ وهو دليل للشافعي على
أن الفقير أسوأ حالا من المسكين، لأن هؤلاء يملكون سفينة
(يعملون في البحر) ليستعينوا بذلك على معاشهم .
و لما كان التعيب من فعله، أسنده إليه خاصة، تأدبا مع الله
تعالى فقال: (فأردت أن أعيبها) فان تقويت منفعتها [بذلك - ٥]
ساعة من نهار و تكليف أهلها لو حاسدونها به أخف ضررا من تقويتهم
منفعتهم أخذوا وأسا بأخذ الملك لها، ولم أورد إغراق أهلها كما هو
المتبادر إلى الفهم؛ ثم عطف على ذلك علة فعله فقال: (وكان وراءهم) ١٠
أى أمامهم، [ولعله - ٢] عبر بلفظ 'وراء' كناية عن الإحاطة بنفوذ
الأمر في كل وجهة وارتهم و' واروها، وفسره الحرالي في سورة البقرة
بأنه وراءهم في غيبته عن علمهم وإن كان أمامهم في وجهتهم، لأنه
فسر الورا بما لا يتاله الحس ولا العلم حيثما كان من المكان، قال:
فربما اجتمع أن يكون الشيء وراء من حيث أنه لا يعلم، ويكون أماما
في المكان . (ملك ياخذ) في ذلك الوقت (كل سفينة) ليس
فيها عيب (غصبا) من أصحابها ١٠ ولم يكن عند أصحابها علم ١١ .

(١) زيد في الأصل ومد: لا مطلق القدرة على الصبر، ولم تكن الزيادة في ظ
تخذفناها (٢) زيد من ظ ومد (٣-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) العبارة من
هنا إلى «الملك لها» ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل:
تكلف (٧) من مد، وفي الأصل وظ: او (٨) راجع نظم الدرر ٤٧/٢ و٤٨ .
(٩) من النظم، وفي نسخ: حيث (١٠) العبارة من هنا إلى «علم به» ساقطة من
ظ (١١) من مد، وفي الأصل: علمنا .

ولما كان كل من الغضب و المسكنة سببا لفعله ، قدمها على الغضب ، إشارة إلى أن أقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة بالمساكين (واما الغلم) ' أى الذى قتلته ' (فكان ابواه مؤمنين) وكان هو مطبوعا على الكفر - كما 'أتى فى ' حديث أبى رضى الله عنه .

ولما كان يجتمل عند الحضرة عليه السلام أن يكون هذا الغلام مع كفره فى نفسه سببا لكفر أبويه إن كبر ، وكان أمر الله له بقتله مثل ' فعل من يخشى ذلك ، أسند الفعل إليهما فى قوله : (نخشينا ان يرهقهما) ' أى يغشيهما ' ويلحقهما إن كبر بمحبتها له ' أو بجراءته ' و مساوته (طغيانا) أى تجاوزا فى الظلم ' وإفراطا فيه ' (وكفرا) لنعمتها ١٠ . فيفسد دنيهما أو يحملها جبهما له على الطغيان و الكفر بالله طاعة فيفسد دينهما ، روى مسلم فى القدر ' ١ ' و أبو داود فى السنة ' ١١ ' و الترمذى فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنه » وقعت فى ظ على النمط الآتى : رواه مسلم و أبو داود و الترمذى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم (٣) من مد ، وفى الأصل : من (٤) زيد فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٥) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) العبارة من هنا إلى « مساوته » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : بخرا به (٨) زيد فى الأصل : لها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٩) زيد فى الأصل : عليها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (١٠) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة و حكم موتى أطفال الكفار و أطفال المسلمين (١١) باب فى القدر .

التفسير^١ عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضى الله عنهم أن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم قال: إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا، و لو عاش لأرهق أبويه طغيانا و كفرا . و هذا و حديث « الله أعلم بما كانوا عاملين »^٢ يدل على أن العذاب - على ما^٣ لو وجد شرطه لوقع^٤ - إنما يكون على ما كان جبلة و طبعا، لا ما كان عارضا، و إلا لعذب ه الأبوأن^٥ على تقدير أن يكون المعلوم من الكفر منهما^٥ .

و لما ذكر ما يلزم على تقدير بقاءه من الفساد، سبب عنه قوله: (فاردنا) « أى بقتله و إراحتها من شره » . و لما كان التعويض^٦ عن هذا الولد لله وحده^٧، أسند الفعل إليه فى قوله: (ان يدها ربهما) أى^٨ المحسن إليهما باعطائه و أخذه (خيرا منه زكوة) ١٠ طهارة^٩ و بركة، [أى -^{١٠}] من جهة كونه كان ظاهر الزكاة فى الحال، و أما فى المآل فلو عاش كان فيه خبيثا ظاهر الخبيث، و هذا البدل يمكن أن يكون الصبر، و يمكن أن يكون ولدا آخر، و هو المنقول و أنها كانت بنتا^{١١} (و اقرب رحما) برا بهما و عظفا عليهما و رحمة لها فكان

الضرر اللاحق لها بالتأسف عليه أذى^{١٢} من الضرر اللاحق لها / عند ١٥ / ٣٨٩

(١) ٣٨٣/٢ (٢) راجع كتاب القدر من الصحيحين (٣-٢) فى ظ: سيقع .

(٤) من مد، و فى الأصل وظ: الأبوين (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: التعريض (٧) سقط من ظ (٨) فى مد:

طاهرة (٩) زيد من مد (١٠) العبارة من هنا إلى « أودنيها » ص ١٢٢ س ١

ساقطة من ظ (١١) من مد، و فى الأصل: اذى .

كبره بافساد دينها أو دنياها ﴿ واما الجدار ﴾ الذي أشرت بأخذ
الأجر عليه ﴿ فكان لغلمين ﴾ ^١ و دل على كونها دون البلوغ بقوله ^١ :
﴿ يتيمين ﴾ .

^٢ ولما كانت القرية لا تنافي التسمية بالمدينة ، و كان التعبير
بالقرية ^٣ أولاً أليق ، لأنها مشتقة من معنى الجمع ، فكان أليق بالذم
في ترك الضيافة لإشعاره بخلهم حالة الاجتماع ، و بمحبتهم للجمع
و الإمساك ، و كانت المدينة بمعنى الإقامة ، فكان التعبير بها أليق للإشارة
به إلى أن الناس يقيمون فيها ، فيهدم ^٤ الجدار و هم مقيمون فيأخذون ^٥
الكنز ، قال : ﴿ في المدينة ﴾ فلذلك أقتة احتساباً ﴿ و كان تحته كنز ﴾
١٠ 'أى مال مدخور' ﴿ لها ﴾ لو وقع لكان أقرب إلى ضياعه
﴿ و كان ابوها صالحاً ﴾ ينبغي مراعاته و خلفه في ذريته بخير .

ولما كان الإبلاغ إلى حد البلوغ و الاستخراج فعل الله وحده ،
أسند إليه خاصة فقال : ﴿ فاراد ربك ﴾ أى ^٦ المحسن إليك بهذه التربة ،
إشارة إلى ما فعل بك من مثلها قبل النبوة كما بين ﴿ ان يلغاً ﴾ ^٧ أى
١٥ الغلامان ^٨ ﴿ اشدهما ﴾ أى رشدهما 'و قوتها' ﴿ و يستخرجا كنزهما ﴾
ليتفعا به و ينفعا الصالحين ﴿ رحمة ﴾ بهما ﴿ من ربك ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى 'الكنز قال' ساقطة
من ظ (٣) من مد ، و في الأصل : لقرية (٤) من مد ، و في الأصل : فهدم .
(٥) من مد ، و في الأصل : فيأخذوا (٦) سقط من ظ .

أى ' الذى أحسن تربيتك و أنت فى حكم [اليقيم - ٢] فكان التعب فى إقامة الجدار مجانا أدنى من الضرر اللازم من سقوطه لضياع الكنز و فساد الجدار ، و قد دل هذا على أن صلاح الآباء داعٍ إلى العناية بالأبناء ، روى عن الحسن^٤ بن على رضى الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج [فى كلام - ٥] جرى بينهما: بم^٦ حفظ الله كنز الغلامين ؟
 قال: بصلاح أيهما ، قال: فأبى و جدى خير منه ، قال: أبانا الله أنكم قوم خصمون . (و ما فعلته) أى شينا من ذلك (عن امرى^٧) بل عن أمر^٨ من له الأمر ، و هو^٩ الله .

^٤ و لما بان سر تلك القضايا ، قال ' مقدرًا للأمر ' : (ذلك)
^٥ أى الشرح العظيم^٥ (تاويل ما لم تسطع) يا موسى (عليه صبرا^٦)
 و حذف تاء الاستطاعة هنا لصيرورة ذلك - بعد كشف الغطاء - فى حيز ما يحمل^٧ فكان منكره غير صابر أصلا لو كان عنده مكشوفًا من أول^٨ الأمر ، و سقط - و لله الحمد - بما قررته فى هذه القصة ما يقال من أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم أخبر فى قول سليمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى « قوم خصمون »

ساقطة من ظ (٤) فى الكشاف ١/٥٧٨: الحسين (٥) زيد من مد والكشاف.

(٦) من مد والكشاف ، وفى الأصل: ثم (٧-٧) سقط ما بين الرقين من

ظ (٨) العبارة من هنا إلى « مقدرًا للأمر » ساقطة من ظ (٩-٩) من مد ،

وفى الأصل: معذر كمال لامر - كذا (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ :

عمل (١١) من ظ ومد ، وفى الأصل: امر .

عليه السلام المخرج في ' الصحيحين ' من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
 ولأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تلد فارسا [مجاهد - ٢] في
 سبيل الله ، فلم تلد منهن إلا واحدة جاءت بشق آدمي . أنه لو قال :
 إن شاء الله ، لجاهدوا فرسانا أجمعون . فأفهم ذلك أن كل نبي استثنى في
 خبره صدقة الله تعالى كما وقع للذبيح أنه قال ستجدني إن شاء الله من
 الصبرين^٦ فوق ، فما لموسى عليه السلام - وهو من أولى العزم - فعل
 مع الاستثناء ما فعل ؟ فإن^٨ الذبيح صبر على ما هو قاطع بأنه بعينه
 أمر الله ، بخلاف موسى عليه السلام فإنه كان ينكر ما ظاهره منكر
 قبل العلم بأنه من أمر الله ، فإذا نه صبر ، وأما قول النبي صلى الله
 عليه وعلى آله وسلم يرحم الله أخى موسى ! وددنا^٩ لو أنه صبر
 حتى^{١٠} يقص علينا من أمرهما^{١١} ، فعناه : صبر عن الإذن للخضر عليه
 السلام في مفارقتها في قوله " فلا تضجني " ويدل عليه أن في رواية
 لمسلم درحة الله علينا وعلى موسى ! لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه

(١) تسكور في ظ (٢) راجع باب من طلب الولد للجهاد - كتاب الجهاد من
 صحيح البخارى واللفظ له ، وباب الاستثناء في اليمين وغيرها - كتاب الأيمان
 من صحيح مسلم ، والحديث فيه بعض المقارقات بالنسبة لما هنا (٣) زيد من ظ
 ومد و صحيح البخارى (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣٧
 آية ١٠٢ (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : من (٨) في ظ : بان (٩-٩) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : انه لو (١٠) في ظ : حين (١١) رواه الكثيرون
 بما فهم البخارى - راجع باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام كتاب
 الأنبياء .

أخذته [من صاحبه -^١] ذمامة " قال ان / سالتك عن شيء بعدها^٢ فلا تصحبنى". فتحرر أنه وفي بمقام الشرع الذى أقامه الله [فيه -^٣] فلم يخل بمقام الصبر الذى [ليس -^٤] فيه ما يخالف ما يعرف ويستحضر من الشرع، وكيف لا وهو من أكابر أولى العزم الذين قال الله تعالى لأشرف [خلقه -^٥] فى التسليك بسيرهم " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل "، وقال تعالى " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده "، وقال عليه السلام فيما خرجه الشيخان^٦ عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أودى من بعض من كان معه فى حنين فقلون وجهه وقال: يرحم الله أخى موسى! لقد أودى بأكثر من هذا فصبر. و علم أن فى قصته هذه حثا كثيرا على المجاهرة بالمبادرة بالأمر^{١٠} بالمعروف والنهى عن المنكر والمصاراة عليه، وأن لا يراعى فيه^٧ كبير ولا صغير^٨ إذا كان الإمرء على ثقة من أمره فى الظاهر بما عنده فى ذلك من العلم عن الله ورسوله وأئمة دينه^٩، وتنبها على أنه لا يلزم من العلم اللدنى - سواء كان صاحبه نبيا أو وليا - معرفة كل شيء كما يدعيه أتباع بعض الصوفية، لأن الخضر سأل موسى عليهما السلام: ١٥

(١) زيد من صحيح مسلم - كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢) تقدم فى الأصل على « عن شيء » والترتيب من مد والقرآن الكريم، والكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) سورة ٤٦ آية ٣٥ (٥) سورة ٦ آية ٩٠ (٦) أما البخارى فخرجه فى عدة المناسبات وأما مسلم فخرجه فى أبواب الزكاة (٧-٧) فى ظ: صغير ولا كبير (٨) العبارة من هنا إلى « كما سياتى » ص ١٢٦ س ١ ساقطة من ظ.

من أنت؟ وهل هو موسى نبي^١ بنى إسرائيل - كما سيأتي .^٢ روى البخارى فى التفسير^٣ من روايات مختلفة عن ابن عباس رضى الله عنها أن أبى بن كعب رضى الله عنه حدثه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : موسى رسول الله - عليه وعلى آله وسلم - ذكر الناس [يوما -] حتى إذا فاضت العيون وورقت القلوب ولى فأدرکه رجل فقال : أى رسول الله ! هل فى الأرض [أحد -]^٤ أعلم منك ؟ قال : لا ! فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى إليه : بلى !^٥ عبد من عبادى بمجمع البحرين ، قال : أى رب ! كيف السبيل إليه ؟ [قال -]^٦ : تأخذ حوتا فى مكمل لحيث ما فقدته فاتبعه - وفى رواية : خذ نونا ميتا^٧ حيث ينفخ فيه الروح - فخرج ومعه فتاه يوشع بن نون حتى^٨ انتهى إلى الصخرة ، فوضع موسى رأسه^٩ فنام فى ظل الصخرة^{١٠} فى مكان ثريان^{١١} إذ تضرب الحوت - وفى رواية : [و -]^{١٢} فى أصل تلك الصخرة عين يقال له^{١٣} الحياة لا يهيب من مائها شيء إلا حى ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فانسل من المكمل فدخل البحر - فأمسك الله عنه جربة

(١) سقط من مد (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) وابتدئ السباق برواية يعلى بن مسلم عن ابن عباس عن أبى بن كعب (٤) زيد من ظ و مد والصحيح (٥) من ظ و مد والصحيح ، وفى الأصل : فقال (٦) ومن هنا يرجع السباق إلى حديث قتيبة بن سعيد (٧) من مد والصحيح ، وفى الأصل وظ : بل (٨) فى ظ : حين (٩) ومن هنا يرجع السباق إلى الحديث الأول (١٠) زيد فى الأصل : فنام ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد والصحيح فحذفناها (١١) بهامش ظ : ندى (١٢) من ظ و مد والصحيح ، وفى الأصل : لها .

البحر حتى كان أثره في حجر، فقال قناه: لا أوظفه، حتى إذا استيقظ
نسى أن يخبره، فذكر سفرهما و^١ قول موسى عليه السلام "لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا" قال: قد قطع الله عنك النصب، فرجما فوجدا
خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى^٢ بثوبه، قد جعل طرفه
تحت رجله، وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى فكشف^٣ عن وجهه ٥
و قال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى! قال: موسى
بنى إسرائيل؟ قال: نعم! قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمني، قال:
أما يكفيك أن التوراة بيدك؛ وأن الوحي [يأتيك - ٥]؟ يا موسى! إن
لى علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لى أن أعلمه - أى لا ينبغي
لك أن تعمل بالباطن ولا ينبغي [لى أنا - ٦] أن أقف مع^٤ الظاهر، أطلق ١٥
العلم على العمل لأنه سببه - فانطلقا يمشيان على الساحل، فوجدا معابر
صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل^٥ هذا الساحل الآخر، فعرف
الخضر فقالوا: عبد الله الصالح! لا تحمله بأجر، فحملوهم في سفينتهم بغير
نول^٦ - يقول: بغير أجر - فركبا السفينة، و وقع عصفور على حرف السفينة

فغمس منقاره في البحر؛ "و في رواية^٧: فأخذ / بمنقاره" من البحر، ١٥ / ٣٩١

- (١) من ظ و مد، و في الأصل: او (٢) في مد: مشجى (٣) من ظ و مد
و الصحيح، و في الأصل: و كشف (٤) من الصحيح، و في النسخ: بيدك.
(٥) زيد من ظ و مد و الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد،
و في الأصل: على (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد و الصحيح، و في
الأصل: قول (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ (١١) من مد =

وفي رواية: ففقر نقرة أو نقرتين فقال: والله ما نقص علي و علمك من علم الله إلا كما نقص هذا من البحر، فلم يفجأ موسى إلا الخضر عمداً^٢ إلى قدوم غرق السفينة ووتد فيها وتدا فذكر^٣ إنكاره وجوابه ثم قال: وكانت الأولى من موسى نسيانا، والوسطى شرطا، والثالثة عمدا - فذكر القصة، وقال في آخرها: فقال رسول الله صلى الله عليه و علي آله و سلم: وودنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما .

ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد، و قدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة، وقوام كل أمر، فقال عاطفاً على "و يجادل الذين كفروا بالباطل": (ويستلونك عن) الرجل الصالح المجاهد (ذى القرنين^٤) سمي لشجاعته أو لبلوغه قرني مغرب الشمس ومشرقها، أو لاقراض قرنين من الناس في زمانه، أو لأنه كان له ضفيرتان من الشعر أو^٥ لتاجه [قرنان -^٦]، وهو الإسكندر الأول - نقل ابن كثير عن الأزرق^٧ أنه كان على زمن الخليل عليه السلام، و طاف معه بالبيت، و من المناسبات الصورية

= و الصحيح، وفي الأصل و ظ: متقاره .

(١) من ظ ومد و الصحيح، وفي الأصل: فلم تفجأ (٢) من ظ ومد و الصحيح، وفي الأصل: غدا (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فذكره (٤) العبارة من هنا إلى « لتاجه قرنان » ساقطة من ظ (٥) من مد، وفي الأصل « دو » (٦) زيد من مد و البحر المحيط ١٥٨/٦ (٧) في ظ: الأزرق .

أن في قصة كل منهما ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لاسقف له ،
 وإنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف الفساد ، و صدرها بالإخبار عن
 سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها من العجائب
 واللطائف ، والأسرار و المعارف ، تبكيها لليهود في إغفال الأمر
 بالسؤال عنها إن كان مقصودهم [الحق - ٢] ، وإن لم يكن مقصودا لهم
 كانوا بالتبكي أجدر ، أو تكون معطوبة على مسألتهم الأولى وهي
 الروح ، و صدرها بالإخبار بالسؤال تنبيها على ذلك لطول الفص ، إشارة
 إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك .

و لما كان من المعلوم أنه يقول صلى الله عليه و على آله و سلم :

١٠ «فبما ذا أجيبهم؟ قال: ﴿قل﴾: «أى لهم؟» ﴿سألتوا﴾: «أى أقص قصا
 متابعا في مستقبل الزمان إن أعلنى الله به» ﴿عليكم﴾: «أيها المشركون
 و أهل الكتاب المعلنون لهم» مقيدا بان شاء الله كما سلف لك الأمر به
 ﴿منه ذكرا﴾: «كافيا لكم في تعرف أمره ، جامعا لمجامع ذكره .

و لما كانت قصته من أدل دليل على عظمة الله ، جلاها في ذلك

المظهر فقال: ﴿انا﴾: «مؤكددا لأن المخاطبين بصدد التعت و الإنكار» ١٥
 ﴿مكننا﴾: «أى بما لنا من العظمة ، قيل ٦: بالملك وحده ، و قيل : مع

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من مد ، و في الأصل وظ : فيما
 إذا اجبتهم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «بمظهر
 العظمة» ص ١٣ س ٢ ساقطة من ظ (٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦/١٥٩ .

التوبة ، لأن ما ينسب إلى 'الله تعالى على سبيل الامتتان و الإحسان جدير
بأن يحمل على النهاية لاسيما إذا عبر عنه بمظهر العظمة (له في الارض)
مكنة يصل بها إلى جميع مسلوكتها ، و يظهر بها على سائر ملوكها
(و اتينسه) بعظمتنا^١ (من كل شيء) يحتاج إليه في ذلك (سيبا^٢)
٥ قال أبو حيان^٣ : و أصل السبب الحبل ، ثم توسع فيه حتى صار يطلق
على ما يتوصل به إلى المقصود . فأراد بلوغ المغرب ، و لعله بدأ به
لأن باب التوبة فيه (فاتبع)^٤ أى بغاية جهده - هذا على قراءة ابن
كثير و نافع و أبى عمرو بالتشديد ، و المعنى على قراءة الباقيين بقطع
الهمزة و إسكان الفوقانية : ألحق بعض الأسباب ببعض ، و ذلك تفسير
١٠ لقراءة التشديد^٥ (سيباه) يوصله إليه ، و استمر متبعاله (حتى إذا بلغ)
' فى ذلك المسير ' (مغرب الشمس) أى الحد الذى لا يتجاوزه آدمى
فى جهة الغرب (و جدها) فيما يحس بحاسة لمسه (تغرب) كما
أحسه بحاسة / بصره من حيث أنه متصل بما وصل إليه بيده ، لاحائل
بينه و بينه (فى عين حمة) أى ذات حماة أى طين أسود ، و هى مع
١٥ ذلك حارة^٦ كما ينظر من فى وسط البحر أنها تغرب فيه و تطلع منه
و عنده القطع بأن الأمر ليس كذلك^٧ (و وجد عندها) أى على الساحل
المتصل بتلك العين (قوماة) كفارا لهم قوة على ما يحاولونه و منعة^٨ ،

(١) من مد ، وفى الأصل: مع (٢) سقط من ظ (٣) فى البحر المحيط ١٥٩/٦ .
(٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فلعله : (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) فى مد : الى (٧) ليست الواو فى الأصل فقط .

فكانه قيل : ماذا أمر فيهم ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قلنا ﴾ 'بمظهر العظمة':
 ﴿ يذا القرنين ﴾ لإعلاما بقربه من الله و أنه لا يفعل إلا ما أمره به ، إما
 بواسطة الملك إن كان نيا - ' و هو أظهر الاحتمالات ' ، أو بواسطة
 نبي زمانه ، أو باجتهاده في شريعته الاجتهاد المصيب ﴿ اما ان تعذب ﴾
 أى هؤلاء القوم يذل السيف فيهم بكفرهم ﴿ و اما ان تتخذ ﴾ ' أى ه
 بغاية جهدك ' ﴿ فيهم حسناء ﴾ أمرا له حسن عظيم ، و ذلك هو البداءة
 بالدعاء ، إشارة إلى أن القتل و إن كان جائزا فالأولى أن لا يفعل إلا بعد
 اليأس من الرجوع عن موجهه ﴿ قال اما من ظلم ﴾ باستمراره على
 الكفر فانا نرفق به حتى نأس منه [ثم - ٢] نقتله ، و إلى ذلك أشار
 بقوله : ﴿ فسوف نعذبه ﴾ 'بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء و الترفق' ١٠
 ﴿ ثم يرد ﴾ بعد الحياة بالموت ، أو بعد البرزخ بالبعث ، ردا هو في
 غاية السهولة ﴿ الى ربه ﴾ الذى تفرد ببريته ﴿ فيعذبه عذابا نكرا ﴾
 شديدا جدا لم يعهد مثله لكفره لنعته . و بذل خيره في عبادة غيره ،
 و فى ذلك إشارة بالتهديد الشديد لليهود الغارين^١ لقريش ، و إرشاد لقريش
 إلى أن يسألوه عن قوله هذا ، ليكون قائدا [لهم - ٢] إلى الإقرار ١٥
 بالبعث ﴿ و اما من آمن و عمل صالحا ﴾ تصديقا لما أخبر به من تصديقه

(١ - ١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر .
 (٣) زيد من ظ و مد - مد (٤) من مد ، و فى الأصل : ردا ، و العبارة من هنا
 - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « غاية السهولة » (٥) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : المفازين - كذا .

﴿ فله ﴾ في الدارين ﴿ جزآه^١ ﴾ طريقتيه ﴿ الحسنى ج ﴾ منا ومن
الله بأحسن^٢ [منها - ٢] ﴿ و سنقول ﴾ ' بوعد لا خلف فيه بعد
اختباره بالأعمال الصالحة ' ﴿ له ﴾ أى لاجله ﴿ من امرنا ﴾ الذى نأمر
به فيه ﴿ يسراه ﴾ أى قولاً غير شاق ' من الصلاة و الزكاة و الخراج
و الجهاد و غيرها ، و هو ما يطيقه و لا يشق عليه مشقة كبيرة ' ﴿ ثم اتبع ﴾
' لإرادته بلوغ مشرق الشمس ' ﴿ سياء ﴾ من جهة الجنوب
يوصله إلى المشرق و استمر فيه لا يمل و لا تغلبه أمة مر عليها
﴿ حتى إذا بلغ ﴾ ' فى مسيره ذلك ' ﴿ مطلع الشمس ﴾ أى الموضع
الذى تطلع عليه أولاً من المعمور من الأرض ﴿ و جدها تطلع على قوم ﴾
١٠ على ساحل البحر ' لهم قوة شديدة ' ﴿ لم نجعل لهم ﴾ [و لما كان
المراد التعميم ، أثبت الجار فقال - ٢] : ﴿ من دونها ﴾ ' أى من أدنى
الآماكن إليهم ' أول ما تطلع ﴿ سترال ﴾ يحول بينهم و بين المحل
الذى [يرى - ٥] طلوعها منه [من البحر - ٥] من جبل ' و لا أبنية
و لا شجر ' و لا غيرها^٦ .

١٥ و لما كان أمره مستغرباً فى نفسه و فى الاطلاع عليه لا سيما
عند القرب^٧ ، قال تعالى : ﴿ كذلك ﴾ أى أمره كما ذكرنا^٨ لكم على

(١) راجع لاختلاف القراءة فى نثر المرجان ٤ / ١٤٨ (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : غيره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
الغرب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرناه .

سبيل الاقتصار ﴿ وقد احطنا ﴾^١ بما لنا من العظمة! ﴿ بما لديه ﴾
 أى^٢ كله من الامور التى [هى -^٣] أغرب المستغرب ﴿ خبراه ﴾
 أى من جهة بواطن أموره فضلا عن ظواهرها^٤. فلا يستغرب إخبارنا
 عن ذلك ولا عن أمر أصحاب الكهف، ولا يظن أن تفصيل أمر
 الروح خفى عنا، لانا مطلعون على خفايا الامور وظواهرها، شواهدهما
 وغوايبها،^٥ وكيف لا ونحن أوجدناها^٦ ولكننا لا نذكر^٧ من
 ذلك^٨ إلا [ما يزيد على -^٩] ما تدعو إليه الحكمة، فلو شئنا لبسطنا
 هذه القصة وقصة أهل الكهف وفضلنا أمر الروح [تفصيلا -^{١٠}]
 يعجز عن حفظه الالباء ﴿ ثم اتبع ﴾^{١١} فى إرادته ناحية السد مخرج
 ياجوج وماجوج^{١٢} ﴿ سبياه ﴾ من جهة الشمال، واستمر أخذاً فيه
 ﴿ حتى إذا بلغ ﴾^{١٣} فى مسيره ذلك^{١٤} ﴿ بين السدين ﴾ أى الجبلين
 المائنين من وراءهما / من الوصول منهما^{١٥} إلى من أمامهما^{١٦} و هما بمنقطع
 أرض الترك مما يلى^{١٧} بلاد أرمينية و آذربيجان، ألسان يزلق عليهما
 كل شيء^{١٨}؛ قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حفص عن عاصم بفتح السين.
 و الباقون بضمهما، فقيل: هما بمعنى واحد، وقيل: المضموم من فعل
 ١٥
 الله، و المفتوح من فعل الناس^{١٩}. ﴿ وجد من دونهما ﴾ أى بقرهما^{٢٠}
 من الجانب الذى هو أدنى منهما إلى الجهة التى أتى منها ذو القرنين

٣٩٣ /

(١-١) سقط ما بين الرّمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد.

(٤-٤) فى ظ: منه (٥) زيد من ظ (٦) زيد فى الأصل: من. و لم تكن

الزيادة فى ظ و مد و البحر المحيط ٦ / ١٦٣ أخذناها.

{ قومالا } ' أى أقوياء' لغتهم فى غاية البعد من لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد، فهم لذلك { لا يكادون يفقهون قولاه } أى لا يقربون من أن يفهموه بمن مع ذى القرنين فهما جيدا كما يفهم غيرهم، ودل وصفهم بما يأتى على أنهم يفهمون فهما ما^١ بعد^٢ بعد^٣ و محاولة طويلة، لعدم ماهر بلسانهم بمن مع ذى القرنين، وعدم ماهر منهم بلسان أحد بمن معه، وهذا يدل على أن بينهم وبين بقية سكان الأرض غير ياجوج و ماجوج برارى شاسعة، و فيانى واسعة، منعت من اختلاطهم بهم^٤ و أن تطبعهم بلسان غيرهم بعيد جدا لقلة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال، أو لغير ذلك، و يلزم من ذلك أنهم لا يكادون يفهمون غيرهم شيئا من كلامهم، و ذلك معنى قراءة حمزة و الكسائى بضم التحتانية و كسر القاف^٥؛ و دل على [أن-^٦] عدم فهمهم و إفهامهم مقيد بما مضى قوله^٧ : { قالوا } أى مترجمهم أو جيرانهم - الذين من دونهم^٨ - كما فى مصحف ابن مسعود^٩ من يعرف بعض كلامهم^{١٠}، أو بالإشارة كما يخاطب إليكم^{١١} : { يئذا القرنين } مسنا

(١ - ١) - سقط ما بين الرقنين من ظ (٢ - ٢) موضع ما بين الرقنين فى ظ : لا يفهمونه بمن مع ذى القرنين إلا (٣) العبارة من هنا إلى « بما مضى قوله » ساقطة من ظ (٤) راجع نثر المرجان ٤ / ١٨٦ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : فكأنه نيل : هل قالوا له شيئا ؟ فقيل : نعم (٧) فى مد : دونه (٨) وفى روح المعانى أيضا ما يقارب ما عندنا : و أهل هذا المترجم كان من قوم يقرب بلادهم و يؤيد ذلك ما وقع فى مصحف ابن مسعود « قال الذين من دونهم » .

الضر (ان ياجوج و ماجوج) و هما قيلتان من الناس من أولاد يافث، لا يطاق أمرهم، ولا يظفأ جرمهم، وقد ثبت في الصحيح^١ في حديث بعث النار أنهم من ذرية آدم عليه السلام (مفسدون في الارض) بأنواع الفساد (فهل يجعل لك خراجاً) نخرجه لك من أموالنا - هذا على قراءة الجماعة، وزاد حمزة و الكسائي ألفاً^٢، فقيل^٣: هما بمعنى واحد، وقيل: بل الخرج ما تبرعت به، و الخراج بالالف ما لزمك. (على^٤ ان تجعل) في جميع ما^٥ (بيننا و بينهم) من الارض التي يمكن توصلهم إلينا منها بما آتاك الله من المكنة (سداه) يصل بين هذين الجبلين (قال) بعبقة و ديانة و قصد للخير: (ما مكنى) .

١٠ و لما كان لمكته حالتان: إحداهما ظاهرة، و هي ما شوهد من فعله بعد وقوعه، و باطنه و لا يقع احد عليها بحس و لا توم، لأنها بما لم يوافق مثله، فلا يقع المتوسم عليه، قرأ ابن كثير^٦ باظهار النون في " مكنى" و غيره بالإدغام، إشارة إليهما . و لما كان النظر إلى ما يقع المكنة [فيه -^٧] أكثر، قدم ضميره فقال: (فيه ربي) أي المحسن إلى بما ترون من الأموال و الرجال، و الفهم في إتقان^٨ ١٥

(١) كتاب الأنبياء - قصة ياجوج و ماجوج حديث إسماعيل بن نصر (٢) العبارة من هنا إلى « ما لزمك » - ساقطة من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٤/ ١٨٨ (٤) وهو قول أبي عمرو - راجع معالم التنزيل (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ . (٦) العبارة من هنا إلى « ضميره فقال » ساقطة من ظ (٧) زيد في مد: و قدم ضميره فقال (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ .

' الامور، و التوصل إلى جميع الممكن للخلق ' (خير) أي ' من
 خرجكم الذي تريدون بذله لمكتى كما قال سليمان عليه السلام "فا
 اتنى الله خير مما ائتكم" (فاعينونى بقوة) أي آلات و عمال
 اتقوى بها فى فعل ذلك. فان ' أهل البلاد أخبر بما يصلح فى هذا
 العمل من بلادهم و ' ما معنى إنما هو للقتال و ما يكون من أسبابه ،
 لا لمثل؛ هذا (اجعل بينكم) ° أى بين ما تختصون به (و بينهم ردما) (١)
 أى حاجزا حصينا موثقا ° بعضه فوق بعض، مع التلاصق ° المتلاحم
 الموجب لأن لا يميز بعضه من بعض ' وهو أعظم من السد '؛ قال
 البغوى ° فخره له الأساس حتى بلغ الماء / [و - °] جعل حشوه
 الصخر و طينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل
 تحت الأرض . (أتونى) بفتح الهمزة و مدها على قراءة الجماعة °
 [أى أعطونى - °] و همزة وصل و همزة بعدها ساكنة، أى جيتونى
 و تعالوا إلى فقد أجتكم إلى سؤالكم °، ثم ابتداء مغربا على هذه القراءة
 فقال °: (زبر الحديد) أى 'عليكم به فأحضروا إلى ' قطعة، فأتوه
 (١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٢٧ آية ٣٦ .
 (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : مثل (٥) العبارة من هنا إلى « تختصون به »
 ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
 (٧) فى معالم التنزيل - راجع الباب ٤ / ١٨٨ (٨) من ظ و مد و العالم،
 و فى الأصل : حفر (٩) زيدت الواو من العالم (١٠) راجع نثر المرجان ٤ / ١٨٩ .
 (١١) زيد من مد (١٢) فى مد : سولكم (١٣) العبارة من « بفتح الهمزة »
 إلى هنا ساقطة من ظ .

بذلك فردم ' ما فوق الأساس ' بعضه على بعض صفا من الحديد^٢
وصفا من الحطب، قال البغوى^٣: فلم يزل يجعل قطع^٤ الحديد على
الحطب والحطب على الحديد . (حتى^٥ اذا ساوى) ' أى بذلك
البناء ' (بين الصدفين) أى أعلى^٦ منقطع الجبلين الموصوفين، سيما
لتصادفهما - أى تقابلهما وتقاربهما - بالبناء على تلك الحالة عرضاه
وطولا،^٧ وقراءة من فتح الصاد والذال^٨ - وهم نافع وحمزة
والكسائي وحفص عن عاصم - [دالة -^٩] على أن تقابلهما في
غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وقراءة ابن كثير
وأبي عمرو وابن عامر بضمهما دالة على أنه مع ذلك في غاية القوة حتى
أن أعلاه وأسفله سواء^{١٠}، وقراءة شعبة عن عاصم بالضم وإسكان^{١٠}
الذال دالة على أشد ثبات وأتقنه في كل منهما، فلا ينتخر شيء منهما
على طول الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين برخاوة
من سياخ أو غيره (قال) أى^{١١} للصانع: (انفخوا^{١٢}) في الأكوار
فنفخوا^{١٣} فأضرم فيه النار، واستمر كذلك (حتى^{١٤} اذا جعله)^{١٤}

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: حديد .
(٣) في معالم التنزيل - راجع الباب ١٨٩/٤ (٤) ليس في المعالم (٥) سقط من
ظ (٦) العبارة من هنا إلى ' سياخ أو غيره ' ساقطة من ظ (٧) راجع نثر
المرجان ١٩٠/٤ (٨) زيد من مد (٩) من مد، وفي الأصل: فكأنه (١٠) زيد
في الأصل: فلا يعحر شيء - كذا، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (١١) من ظ
و مد، وفي الأصل: فانفخوا (١٢) زيد في الأصل: نارا، ولم تكن الزيادة
في ظ و مد لحذفها .

أى ' كله (نارا لا قال) للقوم: (اتوني) بالنحاس (افرغ عليه)
 ٢. أى الحديد المحمى (قطراؤه) منه بعد إذابته، فإن القطر: النحاس
 الذائب، هذا فى قراءة حمزة و أبى بكر عن عاصم باسكان الهمزة،
 و قراءة الباقين بفتح الهمزة و مدّها بمعنى أعطونى النحاس^٢. ففعلوا ذلك
 ٥. فاختلط^٢ و التصق بعضه ببعض و صار جبلا صلبا، ثم قال الله تعالى:
 (فما) أى قسب عن ذلك أنه^١ لما أكل عمله و أحكمه ما
 (استطاعوا) أى ياجوج و ماجوج و غيرهم (ان يظهره) أى
 يعلو ظهره لعلوه و ملاسته (و ما استطاعوا له نقبا) أى شخه و صلابته^٢،
 و زيادة التاء هنا تدل على أن العلو عليه أصعب من نقيه^٥ لارتفاعه
 ١٠. و صلابته و التحام بعضه ببعض حتى صار سيكها واحدة من حديد
 و نحاس فى علو الجبل، و قد حكى ابن خرداذبه^٦ عن سلام^٧ الترجمان
 الذى أرسله أمير المؤمنين الواصل إلى حنى حتى رآه أن ارتفاعه مد البصر^٨.

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من مد، و فى
 الأصل: و اختلط، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « قال الله تعالى »
 ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لانه (٥) فى ظ: ثقبه (٦) من
 الأعلام للزركلى ٣/٤، و فى الأصول: خرداربه - كذا، و راجع الأعلام
 أيضا للمعتمد على الاختلاف الدائر حول تحقيق ضبطه (٧) زيد فى الأصل: ابن،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و روح المعانى ٥/١٤. فحذفناها (٨) و فى روح
 المعانى ما ملخصه: و أما ما ذكره بعضهم من أن الواصل بالله العباسى أرسل سلاما
 الترجمان للكشف عن هذا السد فتقات المؤرخين على تضعيفه. و ذكر فى غرائب
 القرآن للنيسابورى أن الواصل رأى فى المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض
 الخدم إليه - راجع هامش الطبرى ١٦/٢١ و راجع أيضا تاريخ الإسلام ٤٧/٢.
 و لأنهم

ولأنهم^١ لو احتالوا بيناء درج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهروا عليه لم ينفعهم [ذلك -^٢] لأنه لا حيلة لهم على النزول من الجانب الآخر، ويؤيده أنهم إنما يخرجون في آخر الزمان بنقبة لا بظهوره^٣، ولا ينافي نفي الاستطاعة لنقبة ما رواه الإمام أحمد^٤ والترمذى في التفسير^٥ وابن ماجه في الفتن^٦ عن أبي رافع عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إن ياجوج و ماجوج ليحفرون^٧ السد كل يوم حتى إذا كادوا^٨ يرون شعاع الشمس قال الذى^٩ عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، فيعودون إليه كأشد ما كان حتى [إذا -^{١٠}] بلغت مدتهم و أراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى [إذا -^{١١}] كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى^٩ عليهم: ارجعوا^{١٠} فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس - الحديث . وفي حديث الصحيحين^{١١} عن زينب بنت جحش رضى الله عنها عن النبي صلى الله

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: لوأنهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: يظهره (٤) في المسند ١٠٠/٢ هـ (٥) ص ٣٨٣ (٦) باب فتنة الدجال و خروج عيسى ابن مريم و خروج ياجوج و ماجوج، و أغلب السياق لمسند أحمد و ابن ماجه (٧) من المسند، وفي الأصل و ابن ماجه: يحفرون، وفي ظ و مد: ليحفرون (٨) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه، وفي الأصل: كادون - كذا (٩) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه، وفي الأصل: الذين (١٠) زيد من ظ و مد و المسند و ابن ماجه (١١) البخارى =

عليه وعلى آله وسلم : فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا^١ ، وخلق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وروياه عن أبي هريرة رضى الله عنه وفيه^٢ : مثل / هذا^١ وعقد تسعين . فكأنه قيل : فما قال حين أفرغه ؟ قيل : (قال هذا)^٢ أى السد^٣ (رحمة من ربى ج) المحسن إلى باقدارى عليه ومنع الفساد به (فاذا جاء وعد ربى) بقرب قيام الساعة (جعله دكآء ج) باقدارهم على تقبه وهدمه وتسهيل ذلك عليهم ،^٤ والتعبير بالمصدر المنون في قراءة الجماعة للبالغة في دكه هو الذى أشارت إليه قراءة الكوفيين^٥ بالمد ممنوعا من الصرف .

/٣٩٥

١٠. ولما كان هذا أمرا مستعظما خارقا للعادة، علله بقوله : (وكان وعد ربى) الذى وعد به في خروج ياجوج وماجوج واختراقهم الأرض وإفسادهم لها ثم قيام الساعة (حقاؤه) كأننا لا محالة ، فلذلك أعان على هدمه ، وعن قتادة^٦ قال : ذكر لنا أن

= في عدة مناسباته بما فيها الفتن و مسلم في أوائل الفتن .

(١) في بعض الروايات : هذه (٢) في ظ : منه (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الصرف » ساقطة من ظ (٥) راجع نثر المرجان ١٩٢/٤ (٦) ذكر في المعالم قول قتادة على وجه الاختصار - راجع للباب ١٨٩/٤ ، والحديث أخرجه في روح المعاني ١٤٠/٥ عن ابن جرير وابن مردويه ، وذكره في روح المعاني ١٦٤/٦ أيضا كما ذكره في الكشاف ٥٨٠/١

رجلا - وفي رواية: عن رجل من أهل المدينة قال: يا رسول الله! قد رأيت سد ياجوج وماجوج، قال: انفته لي، قال: كالبرد المحبر: طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي رواية: طريقة حمراء من حديد وطريقة سوداء من نحاس، وفي رواية أنه قال: انتهت إلى أرض ليس لهم إلا الحديد يعملونه^١ - رواه الطبري وابن أبي عمير والطبراني ه في مسند الشاميين وابن مردويه عنه والبزار من وجه آخر من طريق أبي بكره رضي الله عنه - ذكر ذلك شيخنا ابن حجر في تخریج أحاديث الكشاف، وفي حديث فتح الباب من سيرة الحافظ أبي الربيع ابن سالم^٢ السكلاعي وشيخه ابن حيش^٣ - وكان أميراً تلك الجيوش التي بها عبد الرحمن بن ربيعة في أيام عمر رضي الله عنه - ما نصه^٤: وحدث ١٠ مطر بن ثلج التميمي قال: دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهر براز عنده - يعني: وكان ملك الباب من جهة آل كسرى - فأقبل رجل عليه شحوبة^٥ حتى جلس إلى شهر براز قسءاءلا، ثم إن شهر براز قال لعبد الرحمن: أيها الأمير! أتدرى من أين جاء هذا الرجل؟ إني^٦ بعته منذ سنين نحو السد لينظر لي ما حاله ومن دونه، ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: يعلمونه (٢) هو سليمان بن موسى بن سالم المتوفى سنة ٦٣٤، واسم سيرته «الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفاء» - راجع الأعلام ٣/ ١٩٩ وتذكرة الحافظ ١٤١٧ (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة ٥٨٤ راجع الأعلام ٤/ ١٠٤ والتذكرة. (٤) راجع أيضا تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٨ بالإضافة إلى تاريخ الإسلام ٢/ ٤٦ (٥) من الطبري، وفي الأصل و مد: محبوب، وفي ظ: صحوت (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: أي .

و زودته مالا عظيما ، و كتبت له إلى من يلي^١ و أهدبت له و سأله
 أن يكتب إلى من وراءه ، و زودته لكل ملك هدية ، ففعل ذلك بكل
 ملك^٢ يلي^٣ و بينه حتى انتهى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه ، فكتب
 له إلى عامله على ذلك^٤ البلد ، فأتاه فبعث معه بازياره و معه عقابه ، فذكر
 ٥ أنه أحسن إلى البازيار ، قال : فتشكر^٥ لي البازيار ، فلما انتهينا إذا جبلان
 بينهما سد مسدود حتى ارتفع على^٦ الجبلين بعد ما استوى بهما ، و إذا
 دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده ، فنظرت إلى ذلك
 و تفرست فيه ، ثم ذهبت لأنصرف فقال لي البازيار : على رسلك ا
 أ كافيك أنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله تعالى بأفضل ما عنده
 ١٠ من الدنيا فيرمي به في هذا اللهب ، فشرح^٧ بضعة [لحم - ٧] معه فألقاها في
 ذلك الهواء و انقضت عليها العقاب و قال : إن أدركتها قبل أن تقع
 فلا شيء ، و إن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء ، فخرجت علينا باللحم في
 مخالبا و إذا فيه^٨ باقوتة فأعطانيها ، و هي هذه ، فتناولها منه شهربراز
 و هي حمراء فناولها عبد الرحمن فنظر^٩ إليها ثم ردها إليه فقال شهربراز :
 ١٥ هذه خير من هذه البلدة - يعني الباب - و أيم الله ا لأنتم أحب
 إلى ملكة^{١٠} من / آل كسري ، ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها

(١) من ظ و مد و الطبرى ، و في الأصل : ينبئني (٢) من ظ و مد و الطبرى ،
 و في الأصل : مكث (٣) من ظ و مد و الطبرى ، و في الأصل : تلك (٤) من
 مد و الطبرى ، و في الأصل و ظ : فشكر (٥) من مد و الطبرى ، و في الأصل و ظ :
 الى (٦) من ظ و مد و الطبرى ، و في الأصل : فشدخ (٧) زيد من الطبرى .
 (٨) من الطبرى ، و في الأصول : فيها (٩) من ظ و مد و الطبرى ، و في الأصل :
 فترز (١٠) من ظ و مد و الطبرى ، و في الأصل : مكة .

لا تنزعوها^١ مني ، وأيم الله ! لا يقوم لكم شيء ما وفيتم أو وفي ملككم
 الأكبر ، فأقبل عبد الرحمن^٢ على الرسول وقال : ما حال الردم^٣ وما
 شبهه؟ فقال : هذا الثوب الذي على هذا الرجل ، وأشار إلى مطرب بن تلج
 وكان عليه قباء برود يمنية^٤ أرضه حمراء وشبهه^٥ أسود ، أو وشبهه أحمر
 وأرضه سوداء ، فقال مطر : صدق والله الرجل ! لقد نفذ ورأى ، قال ه
 عبد الرحمن : أجل ! ووصف صفة الحديد والصفير وقرأ " اتوني زبر
 الحديد " إلى آخر الآية ، وقال عبد الرحمن لشهربراز : كم كانت هديتك ؟
 قال : قيمة مائة ألف في بلادى هذه ، وثلاثة آلاف [ألف - ٦]
 أو^٧ أكثر في تلك البلدان - انتهى . وقد ظهر أن [ما - ٨] تعتوا به
 - من قصتي أصحاب^٩ الكهف وذي القرنين وما أدرج بينهما تبيكتا لليهود
 الآمرين بذلك - دال [من قصة موسى عليه السلام - ٨] على قيام
 الساعة فصار كله أعظم ملزم لهم^{١٠} إن قبلوه ، وأوضح فاضح لعنادهم
 إن تركوه .

ولما انقضى ما سألوا عنه على أحسن وجه في أبلغ سياق وأبدع تناسب ،
 وأدرج في خلاله ما أدرج من التذكير والوعظ ، والأمر والنهي ، ١٥

(١) من ظ و مد والطبرى ، وفي الأصل : لا تنزعوها (٢) من ظ و مد
 والطبرى ، وفي الأصل : عبدا (٣) من ظ و مد والطبرى ، وفي الأصل : الرى .
 (٤-٤) من ظ و مد والطبرى ، وفي الأصل : شمهه قال (ه-ه) من ظ و مد
 والطبرى ، وفي الأصل : حمراء أرضه دونه (٦) زيد من ظ و مد والطبرى .
 (٧) من الطبرى ، وفي الأصول " و " (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد ،
 وفي الأصل : قصص اهل ، وفي ظ : نصصى اهل (١٠) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : له .

و الوعد و الوعيد ، و الترغيب و التهيب ، و التبييت للكافرين لما عندهم
من العلم ، ' الناكبين عما استبان لهم من الطريق اللاحب و المنهج
الواضح صنع القادر الحكيم الذي لا يستخفه ضجر فيستعجل ،
و لا يعيه أمر فيستهمل ، و ختمه بما هو علم عظيم للساعة ، ذكر
ما يكون إذ ذاك و ما يكون بعده إلى حصول كل من الفريقين في
داره و محل استقراره ؛ و لما كان ذلك أمرا عظيما ، دل عليه بالنون
فقال ' عاطفا على ما تقديره : فقد بان أمر ذى القرنين أى يان ،
و صدق في قوله " فاذا جاء وعد ربى " فانه إذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا
التي توتيتها لياجوج و ماجوج دكاه فأخرجناهم على الناس بعد خروج
١٠ الدجال : (و تركنا بعضهم) أى بعض من خلف السد و من أمامه
(يومئذ) أى إذ جعلنا السد دكاه ٢ و خرجوا مقدمتهم بالشام ٣
و ساقطتهم بخراسان ، و هم - كما قال الله تعالى - من كل حذب ينسلون -
(يموج) ٤ أى يضطرب ٥ (فى بعض) كما يموج البحر ، فأهلكوا
ما مروا عليه من شيء إلا ما ٥ أراد الله ، ثم أبادهم الذى خلقهم
١٥ و بقرب ذلك أقى الخلائق أجمعين (و نفخ فى الصور) أى النفخة
الثانية لقوله : (فجمعنهم) و يجوز أن تكون هذه الفاء الفصيحة
فيكون المراد النفخة الأولى ، أى و نفخ [فى الصور - ٦] فأت الخلائق

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : العاملين على ما (٢ - ٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « حذب ينسلون » ساقطة من ظ (٤) من
مد ، و فى الأصل : الشام (٥) فى ظ : من (٦) زيد من ظ .

كلهم ، فبليت أجسامهم ، وفتت^١ عظامهم ، كما كان من تقدمهم ،
ثم قنخ [فيه -^٢] النفخة الثانية لجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه ،
و تفرقهم في أقطار الأرض^٣ بالسيول و الرياح^٤ وغير ذلك (جمعا^٥)
فأقنم دفعة واحدة كلح البصر ، وحشرناهم إلى الموقف للحساب ثم
العقاب أو الثواب (و عرضنا) أى أظهرنا (جهنم يومئذ) أى إذ^٥
جمعناهم لذلك (للكافرين عرضاء) ظاهرهم لهم كل ما فيها من الأهوال
و هم لا يجدون عنها مصرفا ؛ ثم وصفهم / بما أوجب سجنهم فيها
٣٩٧/ ° و تجهمها لهم ° فقال : (الذين كانت) ° كونا كأنه جيلة لهم °
(اعينهم) الوجهية و القلية (في غطاء عن ذكرى) بعدم النظر
فيما جعلنا على الأرض من زينة دليلا على الساعة بافائه^٦ إثر إحيائه^{١٠}
و إعادته بعد إبدائه (وكانوا) ° بما جيلناهم عليه ° (لا يستطيعون)
° أى استطاعة عظيمة تسعدم ° ، لضعف عقولهم ، و غرق استبصارهم
في فضولهم (سمعا^٧) لآيات^٧ التى تسمع الصم و تبصر الكمه ، و هو
أبلغ في التبيكيت بالغباوة^٨ و التفرع بالبلادة من مجرد نفي البصر
و السمع ، ° لأن ذلك لا يبنى الاستطاعة ° ؛ ثم عطف على ما أفهمه ذلك^{١٥}

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فتت (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) فى ظ :
فى حواصل الطيور و بطون السباع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمن من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بافائه .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما يأتى - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل :
بالعبارة .

قوله 'موبخا لهم ومبكتا': (الحسب) أى أخطوا أعينهم عن آياتى وأصموا أسماعهم عن كلماتى، و عبدوا عبادى لحسبوا^١ الضعف عقولهم، وإنما قال: (الذين كفروا) دلالة على الوصف الذى أوجب لهم ذلك (ان يتخذوا) 'أى ولو بذلوا الجهد' (عبادى) من الأحياء كاللائكة وعزير والمسيح، والأموات كالأصنام .

١٠ ولما كان كل شيء دونه سبحانه، وكان لا يستغرق شيء من الأشياء جميع ما دون رتبته من المراتب، أثبت الجار فقال: (من دونى أولياءه) 'أى مبتدئين اتخذهم من دون إذنى، والمفعول الثانى لـ "حسب" محذوف تقديره: ينصرونهم ويدفعون عنهم ويحملون بعضهم ولدا لى و^٢ لا أعذبهم^٣. ولما كانت غاية اتخاذ الولى أن يفعل ما يفعل القريب من النصر والحماية من كل مؤذ، جاز كون هذا سادا مسد مفعولى "حسب" لأن معناه: أحسبوا اتخاذهم مانعهم منى؟ ولما كان معنى الاستفهام الإنكارى: ليس الأمر كذلك، بل أصلد زندهم، وغاب جدم، وغاب سعدم، حسن جدا قوله مؤكدا 'لاجل إنكارهم':

١٥ (أنا أعدنا جهنم) التى تقدم أنا عرضناها^٤ لهم (للكافرين نزلا) تقدمها لهم أول قدرهم^٥ كما يعجل للضيف، فلا يقدر أحد على منعها عنهم، ولهم وراها ما يحتقر بالنسبة إليه كما هو شأن ما بعد النزل بالنسبة إليه .

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢-٢) من مد، وفى الأصل: لا أعذبهم، و العبارة من هنا إلى مانعهم منى، ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عرضنا (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: قدمهم .

ولما تبين بذلك الذى لا مرية فيه أنهم خسروا خسارة لا ربح معها، وخاب ما كانوا يؤملون، أمره أن ينبههم^١ على ذلك فقال: ﴿ قل هل ننبئكم^٢ ﴾ أى نخبركم أنا و كل عبد لله^٣ ليست عينه فى غطاء عن الذكر، ولا فى سمعه عجز عن الوعى، إخبارا عظيما أيها التاركون من لا خالق ولا رازق لهم سواه، والمقبلون^٤ على من ليس ه يده شيء من خلق ولا رزق ولا غيره ﴿ بالآخرين ﴾ ولما كانت أعمالهم مختلفة، فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد النجوم، ومنهم من يعبد بعض الأنبياء، ومنهم من يعبد الأوثان، ومنهم من كفر بغير ذلك، جمع المميز فقال: ﴿ اعمالا^٥ ﴾ ثم وصفهم بضد ما يدعونه لأنفسهم من نجاح السعي^٦ وإحسان الصنع فقال: ١٠ ﴿ الذين ضل سعيهم ﴾ أى حاد^٧ عن التقصد فبطل ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ بالإعراض عن^٨ لا ينفعهم ولا يضرهم إلا هو، والإقبال على ما لا تقع فيه ولا ضرر ﴿ وهم ﴾ أى والحال أنهم مع ظهور ذلك كالشمس / ٣٩٨ / ﴿ يحسبون ﴾ لضعف عقولهم^٩ ﴿ فهم يحسنون صنعا^{١٠} ﴾ أى فعلا هو فى غاية الإحكام وهم فى غاية الدربة به^{١١}؛ وروى البخارى فى ١٥

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: ينبئهم (٢) فى ظ: انبئكم (٣) العبارة من هنا إلى « إخبارا عظيما » ساقطة من ظ (٤) من مد، وفى الأصل: الله (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: المبتلون (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: السبي (٧) فى ظ و مد: جار (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: عما (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ .

التفسير عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن الآخرين اليهود والنصارى، قال: أما اليهود فكفروا^١ بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأما النصارى فكفروا^١ بالجنة وقالوا: لا طعام [فيها -^٢] ولا شراب - انتهى . قلت: وكذا قال اليهود لأن الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني .

ولما كانوا ينكرون أنهم على ذلك ، ملازمهم لكثير من محاسن الأعمال ، البعيدة عن الضلال ، بين لهم السبب في بطلان سعيهم بقوله: ﴿ أولئك ﴾ [أى -^٣] البعداء البغضاء^٤ ﴿ الذين كفروا ﴾^٥ أى أوقعوا السر والتغطية لما من حقه أن يظهر ويشهر . مستهينين^٦ ﴿ بايئت ربهم ﴾ ١٠ من كلامه و أفعله ، و بين سبب هذا الكفر بقوله: ﴿ ولقائه ﴾ أى فصاروا لا يخافون فلا يردم شيء عن أهوائهم ﴿ فحبطت ﴾ أى سقطت ، وبطلت وفسدت بسبب جحدم للدلائل^٧ ﴿ أعمالهم ﴾ لعدم بنائها على أساس الإيمان ﴿ فلا ﴾ أى تسبب عن سقوطها أنا لا ﴿ نقيم لهم ﴾ بما لنا من الكبرياء والعظمة^٨ المانعين من اعتراض أحد علينا أو شفاعته^٩ ١٥ بغير إذنا لدينا ﴿ يوم القيمة وزناه ﴾^{١٠} أى لا نعتبرهم^{١١} لكونهم جهلوا أمرنا الذى لا شيء أظهر منه ، وآمنوا مكرنا ولا شيء أخطر منه .

(١-١) سقط ما بين الرقين من مد (٢) زيد من ظ و الصحيح (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : العظمة والكبرياء (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : شفاعته .

ولما كان هذا السياق في الدلالة على أن لهم جهنم أوضح من الشمس قال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الذى بيناه من وعيدهم ﴿جزأؤهم﴾ لكن لما كان حاكما بضلالهم وغباوتهم، بين الجزاء بقوله: ﴿جهنم﴾ وصرح بالسببية بقوله: ﴿بما كفروا﴾ أى أوقعوا التغطية للدلائل ﴿واتخذوا آيتى﴾ التى هى مع إنارتها أجد الجد وأبعد شئ. عن هـ الهزل ﴿ورسلى﴾ المؤيدين بياهر أفعال مع ما لهم من الشهامة والفضل ﴿هزواه﴾ فلم يكتبوا بالكفر الذى هو طعن فى الإلهية حتى ضموا إليه الهزء الذى هو أعظم احتقار.

ولما بين ما لأحد قسمى أهل الجحيم تنفيرا عنهم، بين ما للآخر على تقدير الجواب لسؤال تقتضيه الحال ترغيبا فى اتباعهم ١٠ والاقتران بهم، فقال: ﴿ان الذين امنوا﴾ أى باشروا الإيمان ﴿وعملوا﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ من الخصال ﴿كانت لهم﴾ لبناء أعمالهم على الأساس ﴿جنت﴾ أى بساتين ﴿الفردوس﴾ أى أعلى الجنة، وأصله البستان الذى هو الجنة بالحقيقة لانخفاض ما دونه عنه، وستر من يدخله بكثرة أشجاره ﴿نزلا﴾ ١٥ كما كان السعير والأغلال لأولئك نزلا، بعد لهم حين الدخول ﴿تخلدين فيها﴾ بعد دخولهم ﴿لا يغيون﴾ أى يريدون أدنى إرادة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: ذكر (٣) فى ظ: احد - كذا.

(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ، وزيد بعده فى الأصل: أشجارها، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد حذفناها.

﴿عنها حواه﴾ [أى تحولا - ١] لأنه لا مزيد عليها^٢، دفعا لما قد يتوهم
 من أن الامر كما في الدنيا من^٣ أن كل أحد في أى نعيم كان يشتهى
 ما هو أعلى / منه لأن^٤ طول الإقامة قد يورث^٥ السآمة، بل هم في غاية
 الرضى بها، لما فيها من أنواع الملاذ التي لا حصر لها ولا انقضاء، لا يشتهى
 أحد منهم غير ما عنده سواء كان في الفردوس أو فيما دونه، وهو
 تعريض بالكفرة^٦ في أنهم يصطرخون في النار "ربنا اخرجنا منها"^٧
 وذلك عكس ما كان في الدنيا من ركون الكفار إليها، ومحبتهم في
 طول البقاء فيها، وعزوف المؤمنين عنها، وشوقهم إلى ربهم بمفارقةها.
 ولما تم الجواب عن أسئلتهم على أحسن الوجوه مخرلا بما تراه
 ١٠ من "الحجج البينة"^٨ والنفائس الملزمة^٩ لهم بفصل النزاع، و"اتبع
 ذلك بقص الامر الذي باغضاله تجرأوا على الكفر، وهو أمر البعث
 إلى أن ختمه بما يقتضى أن معلوماته لا تحد، لأن مقدوراته في تعيم
 أهل الجنة لا آخر لها فلا تعد، وكان اليهود قد اعترضوا على قوله
 في أولها "وما اوتيتم من العلم الا قليلا"^{١٠} بأنهم أوتوا التوراة، وكان
 ١٥ لكل ما^{١١} سألوا عنه من الفصول الطويلة الذبول أمور تهول،
 [وكان ربما - ١١] قال قائل: ما له لا يزيد ذلك شرحا؟ قال تعالى أمرا

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ و مد،
 وفي الأصل: يودى (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: لكفرة (٥) سورة ٢٣
 آية ١٠٧ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: الملازمة (٧) من ظ و مد، وفي
 الأصل: او (٨) بهامش ظ: أى الأسئلة (٩) سورة ١٧ آية ٨٥ (١٠) في
 ظ: بما (١١) زيد من ظ و مد.

بالجواب عن ذلك كله ، معلما لهم بأنهم لا يمكنهم الوقوف على تمام شرح شيء من معلوماته ، وآخر استفصال شيء من مقدوراته ، قطعا لهم عن السؤال ، وتقريبا إلى أفهامهم بضرب من المثال : (قل)
 أى يا أشرف الخلق لهم : (لو كان البحر) 'أى ماؤه' على عظمته عندكم (مدادا) 'و هو اسم لما يمد به الدواء من الخبز' (لكلمت) أى لكتب ه
 كلمات (ربى) أى ' المحسن إلى ' فى وصف ذلك و ' غيره بما تعتموه
 فى السؤال عما سألتم عنه أو غير ذلك (لنفد) أى فنى ' مع الضعف
 فناء لا تدارك له ' (البحر) لأنه جسم متناه .
 ' ولما كانت مخلوقات - لكونها ممكنة - ليس لها من ذاتها إلا العدم ،

و كانت الكلمات من صفات الله ، و صفات الله واجبة الوجود ، فكان ١٠
 تقادما محالا ، فكان نقاد الممكن من البحر و ما يمد به بالنسبة إليها مستغرقا
 للآزمنة كلها ، جرد الظرف من حرف الجر فقال : (قبل ان تنفد)
 'أى تقضى و تفرغ' (كلمت ربى) لأنها لا تنتهى لأن معلوماته
 و مقدوراته لا تنتهى ، و كل منها له شرح طويل ، و خطب جليل ؛
 ' ولما لم يكن أحد غيره يقدر على إمداد البحر قال : (ولو جئنا) ١٥
 أى ' بما لنا من العظمة التى لا تكون لغيرنا (بمثله مدداه) ' أى ' له
 يكتب منه ' لنفد أيضا ، وهذا كله كناية عن عدم النفاذ ، لأنه تعليق

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ : او .

(٤) العبارة من هنا إلى « البحر قال » ساقطة من ظ (٥) فى مد : صفة (٦) العبارة

من هنا إلى « البحر قال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : مداد (٨) سقط

من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « و نحو هذا » ص ١٥٢ س ٢ ساقطة من ظ .

على محال عادة كقولهم : لا تزال على كذا ما بل بحر صوفة^١ وما دجى الليل ، ونحو هذا ، ولعله عبر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه ، وذلك أمر لا يدخل تحت وصف ،^٢ وعبر بالقبل دون أن يقال « ولم تنفد ، ونحوه ، لأن ذلك كاف في قطعهم عن الاستقصاء في السؤال ولأن التعبير بمثل ذلك ربما فتح بابا من التعتت وهو أن يجعلوا الواو للحال فيجعلوا النفاذ مقيدا / بذلك ، وأما سورة لقمن^٣ فانتضى سياقها في تأسيس ما فيها على « الغنى » الحميد^٤ ومقصودها أن يكون التعبير فيها بغير ما ههنا ، فإني كل سورة أبلغ بالنسبة إلى سياقها ، مع أنه ليس في إفصاح واحدة منها ما يدل على نفاذ الكلمات ولا^٥ عدمه ، [و-^٦] في إفهام كل منهما بتدبر القرائن في السياق^٧ وغيره ما يقطع بعدم نفاذها - ولا تخالف بين الآيتين وإن كان التعبير في هذه السورة أدخل في التشابه^٨ ، ويحجب عنه بما قالوا في مثل قول الشاعر « على لاجب^٩ لا يهتدى بمناره » من أن ما في حيز السلب لا يقتضى الوجود ، ولعل التعبير بمثل ذلك من الفتن المميزة بين ١٥ من في قلبه مرض وبين الراسخ الذي يرد المتشابه إلى المحكم ، وهو ما دل عليه البرهان القاطع من أن الله تعالى لا نهاية لذاته ، ولا لشيء من

(١) من مد واللسان [صوف] ، وفي الأصل : صفوه (٢) العبارة من هنا إلى « واقع أعلم » ص ١٥٣ س ١ ساقطة من ظ (٣) آية ٢٧ (٤) من مد و سورة لقمان آية ٢٦ ، وفي الأصل : معنى (٥) من مد ، وفي الأصل : ما (٦) زيد من مد . (٧) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في مد نخذتها (٨) من مد ، وفي الأصل : الثناء (٩) من مد - وهو الطريق الواسع ، وفي الأصل : النصب .

صفاته ، بل هو الأول^١ و الآخر الباقي بلا زوال - و الله أعلم .
 و لما كانوا ربما قالوا : ما لك لا تحدثنا من هذه الكلمات بكل
 ما نسألك عنه حينما سألتناك^٢ ؟ و كانوا قد استنكروا^٣ كون النبي بشرا ،
 و جوزوا كون الإله حجرا ، و غيوا إيمانهم به بأمر سألوه في الإتيان
 بها كما تقدم بعد أول مسألتهم ، و هي الروح آخر سبعين ، و كان قد ه
 ثبت باجابتهم عن المسائل على هذا الوجه أنه رسول . أمره سبحانه
 أن^٤ يجيهم عن ذلك كله^٥ بما يرد عليهم^٦ غلظهم ، و يفضح شبههم^٧ . إرشادا
 لهم إلى أهم ما يعينهم^٨ من الحرف الذي النزاع كله دائر عليه و هو
 التوحيد^٩ فقال : (قل إنما أنا)^{١٠} أى فى الاستعداد بالقدرة على إيجاد
 المدوم و الإخبار^{١١} بالمغيب (بشر مثلكم)^{١٢} أى لا أمرى و لا قدرة .
 إلا على ما يقدرنى عليه ربى ، و لا استبعاد لرسالتى من الله فان ذلك سنته
 فيمن قبلى^{١٣} (يوحى الى)^{١٤} [أى -] من الله الذى خصنى بالرسالة كما
 أوحى إلى الرسل قبلى ما لا غنى لأحد عن علمه و اعتقاده (إنما الهكم)
 (١) من مد ، و فى الأصل : الايق له (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سائتك .
 (٣) فى ظ : استذكروا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : آلهة (٥ - ٥) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٧) سقط من ظ
 و مد (٨ - ٨) فى ظ : الامرين معا (٩) العبارة من هنا إلى « بالمغيب » ساقطة
 من ظ (١٠) زيد فى الأصل : و لا استبعاد ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .
 (١١ - ١١) تكرر ما بين الرقيين فى مسد بعد « قل إنما أنا » (١٢) زيد
 من مد .

'و أشار إلى أن إلهيته بالإطلاق لا بالنظر إلى ' جعل جاعل ولا غير ذلك فقال: ﴿إله واحد ج﴾ أي^١ لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها ، قادر على ما يريد ، لا منازع له ، لم يؤخر جواب ما سألتون عنه من عجز ولا جهل ولا هوان [بي - °] عليه - هذا هو الذي يعني كل أحد عليه ، وأما ما سألتم عنه من أمر الروح والقصتين فتتأ فأمرو لو جهلتموه ما ضرركم جهله ، وإن اتبعتوني علمتموه الآن وما دل عليه من أمر الساعة إيماناً بالغيب علم اليقين ، وعلمتموه بعد الموت بالمشاهدة عين اليقين ، وبالمباشرة حق اليقين ، وإن لم تتبعوني لم ينفعكم علمه ﴿فن﴾ أي قسبب عن وحدته المستلزمة لقدرته أنه من ﴿كان يرجوا﴾^{١٠} أي يؤمن بمجازاته له على أعماله في الآخرة برويته وغيرها ، وإنما قال :

﴿لقاء ربه﴾ تنبيها على أنه هو المحسن إلى كل أحد بالتفرد بخلقه ورزقه ، لا شريك له في شيء من ذلك على قياس ما نعلمه من أنه لا مالك إلا وهو قاهر لمملوكه على لقائه ، مصرف له في أوامره في صباحه ومساءته .

١٠ / ولما كان الجزاء من جنس العمل ، كان الواجب على العبد الإخلاص في عمله ، كما كان عمل ربه في تربيته بالإيجاد وما بعده ، فقال^١ : ﴿فليعمل﴾^١ وأكده للاعلام بأنه لا بد مع التصديق من الإقرار فقال^٢ : ﴿عملا﴾ أي^٢ ولو كان قليلا ﴿صالحا﴾ وهو ما يأمره به^٢

(١) العبارة من هنا إلى «ذلك فقال» ساقطة من ظ (٢) زيد في الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٣) سقط من ظ (٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ ومد (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧-٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : يؤمن ربه - كذا .

/ ٤٠١

من أصول الدين و فروعه من التوحيد و غيره من أعمال القلب و البدن
و المال' ليسلم من عذابه (و لا يشرك) أى و ليكن ذلك العمل مبنيًا
على الأساس و هو أن لا يشرك و لو بالرياء (بعبادة ربه احداً)
فاذا عمل [ذلك - ٢] فاز فحاز علوم الدنيا و الآخرة ، و قد انطبق آخر
السورة على أولها بوصف كلمات الله ثم ما يوحى إليه ، و كل منهما أعم ه
من الكتاب بالأقومية للدعاء إلى الحال الأسلم ، فى الطريق الأقوم ،
و هو التوحيد عن الشريك الأعم من الولد و غيره ، و الإحسان فى العمل ،
مع البشارة لمن آمن ، و النذارة لمن أعرض عن الآيات و الذكر ، فإن
بذلك أن الله تعالى - بوجدانيته و تمام علمه و شمول قدرته صفات - الكمال ،
فصح أنه المستحق لجميع الحمد - و الله الموفق ، و الحمد لله على إتمام ١٠
سورة الكهف من كتاب نظم الدرر من تناسب الآى و السور .



(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : الله (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و موضعه فى مد ه تم
الجزء الثانى من المناسبات للبقاعى آخر سورة الكهف ، و يتلوه أول الثالث
سورة مريم عليها السلام ، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد
و على آله و صحبه و سلم ، و حسبنا الله و نعم الوكيل .

سورة مريم عليها السلام

مقصودها بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بافاضة^١ النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه لجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرب، المستلزم [لتمام القدرة -^٢] الموجب للقدرة على البعث و التنزه^٣ عن الولد [لأنه لا يكون إلا محتاج، و لا يكون إلا مثل الوالد -^٤]، و لا سمي له سبحانه فضلا عن مثل^٥، و على هذا دلت تسميتها بمريم. لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة و شمول العلم، لأن أغرب ما في المخلوقات و أجمعه خلقا الآدمي، و أعجب أقسام توليده [الأربعة -^٦] - بعد^٧ كونه آدميا^٨ - ما كان من أنثى بلا توسط ذكر، لأن ذلك أضعف الأقسام، و أغرب ذلك أن يتولد منها على ضعفها أقوى النوع و هو الذكر، و لاسيما إن أوتى قوة الكلام و العلم و الكتاب في حال الطفولية، و أن يخبر بسلامته الكاملة فيكون الأمر كذلك، لم يقدر أحد - مع كثرة الأعداء - على^٩ أن يمسه بشيء من أذى، هذا إلى^{١٠} ما جمعته^{١١} من

- (١) من ظ و مد، و في الأصل: السورة التي يذكر فيها (٢) هي التاسعة عشرة من سور القرآن، مكية مع الاختلاف الدائر حول استثناء بعض الآيات، و عدد آياتها ثمان و تسعون عند العراقيين و الشاميين، و تسع و تسعون عند المكيين، و أما المدنيون فلهم قولان - راجع روح المعاني ٥ / ١٥١ (٣) زيد قبله في الأصل: بسم الله الرحمن الرحيم و به الإعانة، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و في الأصل و ظ: بإضافة (٥) زيد من ظ و مد. (٦) من ظ و مد، و في الأصل: الفقرة (٧) في مد: مثيله (٨) زيد من ظ. (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد، و في الأصل: إذا (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: جمعه.

إخراج الرطب في غير حينه من يابس الحطب ، ومن إنباع الماء في غير موضعه ، وعلى مثل ذلك أيضا دلت تسميتها بما في أولها من الحروف ، يان ذلك أن مخرج الكاف من أقصى اللسان مما يلي الحلق ويحاذيه من أسفل الحنك ، وهي أدنى من مخرج القاف قليلا إلى مقدم الفم ، ولها من الصفات همس والشدة والانفتاح والاستفال ، ومخرج الهاء من أقصى الحلق لكنها أدنى من همزة إلى جهة اللسان قليلا ، ولها من الصفات [همس و الرخاوة والانفتاح والاستفال والحقاء . ومخرج الياء من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى ، ولها من الصفات الجهر و الرخاوة والانفتاح والاستفال ، وهو أغلب صفاتها ، ومخرج العين من وسط الحلق ، ولها من الصفات - '] / الجهر وبين الشدة و الرخاوة ١٥ / ٤٠٢

والانفتاح والاستفال ، ومخرج الصاد من طرف رأس اللسان وبين أصول الثنتين السفليين ، وله من الصفات همس و الرخاوة والإطباق والاستعلاء والصفير ، فالانفتاح بهذه الأحرف هنا إشارة - والله أعلم - إلى أن أهل الله عامة - من ذكر منهم في هذه السورة وغيرهم - يكون أمرهم عند المخالفين أولا - كما تشير إليه الكاف - ضعيفا مع شدة ١٥

وانفتاح كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم أول مادعا ، فانه اشتهر أمره ولكنه كان ضعيفا بانكار قومه إلا أنهم لم يبالغوا في الإنكار ، ثم يصير الأمر في أوائل العراك - كما تشير إليه الهاء - إلى ' استفال' ،

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٢) في مد : مع (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : استقبال .

ثم يزداد بتناؤ المستكبرين عليهم ضعفا وخفاء، وإلى هذا تشير قراءتها بالإمالة، ولا بد مع ذلك من نوع ظهور - كما يشير إليه انفتاح الهاء وإليه تشير قراءة الفتح، وهذا كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين صرح بسب آلهتهم وتسفيه أحلامهم وتضليل آبائهم فقاموا عليه إلى واحد، فهاجر^١ أكثر الصحابة رضى الله عنهم إلى الحبشة، وخاف أبو طالب دهاء العرب فقبل قصيدته اللامية^٢ في ذلك، وتمادى الحال حتى ألجأتهم قريش إلى الشعب، و^٣ تكون في وسط أمرهم - كما يشير إليه الياء وقراءتها بالفتح - لهم قوة مع رخاوة واشتار واستفال، وهو الأغلب عليهم ظاهرا كما تشير إليه قراءة الإمالة، فيكون ذلم من ١٠ وراء عز وعزيم في ثوب ذل، يعرف ذلك من عناه، ونظر إليه بعين الحقيقة واجتلاه، وهذا كما كان عند قيام من قام من قريش في نقض الصحيفة الظالمة وإخراجهم من الشعب، ثم عند موت خديجة رضى الله عنها وأبى طالب، وخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فردوه - بأبى هو وأمى ونفسى وولدى وعينى، فلما قرب من مكة المشرفة لم يستطع دخولها بغير جوار، فاختنق في غار حراء وأرسل [إلى -^٤] من يجيره، ثم أرسل حتى أجاره المطعم بن عدى، ولبس السلاح هو ومن أطاعه وأدخله صلى الله عليه وسلم حتى طاف بالبيت، ثم قضى سبحانه أن قتل المطعم في بدر كافرا - بعد اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم [في سلامته -^٥] والإيصاء به أن لا يقتل - ليعلم أنه سبحانه

(١) من ظ، ومد وفي الأصل: فهم (٢) راجع سيرة ابن هشام ١/١١ (٣) سقطت الواو من مد (٤) زيد من ظ ومد.

مختار في عموم رحته و خصوصها ، لثلا يأس عاصٍ أو يامن طائع ؛
ثم إذا علا أمرم عن الوسط صاعدا قوى - كما تشير إليه العين ، فصار
بين الشدة و الرخاوة ، وفيه انفتاح بشهرة مع استفال في بعض الامر
كما كان حاله صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الانصار رضوان الله
عليهم ، و أما آخر أمرم فهو و إن كان فيه نوع من الضعف ، و ضرب ه
من الرخاوة و اللين كما كان في غزوة حنين و الطائف ، فانه تعبه
قوة عظيمة بالإطباق ، و استعلاء ، و اشتهاً يملأ الآفاق ، كما يشير إليه
الصفير - هذا في أهل الله عامة المذكورين في هذه السورة و غيرهم ،
و أما ما يخص عيسى عليه الصلاة و السلام الذي هو صورة سورتها
و مطمح إشارتها [و سيرتها - ٢] فجعل الحروف / اللسانية من هذه ١٠ / ٤٠٣
الحروف أغلبها ثلاثة أحرف منها إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام
بما أعطى في نفسه و في ذريته و لسان الصدق المذكور به هو لسان
هذا الوجود ، و أن دولة آلهم الذين [عيسى عليه السلام من أعيانهم
هى وسط هذا الوجود حقيقة و خيارا - ٢] . فوسى عليه السلام أول
أصحاب شرائعهم بمنزلة القاف التى هى من أقصى اللسان وله حظ كبير ١٥
منها ، فانه من أجله قتل أبناءه بنى إسرائيل و ولد في سنة القتل ، وكان سبب
هجرته و ابتداء سيره إلى الله تعالى قتله القبطى ، و قرب نجيا ، و من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستعلاء (٢) زيد من مد (م) زيد من ظ
و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : موسى (ه) من ظ و مد ، و فى
الأصل : انبياء .

صفاتهما الجهر والشدة والافتتاح،^١ والاستعلاء والقلقلة^٢، وهو عريق في كل من خيرات ذلك، وداود عليه السلام ثاني ذوى كتبهم بمنزلة الهمزة التي هي أبعد من مخرج الهاء إحدى هذه الحروف، وهو أول من جمع من نبي إسرائيل بين الملك والنبوة، وله حظ من^٣ صفاتها: الجهر والشدة والافتتاح، بما كان فيه من الملك والظهور، والنصر على الأعداء ومعجائب المقدور، وله حظ من وصفها بالاستفال في أول أمره وفي آخره بما كان من بكائه وتواضعه^٤ وإخباته لربه وصلاحه، فالكاف هنا إشارة إلى أن عيسى عليه الصلاة والسلام هو ثاني الشارعين^٥ في الوجود، والهاء عبارة عن أنه من عقب داود عليهما السلام، وكل ١٠ منها له حظ من صفات الحرف المشير إليه الدال عليه، والصاد التي هي من طرف اللسان وهي خاتمة هذه الحروف إشارة بما فيها من الإطباق المشير [إلى تطبيق الرسالة لجميع الوجوه، ومن الاستعلاء المشير -^٦ إلى نهاية العظمة، والصفير المشير إلى غاية الانتشار والشهرة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى مقرر دينه ومجده عيسى عليه السلام، ١٥] وتشير الكاف أيضا بما فيها^٧ من الصفات إلى أن أول أمر عيسى عليه السلام -^٨] يكون فيه مع الشدة ضعف، ثم تشير أيضا الهاء - التي هي^٩ من أقصى الحلق - إلى أن أمره يطن بعد ذلك الظهور ويخفى بارتفاعه إلى السماء، ويدل الاستفال على أنها قريبة إلى^{١٠} السفلى، وهو

(١-١) في مد: القلظة (٢) من ظ و مد. وفي الأصل: في (٣) من ظ و مد،
وفي الأصل: نواحه (٤) في ظ: السارجين (٥) زيد من ظ و مد (٦) في مد:
فيه (٧) سقط من مد (٨) زيد في الأصل: الذي هو، ولم تكن الزيادة في
ظ و مد لحذفناها.

كذلك فانه في ' الثانية بدلالة' رتبة الكاف والهاء في مخرجيهما،
وتشير الياء بجهرها إلى ظهوره بنزوله ، وتدل بكونها من وسط اللسان
على تمكنه في أموره ، وبعلاقتها على شيء في ذلك وهو ضعف الاتباع
و' حصرهم' في ذلك الوقت ، وتدل بافتتاحها ورخاوتها على ظهوره على
الرجال في أولئك القوم الذين قد جهدهم البلاء عند نزوله ، ومسهم ٥
الضر قبل حلوله ، و' تليح غلبة' الاستفال عليها إلى أمر ياجوج
وماجوج لما يوجهه الله إليه وإني قد' أخرجت عبادا لي لا يدان
لاحد بهم ، فخرز عبادي إلى الطور ، وتدل العين بكونها من وسط
الحق على' انحصارهم ، وبجهرها على أنه لا سبيل للعدو عليهم ولا وصول
بوجه إليهم ، وبما' فيها من البينة' والاستفال على جهدهم مع' حسن ١٠
العاقبة ، و' تبشر' - بما فيها من الانفتاح - بحصول الفتح الذي ليس وراءه
فتح ، وتدل الصاد بمخرجها على القوة الزائدة ، وبالمس والرخاوة
على أنها قوة لا بطش فيها ، وبالإطباق والاستعلاء على عموم الدين
جميع الناس ، وبالصفير على أنه ليس وراء ذلك إلا النفخ في الصور
اعموم الهلاك لكل موجود مفظور. ثم لبعثرة القبور ، وتحصيل ما في ١٥
الصدور ، وكل هذا من ترتيب سنته سبحانه في المصطفين من عباده على

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : من (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : بدليل .
(٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : حصره (٤ - ٤) من ظ ومد ، وفي الأصل :
تليح عليه (٥) سقط من ظ ومد (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : الى (٧) من
ظ ومد ، وفي الأصل : لا (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : التبيه (٩) في مد :
من (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : تشير .

هذا النحو البديع، وترتيب هذه الحروف على هذا / النظم الدال عليه
 دائر على القدرة التامة والعلم الشامل والحكمة الباهرة، رحمهم سبحانه
 بان نكبتهم^١ طريق الجبارين التي أوصلتهم إلى القسوة، وجنبهم سنن
 المستكبرين التي تلجى ولا بد إلى الشقوة، فجعل نصرهم في لوامع انكسار،
 ٥ وكسرم في جوامع انتصار، وحامم من غفامة دائمة تبحر إلى بدخ وعلو
 واستكبار، ومن رقة ثابتة تحمل على ذل وسفول وصغار، فلقـد
 انطبق الاسمان^٢ على المسمى، واتضحا غاية الاتضاح^٣ في أمره ونمائه،
 ٤ وهذا معنى ما قال الكلبي: هو ثناء أثنى الله به على نفسه^٤. (بسم الله)
 المتزه عن كل شائبة نقص، القادر على كل ما يريد (الرحمن) الذي
 ١٠ عم^٥ نواله سائر مخلوقاته (الرحيم) الذي اختص الصالحين من عباده،
 بما يسعد من مراده.

لما كان مقصود التي^٦ قبلها الدلالة على أن القرآن قيم لأعوج
 فيه، وبه تمام الانتظام في نعمة الإبقاء الأول، ودل على ذلك بأنه
 ساق المسؤل عنه من القصص أحسن سوق، وكشف عن مخبئاته
 ١٥ الفناع^٧ أبداع كشف - إلى غير ذلك مما خلله^٨ به من بدائع الحكم وغرائب

(١) زيد في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٢) من مد،
 وفي الأصل وظ: الاسماء (٣) من مد، وفي الأصل وظ: الايضاح (٤-٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ، وتأخر في الأصل عن « كل ما يريد» والترتيب من مد؛
 وأما قول الكلبي هذا فذكره بصيغة المجهول في المعالم - راجع للباب ٤ / ١٩٣ .
 (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: بعم (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي.
 (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: الفناع (٨) من مد، وفي الأصل وظ: جلاه.

المعاني فاضحة لمن ادعى لله سبحانه ولدا، وختما بمثل ذلك من وصف الكتاب و التوحيد - النافي لقبول التعدد بولد أو غيره بكل اعتبار - و العمل الصالح، ابتداء هذه بالكشف عن أغرب من تلك القصص، تحقيقاً لآية "أم حسبت أن اصحب الكهف و الرقيم كانوا من 'ابتنا عجا' بسياق غير ما تقدم فيما مضى من السور، و جزئيات لم تذكر إلا فيها مع عدم مخالفة لما مضى، تأييدا لأن كلماته لا تنفذ، و عجا به لا تعد و لا تحدد، و أنه لو كان من عند غيره لاختلف، مع أن أهلها سادة الموحدين، و قادة المصلحين المتقين الذين عملوا الصالحات، و نفوا الشرك و شرعوا ذلك للناس، فرحمهم ربهم سبحانه، و كلهم ممن يعتقدده اليهود الآمرون لقريش بالسؤال عن أصحاب الكهف و ذى القرنين تعنتا. أما من عدا عيسى عليه الصلاة و السلام فواضح، و أما عيسى عليه السلام فيعتقدون أنه ما أتى بعد و أنه سيأتي، و يكون الناس في أيامه على دين واحد تصديقا لوعده التوراة الآتى بيانه، و ذلك على وجه مستلزم في أكثرها تنزهه تعالى عن الولد، و قدرته على البعث، و بدأها بقصة من خرق له العادة في الولد على وجه مبين أنه لا يحتاجه إلا فإن حسا أو معنى يريد أن يخلفه فيما تعسر عليه فعله أو تعذر، و كان تقديم قصته أولى لأن التبكيث به أعظم لمباشرتهم لقتله و قتل ابنه يحيى عليهما الصلاة و السلام، و إشارة إلى أن العمل الصالح المؤسس^٢ على التوحيد ضامن لإجابة الدعاء و إن كان فيه خرق العادة، و ثنى بأمر من نسبوه إليه و افتروه^٣ عليه و قصدوا قتله على

(١) من مد، و في الأصل و ظ: تصديقا (٢) من ظ و مد، و في الأصل:

للموسر (٣) من ظ و مد، و في الأصل: افتروا.

وجه معرب عن شأنه غاية الإعراب. ميين فيه وجه الصواب، مئما
 لتبكيك اليهود الآمرين لقريش بالتعنن بالسؤال بالإشارة إلى قتل زكريا
 ويحى عليهما الصلاة والسلام و ادعاه صلب^١ المسيح الذي بشرت به
 التوراة، وهم الآن ينتظرونه و يدعون أنهم /أخص الناس به، و قذف
 أمه - وحاشاها - دالا بذلك على القدرة على البعث؛ قال في التوراة
 في آخر السفر الأول^٢: إن يعقوب عليه الصلاة والسلام أخبر يقرب
 وفاته و قال لبنيه: اجتمعوا إلى فأبين لكم ما هو كأن من أمركم في آخر
 الأيام، اجتمعوا و اسمعوا يا بنى يعقوب! أنصتوا لإسرائيل أيكم أئتم قال:
 يا يهوذا! لك يعترف^٣ إخوتك تعالى يدك على رقاب أعدائك. و ليسجد^٤
 لك بنو أيك، شبل الليث يهوذا، كما أنه خلص ابني من القتل، رضى
 و جثم مثل الضرغام و مثل شبل الليث، من ذا يقيمه عن فريسته،
 لا يزول^٥ انقضيب من آل يهوذا، لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا و أنفاذه
 نيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - و فى نسخة: الكل - و إياه
 تنتظر الشعوب، يربط^٦ بالحبلة^٧ جحشه، عيناه أشد شهولة من الحجر،
 ١٥ و أستانه أشد يابضا من اللبن - هذا نصه، و عند اليهود أنه المسيح،
 و يسمونه مع ذلك المنتظر و المهدي. و عندهم أنه ينصرهم و يخلصهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ائصب (٢) راجع الأصحاح التاسع
 و الأربعين (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تقرف (٤) من مد، و فى
 الأصل و ظ: لتسجد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يزال (٦) فى مد:
 تربط (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فخذفناها.

عالم فيه من الذل ، فقلت لبعضهم : أشهد أنه المسيح ابن مريم الذي أتى وتبعه النصارى وعاديتموه حتى رفعه الله تعالى ، [فقال - ١] الذي في التوراة أنه^٢ يكون له الكل ، وعيسى ما كان كذلك ، فقلت : إنه يكون له الكل حين ينزل تابعا لديننا من حيث أنه لا يقبل إلا الإسلام ، فيطبق أهل الأرض على اتباعه عليه ، ويسعد به منكم من يتبعه ، ويحول عنه الذل ، وهذا لا يناق كلام التوراة فانه لم يقيد ذلك بساعة إتيانه . فلم يقبل ذلك ، ثم إنه أتى إلى يومنا بكتاب من كتبهم في شرح سفر الأنبياء فقال في الكلام على^٣ البشارة المتعلقة بالمسيح ، ولا يبعد أن يبدو لإسرائيل ثم يحتفى ثم يظهر فيكون له الكل ، فقلت له : انظر وتبصر ! هذا عين ما ذكرته لك من قبل . فهت لذلك . فقلت : أظنني وأسلم ! ففكر ثم قال : حتى يريد الله تعالى .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه : لما قال تعالى " أم حسبت أن اصحب الكهف والرقيم كأنوا من اليتامى عجباً " ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والحضر عليهما السلام وقصة ذى القرنين ، اتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب [ما هو اشد عجباً - ١] وأخفى سببها ، فافتح سورة مريم يحيى بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهما ومتعجبا " أتى يكون لى غلم وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا "

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد في الأصل : الذي ، ولم تكن الزيادة ق ظ ومد فخذناها (٣) من مد ، وفي الأصل وظ : في (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : عقد .

فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين، وأنه يجعل ذلك آية للناس. وأمر هذا العجب من القصص المتقدمة، فكان قد قيل: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا، نحن نخبرك [نخبرهم ونخبرك -^١] بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية، وهو قصة زكريا في ابنه يحيى عليها الصلاة والسلام، وقصة عيسى^٢ في كينوته بغير أب، ليُعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسيئاتها إلا بحسب سنة الله، وإنما الفعل له سبحانه لا بسبب، وإلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا عليه الصلاة والسلام "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا"^٣ ثم اتبع سبحانه / بشارة زكريا يحيى بإتيانه^٤ الحكم صيا، ثم بذكر مريم^٥ وابنها عليها الصلاة والسلام، وتعلقت الآي بعد إلى انقضاء السورة - انتهى .

/٤٠٦

ولما كانت هذه السورة تالية^٦ للسورة الواصفة للكتاب - الذي به نعمة الإبقاء الأول - بالاستقامة البالغة . افتتحها بالأحرف المقطعة، كما افتتح السورة التي تلي أم الكتاب، الداعية إلى الصراط المستقيم، الواصفة^٧ الكتاب بالهدى الضامن للاستقامة، والتي تلي واصفته، و[التي -^٨]

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد في الأصل : وامه عليها الصلاة والسلام، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحدفناها (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل : بإتيانه (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : بمریم (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : خالية (٧) من مد، وفي الأصل و ظ : و واصفة (٨) زيد من مد .

تلى الأنعام المشيرة إلى نعمة الإيجاد الأول، فقال: (كَهَيْصَلٍ قَف) وهي خمسة أحرف على عددها مع تلك السور^١، وهي جامعة النعم، وواصفة الكتاب، وذات النعمة الأولى، وذات النعمة الثانية، كما افتتحت الأعراف التالية لذات النعمة الأولى بأربعة على عددها مع [ما قبلها من -^٢] الأم [الجامعة -^٢] والواصفه [وذات النعمة الأولى، و كما افتتحت ه آل عمران التالية للواصفة بثلاثة على عددها مع الأم والواصفة -^٢] (ذكر) أي هذا الذي أتوه عليكم ذكر (رحمت ربك) [أي -^٢] المحسن إليك بالتأييد بكشف الغوامض وإظهار الخبء (عبده) منصوب برحمة^٣، لأنها مصدر بنى على التاء^٤، لا أنها دالة على الوحدة (زكريا عليه السلام) [أي -^٢] ابن ماثان^٥، جزاء له على توحيدِه وعمله الصالح الذي حمّله ١٠ عليه الرجاء للقاء ربه، و الرحمة منه سبحانه المعونة والإجابة والإيصال إلى المراد ونحو ذلك من ثمرات الرحمة المتصف بها العباد (إذ نادى)

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: السورة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) في مد: برحمته (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الياء (٦) في الكشف: وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق، وقيل: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا، وقيل: يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود، وفي روح المعاني ١٠٣/٥: وزكريا عليه السلام من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود أنه آخر أنبياء بني إسرائيل وهو ابن آزر بن مسلم من ذرية يعقوب، وأخرج إسحاق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس أنه ابن دان (٧) زيد في الأصل: منه، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.

ظرف الرحمة (ربه) .

ولما قدم تشريفه بالذكر والرحمة والاختصاص بالإضافة إليه فدل ذلك على كمال القرب، قال: (نداء خفيا) أي كما يفعل المحب القريب مع حبيبه المقبل عليه في قصد خطاب السر الجامع بين شرف المناجاة^٢ ولذاذة الانفراد بالخلوة، فاطلع سبحانه عليه لأنه يعلم السر وأخفى، فكأنه قيل: ما ذلك النداء؟ فقيل: (قال رب) بحذف الأداة للدلالة على غاية القرب (إني ومن) أي ضعف جدا (العظم متى) أي هذا الجنس الذي هو أقوى ما في بدني، وهو أصل بنائه، فكيف بغيره! [ولو جمع لأوهم أنه ومن مجموع عظامه لا جميعه-^٣] (واشتمل الرأس) أي شعره^٤ متى (شيبا ولم يكن) فيما مضى قط مع صغر السن (بدعائك) أي بدعائي إياك^٥ (رب شقيا) فأجرني^٦ في هذه المرة^٧ أيضا على عوائد فضلك، فإن المحسن يربى^٨ أول إحسانه بآخره^٩ وإن^{١٠} كان ما ادعوا به في غاية البعد في العادة، لكنك فعلت مع أبي إبراهيم عليه السلام مثله، فهو دعاء وشكر واستعطاف؛ ثم عطف

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تلك (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: قصده (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: المنادة (٤) زيد بعده في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها (٥-٥) في ظ و « (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقط من ظ (٩) من مد، وفي الأصل و ظ: فساخبرني (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: المدة. (١١) العبارة من هنا إلى « بآخره » ساقطة من ظ (١٢) من مد، وفي الأصل: ربي (١٣-١٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فان.

على " أنى وهن " قوله : ﴿ وأنى خفت الموالى ﴾ أى فعل ' الأقارب
 أن يسيثوا الخلافة ﴿ من ورآنى ﴾ أى ' فى بعض الزمان الذى ' بعد
 موتى ' ﴿ و كانت امرأتى عاقرا ﴾ لالتد [أصلا - بما دل عليه فعل
 الكون - '] ﴿ فهب لى ﴾ أى قسب - عن شيخوختى و ضعفى
 و تعويدك ' [لى - '] بالإجابة ، و خوفى من سوء خلافة أقاربى ، و يأسى
 عن الولد عادة بعقم امرأتى ، و بلوغى من الكبر حدا لاحرك بى معه -
 أنى أقول لك يا قاذرا على كل شىء : هب لى ﴿ من لدنك ﴾ أى من
 الأمور المستبطنة المستغربة التى عندك ، لم تجرها على مناهج العادات
 و الأسباب المطردات ، لا من جهة سبب أعرفه ، فان أسباب ذلك
 اعندى معدومة . و قد تقدم فى آل عمران لذلك مزيد بيان ﴿ و ليا ١٠ ﴾ ٤٠٧ /
 [أى - '] من صلبى بدلالة " ذرية " فى السورة الأخرى ' ﴿ يرثنى ﴾
 فى جميع ما أنا فيه من العلم و النبوة و العمل ﴿ و يرث ﴾ زيادة على ذلك
 ﴿ من آل يعقوب عليه السلام ﴾ جدنا بما خصصتهم به من المنح . و فضلهم به من
 النعم ، من محاسن الأخلاق و معالى الشيم ، و خص اسم يعقوب اقتداء
 به نفسه إذ قال ليوسف عليهما الصلاة و السلام " و يتم نعمته عليك ١٥
 و على آل يعقوب " و لأن إسرائيل صار علما على الأسباط كلهم ،

(١) من مد ، و فى الأصل : فعلة ، و الكلمة ساكنة من ظ (٢) العبارة من هنا
 إلى « بعد موتى » - ساكنة من ظ (٣ - ٢) فى مد : بعدى (٤) زيد من مد (٥) من
 مد ، و فى الأصل : يعويدك ، و فى ظ : تعويدى (٦) راجع سورة ٣ آية ٣٨ .
 (٧) آية ٦ .

و كانت قد غلبت عليهم الأحداث ؛ وقد استشكل القاضى العضد^١ فى
 الفوائد الغيائية، كون "يرث" على قراءة الرفع صفة بأنه يلزم
 عليه عدم إجابة دعائه عليه الصلاة و السلام لأن يجي عليه السلام قتل
 فى حياته، و لا يكون وارثا إلا إذا تخلف بعده، و قد قال تعالى "فاستجبنا له
 و وهبنا له يحيى"^٢ قال: فتجعل استثنافية، و لا يلزم حيثند إلاخلف ظنه
 عليه السلام - هكذا نقل لى عنه، و أنا أجله^٣ عن ذلك، لأنه [لا - °]
 يلزم تخلف دعائه، و لا يتجرأ على^٤ على^٤ مقامه باخلاف ظنه، لأن الإخبار
 عن قتله قبله إن كان عن النبي صلى الله عليه و سلم و صح السند، كان
 [تسمية - °] العلم الذى أخذه عنه فى حياته إرثا مجازا مرسلا باعتبار
 ١٠ ما يؤل إليه فى الجملة، لاسيما مع جواز أن يكون يجي عليه السلام
 علمه لمن عاش بعد أبيه عليها الصلاة و السلام. و ذلك لأن النبي صلى الله
 عليه و سلم سمي العلم إرثا على وجه الاستعارة التبعية بقوله عليه الصلاة
 و السلام «العلماء و رثة الأنبياء»^٥، و لاشك أن^٦ من ضرورة تعلم العلم
 حياة المأخوذ عنه. و لم يرد منع من تسميته إرثا حال الأخذ، هذا إذا صح

(١) هو القاضى عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، و كتابه
 منسوب إلى غياث الدين وزير سلطان مجد خدا بنده - راجع كشف الظنون.
 (٢) سورة ٢١ آية ٩٠ (٣) من مد، و فى الأصل وظ: فيجعل (٤) فى هامش ظ:
 الضمير فى «أجله» يرجع إلى القاضى العضد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ
 و مد، و فى الأصل: علو (٧) و الحديث من الاستفاضة بحيث لا يفتقر إلى تعليق.
 (٨) من مد، و فى الأصل وظ: أنه.

أن يحيى عليه السلام مات قبل زكريا عليه السلام، وحيث أن أول " من وراى " بما غاب عنه، أى عجزت عن تتبع^١ أفعال الموالى بنفسى فى حال الكبر، وخفت سوء فعلهم إذا خرجوا من عندى و غابوا عنى، فهب لى ولدا يكون متصفا بصفائى، فكان ما سأله، وإن لم يصح موته قبله بالطريق المذكور^٢ لم يصح أصلا، ويتنى الاعتراض رأسا، فان ه التواريخ القديمة إنما هى عن اليهود فهى لاشىء، مع أن البغوى نقل فى أول [تفسير^٣] سورة بنى إسرائيل^٤ ما يقتضى موت زكريا قبل يحيى عليهما الصلاة والسلام فانه قال: آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام فمات زكريا عليه السلام، وقيل: قتل، فلما رفع الله ١٠ عيسى عليه الصلاة والسلام من بين أظهرهم و قتلوا يحيى ابتعث^٥ الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش^٦ فسار إليهم^٧ بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤس جنوده يدعى بيوزردان^٨ صاحب الفيل فقال: إني كنت قد حلفت بالهلى: لئن أنا ظهرت^٩

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يسع (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد لحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) راجع معالم التنزيل على هامش الباب ١١٦/٤ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: ابتعث، وفى المعالم: بعث (٦) من المعالم، وفى النسخ كلها: خردوس (٧) من ظ و مد و المعالم، وفى الأصل: فيهم (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: بيوزوان، وفى المعالم: بيوزردان. (٩) فى المعالم: ظفرت .

على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكرى
 إلا أن لا أجد أحدا أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، وأن
 يوزردان^١ دخل بيت المقدس فقام في البقعة / التي كانوا يقربون فيها
 قربانهم ، فوجد فيها دما يغلي فقال : يا بنى إسرائيل ! ما شأن هذا الدم
 [يغلي -^٢] ؟ قالوا : هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا ، فقال :
 ما صدقتموني ، قالوا : لو كان كأول^٣ زماننا لتقبل منا ، ولكن قد انقطع
 منا الملك و الوحي فلذلك لم يقبل منا ، فذبح منهم يوزردان على ذلك
 الدم سبعمائة^٤ وسبعين رجلا^٥ من رؤسهم فلم يهدأ ، فأتى بسبعمائة غلام
 من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شبيهم^٦
 ١٠ وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى يوزردان أن الدم
 لا يهدأ قال لهم : يا بنى إسرائيل ! ويلكم ! اصدقوني و اصبروا على^٧
 أمر ربكم . فقد طال ما ملكتم الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن
 لا أترك منكم نافع نار أثنى ولا ذكر إلا قتلته ، فلما رأوا الجد و شدة القتل
 [صدقوا الخبر -^٨] فقالوا : إن هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور
 ١٥ كثيرة من سخط الله عز وجل ، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا ،

/ ٤٠٨

(١) هنا و فيما يأتي من المعالم: بيورزادان (٢) زيد من ظ و مد و المعالم (٣) من ظ
 و مد و المعالم ، و في الأصل : اول (٤) من ظ و مد و المعالم ، و في الأصل :
 مائة (٥) من المعالم ، و في الأصل و مد : زوجا ، و في ظ : ربغا - كذا (٦) من
 المعالم ، و في النسخ كلها : شبيهم (٧) زيد في الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة في
 ظ و مد و المعالم لحدفتها (٨) زيد من مد و المعالم (٩) من ظ و مد و المعالم ،
 و في الأصل : طعناه - كذا .

وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه^١ فهذا دمه ، فقال لهم بيوزردان :
 ما كان اسمه؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، قال : الآن صدقتموني ، بمثل هذا
 ينتقم^٢ منكم ربكم ، فلما رأى بيوزردان أنهم صدقوه خر ساجدا^٣ وقال
 لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش
 خردوش ، وخلا في بني إسرائيل^٤ ، ثم قال : يا يحيى بن زكريا ! قد علم ربى
 وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهداً باذن الله
 قبل أن لا أبقى من قومك أحداً ، فهدأ الدم باذن الله تعالى ، ورفع
 بيوزردان عنهم القتل وقال : آمنت بالذى^٥ آمن به بنو إسرائيل وأيقنت
 أنه لا رب غيره . وقال لبني إسرائيل : إن خردوش^٦ أمرنى أن أقتل
 منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، وإنى لست أستطيع أن
 أعصيه^٧ ، قالوا له^٨ : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم
 من الخيل والبغال والحير والإبل والبقر والغنم ، فذبحها حتى سال الدم
 في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من
 مواشيهم ، فلم يظن خردوش إلا أن ما فى الخندق من بنى إسرائيل ، فلما
 بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيوزردان أن ارفع عنهم القتل ، ثم انصرف^٩
 إلى بابل وقد أفنى بنى إسرائيل أو كاد .

(١) سقط من ظ (٢) فى العالم : انتقم (٣) زيد فى الأصل : فقه ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و مد و العالم لخذفناها (٤-٥) من ظ و مد و العالم ، وفى الأصل : خلى
 من بنى (٥) من العالم ، وفى النسخ : بما (٦) من العالم ، وفى النسخ هنا وفيما
 يأتي : خردوس (٧) من ظ و مد و العالم ، وفى الأصل : اغضبه (٨) سقط
 من مد .

فهذا كما ترى ظاهر في أن يحيى تخلف بعد أبيه عليها الصلاة والسلام وكذا ما تقدم في آل عمران عن الإنجيل في قصة ولادته .

ولما ختم دعاءه بقوله : ﴿ واجعله رب ﴾ [أى أيها المحسن إلى - ١]

﴿ رضياه ﴾ أى « بين الرضا منك » دائما حتى يلقاك على ذلك ، قيل في جواب من كأنه قال : ما ذا قال له ربه الذى أحسن الظن به ؟ :

﴿ يذكرياً انا ﴾ أى « على ما لنا من العظمة ﴾ (نشرك) إجابة لدعائك ؛

وقراءة الجماعة غير حمزة بالشديد أوفق من قراءة حمزة للتأكيد الذى جىء به ، لأن المبشر به لغرابته جدير بالإنكار ﴿ بغلم ناسمه يحيى ﴾ ثم وصفه

بما عرف به أن مما شرفه به أن ادخر له هذا الاسم فقال : ﴿ لم نجعل له ﴾

١٠ فيما مضى ، ولعله أتى بالجار الدال على التبويض تخصيصاً لزمان نبى

/ إسرائيل قومه [فقال - ٥] : ﴿ من قبل سمياه ﴾ فكأنه قيل : ما قال / ٤٠٩

في جواب هذه البشارة العظمى ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ عالماً بصدقها طالباً

لتأكيدها ، والتلذذ بترديدها ، وهل ذلك من امرأته أو غيرها ؟ وهل

إذا كان منها ' يكونان على حالتها من الكبر أو غيرها غير طائش

١٥ ولا مجمل : ﴿ رب ﴾ أى « المحسن إلى » باجابه دعائى دائما ﴿ انى ﴾ أى

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سقط من مد ،

و العبارة من هنا بما فيها « أى » إلى « من العظمة » ساقطة من ظ (٤) من مد ،

و فى الأصل : قرأ ، و العبارة من هنا بما فيها « وقراءة » إلى « جدير بالإنكار »

ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : فهل (٧) سقط من مد ، و العبارة

من هنا بما فيها « أى » إلى « دائما » ساقطة من ظ .

من أين 'وكيف و على أى حال' (يكون لى غلظ) يولد لى ^٢ على غاية القوة و النشاط و الجمال فى الذكورة (وكانت) [أى - ^٢] و الحال أنه كانت (امرأتى) إذا ^٤ كانت شابة (عاقرا) غير قابلة للولد عادة ^٥ و أنا و هى شابان فلم يأتنا ولد لاختلال أحد السيدين ^٥ فكيف بها و قد أسنت ^١ (و قد بلغت) أنا (من الكبر عتيا) أى أمرا ^٥ [فى اليبس - ^٦] مجاوزا للحد هو غاية ^٧ فى الكبر ^٧ ما بعدها غاية ، و قد حصل من ذلك من ^٨ الضعف و يبس ^٨ الأعضاء و قتلها ما يمنع فى العادة من حصول الولد ^٥ مطلقا لاختلال السيدين معا فضلا عن أن يصلح لأن يعبر عنه بغلام ^٥؛ قال [البغوى - ^٢] فى آل عمران ^٩؛ و قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما: كان ابن عشرين و مائة سنة ، ^{١٠} و كانت امرأته بنت ثمان و تسعين سنة ^{١٠}؛ و قال الرازى فى اللوامع: إن هذا على الاستخبار "أعطيه" الله الولد بتلك الحال أم يقبله شابا؟ والله تعالى فى كل صنع تدبيران: أحدهما المعروف الذى يسلكه الناس من

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و تأخر فى الأصل عن «يولد لى» و الترتيب من مد (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «يكون لى» و الترتيب الذى ورتبناه هو الأوفق للسياق (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد: اذ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: للكبر (٨-٨) من مد ، و فى الأصل: اليبس و الضعف فى ، و فى ظ: يبس (٩) راجع العالم على هامش الباب ٢٩٠/١ (١٠) سقط من مد (١١-١١) من ظ و مد، و فى الأصل: يعطيه .

توجيه الأسباب إلى المسببات، و الآخر يتعلق بالقدرة المحضة، ولا يعرفه
 إلا أهل الاستبصار - انتهى . ﴿قال كذلك ج﴾ أى الأمر؛ ثم الله^٢
 بقوله: ﴿قال ربك﴾ [أى-^٢] الذى عودك بالإحسان، [وذكر مقول
 القول فقال-^٢]: ﴿هو﴾ أى °خلق يحيى منكما على هذه الحالة °
 ٥ ﴿على﴾ أى خاصة ﴿هين﴾ لا فرق عندى بينه وبين غيره
 ﴿وقد خلقتك﴾ أى قدرتك^١ و صورتك^٢ [وأوجدتك-^٢].

ولما كان القصد تشبيه حاله بالإتيان منه بولد على ضعف السبب
 بتقديره من النطفة على ضعف سببها [لكونها-^٢] تارة تشر و تارة
 لا، وهو الأغلب، أى بالجار إشارة إلى ذلك فقال: ﴿من قبل﴾ [أى
 ١٠ قبل-^٢] هذا الزمان^٥ ﴿ولم﴾ أى و الحال أنك لم . ولما كان عليه
 السلام شديد التشوف لما يلقى عليه من المعنى فى هذه البشرى، أوجز له حتى
 بحذف التون [و ليثبت أنه ليس له من ذاته إلا العدم المحض، و يبنى أن
 يكون له من ذاته وجود و لو على أقل درجات الكون لاقتضاء حاله فى
 هذا التعجب لتذكيره فى ذلك فقال-^٩]: ﴿تك شيئا﴾

- (١) سقط من مد (٢) من مد، وفى الأصل و ظ : علل (٣) زيد من مد .
 (٤) العبارة من هنا إلى « ذلك فقال » ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقيين ورد
 فى الأصل قبل « من قبل » . و فيه « بخلق » موضع « خلق » . و الترتيب من مد .
 (٦-٦) تأخر ما بين الرقيين فى الأصل عن « ذلك فقال » و الترتيب من مد .
 (٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) فى ظ : وجودك (٩) زيد ما بين الحاجزين من
 مد، و ريد فى ظ : فقال - فقط .

أى [يتد به -]^٢ ، ثم أبرزتك^٣ على ما أنت عليه حين أردت ، فتحقق بهذا أنه من امرأته هذه العافر في حال كونها شيخين ، ثم قيل جواباً لمن كأنه قال : ما قال بعد عله بذلك ؟ : (قال رب)^٤ أى [أيها -]^٥ المحسن إلى^٦ بالتقريب ا (اجعل لى) على ذلك (أية^٧) أى علامة^٨ تدلى على وقوعه (قال)^٩ أى الله : (ايتك) على وقوع ذلك ه (الاتكلم الناس) أى لا تقدر على كلامهم .

٥ ولما بدئت السورة بالرحمة ، وكان الليل محل تنزلها ، ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول ه - الحديث ، قال : (ثلث ليال) [أى أيامها -] كما دل عليه التعبير بالأيام^٦ في آل عمران - [حال كونك (سياء) من غير خرس ولا مرض ولا حبسة عن مطلق الكلام ، بل تساجى ١٠ ربك فيها بتسيحه و تحميده و تلاوة كتابه وكل ما أردت من مثل ذلك وكذا من عدا الناس من الملائكة وغيرهم من صالح عباد الله ، و جعلت الآية الدالة عليه سكوتاً عن^٨ غير ذكر الله دلالة على إخلاصه و انقطاعه بكنيته إلى الله دون غيره (نخرج) عقب إعلام الله له بهذا (على قومه)

[أى عالياً على العلية منهم -]^٢ (من المحراب)^٣ الذى كان^٤ / فيه ١٥ / ٤١٠ / وهو صدر الهيكل وأشرف ما فيه ، وهو منطلق اللسان بذكر الله منجسه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣-٢) من ظ ومد ، وفي الأصل لم ابرزك (٤) العبارة من هنا إلى « بالتقريب » ساقطة من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) آية ٤١ (٧) العبارة من هنا إلى « دون غيره » ساقطة من ظ . (٨) من مد ، وفي الأصل : من (٩-٩) تكرر ما بين الرقين في الأصل فقط .

عن كلام الناس ﴿فارحىٰ تبهم﴾ أى اشار بشفتيه من غير نطق؛
قال الإمام أبو الحسن الرمانى فى آل عمران: و الرمز: الإيماء بالشفتين،
وقد يستعمل فى الإيماء بالحاجين والعينين واليدين، و الأول أغلب؛
قال: وأصله الحركة. وسبقه إلى ذلك الإمام أبو جعفر ابن جرير
٥ الطبرى فقال: وأما الرمز فان الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء
بالشفتين، وقد يستعمل فى الإيماء بالحاجين والعينين أحيانا، وذلك غير
كثير فيهم، وقد يقال للخفى من الكلام الذى مثل الهمس بخفض الصوت
[الرمز - ٢]. ثم نقل أن المراد به هنا تحريك الشفتين عن مجاهد - انتهى.
وهو ظاهر أيضا فى الوحى لأنه مطلق الإشارة والكناية والكلام الخفى،
١٠ فيجوز أن يكون وجه بكل منهما، لا يقدر على غير ذلك فى مخاطبته
للناس، فاذا توجه إلى مناجاة ربه سبحانه انطلق أحسن انطلاق
﴿ان سبحوا﴾ أى أرجدوا التنزيه والتفديس لله تعالى بالصلاة وغيرها
﴿بكرة وعشياه﴾ فحملت امرأته كما قلنا فولدت ولدا فسماه يحيى كما
بشرناه به* فكبر حتى ميز فقلنا: ﴿يُيحيى خذ الكتاب﴾ أى التوراة
١٥ ﴿بقوة﴾.

ولما كانت النبوة لا يستصلح بأمرها ويقوى على حملها إلا عند
استحكام العقل ببلوغ الأشد. وكان التطويق على أمرها قبل ذلك من
العظمة بمكان. دل عليه بالنون فى قوله: ﴿واتينته﴾ بما لنا من

(١) راجع جامع البيان ٦/٣٨٨ طبعة دار المعارف (٢) زيد من جامع البيان (٣) من
مد، وفى الاصل وظ: تركه (٤-٤) - سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) سقط من مد.
(٦) فى مد: بمناسبة ما، والعبارة من هنا - بما فيها «بما» - ساقطة من ظ إلى «العظمة».

العظمة (الحكم) أى النبوة [و الفهم للتوراة - ١] (صيا ١٠) أغلبة الروح عليه . ٢ وهذه الحارقة لم تقتض الحكمة أن تكون لنا صلى الله عليه وسلم لأن قومه لا عهد لهم بالنبوة ، فكأنوا إذا كذبوا لا يكون لهم من أنفسهم ما يلزمهم ٣ من التناقض ، فعوض ٤ أعظم من ذلك بفرائض الصدق التى أوجبت لهم تسميته بالأمين ٥ ليكونوا بذلك مكذبين لأنفسهم فى تكذيبهم له . وبمزيد إبقاء معجزته القرآنية بعده تدعو الناس إلى دينه [دعاء لامرئله - ١] (و) آتيناها (حنانا) أى رحمة وهية ووقارا ورقة قلب ورزقا وبركة (من لدنا) من ٦ مستقرب المستغرب من عظمتنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة (وزكوة ٧) أى طهارة فى نيته تفيض على أفعاله وأقواله (وكان) ٨ أى جبلة وطبعاً ٩ . (تقياً ١٠) خوفاً لله تعالى (وبرام) أى واسع الأخلاق محسناً (بوالديه ولم يكن) ١١ جبلة وطبعاً (جباراً) عليهما ١٢ ولاعلى غيرهما ؛ ثم قيده بقوله : (عصاء) إشارة إلى أنه يفعل فعل الجبارين من الغلظة والقتل والبطش بمن يستحق ذلك كما قال تعالى لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم "جاهد الكفار والمنفقين واغظ عليهم" ١٣ فكان مطيعاً لله قائماً بحقوقه و حقوق عباده على ما ينبغى ، فهيناً له ما أعطاه من

(١) زيد من مد (٢) تأخر فى الأصل عن « إلى دينه » والترتيب من ظ و مد .
 (٣) العبارة من هنا إلى « إلى دينه » ساقطة من ظ (٤-٤) فى مد : التناقض بعوض (٥) من مد ، وفى الأصل : الامين (٦) فى مد : فى ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « من عظمتنا » (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) سقط من ظ (٩) سقط من مد (١٠) سورة ٩ آية ٧٣ .

هذه الحلال القاضية بالكامل .^١ والتعبير بصيغة المبالغة يفهم أن المنى الجبل^٢ عليها ، وما دونها يذهبه الله^٣ بغسل / القلب أو غيره (وسلم) [أى -^٤] أى سلام^٥ (عليه) منا (يوم ولد) من كل سوء يلحق بالولادة وما بعدها في شيء من أمر الدين (ويوم يموت) من كرب الموت وما بعده ، ولعله نكراً السلام لأنه قتل فاسلم بدنه بخلاف ما يأتي في عيسى عليه الصلاة والسلام (ويوم يبعث) من كل ما يخاف بهد ذلك (حياء) حياة هي الحياة للانتفاع بها ، إجابة لدعوة آية في أن يكون رضى^٦ ، وخص هذه الأوقات لأن من سلم فيها^٧ سلم في غيرها لأنها أصعب منه ؛ أخرج الطبراني^٨ عن أنى هريرة رضى الله عنه قال :
 ١٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نبي آدم يلقى [الله -^٩] يوم القيامة بذنب وقد^{١٠} يذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا عليها السلام فإنه كان سيدياً وحضوراً ونياماً من الصالحين ، وأهوى النوى صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال : ذكره مثل هذه القذاة . قال الهيثمي : وفيه حجاج بن سليمان الرعيني وثقه ابن حبان
 ١٥ [وغيره وضعفه أبو زرعة وغيره ، وبقية رجاله ثقات -^{١١}] ، وأخرجه أيضا عن عبد الله بن عمرو و ابن عباس رضى الله عنهم ، لكن ليس فيه

(١) العبارة من هنا إلى « أو غيره » ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفي الأصل : الجهل (٣) زيد في مد : بالعظمة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : سلامه (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : ذكر (٧) العبارة من هنا إلى « أصعب منه » ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفي الأصل : منها (٩) راجع مجمع الزوائد ٢٠٩/٨ (١٠) زيد من ظ و مد والمجمع (١١) زيد في النسخ : أذنبه ، ولم تكن الزيادة في المجمع فحذفناها .

ذكر الذكر ، ولفظ ابن عباس رضى الله عنهما : كنت في حلقة [في -^١]
المسجد تنذاكر فضائل الأنبياء - فذكره حتى قال : فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما ينبغي أن يكون أحد خيرا من يحيى بن زكريا ، قلنا :
يا رسول الله ! وكيف ذلك ؟ قال : ألم تسمعوا الله^٢ كيف نعته في
القرآن ؟ «يحيى خذ الكتب - إلى قوله : [حيا -^١] ، ، ومصداقا بكلمة من الله ٥
وسيدا وحصورا ونيا من الصالحين ، لم يعمل سيئة ولم يهمل بها . ورواه
أيضا البزار وفيه على بن زيد بن جدعان ضعفه الجمهور - وقد [وثق -^٢] ،
وبقية رجاله ثقات . وأشار سبحانه بالتنقل في هذه الأطوار إلى موضع
الرد على من ادعى لله ولدا من حيث أن ذلك قاضٍ على الولد نفسه
وعلى أبيه بالحاجة ،^١ وذلك مانع لكل من الولد والوالد من الصلاحية ١٠
لمرتبة الإلهية المنزهة عن الحاجة ،^٢ وقد مضى في آل عمران ما يجب مراجعته .
ولما كان حاصل القصة أنه ولد أخرجه الله تعالى عن سبب هو في
ضعفه قريب من العدم ، أما من جهته فلبوغه^٣ إلى حد من السن وحال
في المزاج لا يقبل حركة الجماع عادة ، وأما من جهة^٤ زوجته^٥ فلزيادتها
مع بأسها يبلوغها إلى نحو ذلك^٦ السن بكونها عاقرا^٧ لم تقبل جلاقط ، ١٥

(١) زيد من ظ و مد و الجمع (٢) ليس في المجمع (٣) زيد من ظ و مد .
(٤-٤) سقط ما بين الرقنين من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) من
ظ و مد ، وفي الأصل : فبلوغه (٧) سقط من مد (٨) في ظ و مد : زوجه .
(٩) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و مد لحدفناها (١٠) من ظ و مد ،
وفي الأصل : عاقر .

اتبعه بقصة هي أغرب من قصته بكونها ليس فيها إلا سبب واحد وهو المرأة، وعدم فيها سبب الذكورية أصلاً، إشارة إلى أنه تعالى يخلق ما يشاء تارة بسبب قوى، وتارة بسبب ضعيف، وتارة بلا سبب، ومن كان كذلك كان مستغنياً عن الولد؛ ولما كان على اليهود الأمرين بالسؤال تعنتا عن قصتي أصحاب الكهف وذى القرنين أن ينصحوا العرب بالإعلام بأن دينهم باطل لشركهم^١، فلم يفعلوا فكانوا جديرين بالتبكيث. وكانت قصة زكريا أعظم في^٢ تبكيثهم بمباشرتهم لقتله وقتل ولده يحيى عليهما السلام، قدمها في الذكر، وتوطئة لأمر عيسى عليه السلام كما مضى بيانه في آل عمران إلزاماً لهم بالاعتراف^٣ به، وللنصارى بالاعتراف بأنه عبد، كما اعترف كل منهما^٤ بأمر يحيى عليه السلام، وذلك بما جمع بينهما من خرق العادة / . وكانت قصة يحيى أولى من قصة إسحاق عليهما السلام لما تقدم، ولشاهدة^٥ الذين^٦ اختلفوا في عيسى عليه السلام من الفريقين لأمره وأمر يحيى عليهم الصلاة والسلام لما لهما من الاتحاد في الزمن مع ما لهما من قرب النسب. ولما كانت قصة عيسى^٧ عليه السلام أغرب، أشار إلى ذلك بتغيير السياق^٨ فقال عاصفاً على ما تقديره: اذكر هذا لهم^٩: ﴿واذكر﴾ - بلفظ الأمر ﴿في الكتب مريم﴾^{١٠} بنت عمران خالة يحيى - كما في الصحيح.

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تبعه (٢) من ظ و مد. وفي الأصل: بشركهم.
(٣) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الاعتراف (٥) في ظ: منهم (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: أما هذه (٧) في ظ: الذين (٨) من مد، وفي الأصل وظ: يحيى (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ.
من

من حديث أنس بن مالك [عن مالك - ١] بن صعصعة الأنصاري رضى الله
 عنها في حديث الإسراء: فلما خلصت^٢ فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا
 خالة. ^٣ ثم أبدل من "مريم" بدل اشتغال قوله: (اذ) أى اذكر
 ما اتفق لها حين^٤ (انقذت) أى ^٥ كلفت نفسها أن^٦ اعتزلت^٧ وانفردت^٨
 (من اهلها) حالة^٩ (مكانا شرقيا) عن مكانهم، فكان افرادها^{١٠}
 في جهة مطالع الأنوار إشارة إلى ما يأتيها من الروح الإلهي^{١١} (فاتخذت)
 أى^{١٢} أخذت بقصد وتكلف، ودل على قرب المكان بالإتيان بالجار
 فقال^{١٣}: (من دونهم) أى أدنى مكان من مكانهم^{١٤} لانفرادها^{١٥} للاغتسال
 أو غيره (حجابا)^{١٦} يسترها (فارسلنا)^{١٧} لأمر يدل على عظمتنا^{١٨}
 (إليها روحنا) جبريل عليه السلام ليعلمها بما^{١٩} يريد الله بها من الكرامة^{٢٠}
 بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، لثلاثيته عليها الأمر، [و - ٧]
 يتشعب بها الفكر، فقتل نفسها غما (فتمثل لها) أى تشبج وهو روحاني
 بصورة الجسماني (بشرا سويها) في خلقه حسن الشكل لثلاثيته فقرتها
 [وروعا - ٨] منه؛ ثم أخرج القصة مخرج الاستئناف فقال^{٢١} دالا على
 حزمها وخلوص تعبدها لله والتجائها إليه وشهودها له بحيث لا تترك^{٢٢}
 إلى سواه^{٢٣}: (قالت) .

- (١) زيد من ظ و مد والصحيح - باب المعراج، ببيان الكعبة (٢) من ظ
 و مد والصحيح، وفي الأصل: تخصصات (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٤) في ظ: اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: ما .
 (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد من مد .

١ 'ولما كان' على أنهى ما يكون من الجمال والحلال الصالحة والكمال ،
فكان بحيث يستبعد غاية الاستبعاد أن يتعوذ منه أكدت فقالت :
﴿ انى اعوذ بالرحمن ﴾ ربي الذى رحمته عامة لجميع عياده فى الدنيا
والآخرة ، وله بنا خصوصية فى إسباغ الرحمة وإتمام النعمة ﴿ منك ﴾
٥ ولما تفرست فيه - بما أثار الله من بصيرتها وأصق [من - °] سريرتها -
التقوى ، ألهته ^٦ وهيجته للعمل بمضمون هذه الاستعاذة بقولها :
﴿ ان كنت تقيا . قال ﴾ جبرئيل عليه السلام مجيبا لها بما معناه : إني
لست بمن تخشين [أن يكون متها - ٧] ، ^٨ مؤكدا لأجل استعاذتها ،
﴿ انما انا رسول ربك على ﴾ ^٩ أى الذى عدت به ^{١٠} أى ^٩ فأما [لست متها - ٧] ،
١٠ متصف بما ذكرت وزيادة الرسالية ، وعبر باسم الرب المقتضى
للاحسان لظفا بها ، ولأن هذه السورة مصدرة بالرحمة ، ومن أعظم
مقاصدها تعداد النعم على بخلص عباده ﴿ لاهب ﴾ بأمره ^{١١} أو ليهب هو
على القراءة الأخرى ^{١٢} ﴿ لك ﴾ . وقدم المتعلق تشويقا ^{١٣} إلى المفعول ^{١٤} ليكون
أوقع فى النفس ؛ ثم بينه معبرا بما هو أكثر خيرا وأقعد فى باب البشرى
١٥ وأنسب لمقصود السورة مع أنه لا ينافى ما ذكر فى آل عمران بقوله :

- (١) العبارة من هنا إلى « أكدت فقالت » ساقطة من ظ (٢) فى مد : كانت .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : مربي (٤) بهامش ظ : أما المؤمن فواضح ،
وأما للكافر فلكونه لا يعذب أحدا فوق ما يستحق ، ولذا جعل النار دركات
لكل منها جزء (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : التهاته .
(٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) سقط من مد .
(١٠-١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : للمفعول .

(غلما) أى ولدا ذكرا فى [غاية - '] القوة و الرجولية (زكياه)
 طاهرا من كل ما يندس البشر : ناميا على الخير و البركة (قالت)
 مريم : (ائى) أى من أين ' و كيف ' (يكون لى غلم) ألدته
 (ولم يمسنى بشر) بنكاح أصلا حلال ' و لاغيره بشبهة و لاغيرها .
 و لما هالها هذا الأمر ، أداها الحال إلى غاية الإسراع فى إلقاء ما تريد ه
 من المعانى لها [لعلها - '] تستريح / بما تصورتها ، فضاقت عليها المقام ،
 فأوجزت حتى بحذف النون من ' كان ' و لفهم أن هذا المعنى منى كونه
 على أبلغ وجوهه ' فقالت ' (و لم اك) . و لما كان المولود سر من يلدته ،
 و كان التعبير عنه بما هو من مادة الغلطة دالا على ' غاية الكمال فى ' ٥
 الرجولية المقتضى لغاية القوة فى أمر النكاح نفت أن يكون فيها شيء ١٠
 من ذلك فقالت : (بغياه) أى ' [ليكون - '] دأبى الفجور ، ' ولم يأت
 ' بغية ' لغلبة إيقاعه على النساء ، فكان مثل حاض و عاقر فى عدم
 الإلباس ' [و لأن بغية ، لا يقال إلا للتلبسة به - '] (قال) [أى - ']
 ' جبريل عليه السلام ' (كذلك ج) ' القول الذى قلت [لك - '] يكون .

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سقط من مد .
 (٤) بهامش ظ : قوله « فى إلقاء ما تريد - الخ » لا ينافيه قوله فى آل عمران
 داخل هذا الكلام خطر لها و لم تفظ به ، فلم الملك أنه شغل فكرها فأجابها عنه
 لتفريغ الفهم ، لأن ذلك احتمال حملها على الكمال و هذا الظاهر و لا ينافي
 الكمال و الله أعلم تدبر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقال (٦) سقط من
 ظ (٧) فى ظ « و » (٨) زيد من مد (٩) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و مد فدفناها .

و لما كان لسان الحال قائلا : كيف يكون بغير سبب ؟ أجب
 بقوله : ﴿ قال ﴾ و لما بنيت هذه السورة على الرحمة و اللطف و الإحسان
 بعباد الرحمن ، عبر باسم الرب الذي صدرت به بخلاف سورة التوحيد
 آل عمران المصدرة بالاسم الأعظم فقال : ﴿ ربك هو ﴾ 'أى المذكور
 ٥ و هو إيجاد الولد على هذه الهيئة' ﴿ على ﴾ أى وحدى لا يقدر عليه
 [أحد غيرى - ٢] ﴿ هين ٤ ﴾ [أى - ٢] خصصاك به ليكون شرفا
 به [لك - ٢] .

و لما كان [ذلك - ٢] من أعظم الخوارق ، نب عليه بالنون في
 قوله ، عطفًا على ما قدرته مما أفهمه السياق : ﴿ ولنجعلنه ﴾ [بما لنا من
 ١٠ العظمة - ٢] ﴿ آية للناس ﴾ 'أى علامة' على كمال قدرتنا على البعث
 أدل من الآية في يحيى عليه السلام . و به تمام القسمة الرباعية في خلق
 البشر ، فانه أوجده من أنثى بلا ذكر ، و حواء من ذكر بلا أنثى ،
 و آدم عليه السلام لا من ذكر و لا أنثى ، و بقية أولاده من ذكر و أنثى
 معا ﴿ ورحمة منا ﴾ لمن آمن به في أول زمانه ، و لاكثر الخلق بالإيمان
 ١٥ و الإنجاء من المحن في آخر زمانه ، لا كآية صالح عليه السلام لأنها
 كانت آية استئصال لأهل الضلال ﴿ و كان ﴾ ذلك كله ﴿ امرا مقضيا ﴾
 'أى محكوما به مبتوتا' هو في غاية السهولة لامانع منه أصلا ، و نبه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا
 إلى «لأهل الضلال» ساقطة من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : كاه (٥) العبارة من
 هنا إلى « هذه السورة » ساقطة من ظ .

على سرعة تسيب^١ الحمل عن هذا القول وإن كان التقدير بما أرشد إليه في غير هذه السورة: ففتح في درعها فوصل الفخ إلى جوفها (فحملته)^٢ وعقب بالحمل قوله^٣: (فاتبتت به) أى فاعتزلت - وهو في بطنها - حالة^٤ (مكاننا قصيا) أى بعيدا^٥ من أهلها أو^٥ من المكان الشرقى، وأشار إلى قرب الولادة من الحمل بفناء التعقيب في قوله: (فاجآها) أى فأتى بها و الجأها (المخاض) وهو تحرك الولد في بطنها للولادة (إلى جذع النخلة ج) وهو ما برز [منها -^٦] من الأرض ولم يبلغ الأغصان. وكان تعريفها لأنه لم يكن في تلك البلاد الباردة غيرها، فكانت كالعلم لما فيها من العجب^٧، لأن النخل من أقل الأشجار صبرا^٨ على البرد، ولعلها^٩ ألجئت إليها دون غيرها من الأشجار^{١٠} على كثرتها لمناسبة حال النخلة لها، لأنها لا تحمل إلا بالقاح من ذكور النخل، فحملها بمجرد هزها أنسب شئ لإتيانها بولد من غير والد، فكيف إذا كان ذلك في غير وقته فكيف إذا كانت يابسة مع ما لها فيها من المنافع بالاستناد إليها والاعتماد عليها^{١١}، وكون رطبها خرسة للنفساء وغاية في نفعها^{١٢} وغير ذلك.

١٥

(١) من مد، وفي الأصل: تسيب (٢-٢) - سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « المكان الشرقى » ساقطة من ظ (٥) من مد، والأصل « و » (٦) زيد من ظ و مد (٧) في مد: العجيب (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: بصيرا (٩) من مد، وفي الأصل و ظ: لها (١٠) زيدت الواو بعدها في الأصل، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها.

ولما كان ذلك أمرا صعبا عليها جدا ، كان كأنه قيل : يا ليت شعري ! ما كان حالها ؟ فقيل : (قالت) لما حصل عندها من خوف العار : (يلبتني مت) و لما كانت تذاك^١ أشارت إلى استغراق الإيمان بالموت بمعنى عدم الوجود فقالت من غير جار^٢ : (قبل هذا) [أى - ٣] الأمر العظيم^٤ (و كنت نسيا) أى شيئا من شأنه أن ينسى (منسياه)^٥ / ٤١٤
 ٦ أى متروكا^٦ / بالفعل لا يخظر على بال ، فولدته (فادئنها من تحتها) وهو عيسى عليه السلام (الانحزنى) قال الرازى فى اللوامع : و الأصح أن مدة حملها^٧ له و ولادته^٨ ساعة لأنه كان مبدعا ، ولم يكن من نطفة تدور فى أدوار الخلقه - انتهى . و نقله ابن كثير^٩ و قال : غريب^٩ عن ابن عباس رضى الله عنهما ، و يؤيده أنه لم ينقل فى كتابنا ولا عن نينا صلى الله عليه وسلم أنهم أنكروا عليها زمن الحمل ، ولو علموا به لأنكروه [ولو أنكروه - ٩] لنقل كما نقل إنكار الولادة .

١ و لما أنكروا الولادة^٦ فكأنها قالت : لم لا أحزن ؟ [و توقعت ما يعطل به - ١٠] قال^{١١} : (قد جعل ربك) [أى - ١٠] المحسن إليك ١٥ (تحتك) فى هذه الأرض التى لا ماء جاريا بها^{١٢} (سرياه) جدولا من

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) العبارة من « و لما كانت » إلى هنا ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : أى متروكا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : و ولادتها له (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) زيد من ظ و مد . (١٠) زيد من ظ (١١) فى النسخ : فقال ؛ و هو جواب « لما » .

الماء جليلا ' آية لك تطيب ' فسك (وهزى اليك) أى أوقى الهز ،
و هو جذب بتحريك .

و لما كان المقصود التهويل لصرف فكرها عما دهمها من المهم جعله
قاصرا فكأنها قالت : ما أمر؟ إذ لم يكن فى الجذع ما يتوقع نفعه
بهزه ، فقال مصرحا بالمهزوز : (مجذع النخلة) [التى أنت تحتها مع ٥
يبسها و كون الوقت ليس وقت حملها فكأنها ' قالت : ولم ذاك : فقال - ٥] :
(تسقط عليك) من أعلاها (رطبا جنيا) طريا آية أخرى عظيمة
تطيب النفس و تذهب بالحزن ، و تدل على البراءة ، و التعبير بصيغة
التفاعل [فى قراءة الجماعة و حمزة - ٧] للدلالة على [أن - ٨] التمر يسقط
منها ، و من حقه أن يكون منتفيا لأنها غير متأهلة لذلك ، فهو ظاهر ١٠

فى أنه على وجه خارق للعادة . و قراءة الجماعة بالإدغام تشير [مع
ذلك - ٨] إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفى كونه ' منها ليسبها و عدم
إقائها ' ، و قراءة حمزة بالفتح و التخفيف تشير إلى سهولة تساقطه
و كثرته ، و قراءة " حفص عن عاصم بالضم و كسر القاف من فاعل ،

(١) سقط من ظ (٢) فى مد : تطب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا .
(٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى العلوم أنها ،
ص ١٩٠ س ٢ ساقطة من ظ (٧) زيد من مد ، و الفرق بين قراءة الجماعة و حمزة
أن الجماعة قرأوها بفتح التاء القوائية و تشديد السين و فتح القاف بينما قرأها حمزة
بفتح التاء و القاف و تخفيف السين بحذف إحدى تائى التفاعل - راجع نثر المرجان
٤ / ٢١٨ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، و فى الأصل : بكونه (١٠) من مد ،
و فى الأصل : اخفائها (١١) من مد ، و فى الأصل : قرا .

تدل على الكثرة و أنه ظاهر في كونه من فعلها .

ولما كان من المعلوم أنها هزت^١ فتساقط الرطب .^٢ سبب عنه

قوله^٣ : (فكلى) أى فسبب عن الإنعام عليك بالماء والرطب أن يقال

لك^٤ تمكيننا من كل منهما^٥ كلى من الرطب (واشرب) من ماء السرى

٥ (وقرى) أى استقرى (عينا) بالنوم ، فان المهموم لا ينام ، والعين

لا تستقر ما دامت يقظى^٦ ، وعن الأصمعى أن المعنى : ولتبرد دمعتك ،

لأن دمعة [الفرح باردة ودمعة - °] الحزن حارة ، واشتقاق "قرى"

من القرور ، وهو الماء البارد - انتهى .

وقال الإمام أبو عبد الله القزازي^٧ في ديوانه : وحكى الفراء أن قريشا

١٠ ومن حولهم يقولون : قررت به^٨ عينا - أى بكسر العين - أقر ، وأن أسدا

وقيسا^٩ وتيما يقولون : قررت به عينا - أى بالفتح - [أقر ، قال - يعنى

الفراء : فمن قال : قررت - أى بالكسر - قرا ، وقرى عينا - أى بالفتح - °] ،

وهى القراءة المعروفة ، ومن قال : قررت ، - أى بالفتح قرا وقرى

عينا - بكسر القاف أى وهى [الشاذة ، قال - أى القزاز : هى - °] لغة

١٥ [كل - °] من أقيت من أهل نجد ، والمصدر قررة^{١٠} وقرور .

(١) فى ظ : فهزت (٢-٢) فى ظ : فقيل لها (٣-٣) - سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تغطى ؛ و العبارة من بعده إلى «ما ينفع هنا»

ص ١٩١ س ١ - ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، وفى الأصل :

البرار (٧) - سقط من مد (٨-٨) ما بين الرقنين بياض فى الأصل ملأناه من مد .

(٩) زيد بعده فى الأصل : و قرى ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

وسياتى

وسأنتى فى التصص ما ينفع هنا، وهو [على كل حال - ١] كناية عن طيب النفس وتأهلها^٢ لأن تام^٣ بالكفاية فى الدنيا بطعام البدن وغازء الروح بكونه آفة باهرة، والآخرة بالكرامة^٤ [وذلك على أنفع الوجوه، قيل: ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل؛ ثم سبب عن ذلك قوله مؤكدا إيذانا بأن أكثر رؤيتها فى ٥ تلك الأوقات الملائكة عليهم السلام - ١] (فما تزين) [أى - ١] يا مريم (من البشر احدا) لا تشكين أنه من البشر^٥ ينكر عليك (فقولى) لذلك المنكر جوابا له مع التأكيد تنبيها على البراءة لأن البرىء يكون ساكنا لاطمئنانه والمرتاب يكثر كلامه وحلقه: (انى نذرت للرحمن) أى الذى عمت رحمته فأدخلنى فيها على ضعفى ١٠ / أو خصنى بما رأيت من الخوارق (صوما) أى صمتا [ينجى من كل وصمة - ١] وإسماكا عن الكلام^٦ (فلن) أى قسبب عن النذر أنى لن (أكلم اليوم انسياء) فان كلامى يقبل الرد والمجادلة [و - ٢] لكن يتكلم عى المولود الذى كلامه لا يقبل الدفع، وأما أنا^٧ فأنزله نفسى عن^٨ مجادلة السفهاء فلا أكلم إلا الملائكة أو الخالق بالتسييح والتقديس ١٥ و سائر أنواع الذكر، قالوا: ومن أذل الناس سفيتها لم يجد مسافها، ومن

(١) زيد من مد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: أهلها، وزيدت الواو بعده فى ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى «كلامه وحلقه» ساقطة من ظ (٥) من مد، وفى الأصل وظ: الذى (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ ومد (٧) زيد من ظ ومد (٨) العبارة من هنا إلى «السفهاء» ساقطة من ظ (٩) زيد بعده فى الأصل: كلام، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها. (١٠) العبارة من هنا إلى «مجرد» ص ١٩٢ س ٢ ساقطة من ظ.

الدلالة عليه بالصمت عن كلام الناس مع ما تقدم الإشارة إلى أنه ردع مجرد (فانت) أى فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها، وزال حزنها، وأنت (به) أى بعيسى (قومها) [وإن كان فيهم قوة المحاولة لكل ما يريدونه إتيان البرىء الموقن بأن الله معه - ١] (تحمله^١) [غير مبالية بأحد ولا مستخفية - ١] فكأنه قيل: فاقالوا لها؟ قيل: (قالوا يرميم) أما هذا؟^٢ مؤكدين لأن حالها في إتيانها يقتضى إنكار كلامهم^٣ (لقد جئت) بما نراه (شيثا فرياه) قطيعا منكرا (يتاخر هرون) في زهده وورعه وعفته [وهو صالح كان في زمانها أو أخو موسى عليه السلام - ١] (ما كان ابوك) [أى - ١] عمران ساعة من الدهر^٤ (أمراسوه) ١٠ لقول: نزعك عرق منه (وما كانت أمك^٥) في وقت من الأوقات (بغيا^٦) [أى ذات بغى أى عمد - ١] لتأسى بها (فاشارت) امتثالا لما أمرت به (اليه^٧) [أى عيسى ليكلموه فيجيب عنها - ٧] (قالوا كيف تكلم) يا مريم (من كان فى المهد) أى قبيل إشارتك (صيا^٨) لم يبلغ سن [هذا - ١] الكلام. [الذى لا يقوله إلا الآكابر ١٥ العقلاء بل الأنبياء - ١] والتعبير بـ "كان" يدل على أنه حين^٩ الإشارة إليه لم يحوجهم إلى أن يكلموه، بل حين سمع المحاورة وتمت الإشارة بدا منه قول

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر فى الأصل عن «إنكار كلامهم»، والترتيب من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد من مد؛ وبعده فى البحر المحيط ٦/١٨٦: إذ كانت من نسله (٥) تأخر فى الأصل عن «الأوقات» والترتيب من مد (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى مد: عند.

خارق لعادة الرضعا [و الصيان ، و يمكن أن تكون تامة مشيرة إلى تمكنه في حال ما دون سن الكلام ، و نصب " صيا " على الحال - ١] ، فلما كانت هذه العبارة مؤذنة بذلك استأنف قوله : ﴿ قال ﴾ [أى - ٢] واصفا نفسه بما ينافى أوصاف الآخاب^٢ ، مؤكدا لإنكارهم أمره فقال : ﴿ انى عبد الله ﴾^١ أى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال لا أتعبه لغيره^٦ ، إشارة إلى الاعتقاد الصحيح فيه ، و أنه لا يستعبده شيطان ولا هوى ﴿ اثنى الكتب ﴾ أى التوراة و الإنجيل^٧ و الزبور و غيرها من الصحف^٦ على صغر سنى ﴿ و جعلنى ﴾^٦ أى فى علمه^٦ ﴿ نيا لا ﴾ بنوه^٢ بما يريد فى الوقت الذى يريد ، و قيل فى ذلك^٨ : فأنبئكم به ﴿ و جعلنى مبركا ﴾ بأنواع البركات ﴿ ان ما ﴾ فى أى مكان ﴿ كت ﴾ فيه . ١٠ و لما سبق عليه سبحانه أنه^٩ يدعى فى عيسى الإلهية أمره أن يقول : ﴿ و اوصنى بالصلاة ﴾ له طهرة للنفس ﴿ و الزكوة ﴾ طهرة للمال فعلا فى نفسى و أمرا لغيرى ﴿ ما دمت حيا ﴾ ليكون ذلك حجة على من أطراه لأنه لا شبهة فى أن من يصلى لإله ليس باله ﴿ و برا ﴾ أى [و - ١] جعلنى برا ، أى واسع الخلق طاهره .

١٥

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الأحاديث ، و العبارة من بعده إلى « أمره » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : لانكار . (٥) سقط من مد (٦-٦) - سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : ينبئى (٨) العبارة من فى الوقت إلى هنا ساقطة من ظ ؛ و تكرر بعده فى الأصل فقط : الوقت الذى يريد (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : أن .

و لما كان السياق ابراءتها فين الحق في وصفه ، صرح ببراءتها
 فقال: ﴿ بوالدتي ﴾ أى التى أكرمها الله باحصان الفرج و الحمل بي
 من غير ذكر ، فلا والد لى غيرها ١ ﴿ ولم يحملى جبارا شقياء ﴾ بأن
 أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق ، إنما أفعل ذلك بمن يستحق ، وفيه
 ٥ إيماء إلى أن التجبر المذموم فعل أولاد الزنا ، وذلك أنه يستشعر ما عنده
 من النقص فيريد أن يجبره بتجبره ، ثم أخبر بما له من الله من الكرامة
 الدائمة مشيرا إلى أنه لا يضره [عدو - ٢] ، وإلى أنه عبد لا يصلح أن
 يكون إلها وإلى البعث فقال: ﴿ والسلم ﴾ أى جنسه ﴿ على ﴾ فلا يقدر

أحد على ضررى ﴿ يوم ولدت ﴾ فلم يضرنى / الشيطان ١ و من يولد
 / ٤١٦
 ١٠ لا يكون إلها ﴿ و يوم اموت ﴾ كذلك أموت كامل البدن و الدين ، لا يقدر
 أحد على انتقاصها ١ منى كائنا من كان ﴿ و يوم ابعث حيا ﴾ يوم القيامة
 كما تقدم [فى - ٠] يجي عليه السلام ، إشارة إلى أنه فى البشرية مثله
 سواء لم يفارقه أصلا إلا فى كونه من [غير - ٣] ذكر ، وإذا كان جنس
 السلام عليه كان اللعن على أعدائه ، فهو بشارة لمن صدقه فانه منه ، و نذارة
 ١٥ لمن كذبه ، ١ ولم يكن لبينا صلى الله عليه و سلم مثل هذه الحارقة لثلا
 يلتبس ٢ حاله بالكهان . لأن قومه لا عهد لهم بالخوارق إلا عندهم .

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد (٤) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : انتفاعها (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى
 « اليايس وغيرها » ص ١٩٥ س ٤ ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : يلبس .

و إذا

وإذا تقرر ذلك في قوسهم من^١ الصغر صعب زواله، ولم يكن هناك ما ينفيه حال الصغر، فموض عن ذلك إنطاق الرضعا كبارك اليامة^٢ وغيره، وإنطاق الحيوانات العجم، بل والجادات كالحجارة وذراع الشاة المسمومة والجذع [اليابس - ٣] وغيرها .

ولما كان في ذلك من أقوال عيسى وأحواله - المناذية بالحاجة ه للتقل في أطوار غيره من البشر^٤ والكرامة من الله^٥ - أعظم البيان عن بعده عما ادعى فيه النصارى من الإلهية واليهود من أنه لغير رشده، نبه على ذلك مشيراً إليه بأداة^٦ البعد فقال مبتدئاً: ﴿ ذلك ﴾ أي^٦ الولد العظيم الشأن، العلى الرتبة، الذى هذه أحواله وأقواله البعيدة عن صفة الإله [و صفة من ارتاب في أمره - ٣]؛ ثم^٧ بين اسم الإشارة أو أخبر فقال: ١٠ ﴿ عيسى ابن مريم ع ﴾ أي^٧ وحدها ليس لغيرها فيه بنوة أصلاً، وهى من أولاد آدم، فهو^٨ كذلك؛ ثم عظم هذا البيان تعظيماً آخر فقال: ﴿ قول ﴾ أي هو - أى نسبه إلى مريم فقط - قول ﴿ الحق ﴾ أي الذى يطابقه الواقع، أو يكون القول عيسى نفسه كما أطلق عليه في غير هذا الموضع " كلمة " من تسمية المسبب باسم السبب وهو على هذه ١٥

(١) من مد، وفى الأصل: فى (٢) قد مر عليه التعليق فيما مضى (٣) زيد من مد. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد فى الأصل: الفعل، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) من مد، وفى الأصل « و »، والعبارة من هنا بما فيها الواو ساقطة من ظ إلى « أخبر فقال » (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: نهى .

القراءة خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف؛ [و على قراءة عاصم
و ابن عامر بالنصب، هو اغراء، أى الزموا ذلك وهو نسبه إلى مريم
عليها السلام وحدها - ٢] ثم عجب من ضلالهم فيه بقوله:
(الذى فيه يمترون) أى يشكون [شكا - يتكلفونه و يجادلونه به - ٣] مع
ه أن أمره فى غاية الوضوح، ليس موضعاً للشك أصلاً؛ ثم دل على
كونه حقاً فى كونه ابن مريم لا غيرها بقوله رداً على من ضل:
(ما كان) أى ما صح و لا تأتى و لا تصور فى العقول و لا يصح
و لا يأتى^٦ لأنه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة (لله) النفى
عن كل شىء (ان يتخذ) و لما كان المقام يقتضى النفى العام، أكدته
١٠ بـ "من" فقال: (من ولد لا) .

و لما كان اتخاذاً الولد من النقص، أشار إلى ذلك بالتنزيه العام
بقوله: (سبحه^٧) أى تنزهه عن كل نقص من احتياج إلى ولد أو غيره
ثم علل ذلك بقوله: (إذا قضى^٢ أمراً) أى أمر كان (فإنما يقول له كن)
أى يريد و يعلق قدرته به (فيكون^٥) من غير حاجة إلى شىء أصلاً،
(١) العبارة من «وهو على هذه» ص ١٩٥ س ١٥ إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من
مد (٣) زيد من مد، و زيد فى ظ: و يجادلون - فقط (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «منه الحاجة» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى
الأصل: لا يأتى (٧) فى ظ «و» (٨) بهامش ظ: المراد بالأمر هنا العموم لأن
المنكرة إذا وقعت فى سياق الشرط انادت ذلك فتنبه لهذا.

فكيف ينسب إلى الاحتياج إلى الأحيال و الإبلاذ و التربة شيئا فشيئا
- كما أشار إليه الاتخاذ .

و لما كان لسان الحال ناطقا عن عيسى عليه الصلاة و السلام بأن
يقول: و قد قضى الله فكنت كما أراد، فأنا عبد الله و رسوله فاعتقدوا ذلك
و لا تعتقدوا سواه من الأباطيل، عطف عليه^٢ في قراءة الحرمين^٢ و أبي ه
عمر: قوله: ﴿ و ان الله ﴾^٣ أى الذى له الأمر كله ﴿ ربى و ربكم ﴾ أى^٤
أحسن إلى كل منا^٥ بالخلق و الرزق، لا فرق بيننا فى أصل ذلك
﴿ فاعبده ﴾^٦ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده،^٧ و قراءة الباين بالكسر
على [أنه -^٨] مقول عيسى عليه السلام الماضى، و يكون اعتراض ما
تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد و الاهتمام .

٤١٧/

١٠

و لما كان اشتراك الخلائق فى عبادة الخالق يعمل القلب و الجوارح
علما و عملا أعدل الأشياء، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ هذا ﴾ أى الذى
أمرتكم به ﴿ صراط مستقيم ﴾^٩ لآنا بذلنا الحق لآله بالاعتقاد^٩ الحق
() من مد، و فى الأصل: الإيجاد؛ و العبارة من « كما أشار » إلى هنا ساقطة
من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « أبى عمرو » ساقطة من ظ (٣) من مد و البحر
المحيط ٦ / ١٨٩، و فى الأصل: الحرمى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٧) العبارة من هنا إلى
« و الاهتمام » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) زيدت الواو فى الأصل و ظ،
و لم تكن فى مد فحذفناها .

و العمل الصالح، ولم يفض أحد منا فيه على صاحبه .

و لما كان المنهج تقويم بحيث^١ يكون سببا للاجتماع عند كل

صحيح المزاج ، عجب منهم في استثمار غير ذلك منه فقال : (فاختلف)

أى قسب عن هذا السبب للاجتماع أنه اختلف (الاحزاب)

الكثيرون^٢ . و لما كان الاختلاف لم يعم جميع المسائل التي^٣ في شرعهم

[قال -^٤] : (من بينهم ج) أى بنى إسرائيل المخاطبين بذلك خاصة

لم تكن فيهم^٥ فرقة من غيرهم في هذه المقالة القويمة التي لا تنبغى لمن له

أذى مسكه أن يتوقف في قبولها ، فمنهم من علم أنها الحق فاتبعها و لم يجد

عن صوابها ، و منهم من أبعده في الضلال عنها بشبه لا شئ أوهى منها ؛

١٠ روى عن قتادة أنه اجتمع من أخبار بنى إسرائيل أربعة^٦ : يعقوب

و نسطور و ملكا و إسرائيل ، فقال يعقوب : عيسى هو الله نزل^٧ إلى

الأرض فكذبه الثلاثة و أتبعه اليعقوبية ، و قال نسطور عيسى ابن الله ،

فكذبه الاثنان و اتبعه النسطورية . و قال ملكا : عيسى أحد

(١) بهامش ظ : خبر « كان » إذ المعنى : كأننا بحيث (٢) بهامش ظ : إنما قال

الشيخ : الكثيرون ، مع أن الأحزاب جمع ، فلو نظر إلى المفرد إذ 'حزب'

يصدق على الجماعة الكثيرة و الجمع فيه ما في المفرد و زيادة - انتهى . و العبارة

من بعده إلى « في شرعهم » - ساقطة من ظ (٣) من مد ، و في الأصل : الذى .

(٤) زيد من مد (ه - ه) من مد ، و في الأصل و ظ : لم يكن فيه (٦) تقدم في

ظ على « من أخبار » (٧) من ظ و مد و البحر المحيط ، و في الأصل : نزل .

ثلاثة^١ : الله إله، و مريم إله، و عيسى إله، فكذبه الرابع و اتبعه طائفة،
و قال إسرائيل : عيسى عبد الله . كلبته ألقاها إلى مريم و روح منه . فاتبعه
فريق من بني إسرائيل ، ثم اقتتل الأربعة فغلب المؤمنون و قتلوا^٢ و ظهرت
البعقوية على الجميع - ذكر معناه أبو حيان^٣ و ابن كثير و رواه عن عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة . (فويل) أى قدسب عن اختلافهم أنا نقول : وويل^٥
(للذين كفروا) منهم و من غيرهم (من مشهد يوم عظيم) في
جمعه بجميع الخلائق ، و ما فيه من الأحوال و القوارع^٥ .

ولما كان ذلك المشهد عظيم الجمع ، شديد الزحام ، مستوى الأرض ،
بعيد الأرجاء ، كان حاله مقتضيا لثلاث يطلعوا على غير ما يليهم من أهواله ،
فقال في جواب من يقول : و ما عسى أن يسمعوا أو يصرخوا فيه ، معلما^{١٠}
بأن حالهم في شدة السمع و البصر جديرة^٤ بأن يعجب منها :
(اسمع بهم و ابصرا) أى ما أشد سمعهم و ما أفذ بصرهم ! (يوم ياتوننا)
سامعين لكل أهواله ، مبصرين لسائر أحواله ، فيطلعون بذلك على جميع
ما أدى عمله^٦ في الدنيا إلى ضرهم في ذلك اليوم ، و جميع ما كان ينفعهم
لو عملوه ، فيندمون حيث لا ينفعهم الندم . و يتمنون المحال من الرجوع^{١٥}
إلى الدنيا و نحوه ليتداركوا فلا يجابون إلى ذلك ، بل يسلك بهم في كل

(١) زيد في مد : يعنى (٢) 'يس في البحر (٣) راجع البحر ١٩٠/٦ (٤) من
مد ، و في الأصل : الجميع . وهذه الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من ظ (٥) من
ظ و مد ، و في الأصل : القوارع (٦) من ، و في الأصل و ظ « و » (٧) العبارة
من هنا إلى « يعجب منها » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و في الأصل : كل جدير .
(٩) من ظ و مد ، و في الأصل : عبه .

ما يؤذيه و يهلكهم ويردبهم ، فيكونون بسوك ذلك - وهم / يملون
 ضرره^١ عميا وبكا وصما ، لانهم لا ينتفعون بمداركهم كما كانوا في
 الدنيا كذلك ، لكنهم - هكذا كان الاصل ، وإنما^٢ أظهر فقال :
 ﴿ لكن الظلون ﴾ تنبيها على الوصف الذي أحلهم ذلك المحل
 ٥ ﴿ اليوم في ضلل مبين ٥ ﴾ [لا - ٢] يسمعون ولا يبصرون .

ولما كان هذا [الذي - ٢] تقدم إنذارا بذلك المشهد ، كان
 التقدير : * أنذر قومك^٣ ذلك المشهد وما يسمعون فيه ويبصرونه
 ﴿ وانذرهم يوم الحسرة ﴾ نفسه في ذلك المشهد العظيم ، يوم تزل القدم ،
 ولا ينفع الندم ،^٤ للسى على إساءته ، وللحسن على عدم ازدياده
 ١٠ من الإحسان^٥ .

[ولما كان " يوم " مفعولا ، لا ظرفا ، أبدل منه ، أو علل الإنذار
 فقال - ٢] : ﴿ اذ ﴾ أى حين ، أولآنه [وعبر عن المستقبل بالماضى ،
 إيذانا بأنه أمر حتم لا بد منه فقال - ٢] : ﴿ قضى الامر ﴾ أى أمره
 وفرغ منه بأيسر شأن وأهون أمر . وقطعنا^٦ أنه لا بد من كونه ﴿ وهم ﴾
 ١٥ حال من " انذرهم " أى و الحال أنهم [الآن - ٢] ﴿ فى غفلة ﴾ عما
 قضينا [أن يكون فى ذلك الوقت - ٢] من أمره ، لا شعور لهم بشيء منه ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ضررهم (٢) فى مد : لكننه (٣) زيد من
 مد (٤) زيد من ظ و مد (هـ-هـ) من ظ و مد . وفى الأصل : انذرهم للسى على
 إساءته و الحسن على ازدياده من الاحسان فى - كذا ، وسيأتى بفرق يسير .
 (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : قطعناه .
 (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : انذارهم .

بل يظنون أن الدهر هكذا حياة و موت بلا آخر^١ (وهم لا يؤمنون^٢)
 بأنه لا بد من كونه؛ [و في -^٣] الصحيح ما يدل على أن يوم الحسرة
 حين يذبح الموت فقد روى مسلم^٤ عن أبي سعيد رضى الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش
 أملح فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؛ فيسريثون^٥؛ و ينظرون^٥
 و يقولون: نعم! هذا الموت، و يقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟
 فيسريثون^٦؛ و ينظرون و يقولون: نعم! هذا الموت، فيؤمر به فيذبح،
 ثم يقال: يا أهل الجنة! اخلود فلا موت، و يا أهل النار! اخلود فلا موت،
 ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - و في رواية: فذلك قوله^٧
 ”وانذرهم يوم الحسرة“ اذ قضى الامر^٨ الآية . و أما الغفلة ففي^٩ ١٠
 الدنيا. روى ابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم ”اذ قضى
 الامر و هم في غفلة“ قال: في الدنيا. قال المنذرى: و هو في مسلم بمعنى
 في آخر حديث^{١٠}.

و لما كان الإرث^{١١} هو حوز الشيء بعد موت أهله، و كان سبحانه

- (١) من ظ و مد. و في الأصل: آخرة (٢) زيد من ظ و مد (٣) باب جهنم -
 أعادنا الله منها، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها (٤) في مد: فيسريثون .
 (٥) من ظ و مد و صحيح مسلم حديث عثمان بن أبي شيبة، و في الأصل: قولهم .
 (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: في .
 (٨) راجع حديث أبي بكر بن أبي شيبة باب جهنم - أعادنا الله منها (٩) من ظ
 و مد، و في الأصل: المحوز .

قد قضى بموت الخلائق أجمعين ، وأنه يبقى وحده ، عبر عن ذلك بالإرث
مقرا به مضمون الكلام السابق ، فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم : إن
الدهر لا يزال هكذا ، حياة لقوم^١ وموت لآخرين^٢ (انا نحن) بعظمتنا
التي قضت ذلك ولا بد ، وأفاد [الأصبهاني أن -^٣] تأكيد اسم^٤ إن ،
○ [أفاد -^٥] أن الإسناد إليه سبحانه لا إلى أحد من جنده (نزلت الأرض)
فلا ندع بها عامرا^٦ من عاقل ولا غيره . ولما كان العاقل أقوى من
غيره ، صرح به بعد دخوله فقال^٧ : (ومن عليها)^٨ أي من العقلاء^٩ ،
بأن نسلبهم جميع ما في أيديهم (والينا) لا إلى غيرنا من الدنيا^{١٠}
و جابرتها^{١١} [إلى غير ذلك -^{١٢}] (يرجعون)^{١٣} معنى^{١٤} في الدنيا [وحسا -^{١٥}]
١٠ بعد الموت .

ولما ذم الضالين في أمر المسيح ، وعلق تهديدهم بوصف دخل
فيه مشركو العرب ، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث ، وغيرهم بأنهم
لسوء أعمالهم كالمكذبين به ، وختم ذلك بأنه الوارث وأن الرجوع
إليه ، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه وأتباعهم على أكثر أهل
(١) من مد ، وفي الأصل : لنا (٢) من مد ، في الأصل : لاخرى ؛ والعبارة من
« مؤكدا تكذيبا » إلى هنا ساقطة من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « من جنده »
ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في
الأصل ؛ أهل الدنيا ، والتصحيح من ظ و مد (٧) من مد ، وفي الأصل :
من ؛ والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ مع الكلمتين التاليتين .
(٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : بسوء .

الأرض يرجوع أهل الأديان 'الباطلة إليهم' حتى يعم ذلك جميع أهل
الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام^٢، وكان إبراهيم عليه السلام
لكثرة / أولاده من العرب و الروم و أهل الكتائب وارتنا لاكثر^٣
الأرض، و كان مثل زكريا في هبة الولد على كبر سنه و عقم زوجته،
أتبع ذلك قوله: (و اذكر)^٤ أي يا محمد^٥ (في الكتب) أي الذي ه
أنزل عليك [و -^٦] تبلغه للناس و تعلمهم أن [هذه -^٦] القصة من
القرآن (إبراهيم) أعظم آياتكم الذي نهى أباه عن الشرك يا من
يكفرون تقليدا للأبائهم^٧ علل تشريفه بذكره [له على سبيل التأكيد
المعنوي بالاعتراض بين البدل و المبدل منه، و اللفظي بـ "إن" بقوله
منها على أن مخالفتهم له بالشرك و الاستقسام بالألزام و نحو ذلك ١٠
تكذيب بأوصافه الحسنة -^٧]: (انه كان) [أي جيلة و طبعا -^٦]
(صديقا) أي بليغ الصدق في نفسه في أقواله و أفعاله^٨، و التصديق
بكل ما يأتيه [بما -^٨] هو أهل لأن يصدق [لانه -^٦] مجبول^٩ على ذلك
[و لا يكون كذلك إلا و هو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص -^٨]
(١-١) من مد، و في الأصل: إلى ادناهم - كذا (٢) العبارة من «وأن الرجوع»
إلى هنا ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد، و في الأصل: لأهل أكثر.
(٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «من القرآن» ساقطة
من ظ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد، و زيد في ظ: له بقوله - فقط .
(٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و في الأصل و ظ: مجبولا .

(نبياء) [أى يخبره الله بالأخبار العظيمة جدا التى يرتفع بها فى الدارين - ١] وهو أعظم الأنبياء بعد محمد - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام [كما رواه الحافظ أبو النزار بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه ٢ وأكده وكذا أكد فيما بعده - ٣] من الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا مقرين بنبواتهم تنزيلا لهم منزلة المنكر . لجرهم فى إنكارهم نبوة البشر على غير مقتضى علمهم .

ولما تكفل ما تقدم من هذه السورة بنى الشريك بقيد كونه ولدا ، أتبع ذلك من قصته ما ينبنى الشريك ليقضى به أولاده فى ذلك إذ كانوا يقلدون الآباء وليس فى آباتهم مثله ، فقال مبدلا ٤ من " إبراهيم " ١ . (إذ قال) ٢ أى اذكر وقت قوله ٣ (لايه) ٤ هاديا له من تيه الضلال ٢ عبادة الأصنام مستعظما له فى كل جملة بقوله ٥ : (بنات) .

ولما كان العاقل لا يفعل فعلا إلا لثمرة ، نهه على عقم فعله ٦ بقوله : (لم تعبد) ٧ مريدا بالاستفهام المجاملة ، و اللطف و الرفق و اللين و الأدب ١٥ الجليل فى نصحه له كاشفا الأمر غاية الكشف بقوله ٨ : (ما لا يسمع ولا يبصر) أى ليس عنده قابلية لشيء من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من خدمته أو يحميك إذا ناديتك حالا أو مآلا . ٩ ولما كان الأعمى الأصم ٢

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٤-٤) تقدم ما بين الرقنين فى الأصل على « نبياء » و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : لنموه (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فعله (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : إذ .

'قد ينفع بكلام أو غيره، قال^١: ﴿ ولا يقنى عنك شيئاً ﴾^٢ من الإغناء .
 ولما نبه على أن ما عبده لا يستحق العبادة، بل لا تجوز عبادته،
 لنقصه مطلقاً ثم نقصه عن عبده، ولن يكون المعبود دون العابد أصلاً،
 وكان أقل ما يصل إليه بذلك مقام الحيرة . نبه على أنه أهل للهداية،
 فقال مكرراً لوصفه المذكور بالعطف و الود: ﴿ يَأْتِيكَ ﴾^٣ وأكد^٤
 علماً منه أنه ينكر أن يكون ابنه أعرف^٥ منه بشيء فقال:
 ﴿ انى قد جاءنى ﴾ من المعبود الحق ﴿ من العلم ما لم ياتك ﴾^٦ منه
 ﴿ فاتبى ﴾^٧ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لك وجوباً على النهى عن المنكر
 ونصيحة لما لك على من الحق: ° اجتهد فى تبى ° ﴿ اهدك صراطاً سوياء ﴾^٨
 لا عوج فيه،^٩ كما أنى لو كنت معك فى طريق محسوس وأخبرتلك أن^{١٠}
 أماننا مهالك^{١١} لا ينجو منها أحد، وأمرتلك أن تسلك مكاناً غير ذلك،
 لأطعتنى، ولو عصيتنى فيه عدك كل أحد غاوباً .

ولما بين أنه لا نفع فيما يعبده . ونبه^{١٢} على الوصف المقتضى
 لوجوب الاقتداء به . بين له ما فى عبادة معبوده من الضر
 فقال: ﴿ يَأْتِيكَ لا تعبد الشيطان^{١٣} ﴾ فان الأصنام ليس لها^{١٤}
 دعوة أصلاً . واقه تعالى قد حرم عبادة غيره مطلقاً على لسان كل

(١-١) سقط ما بين الرقمن من ظ (٢) زيد فى مد: أى (٣) العبارة من هنا إلى
 «بشئ» فقال «ساقطة من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: عرف (٥-٥) فى ظ:
 اتبى (٦) العبارة من هنا إلى «أحد غاوباً» ساقطة من ظ (٧) فى مد: مهلكاً .
 (٨) من ظ ومد . وفى الأصل: نبه .

ولى له، فتعين أن يكون الأمر بذلك الشيطان، فكان هو المعبود
بعبادتها في الحقيقة؛ ثم علل هذا النهى فقال: ﴿ان الشيطان﴾ البعيد
من كل خير [المحترق باللعة -^١]، و ذكر الوصف الموجب / للاملاء
للعاصي فقال:^٢ ﴿كأن للرحمن﴾ المنعم بجميع النعم القادر على سلبها،
و لم يقل: للجبار - لتلايتوم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للعجز
عنه^٣ ﴿عصاه﴾ بالقوة من حين خلق، وبالفعل من حين^٤ أمره
بالسجود لأيك آدم فأبى فهو عدوته وله، و المطيع للعاصي لشيء
عاص لذلك الشيء، لأن صديق العدو عدو.

/ ٤٢٠

فلما بين له أنه بذلك عاص للنعم، خوفه من إزالته نعمته فقال:

١٠ ﴿يتابت أني أخاف﴾ لمحبتى لك وغيرتى عليك ﴿ان يمسك عذاب﴾
[أى عذاب كأن^٢ ﴿من الرحمن﴾ أى الذى هو ولى كل من
يتولاه^١ لعصيانك إياه ﴿فتكون﴾ أى فتسبب عن ذلك أن تكون
﴿للشيطان﴾ وحده [وهو عدوك المعروف العداوة -^١] ﴿ولياه﴾
فلا يكون لك نصرة أصلا، مع ما يوصف به من السخافة باتباع
١٥ العدو الدنى، و اجتناب الولى العلى^٢.

فلما وصل إلى هذا الحد من البيان، كان كأنه قيل: ما ذا كان

جوابه؟ فقيل: ﴿قال﴾ مقابلا لذلك الأدب العظيم و الحكمة البالغة

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد، و في

الأصل و ظ: حيث (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «وحده» و سقط

من ظ .

الناشئة عن لطافة العلم بغاية الفظاظة الباعث عليها كثافة الجهل ، منكرا عليه في جميع ما قال بانكار ما بعثه عليه من تحقير آلهته : (ارغب) قدم ' الخبر لشدة عنايته و التعجب من تلك الرغبة و الإنكار لها ، إشارة إلى أنه لا يفعلها أحد ؛ ثم صرح له ' بالمواجهة بالغلظة فقال : (انت) وقال : (عن الهتى) باضافتها إلى نفسه فقط ، إشارة إلى مبالغته في ه تعظيمها ؛ و الرغبة عن الشيء : تركه عمدا . ثم ناداه باسمه لا بلفظ النبوة المذكور بالشفقة و العطف زيادة في الإشارة إلى المقاطعة و توابعها فقال : (يا إبراهيم) ثم استأنف قوله مقسما : (لئن لم تنته) عما أنت عليه (لارجحك) أى لاقتلتك ، فان ذلك جزاء المخالفة في الدين ، فاحذرنى و لا تعرض لذلك منى ' و آتته ' (و اهجرنى) أى ابعد عنى (مليا) ١٠ أى زمانا طويلا [لأجل ما صدر منك هذا الكلام -] ، و فى ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تأنية فيما كان يلقي من الأذى . و يقاسى من قومه من العناء ، ' و من عمه أبى لهب من الشدائد و البلايا - بأعظم آباته و أقربهم به شيئا (قال) (أى -) إبراهيم عليه السلام مقابلا لما كان منه من طيش الجهل بما يحق لمثله من رزائه ١٥ العلم : (سلم عليك ج) أى أنت - سلم منى ما لم أوامر فيك بشيء ؛ ثم استأنف قوله : (ساستغفر) ' بوعد لا خلف فيه ' (لك ربى) (أى -) [

(١) فى مد - فقدم ؛ و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى ولا يفعلها أحد (٢) من مد . وفى الأصل وظ : به (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد من مد (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : لا .

المحسن إلى بأن أطلب لك منه غفران ذنوبك بان يوفئك للاسلام
الجاب لما قبله ، لان هذا كان قبل أن يعلم أنه عدو لله محتوم^١ بشقاوته
بدليل عدم جزمه بعذابه في قوله "انى اخاف أن يمسك" .

ثم علل إقدامه على ذلك إشارة إلى أنه مقام خطر بما له من
الإذلال لما له من مزيد القرب فقال : (انه كان نى) أى [في-^٢] جميع
أحوالى (حفاه) [أى-^٣] مبالغا^٤ في إكرامى مرة بعد مرة وكرة^٥
إثر كرة ، ثم عطف على وعده بالإحسان وعده بما سأل فيه من الهجرة
فقال : (واعتزلكم) [أى-^٦] جميعا بترك بلادكم^٧ :^٨ وأشار إلى أن
من شرط المعبود أن يكون أهلا^٩ للناداة في الشدائد^{١٠} بقوله :
١٠ / ٤٢١ (وما تدعون) أى تعبدون (من دون الله) الذى له الكمال كله ،

فمن أقبل عليه وحده أصاب ، ومن أقبل على غيره فقد خاب^{١١} ولم
يقيد الاعتزال بزمن ، بل أشار إلى أنهم ما داموا على هذا الدين فهو
معتزل لهم (وادعوا) أى أعبد (ربى^{١٢}) وحده لاستحقاقه ذلك منى
بتفرده بالإحسان إلى ، ثم دعا لنفسه بما نبههم به على خيبة مسعاهم
١٥ فقال [غير-^{١٣}] ^{١٤}جازم باجابة دعوته وقبول عبادته لإجلال لربه وهضبا
لنفسه^{١٥} : (عسى^{١٦} إلا اكون) ^{١٧}أى كوننا ثابتا كأنه احترز بذلك^{١٨}

(١) في ظ : محتوم (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد ،
وفي الأصل : مبالغة (٥) زيد في مد : في (٦) العبارة من هنا إلى «الشدائد بقوله»
ساقطة من ظ (٧-٧) من مد ، وفي الأصل : لنا واكد في الشديد - كذا .
(٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ .

اعمالاً بدلاً ولياء منه في الدنيا من البلاء' (بدعاء ربي) المتفرد بالإحسان
إلى' (شقياء) كما كنتم أنتم أشقياء بعبادة ما عبدتموه، لأنه لا يجب
دعائكم ولا ينفعكم' ولا يضركم'.

ولما رأى من أبيه ومعاشره ما رأى، عزم على نشر شقة النوى
مختاراً للفرقة في البلاد على غربة الأضداد، فكان كما قال [الإمام - ٤] هـ
أبو سليمان الخطابي رحمه الله:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست [و-٧] أهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
'وحق ما عزم عليه'؛ ثم بين سبحانه وتعالى تحقيق رجائه وإجابة
دعائه فقال: (فلما اعتزلهم) أي بالهجرة إلى الأرض المقدسة ١٠
(وما يعبدون) أي على الاستمرار' (من دون الله) الجامع لجميع
معاني العظمة التي لا ينبغي العبادة لغيره (وهنا) أي على ما لنا من
العظمة' (لأنه) كما هو الشأن في كل من [ترك - ٤] شيئاً لله (استحق)
ولداً له لصلبه من زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها سن اليأس وأخذه
هو في السن إلى حد لا يولد مثله (ويعقوب') ولداً لإسحاق وخصهما ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢-٢) من مد، وفي الأصل: بل (٣) العبارة
من «لأنه لا يجب» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ
ومد ويثيمة الدهر ٢٣١/٤، واسمه أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي، وفي الأصل:
أبو موسى (٦) في اليتيمة: عمه (٧) زيدت الواو من ظ ومد واليتيمة (٨) من
ظ ومد واليتيمة، وفي الأصل: أهل.

بالذكر للزومها محل إقامته وقيامها بعد موته بخلافته فيه و أما إسماعيل عليه السلام فكان الله سبحانه هو المتولى لتربيته بعد نقله رضيعا إلى المسجد الحرام وإحيائه به تلك المشاعر العظام [فأخروه بالذكر جاعلا له أصلا برأسه - ١] ؛ ثم صرح [بما وهب - ٢] لأولاده جزاء على هجرته فقال:

٥ (و كلا) أى منها (جعلنا نبياه) على المقدار ، و نخب بالآخبار كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نبياً (و وهبنا لهم) كلهم (من رحمتنا)^٣ أى شيئاً عظيماً جداً^٤ ، بالبركة فى الأموال و الأولاد و إجابة الدعاء ، و اللطف فى القضاء^٥ ، و غير ذلك من خيرى الدنيا و الآخرة^٦ (و جعلنا لهم)^٧ بما لنا من العظمة^٨ (لسان صدق علينا)^٩ أى ذكراً صادقاً رفيعاً

١٠ القدر جداً يحمدون به و يثنى عليهم من جميع [أهل - ٢] الملل على كر الأعصار ، و مر الليل و النهار ، و عبر^٢ باللسان عما يوجد به^٣ ، و فى ذلك ترغيب فى الهجرة ثانياً بعد ما رغب فيها بقصة أهل الكهف أولاً ، و أشار إليها بقوله فى "سبئحن" " و قل رب ادخلنى مدخل صدق " - الآية^٦.

١٥ و لما كان موسى أول من نوه الله بأسمائهم ، على لسانه فى التوراة ، و أظهر محامدهم ، و شهر مناقبهم ، و توارث ذلك أنباؤهم منه حتى شاع أمرهم و ذاع ، و ملاه الأسماع ، و طار فى الأقطار ، حتى عم البرارى و البحار ، عقب ذكركم بذكره فقال : (و اذكر فى الكتب)

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

(٤) زيد فى ظ : أى لسانا (٥) سقط من ظ (٦) ٠٨٠ .

أى الذى لا كتاب مثله فى الكمال^١ (موسى^٢ ذ) أى الذى أنقذ الله به بنى
 إسرائيل من العبودية والذل حتى تمكنوا من آثار^٣ آباؤهم ، وكان
 موافقا لأبيه إبراهيم عليهم السلام فى أن كلا منهما أراد ملك زمانه
 الذى ادعى الربوبية قتله خوفا على / ملكه منه ، فأنجاه الله منه ، وأمر موسى
 ٤٢٢ / أعجب لأنه سبحانه أنجاه من الذبح بالذباح ، ثم علل ذكره له بقوله : ٥
 (انه كان) أى كونا عريفا فيه^٦ (مخلصا) [لله تعالى -^٤] فى توحيده
 وجميع أعماله [- كما أشارت إليه قراءة الجمهور - من غير كلفة فى شيء ،
 فى ذلك -^٥] لأن الله أخلصه له^٦ كما فى^٦ قراءة الكوفيين بالفتح
 (وكان رسولا) إلى بنى إسرائيل والقطب (نبياء) ينبئه الله بما يريد
 من وجهه لىنبئه به المرسل إليهم ، فيرفع بذلك قدره ، فصار الإخبار ١٠
 بالنبوة عنه مرتين : إحداهما فى ضمن "رسولا" والآخرى صريحا مع
 إفهام العلو باشتقاقه من النبوة ، وبكون النبأ لا يطلق غالبا إلا على خبر
 عظيم ، فصار المراد : رسولا عاليا مقداره ويخبر بالآخبار الجليلة ، وفيه
 دفع لما قد يتوهم من أنه رسول عن بعض رسله كما فى أصحاب يس ؛
 وعطف على ذلك دليله الدال على ما صدرت به السورة من الرحمة ، ١٥
 فرحمه بتأنيس وحشته و تأهيل غربته بتلذيذه بالخطاب وإعطائه الكتاب

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : اظهار .
 (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦-٦) من مد ، وفى
 الأصل : لأن ، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى
 « الكوفيين بالفتح » .

قال: ﴿وناديته﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿من جانب الطور﴾ أى الجانب ﴿الايمن﴾ فأبناؤه هنالك - حين كان متوجها إلى مصر - بأنه رسولنا، ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون، فكان لى إسرائيل به من العجائب فى رحمتهم بانزال الكتاب، والإلذاذ بالخطاب، من جوف السحاب. و فى إمامتهم لما طلبوا الرؤية، ثم إحيائهم وغير ذلك ما يجمل عن الوصف على ما هو مذكور فى التوراة، و تقدم كثير منه فى هذا الكتاب ﴿وقربنه﴾^٢ بما لنا من العظمة^١ تقرب تشرىف^٢ حال كونه^٢ ﴿نجياه﴾ نخبه من أمرنا بلا واسطة [من النجوى وهى السر والكلام بين الاثنين كالسر، و التشاؤ كما فى يوسف و يأتى فى ١٠ المجادلة^٢] ﴿ووهبنا له﴾^٤ أى هبة تلىق بعظمتنا^٣ ﴿من رحمتنا﴾ له لما سألنا^٤ ﴿إخاه﴾ أى معاودة أخيه^٢ و بينه بقوله: ﴿هرون﴾ حال كونه ﴿نبياه﴾^٢ أو هو بدل أى نبوته^٢ شددنا به أزره، و قوينا به أمره، و كان يخلفه فى قومه عند ذهابه إلى ساحة المناجاة، و مع ذلك فأشركوا فى صورة مجمل، فلا تعجب من غرورهم للعرب مع مباشرتهم ١٥ لهذه العظام.

و لما كان إسماعيل عليه الصلاة و السلام هو الذى ساعد أباه

(١) زيد من ظ: جبل الطور (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن «رحمتنا» و الترتيب من مد، و كان موضعه فى الأصل: بما لنا من العظمة، و لم يكن فى ظ و مد فخذناه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سألناه.

لإبراهيم عليه السلام في بناء البيت الذي كان من الأفعال التي أتى الله
بها ذكره، و شهر أمره، و كان موافقا لموسى عليه السلام في ظهور
آية الماء الذي به حياة كل شيء. و إن كانت آية موسى عليه السلام
انقضت بانقضائه، و آيته هو باقية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها،
و هي التي كانت سبب حياته و ماؤها ببركته أفضل مياه الأرض، و جعل ه
سبحانه آية الماء التي أظهرها له سبب حفظه من الجن و الإنس و الوحش
و سائر المفسدين، إشارة إلى أنه سبحانه يحيي بولده محمد صلى الله عليه
و سلم - الذي غذاه بذلك الماء و رياه عند ذلك البيت إلى أن اصطفاه
برسالته، فحسدته اليهود و أمرت بالتعننت عليه - ما لم يحيي بغيره، و يجعله
قطب الوجود [كما خصه -^٢ من بين آل إبراهيم عليه السلام^٢ = بالبيت ١٠
الذي هو كذلك قطب الوجود^٢]، و يشقى به من داء الجهل، و يغنى
به من مرير الفقر، كما جعل ماء زمزم طعام طعم و شفاء سقم،
و كان صلى الله عليه و سلم آخر من شيد قدومهم، و أعظم من أعلى ذكرهم،
عقب ذكره بذلك فقال: ﴿ و اذكر في الكتب ﴾ أباك الأقرب
(اسماعيل ذ) ابن إبراهيم عليهما السلام^٢ الذي هم معترفون بنبوته، و مفتخرون ١٥
برسالته و أبوته، فلزم بذلك فساد تعليلهم إنكار نبوتك بأنك من البشر^٢،
ثم علل ذكره و التوحيه^٤ بقدره / بقوله معلما بصحوبة^٥ الوفاء بالتأكيد:
(١) من ظ و مد، و في الأصل: ما هو (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٢) زيد ما بين الحاجزين من مد و ظ (٤) في ظ: التنزيه (ه) من مد، و في
الأصل و ظ: بمضمونه - كذا .

(انه كان) 'اجلة و طبعاً' (صادق الوعد) 'في حق الله و غيره' لمعونة الله له على ذلك ، بسبب أنه لا يعد وعداً إلا مقروناً بالاستثناء كما قال لايه حين أخبرهم بأمر ذبحه "ستجدني ان شاء الله من الصبرين" [فكن أبي كذلك - ٢] " و لاتقولن شيئاً إني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله " ، و خصه بالمدح به - و إن كان الانبياء كلهم كذلك - ٥ لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله^١ (وكان رسولا نبياً) نبأه الله بأخباره ، و أرسله إلى قومه جرهم^٢ قاله الأصهباني . و أتى أهل تلك البرارى بدين أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام فأحيها الله^٣ بنور الإيمان الناشئ عن روح العلم و وصفه بالرسالة^٤ زيادة على وصف أخيه إسحاق عليهما السلام^٥ و تقدم في^٦ أمر موسى عليه السلام سر الجمع بين الوصفين ؛ و في صحيح مسلم^٧ و جامع الترمذي^٨ - عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام . و في رواية الترمذي أن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل . (وكان يامر أهله بالصلوة) التي هي طهرة البدن و قرّة العين و خير العون على جميع المآرب

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) موضعه في الأصل بياض ملأناه من ظ ومد ، وإرساله إلى جرهم قد ذكره البغوي أيضاً في المعالم - راجع هامش الباب ٤ / ٢٠٢ (٤) زيد في الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة في مد لحذفناها (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : بالرتاسة (٦) العبارة من هنا إلى « الوصفين » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و في الأصل : من (٨) العبارة من هنا إلى « رواية الترمذي » ساقطة من ظ (٩) راجع باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه و سلم - المناقب راجع باب فضل نسب النبي صلى الله عليه و سلم - الفضائل .

(و الزكوة ص) التي هي طهارة المال ، كما أوصى الله بذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، و تقدم في هذه السورة أنه سبحانه و تعالى أوصى بذلك عيسى عليه السلام ﴿ و كان عند ربه ﴾ 'العبادة على حسب ما أقامته ربوبيته' (مرضيا ه) فاقتد أنت به فانه من أجل آباتك ، لتجمع بين طهارة القول و البدن و المال ، فتنال رتبة الرضا .

و لما كان إسماعيل عليه السلام قد رفع بالسكنى حيا إلى أعلى مكان في الأرض رتبة ، و كان أول نبي رمى بالسهم ، و كان إدريس عليه السلام - 'مع رفعتة إلى المكان العلى' - أول من اتخذ السلاح و قاتل الكفار ، و أول من نظر في علم النجوم 'و الحساب' ، و خط بالقلم ، و خاط الثياب 'و لبس' [الجبة - ٢] . و كان أغربهم قصة ، و أعجبهم ١٠ أمرا ، و أقدمهم زما ، ختم به هذه القصص [تأيدا لهذا النبي الكريم ، بما بين له من القصص - ٢] التي هي أغرب مما أمر اليهود بالتعنت فيه ، و إشارة إلى أن الله تعالى يؤتى أتباعه من علوم إدريس الأرضية و السأوية ؛ مما يستحق أن يحفظ بالخط و يودع بطون الكتب لضيق الصدور عن حفظه ما لم يؤتة أمة من الأمم ، و أنه يجمع شملهم ، و ترهيبا ١٥ للتعنتين بأنهم إن لم ينتهوا وضع فيهم السلاح كما فعل إدريس عليه السلام بكفار زمانه فقال : ﴿ و اذكر في الكتب ﴾ [أي - ٥] الجامع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد ؛ وهذه المزاي قد ذكرها البغوى أيضا -- راجع هامش الباب ٤ / ٢٠٢ (٣) زيد من ظ (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : السواتية (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى « المتأخرين » ص ٢١٦ س . سقطت من ظ .

لكل ما يحتاج إليه من قصص المتقدمين والمتأخرين (ادريس ذ) أى الذى هو أبعد عن تعنت بهم اليهود زماناً، وأخفى منهم شأنًا، وهو جد أبى نوح عليه السلام واسمه حنوخ بمهمله^١ و نون و آخره معجمة (إنه كان صديقاً) أى صادقاً فى أقواله و أفعاله، ومصداقاً بما ٥ أتاه عن الله من آياته على السنة الملائكة (نبيلاً) ينبئه الله تعالى بما يوحىه [إليه - ٢] من الأمر العظيم، رفعة لقدره^٢، فينبئ به الناس الذين أرسل إليهم (ورفعته) جزاء منا له على تقواه وإحسانه،^٣ رفعة تليق بعظمتنا، فأحللناه^٤ (مكاناً علياً) أى الجنة أو السماء الرابعة، وهى التى رآه النبي صلى الله عليه وسلم بها ليلة الإسراء؛ قال ابن قتيبة ١٠ / ٤٢٤ فى المعارف^٥: وفى التوراة أن / أخنوخ^٦ أحسن قدام الله فرفعه^٦ إليه - انتهى. وفى نسخة ترجمة التوراة^٧ وهى قديمة جداً^٨ و قابلتها مع بعض فضلاء الربانيين من اليهود وعلى ترجمة سعيد الفيومى^٩ بالمعنى - [وكان هو القارى^٩ - ١] ما نصه: وكانت جميع حياة حنوخ ثلاثمائة و خمسا و ستين سنة^{١٠}، فأرضى حنوخ الله ففقد لأن الله غيبه، وفى نسخة (١) وأغلب، ما ضبطه النسابون بالمعجمة المسبوقة بألف (٢) زيد من ظ و مد - (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) ص ٨ (٥) من المعارف، وفى الأصول: حنوخ - كما اختاره البقاعى (٦) زيد فى الأصل و مد: الله، ولم تكن الزيادة فى ظ و المعارف لحذفناها (٧) وراجع تفاصيل نسخ التوراة نظم الدرر ٢٧٧/١ - ٢٧٩ (٨) وهى عندهم أحسن التراجم - كما صرح به المؤلف (٩) زيد من مد (١٠) راجع الأصحاح الخامس من سفر التكوين.

أخرى: لأن الله قبله، وفي أخرى^١: لأن الله أخذه. وهو قريب مما قال ابن قتيبة، لأن أصل الكلام عبراني، وإنما نقله إلى العربي المترجمون، فكل ترجم على قدر فهمه من ذلك اللسان، ويؤيد أن المراد الجنة [ما-^٢] في مجمع الزوائد^٣ للحافظ نور الدين الهيثمي عن معجم الطبراني - الأوسط والأصغر إن لم يكن موضوعا: حدثنا محمد بن واسط ثنا ه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيبي ثنا حجاج بن محمد عن أبي غسان محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن إدريس عليه السلام كان صديقا لملك الموت فسأله أن يريه الجنة والنار، فصعد بادريس فأراه النار فزرع منها، وكاد يغشى عليه فالتف عليه ملك ١٠ الموت بجناحه، فقال ملك الموت: أليس قد رأيتها؟ قال: بلى ولم أر كالיום قط، ثم انطلق به حتى أراه الجنة فدخلها فقال له ملك الموت: انطلق قد رأيتها، قال: إلى أين؟ قال [ملك الموت-^٤]: حيث كنت، قال إدريس: لا والله إلا أخرج منها بعد إذ دخلتها، فقيل لملك الموت: أليس أنت أدخلته [إياها-^٥] وأنه ليس لأحد دخلها أن ١٥ يخرج منها.

وقال: لا يروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد، وقال الحافظ نور الدين: إبراهيم المصيبي متروك.

(١) وهي نسختنا (٤) زيد من ظ ومد (٣) ٨ / ١٩٩ - ٢٠٠ (٤) زيد من ظ ومد والمجمع (٥) زيد من المجمع.

قلت و في لسان الميزان^١ لتلميذه شيخنا حافظ العصر ابن حجر عن
الذهبي أنه كذاب ، وعن ابن حبان أنه كان يسوى الحديث ، أى بدلس
تدليس التسوية . و في تفسير البغوي^٢ عن وهب قريب من هذا ، و فيه أنه
سأل ملك الموت أن يقبض روحه ويردها إليه بعد ساعة ، فأوحى الله إليه أن
٥ يفعل ، و فيه أنه احتج في امتناعه من الخروج بأن كل نفس ذاتقة الموت وقد
ذاقه ، و أنه لا بد من ورود النار^٣ و قد وردتها ، و أنه ليس أحد يخرج من
الجنة ، فأوحى الله إلى ملك الموت : باذن دخل الجنة - يعنى : نخل سبيله -
فهو حي هناك . و في تفسير البغوي^٤ أيضا عن كعب وغيره أن إدريس
عليه السلام مشى ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال :
١٠ يا رب ! فكيف بمن يحملها ؟ اللهم ! خفف عنه * من ثقلها ، تخفف
عنه فسأل^٥ ربه عن السبب فأخبره فسأل أن يكون بينهما خلة . فأتاه
فسأله إدريس عليه السلام أن يسأل ملك الموت^٦ أن يؤخر أجله ،
فقال^٧ : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، و أنا مكلمه ، فرفع إدريس
عليه السلام فوضعه عند مطلع الشمس ، ثم أتى ملك الموت و كلبه
١٥ فقال : ليس ذلك إلى ، و لكن [إن -] أحببت أعلمه أجله

(١) ٧١-٧٢ (٢) راجع هامش الباب ٣/٢٠٣ (٣) من ظ و مد ، و في الأصل :
الناس (٤) راجع هامش الباب ٤/٢٠٣ (٥) من ظ و مد و المعالم ، و في الأصل :
عند (٦) أى الملك ؛ و الرواية هنا مسرودة في غاية الوجازة (٧) زيد في الأصل
و ظ : في ، و لم تكن الزيادة في مد لحذفها (٨) بهامش ظ : فاعل « قال » ضمير
يرجع إلى الملك الذى خفف عنه من حملها (٩) زيد من ظ و مد و المعالم :
فتقدم

٤٢٥ /

'فيقدم في نفسه'، قال: نعم انظر في ديوانه فقال: إنك كلمتي في إنسان / ما أراه يموت أبدا، قال: وكيف [ذلك-٢]؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: فاني أتيتك، وتركته هناك، قال: انطلق فلا أراك تجده إلا [و-٤] قد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس - عليه السلام - شيء، فرجع الملك فوجده ميتا. ومن جيد المناسبات أن ه إسماعيل وإدريس عليهما الصلاة والسلام اشتركا في البيان بالعلم واللسان، فإسماعيل عليه السلام أول [من أجاد البيان باللسان، وإدريس عليه السلام أول-٦] من أعرب الخطاب بالكتاب، فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول من فتن لسانه بهذه العربية إسماعيل عليه السلام^٧. ولأحمد عن أبي ذر ١٠ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام^٨.

ولما انقضى كشف هذه الأخبار، العلية المقدار، الجليلة الأسرار،

شرع سبحانه ينسب أهلها بأشرف نسبهم، ويذكر أمتن سيدهم^٩ أهزا

(١-١) في العالم: فيقدم لنفسه (٢) زيد من العالم (٣) من مد والعالم، وفي الأصل: تركه، وفي ظ: آيته (٤) زيد من ظ ومد والعالم (٥) في مد: ملك الموت. (٦) زيد من ظ ومد (٧) وأيضارواه الشيرازي في الألقاب عن علي وزاد بعده: وهو ابن أربع عشرة سنة - راجع الجامع الصغير ١/ ٩٧ (٨) لم نقر به في مظانه في مسند أحمد، ورواه الحكيم عن أبي ذر بأكثر من هنا - راجع الجامع الصغير ١/ ٩٨ (٩) بهامش ظ: المراد بالسبب الوصلة بين الله وبينهم (١٠) العبارة من هنا إلى 'في السبب' ص ٢٢٠ س ١ ساقطة من ظ.

لمن واقفهم في النسب إلى الموافقة في السبب فقال: ﴿اولئك﴾ أي
 العالو الرتب، الشرفاء النسب ﴿الذين انعم الله﴾ بما له من صفات
 الكمال التي بها أقام آدم عليه السلام وُهم في ظهره، مع ما طبعه عليه
 من الأمور المتضادة حتى نجاه من مكر إبليس، ونجى بها نوحا عليه
 السلام وهم في صلبه من ذلك الكرب العظيم، وإبراهيم عليه السلام
 وهم في قواه مع اضطرام النار وإطفاء السن وإصلاح العظم، وأعلى
 بها لإسرائيل عليه السلام وبنه في سوط الفراق وامتثال العبودية واتهالك
 الاتهام حتى كان أبناؤه معدن الملوك والأنبياء، ومحل الاتقياء والأصفياء،
 إلى غير ذلك من جليل الأنبياء 'و عظيم الأصفاء والاجتباء' (عليهم)
 ١٠ بما خصهم به من مزيد القرب إليه، وعظيم المنزلة لديه؛ وبين الموصول
 بقوله: ﴿من النبيين﴾ أي المصطفين للنبوّة الذين أنبأهم الله بدقائق الحكم،
 'ورفع محالهم بين الأمم'، وأنبأوا الناس بجلائل الكلم، وأمروهم
 بظاهر الشيم.

'ولما كانوا بعض بني آدم الذين تقدم أنا كرمناهم، قال إشارة إلى
 ١٥ ما في ذلك من النعمة عليهم وهم يرونها': ﴿من ذرية آدم﴾ صفيثا
 أبي البشر الذي خلقه الله من التراب يده، وأمجده له ملائكته،
 وإدريس أحقهم بذلك.

ولما كان في إنجاء نوح عليه السلام وإغراق قومه من القدرة
 الباهرة ما لا يخفى، نه عليه بنون العظمة في قوله 'مشيرا إلى أعظم النعمة عليهم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « إلى ذلك »
 ص ٢٢١ س ٢ سائطة من ظ .

بالتبعيض، و إلى أن نبيهم من ذريته كما كان هو من ذرية إدريس عليه السلام الذى هو من ذرية آدم، فكما كان كل منهم رسولا فكذلك هو وإبراهيم أقربهم إلى ذلك: ﴿ومن حملنا مع نوح﴾ صفينا أول رسول أرسلناه بعد افتراق أهل الأرض وإشراكهم، من خالص العباد، و أهل الرشد، وجعلناه شكورا، وإبراهيم أقربهم إلى ذلك ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ ٥ خيلنا^٢ الذى كان^٢ له فى إعدام الأنداد ما^٢ اشتهر به من فضله بين العباد، وإسماعيل وإسحاق أولاهم بذلك، ثم يعقوب / ﴿واسرآيل﴾ ٤٢٦ / صفينا، وهم الباقون: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم بنت داود - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام - [فكما كان هؤلاء رسلا وهم من ذرية إبراهيم الذى هو من ذرية نوح فكذا نبيكم الذى هو ١٠ من ذرية إسماعيل الذى هو من إبراهيم لصلبه وهو أول أولاده كما كان إسرائيل من ذريته، فالإرسال من ذرية من هو ابنه لصلبه أولى من الإرسال من ذرية من بينه وبينه واسطة، وإلا كان بنو إسرائيل أشرف منكم وأبوهم أشرف من أيكم، فلا تردوا الكرامة، يا من يتنافسون فى المفاخر والرعاة - ٥] ﴿ومن هدينا﴾ إلى أقوم الطرق^١ ﴿واجتينا﴾ ١٥ أى فعلنا بهم فعل من يتخير الشيء وينتقيه بأن أسبغنا عليهم من النعم ما يجمل عن الوصف؛^٢ وعطف الأوصاف بالواو إشارة إلى التمكن فيها^٣.

(١) من مد، وفى الأصل: وكذلك (٢) العبارة: من هنا إلى « بين العباد » ساقطة من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: قال (٤) من مد، وفى الأصل: لما (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الطريق . (٧ - ٧) تقدم ما بين الرقيين فى الأصل على « ومن » مع سقوطه من ظ، =

ولما ذكر ما جابه به، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال [مستأنفا -^١]
﴿ اذا تلى عليهم آيت الرحمن ﴾ العام النعمة، فكيف بهم إذا أعلام
[جلال أو خصتهم رحمة -^٢] من جلائل النعم، من فيض الجود
والكرم^٣، [فسمعوا خصوص هذا القرآن -^٤] ﴿ خروا سجدا ﴾ للنعم
٥ عليهم تقربا إليه، لما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه
إليهم ﴿ وبكياه ﴾ خوفا منه وشوقا إليه، فوصفهم بسرعة الخشوع
من ذكر الله الناشئ عن دوام الخضوع والناشئ عنه الإسراع بالسجود
في حالة البكاء، وجعلها حالتين^٤ بالمعطف بالواو^٤ لعراقة التحلى بهما
في كل منهما على انفراده، وعبر بالاسم^٥ في كل من السجود والبكاء،
١٠ إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل،
لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلا، وإن حصل غير البكاء فللتأنيس
لمن أرسلوا إليه ليوصلوه إلى قريب من رتبهم بحسن عشرتهم على
تفاوت المراتب، وتبيان المطالب، وحذف ذكر الأذقان لدلالاتها

= و الترتيب من مد، وزيد هنا في الأصل: الذي هو من إبراهيم تسلية وهو
أول أولاده، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها.

(١) زيد من مد (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين
الرتين من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرتين من ظ (٥) زيد بعده في الأصل:
الأعظم، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها (٦) من ظ و مد، وفي
الأصل: لين.

- كما تقدم في سبئ^١ - على نوع دهشة . فهي - وإن أعلت صاحبها عن لم يبلغها - حالة دون مقام الراضين في حضرة الجلال ، لأنهم - مع كونهم في الذروة من مقام الخوف - في أعلى درجات الكمال من حضور الفكر و انشراح الصدر - لتلقى واردات الحق و إلقائها إلى الخلق ، انظر إلى ثبات الصديق رضى الله عنه - لعلو مقامه عن غيره - عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه أوفاهم من المحبة مشربا ، و أصفاهم موردا ، و أوفهم حزنا ، و أكثرهم غما و هما ، حتى أنه اعتراه لذلك مرض السل حتى مات به وجدا و أسفا [و من هنا تعلم السر في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الانبجانية التي ألهت في الصلاة بأعلانها في الصلاة إلى أبي جهم لأنه رضى الله عنه ربما كان من أهل الجمع في الصلاة فلا يرى غيره سبحانه فناء عن كل فان بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فانه لكماله متمكن في كل من مقامى الجمع و الفرق في كل حالة و لهذا يرى من خلفه في الصلاة و لا يخفى عليه خشوعهم -]^٢ .

ولما كان من المقاصد العظيمة تبكيت اليهود ، لأنهم أهل الكتاب و عندهم من علوم الأنبياء [ما -]^٣ ليس عند العرب و قد استرشدوهم^٤ ١٥ و استنصحوهم ، فقد كان أوجب الواجبات عليهم محض النصح لهم ، فأبدي سبحانه من تبكيتهم ما تقدم إلى أن ختمه بأن جميع الأنبياء كانوا الله

(١) راجع آية ١٠٧ (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (م) زيد من ظ و مد .
(٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : استرشدهم العرب .

مجدا ولأمره خضعا. عقب ذلك بتوبيخ هو أعظم داخل فيه وهو أشد
 بما تقدم لمن خاف الله ورسله فقال: ﴿خلف من بعدهم﴾ أى ' فى
 بعض' الزمان الذى بعد هؤلاء الأصفياء سريعا ﴿خلف﴾ هم فى غاية
 الرذالة ﴿اضاعوا الصلوة﴾ الناهية عن الفحشاء والمنكر التى هى طهرة
 ٥ الأبدان، وعصمة الأديان، وأعظم الأعمال، بتركها أو تأخيرها عن
 وقتها و' الإخلال بحدودها، فكانوا لما سواها أضيع، فأظلمت قلوبهم
 فأعرضوا عن داعى العقل ﴿واتبعوا﴾ أى بغاية جهدهم' ﴿الشهوت﴾ التى
 توجب العار فى الدنيا / والنار فى الآخرة، فلا يقربها من يستحق أن
 / ٤٢٧
 يعد بين الرجال، من تغيير أحكام الكتاب و تبديل ما فيه بما تخالف
 ١٠ الأهواء كالرجم فى الزنا، وتحريم الرشى والربا، ونحو ذلك، وأعظمه
 كتم البشارة بالنبي الغربى الذى هو من ولد إسماعيل ﴿فسوف يلقون﴾ أى
 يلابسون - 'وعدا لاخلف فيه' بعد طول المهلة - جزاء فعلهم هذا ﴿غيا لا﴾
 أى 'شرا يتعقب' ضلالا عظيما. فلا يزالون فى عمى عن طريق الرشاد'
 لا يستطيعون إليه سبيلا، وهم على بصيرة من أنهم على خطأ و ضلال،
 ٥ ولكنهم مقهورون على ذلك بما زين لهم منه حتى صارت لهم فيه أتم
 رغبة. وذلك أعظم الشر، ولم يزل سبحانه يستدرجهم بالنعم إلى

(١-١) من مد، وفى الأصل: من بعد؛ و العبارة من هنا - بما فيها هاتان
 الكلمتان ساقطة من ظ إلى «الذى» (٢) فى ظ: او (٣-٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٤) زيدت الواو فى الأصل. ولم تكن فى ظ و مد لحذفناها (٥) من مد،
 وفى الأصل: اثر؛ و'عبارة من «وذلك» إلى هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة
 من ظ

أن قطعوا بالظفر والغلبة حتى أناخت بهم سطوات العزة، فأخذوا على غرة، ولا أنكأ من الإخذ على هذه الصفة بعد توطين النفس على الفوز، وهو من وادى قوله " ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا و بكما وصما " مع قوله " اسمع بهم و ابصر " و جزاء من كان هذا ديدنه في الدنيا والآخرة معروف لكل من له أدنى بصيرة أنه العارثم النار، و أيضا فان من ضل خطأ طريق الفلاح من الجنة وغيرها تخاب، و من خاب فقد هلك؛ قال أبو علي الجبائي^١: والغنى هو الخيبة في اللغة - انتهى . ويجوز أن يراد بالغنى الهلاك، إما من قولهم - أغوية - وزن أئقية - أى مهلكة، وإما من تسمية الشيء باسم ما يلزمه .

ولما أخبر تعالى عنهم بالخبية، فتح لهم باب التوبة، و حدهام ١٠ إلى غسل هذه الحوبة . بقوله: ﴿ الا من تاب ﴾ أى بما [هو -^٢] عليه من الضلال، بإيثار سفاسف الاعمال، على أوصاف الكمال، [فحافظ على الصلاة، و كف نفسه عن الشهوات -^٣] ﴿ و آمن ﴾ بما أخذ عليه [به -^٤] العهد ﴿ و عمل ﴾ بعد إيمانه تصديقا له^٥ ﴿ صالحا ﴾ من الصلوات و الزكاة و غيرها، [و لم يؤكد ههما لما أهمته التوبة من إظهار ١٥ عمل الصلاة التي هي أم العبادات -^٦] ﴿ فاوآئك ﴾ العالو الهمم، الطاهرو^٧ الشيم ﴿ يدخلون الجنة ﴾ التي وعد المتقون ﴿ و لا يظلمون ﴾ من ظالم ما^٨

(١) - سورة ١٧ آية ٩٧ (٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصرى المعتزلى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ، و كان متكلما مفسرا - راجع معجم المؤلفين ١٠/٢٦٩ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : به .
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الطاهر (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(شيثاً) من أعمالهم؛ ثم بينها بقوله: (جنت عدن) أى إقامة لا ظعن عنها بوجه من الوجوه (التي وعد الرحمن) الشامل النعم (عباده) الذين^٢ هو أرحم بهم من الوالدة بولدها؛ و عبر عنهم بوصف العبودية للاشعار بالتحنن، وعدا كائناً^٣ (بالغيب^٤) الذى لا اطلاع لهم عليه أصلاً إلا من قبلنا، فأمنوا به فاستحقوا ذلك بفضل سبحانه على إيمانهم بالغيب .

ولما كان من شأن الوعود الغائبة - على ما يتعارفه الناس بينهم - احتمال عدم الوقوع، بين أن وعده ليس كذلك بقوله: (انه كان) أى كونا هو ستة ماضية^٥ (وعده مائياً) أى مقصوداً بالفعل، فلا بد ١٠ من وقوعه، فهو كقوله تعالى "ان كان وعد ربنا لمفعولاً".

ولما كانت الجنة دار الحق، وكان أنكأ شئ لذوى الأقدار الباطل، وكان أقل ما ينكأ منه سماعه، نفي ذلك عنها على أبلغ وجه فقال:

(لا يسمعون فيها لغواً) أى شيئاً ما من الباطل الذى لا ثمرة له . ولما كانت السلامة ضد الباطل / من كل وجه، قال: (الا) [أى لكن -]

/ ٤٢٨

١٥ (سلماً)^٦ لا عطب معه^٧ ولا عيب ولا نقص أصلاً فيه، وأورد على صورة الاستثناء من باب "قول الشاعر":

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب

(١) فى ظ : وصفها (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (٣) فى ظ : ثانياً .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) سورة ١٧ آية ١٠٨ (٦) زيد من ظ .
(٧) زيد فى مد : أى (٨) العبارة من هنا إلى «أصلاً فيه» ساقطة من ظ (٩ - ٩) من مد ، وفى الأصل : لا نقص ولا عيب ابتلا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد (١١) قد مر التعليق على هذا البيت .

ويحسن أن يراد باللغو مطلق الكلام ؛ قال في القاموس : لغا لغوا : تكلم .
أى لا يسمعون فيها^١ كلاما [إلا-^٢] كلاما يدل على السلامة ، ولا يسمعون
شيئا يدل على عطب أحد منهم ولا عطب شيء فيها .

ولما كان الرزق من أسباب السلامة قال : (ولهم رزقهم)
أى على قدر ما يتمنونه ويشتهونه على وجه لا بد من إتيانه ولا كلفة عليهم^٥
فيه ولا يمن عليهم به^٢ (فيها بكرة وعشياء) أى دواما ، لا يحتاجون إلى
طلبه فى وقت من الأوقات ، وفى تفسير عبد الرزاق عن مجاهد : وليس
فيها بكرة ولا عشى ، لكنهم يؤتون به على ما كانوا يشتهون فى الدنيا .
أى أنهم خوطبوا بما يعرفون [كما أشار إليه تأخير الظرف إذ لو قدم لآوهم
بعدم عن ذلك بالجنة -^١] .

ولما باينت بهذه الأوصاف دار الباطل ، أشار إلى علو رتبتها
و [ما -^٢] هو سببها بقوله : (تلك الجنة) بأداة البعد لعلو قدرها ، وعظم
أمرها (التى نورث) أى تعطى عطاء الإرث الذى لا نكد فيه^٣ من
حين التأهل له بالموت^٣ ولا كد ولا استرجاع (من عبادنا) الذين
أخلصناهم لنا ، فخلصوا عن الشرك نية وعملا (من كان) أى جبلة^{١٥}
وطبعا (تقياه) أى مبالغا فى التقوى ، فهو فى غاية الخوف منا لاستحضاره
أنه عبد ؛ قال الرازى فى اللوامع : وما تقرب أحد إلى ربه بشيء أزين
عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار ، والعبد يكون ذليلا بأوصافه ،
(١) زيد فى الأصل : اللغوا أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد .

عزيزا بأوصاف الحق تعالى - انتهى . وذلك ' إشارة إلى سبب إيراها التقوى .
 و لما كرر سبحانه الوصف بالتقى في هذه السورة ثلاث مرات ،
 و ختمه بأنه سبب للقصود بالذات ، و هو الراحة الدائمة بالوراثة لدار الخلد
 على وجه الإقامة المستمرة ، و صفة الملك الذي لا كدر فيه بوجه و لا تخلف^١
 ٥ عن مراد ، أتبعه ما بعده إشارة إلى^٢ ما تنال به التقوى ، و هو الوقوف
 مع الأمر مراقبة للأمر عطفًا على " و بالحق انزلناه " لأنه لما كان العلم
 واقعا بأن جميع سورة الكهف شارحة لمسألتين من مسائل قريش ،
 و بعض سورة سبحان شارح للثالثة^٣ ، و لطول الفصل صدرت قصة
 ذى القرنين بقوله " و يسئلونك " إعلاما بعطفها على مسألة الروح المصدرة
 ١٠ بمثل ذلك ، و جاءت سورة مريم كاشفة - تبكيها لأهل الكتاب الكائمين
 للحق - عن أغرب من تلك القصص [و أقدم زمانا -^٤] و أعظم شأنًا
 من أخبار الأنبياء المذكورين و من أسرع التبديل بعدهم باضاعة الصلاة
 و اتباع الشهوات ، فثبت بذلك أن هذا كله مرتب لإجابة سؤالهم و أنه
 كلام الله قطعًا ، إذ لو كان من عند النبي صلى الله عليه و سلم ما و عددهم
 ١٥ الإجابة في الغد إلا و هو قادر عليها ، لما هو معلوم قطعًا من رزائه عقله ،
 و غزارة فطنته ، و متانة رأيه ، و لو قدر على ذلك ما تركهم يتكلمون في
 عرضه بما الموت أسهل منه ، [لما علم منه -^٤] من الشهامة و الأتفة / و البعد عما
 يقارب الشين ، و بان بذلك أن الله سبحانه و عز شأنه ما أجمل أمر^٥ الروح

(١) بهامش ظ : اى قوله : من كان تقيا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخلف .
 (٣) ريد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحدفناها (٤) زيد من ظ
 و مد (٥) بهامش ظ : « من أخبار » بيان لأغرب (٦) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : من .

ولا آخر الإجابة خمس عشرة ليلة أو أقل أو أكثر من مجز ولا جهل،
و ثبت بذلك كله وبما بين من صنعه لأهل الكهف ولذى القرنين وإني
ولادة يحيى وعيسى وإسحاق عليهم الصلاة والسلام تمام قدرته المستلزم
لكماله عليه، وكان الإخبار عن ذلك مطابقا للواقع الذي ثبت بعضه
بالنقل الصحيح وبعضه بأدلة العقل القاطعة، ثبت مضمون قوله تعالى ٥
” وبالحق أنزلناه وبالحق نزل “ وأن هذا الكتاب قيم لا عوج فيه،
فعطف عليه الجواب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبرئيل عليه
الصلاة والسلام ولقد أبطأت عليّ يا جبرئيل حتى سئوت ظناء ونحوه
بما ذكر في أسباب النزول، فقال على لسان جبرئيل عليه الصلاة والسلام:
﴿ وما تنزل ﴾ أي أنا ولا أحد من الملائكة بانزال الكتاب ولا غيره ١٥
﴿ إلا بأمر ربك ﴾ المحسن إليك^٢ في جميع الأمر في التقديم والتأخير^٣
لثلا يقع في بعض الإيهام أنه حق في نفسه، ولكنه نزل بغير أمره سبحانه،
ووقع الخطاب مقترنا بالوصف المفهم لمزيد الإكرام تطيبا لقلبه صلى الله
عليه وسلم وإشارة إلى أنه محسن إليه، ولفظ النزول مشير إلى الإكرام،
وهو التردد مرة بعد مرة، ووقتا غب وقت^٤، ولا يكون إلا لذلك لأن ١٥
النزول للعذاب يقضى به الأمر في مثل ملح البصر، وكان هذا عقب
ذكر القيامة بذكر الجنة كما كان المعطوف عليه عقب ” فإذا جاء وعد
الآخرة “ و [كما - ٢] كان ختام مسائلهم بذكر الآخرة في قوله
(١) زيدت الواو في الأصل. ولم تكن فوظ ومد فحذفناها (٢-٣) سقط ما بين
الرتين من ظ (٣) زيد من ظ ومد.

” فاذا جاء وعد ربى جملة دكاه “ - إلى آخر السورة ليكون ذلك
أشد تثبيتاً للبعث وأعظم تأكيداً، وإن استطلت هذا العطف مع بعد
ما بين المعطوف والمعطوف عليه واستعظمته واستنكرته لذلك واستبعدته
فقل: لما كشفت هذه السورة عن هذه القصص الغريبة، وكان المتعنون
هـ ربما قالوا: نريد أن نخبرنا هذا الذى ينزل عليك بجميع أنباء الأقدمين
وأخبار الماضين، قال جواباً عن ذلك أن قيل: ما أنزلنا عليك بأخبار
هؤلاء إلا بأمر ربك، وما تنزل فيما يأتى أيضاً إلا بأمر ربك؛ ثم علل
ذلك بقوله: ﴿ له ما بين أيدينا ﴾ أى من المكان والزمان وما فيها
﴿ وما خلفنا ﴾ من ذلك ﴿ وما بين ذلك ج ﴾ وهو نحن والمكان والزمان
١٠ اللذان نحن بهما وما فوقه وتحتة، ونحن نعلم ذلك ونعمل على حسب
ما نعلم، فلا تصرف فى ملكه إلا بأمره ﴿ وما كان ﴾ على تقدير من
التقدير^٢ ﴿ ربك نسيان ﴾ أى ذانسيان لشيء من الأشياء فيترك تفصيل
أمر الروح، ويؤخر الجواب عن الوقت الذى وعدتهم فيه لحقاه شيء
من ذلك عليه، ولا ينسى ما يصلحك فيحتاج إلى مذكر به، ولا ينسى
١٥ أحداً منا فينزل فى وقت نسيانه له بل هو دائم الإطلاع على حركاتنا
وسكناتنا، فنحن له فى غاية المراقبة، وهو سبحانه يصرفنا بحسب الحكمة
فى كل وقت تقتضيه حكمته، لا يكون شيء من ذلك إلا فى الوقت الذى
حده له وأراده فيه، ولا يخرج شيء من الأشياء وإن دق عن مراده.
و يجوز أن يقال فى التعبير بصيغة ’فعليل‘ [أنه لا يتمكن العبد من الغيبة
(١) من ظ ومد، وفى الأصل: نزل (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: الذين.
(٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .

عن السيد غير إذنه إلا إن كان بحيث يمكن أن يففل وأن تطول غفلته
ويعظم لكونه مجبولا عليها، أو أنه - ١ - [لما استلبك الوحي في أمر
الأسئلة التي سألوا عنها من الروح ومامعها خمس عشرة ليلة أو أكثر
أو أقل - على اختلاف الروايات، فكان ذلك موها للاغيا^٢ أنه نسيان،
وكان مثل ذلك لا يفعله إلا كثير النسيان، نفي هذا الوم بما اقتضاه
من الصيغة ونفي قليل ذلك وكثيره في السورة التي بعدها ضمنا لدليل
النقل إلى دليل العقل بقوله " لا يضل رنى ولا ينسى^٣ " لما اقتضاه
السياق، فأنى في كل أسلوب بما يناسبه مع الوفاء بما يجب من حق الاعتقاد،
وهذه الآية مع " وبالحق إنزلته " و " قل لئن اجتمعت الانس والجن " ^٤
مثل " قل فاتوا بعشر سور مثله مفترين^٥ " - الآيتين^٥ في سورة هود ١٠
عليه السلام، على ما قدمت في بيانه غير أن ما جمع هناك فصل هنا في
أول الجواب عن أسئلتهم بآية " قل لئن اجتمعت^٦ " وأثنائه^٦ بآية
" وبالحق إنزلته " و آخره بهذه الآية، لتكون الآيات رابطة على هذه
الأجوبة و توابعها وضابطة لها كالشهب والحرس الشديد بالنسبة إلى
السماء، فلا يبغيها متعنت من جهة من جهاتها كيذا إلارد خاستا، ولا يرميها ١٥
بقادح إلا كان رميه خاطئا .

و لما وصف سبحانه وتعالى بنفوذ الأمر و اتساع العلم على وجه ثبت

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : للانبيا .

(٣) سورة ٢٠ آية ٥٢ (٤) سورة ١٧ آية ٨٨ (٥) ١٣ و ١٤ (٦) من مد، وفي

الأصل و ظ : انبائه .

به ما أخبر به عن الجنة. ثبت أمر البعث. أتبع ذلك ما يقرره على وجه
أصرح منه وأعم فقال 'مبدلا من "ربك"' : (رب السموات والارض)
اللتين نحن من جملة ما فيهما من عباده (وما بينهما) منا ومن غيرنا
من الأحياء وغيرها (فاعبده) بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي له من
مثلك (واصطبر) أى [اصبر صبورا عظيما - ٢] بناية جهتك^٢ على
كل ما ينبغي^١ الاصطبار عليه كذلك (لعبادته*) [أى لأجلها فانها
لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة: ثم علل ذلك - ٥] بقوله:
(هل تعلم له سمياغ) أى متصفا بوصف من أوصافه اتصافا حقيقيا.
أو مسمى باسمه، العلم الواقع موقع^٢ لانه^٢ لا مماثل له حتى ولا فى مجرد
١٠ الاسم، وإيراده بصورة الاستفهام كالدعوى بدليلها .

ولما تبين بذلك وبما ذكر فى هاتين السورتين مما سألوا عنه
ومن غيره شمول^١ عليه وتام قدرته لاسيما فى إيجاد البشر تارة من
التراب، وتارة من ذكر وأنثى فى حكم العدم، وتارة من أنثى بلا
ذكر، وثبت ذلك كله. فأنكشفت الشبه. وتضاءلت موجبات المراء^١.
٥ وانقضت مخيلات الفن. عجب منهم فى إنكارهم البعث وهم يشاهدون

(١-١) سقط ما بين الرتين من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) - سقط ما بين الرقين
من مد (٤) زيد فى الأصل: له من. ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحدفتاها.
(٥) زيد من ظ ومد (٦) بهامش ظ ما خلاصته: «فانه لا مماثل له» مضاف
إليه، ومضاه «موقع» (٧) فى ظ ومد: فانه (٨) من ظ ومد، وفى الأصل:
المراء.

ما ذكر من قدرته و علمه ، عاطفا على التعجب في قولهم " وقالوا ماذا كنا " تعجيبا أشد من ذلك فقال : (ويقول) بلفظ المضارع المؤذن بالتجدد بعد هذا البيان المقتضى حتما لاعتقاد البعث فضلا عن إنكاره مرة من المرات ، ليخبر عنها بصيغة الماضي . فكيف بالمداومة على ذلك المشار إليها بصيغة المضارع ؛ أو عبر بالمفرد و إن كان للجنس لأن الإنكار على الواحد يستلزم الإنكار على المتعدد فقال : (الإنسان) أى الذى خلقناه و لم يك شيئا ، مسح ما فضلناه به من العقل ، و نصبنا له من الدلائل ، أفشغله الأنس بنفسه عن التأمل فى كمال ربه ' منكرا مستبعدا : (إذا مات) ثم دل على شدة استبعاده لذلك بقوله ' مخلصا / للام ٤٣١ /

الابتداء إلى التوكيد سالحا^٢ لها عما من شأنها الدلالة عليه من الحال ١٠ لتجتمع ما يخلص للاستقبال : (لسوف اخرج) أى يخرجنى مخرج ' (حياه) أى بعد طول الرقاد ، و تفتت الأجزاء و المواد ، و جاء بهذه التأكيدات لأن ما بعد الموت وقت كون الحياة منكرا على زعمه ، و العامل فى ' إذا ' فعل من معنى ' أخرج ' لا هو ، لمنع لام الابتداء لعمله فيما قبله ' ، ثم قابل إنكاره ' الباطل بانكار هو الحق ' فقال عطفا على ١٥ " يقول " أو على ما تقديره : ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما هو أكبر من ذلك من جميع الأكوان ' : (أولا يذكر) ' باسكان الذال

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « للاستقبال » ساقطة من ظ (٣) هكذا يدونى فى مد ، و فى الأصل : شاكا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انكار (٥) بهامش ظ : الإنكار الحق هو إنكار الله عليه (٦) العبارة من هنا إلى « تأمل شديد » ساقطة من ظ .

على قراءة نافع و ابن عامر و عاصم^١ إشارة إلى أنه أدى ذكر من هذا يرشده إلى الحق ، و قراءة الباقيين بفتح الذال و الكاف و تشديدهما يشير إلى أنه - لاستغراقه في الغفلة - يحتاج إلى تأمل شديد (الانسان)^٢ أي الآنس بنفسه^٣ ، المجترى بهذا الإنكار على ربه و قوفا مع نفسه (انا خلقته)^٤ و أشار بأثباته الجار إلى سبقه بالعدم فقال^٥ : (من قبل) أي من قبل جدله هذا أي^٦ بما لنا من القدرة و العظمة .

و لما كان المقام لتحقيره بكونه عدما ، أعدم من التعبير عن ذلك ما أمكن إعدامه ، و هو النون ، لتناسب العبارة المتعبر. فقال : (و لم يك شيئا)^٧ أصلا. و إنا بمقتضى ذلك قادرون على إعادته فلا ينكر ذلك .

و لما كان^٨ كلام الكافر صورته صورة استفهام ، و هو جحد في الحقيقة و إنكار ، و كان^٩ إنكار المهتد لشيء يقتدر عليه المهتد سببا لأن يحققه له مقسما عليه ، قال تعالى مجيبا عن إنكاره مؤذنا بالغضب عليهم بالإعراض عنهم مخاطبا لديه صلى الله عليه و سلم^{١٠} تفخيميا لشأنه و تعظيما لامره^{١١} : (فوربك) المحسن إليك بالانتقام منهم .

و لما كان الإنكار للبعث يلزم منه الاحتقار ، أتى بنون العظمة ، و استمر في هذا التحلى بهذا المظهر إلى آخر وصف هذا اليوم فقال : (لنحشرنهم) بعد البعث (و الشيطيين) الذين يضلونهم^{١٢} يجعل كل واحد^{١٣}

(١) راجع نثر المرجان ٤/٢٤٤ و ٢٤٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٣) سقط من ظ . و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من مد إلى
و العظمة .

'منهم مع قرينه الذي أضله'، [في سلسلة - ١] (ثم لنحضرهم) (بعد طول الوقوف - ٢) (حول جهنم) التي هم بها مكذبون، 'يحيطون بها لضيق رأسها وبعد قرعها'، حال كونهم (جثياء) على الركب من هول المطلاع وشدة الذل، مستوقرين تهيؤوا للبادرة إلى أمثال الأوامر (ثم-لنزعين) 'أى لناخذن أخذنا بشدة وعنف' ٥ (من كل شعبة) أى فرقة مرتبطة بمذهب واحد.

'ولما كان التقدير: لنزعين أغنام، وهم الذين إذا نظرت إلى كل واحد منهم بخصوصه حكمت بأنه أغنى الناس، علم أنهم بحيث يحتاج إلى السؤال عنهم لإشكال أمرهم فقال': (أيهم اشد على الرحمن) الذي غرهم بالإحسان (عياج) أى تكبرا [متجاوزا - ٢] للحد، اتزاعا يعلم به أهل الموقف أنه أقل من القليل، وأرهى أمرا من القليل، وأن له سبحانه - مع صفة الرحمة التي غرهم إحسانها وبرها - صفات أخرى من الجلال والكبرياء والجيروت والانتقام.

'ولما تقدم ما هو في صورة الاستفهام، أتبعه ما يزيل ما قد يقع بسية من بعض الأوهام، فقال': (ثم) وعزتنا! (لنحن) لشمول ١٥ / علمنا وكمال قدرتنا وعظمتنا (اعلم) [من كل عالم - ٢] (بالذين هم) (لظواهرهم وبواطنهم) (أولى بها) [أى جهنم - ٢] (صلياء) [و - ٢] بالذين هم أولى بكل طبقة من دركاتها من جميع الخلق من المنتزعين وغيرهم، فلا يظن بنا أنا نضع أحدا في غير دركته أو غير طبقته من دركته؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) ليس في الأصل فقط .

وعطف هذه الجمل بأداة البعد مقرونة بتون العظمة لبعدها مراتبها وتساعدتها في ذرى العليا وترقيتها، تهويلا للقيام وتعظيما للأمر لاستبعادهم له، على أنه يمكن أن تكون الحروف الثلاثة للترتيب الزماني، وهو في الأولين واضح، وأما في الثالث فلأن العلم كناية عن الإصلاح، لأن من علم ذنب عدوه - وهو قادر - عذبه^١، فكأنه قيل: لنصين كلا منهم النار على حسب استحقاقه لانا أعلم بأولويته لذلك.

ولما كانوا بهذا الإعلام، المؤكد بالإقسام، من ذى الجلال والإكرام، جديرين باصغاء الأفهام، إلى ما يوجه إليهما من الكلام، التفت إلى مقام الخطاب، إلهاما للعموم فقال: ﴿وان﴾ أى وما ﴿منكم﴾ ١٠ أيها الناس أحد^٢ ﴿الواردها ج﴾ أى داخل جهنم؛ ثم استأنف قوله: ﴿كان﴾ هذا الورود؛^٣ ولما كان المعنى أنه لا بد من إيقاعه، أكده غاية التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال: ﴿على ربك﴾ الموجد لك المحسن إليك بانجاء أمتك لاجلك^٤ ﴿حتما﴾ أى واجبا مقطوعا به^٥ ﴿مقضيا ج﴾^٦ لا بد من إيقاعه؛ قال الرازى فى اللوامع: ما من مؤمن - إلا الأنبياء - ١٥ إلا وقد تلطخ بخلق سوء. ولا ينال السعادة الحقيقية إلا بعد تقيته، وتخليصه من ذلك إنما يكون بالنار.

ولما كان الخلاص منها بعد ذلك مستبعدا. قال مشبرا إليه بأداة البعد:

(١) من ظ ومد. وفى الأصل: الاصل (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: عزيز - كذا (٣) من ظ ومد. وفى الأصل: احدا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ.

(ثم نجى)^١ أى تجية عظيمة على قراءة الجماعة ، و مطلق إجماع على قراءة الكسائي^٢ ، و كأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لا ينافى المقيد (الذين اتقوا) أى كانوا متقين منها^٣ بأن تكون عليهم حال الورود بردا و سلاما^٤ (و نذر الظلمين)^٥ أى ترك على أخبث الأحوال^٦ الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها^٧ و استمروا على ذلك^٨ ، فكأنوا فى أفعالهم خاطئين كالأعمى (فيها جيباء) كما كانوا حولها لا يهتدون إلى وجه يخلصون به منها .

ولما كان هذا جديرا بالقبول لقيام الأدلة على كمال قدرة قائله ، و تنزهه عن إخلاف القول ، لبراهته من صفات النقص ، قال معجبا من منكره عاطفا على قوله " و يقول الانسان " : (و اذا تتلى عليهم)^{١٠} أى الناس ، من أى تال كان^{١١} (ايتنا) حال كونها (بينت) لامرية فيها ،^{١٢} بأن تكون محكمات ، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات ، أو ببيان النبي صلى الله عليه و سلم ، فهى حال مؤكدة أو كاشفة^{١٣} (قال الذين كفروا) بآيات ربهم البينة ، جهلا منهم و نظرا^{١٤} إلى ظاهر الحياة الدنيا الذى هو مبلغهم من العلم (للذين آمنوا)^{١٥} أى لأجلهم أو مواجهة لهم^{١٦} ، إعراضا عن الاستدلال بالآيات ، و وجوه دلالتها

(١) العبارة من هنا إلى « لا ينافى المقيد » ساقطة من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٢٤٨/٤ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) تقدم فى الأصل على « و نذر » و الترتيب من مد (٥) العبارة من هنا إلى « من العلم » ساقطة من ظ (٧) زيد فى الأصل : منهم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

البنات . بالإقبال على هذه الشبهة الواهية / - وهي المفخرة بالمسكارة في الدنيا - من قولهم : (أي الفريقين) نحن - ' بما لنا من الاتساع ' ، أم أنتم - ' بما لكم من خشونة العيش ورتانة^٢ الحال (خير مقاما) أي موضع قيام أو إقامة - ' على قراءة ابن كثير بضم الميم والجماعة بفتحها ' : (واحسن ندياه) جمعا ومتحدثا باعتبار ما في كل من^٣ الرجال ، وما لهم من الزى والاموال ، ويجعلون ذلك الامتحان بالإنعام والإحسان دليلا على رضى الرحمن . مع التكذيب والكفران . ويفعلون عن أن في ذلك - مع التكذيب بالبعث - تكذيبا بما يشاهدونه متا من القبرة على العذاب باحلال النعم ، وسلب النعم ، ولو شئنا لأهلكناهم وسلبنا ١٠ جميع ما يفتخرون به (وكم اهلكنا) ' بما لنا من العظمة .

ولما كانت المراد استغراق الزمان ، لم يأت بالجار إعلاما بأن المتقدمين كلهم كانوا أرغد عيشا وأمكن حالا فقال^٤ : (قبلهم من قرن) أي شاهدوا ديارهم ، ورأوا آثارهم ، [ثم - °] ' ووصف ' كم ' بقوله ' : (ثم) أي أهل تلك القرون (احسن) من هؤلاء (اثاثا) أي أمتة (ورتياه) أي منظرا . فكأنه قيل : فما يقال لهم ؟ فقال : (قل) أي لهم ' ردا عليهم وقسطا لمعاذيرهم وبتكا أشبههم ' : هذا الذى افتخرتم به لا يبدل على حسن الحال فى الآخرة ، بل على عكس ذلك . فقد جرت عادته سبحانه أنه (من كان فى الضلالة يمثلكم كونا راسخا ' بسط له

(١ - ١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « الحال » - ساقطة من ظ (٣) من مد ، وفى الأصل : رتابة (٤) - سقط من مد (ه) زيد من مد . (٦) - سقط من ظ (٧) من مد . وفى الأصل : و امتحانا . والكلمة مع سابقها - ساقطة من ظ .

في الدنيا وطيب عيشه [في ظاهر الحال - '] فيها، ونعم بأنواع الملاذ.
 وعبر عن أن ذلك لا يكاد يتخلف عن غير من حكم^٢ بالزامه المسكنة
 من اليهود بلام الأمر، إذانا^٣ بوجوده وجود^٤ الأمور به الممثل^٥
 في قوله: ﴿ فليمدد ﴾ وأشار إلى التحلى لهم بصفة الإحسان بقوله:
 ﴿ له الرحمن ﴾ أي العام الامتان ﴿ مدا ﴾ في العاجلة بالبسط في الآثار،
 و السعة في الديار، و الطول في الأعمار، و إنفاقها فيما يستلذ من الأوزار
 الكبار، فيزيده العزير الجبار بذلك ضلالة^٦، فياله من خسار، و تبار
 و تبار، لمن [له - '] استبصار، و لا تزال تمد له استدراجا ﴿ حتى ﴾
 * و حقق أخذهم بأداة التحقيق^٧ فقال: ﴿ اذا راوا ﴾ أي كل من كفر بالله
 بأعينهم^٨، و إن ادعوا أنهم يتعاضدون و يتناصرون، [و لذلك جمع باعتبار ١٠
 المعنى - '] ﴿ ما يوعدون ﴾ من قبل الله ﴿ اما العذاب ﴾ في الدنيا بأيدي
 المؤمنين أو غيرهم، أو في البرزخ ﴿ و اما الساعة ﴾ التي هم بها مكذبون،
 و عن الاستعداد لها معرضون، و لا شيء يشبه أهوالها، و خزها
 و نكالها.

و لما كان الجواب: علموا أن مكانهم شر الأمانين، و أن ١٥

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: يحكم (٣-٢) سقط ما بين
 الرقنين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى التحقيق فقال
 ساقطة من ظ (٦) من مد، و في الأصل: التحقق (٧) في الأصل و ظ يابض
 عباته من مد.

جندهم أضعف الجنود، عبر عنه بقوله تهديداً : (فسيعلون) إذا رأوا ذلك
 (من هو شر مكاناً) ^١ أى من جهة المكان الذى قوبل [به - ^٢] المقام
 (و أضعف جنده) ^٢ [م أو المؤمنون - ^٣]، ^٤ أى [أضعف - ^٥] من
 جهة الجند الذى أشير به إلى الندى، لأن القصد من فيه، وكأنه عبر
 بالجند لأن قصدهم المغالبة وما^٥ كل من فى الندى يكون مقاتلاً .

ولما كان هذا لكونه استدراجاً زيادة فى الضلال، قابله بقوله،
^٦ عطفاً على ما تقدم ^٧ تقديره [تسيباً عن قوله "فليمدد" و هو : فزيده
 ضلالاً، أو على موضع «فليمدد» - ^٨] : (و يزيد الله) و عبر بالاسم
 العلم إشارة إلى التجلى لهم بجميع الصفات العلى ليعرفوه حق معرفته
 ١٠ (الذين اهتدوا هدى^٩) عوض ما زوى عنهم [و منهم - ^{١٠}] من الدنيا
 لكرامتهم / عنده مما بسطه^{١١} للضلال لهوانه عليه؛ فالآية من الاحتباك :
 ذكر السعة بالمد للضلال أولاً دليلاً على حذف الضيق [بالمنع للهدى ثانياً،
 و زيادة الهداية ثانياً دليلاً على حذف زيادة الضلال أولاً - ^{١٢}]، وأشار إلى أنه
 مثل ما خذل^{١٣} أولئك بالموال، وفق هؤلاء لمحاسن الأعمال، "أبقتل الأموال"
 ١٥ فقال : (و البقيت) ثم وصفها احترازاً من أفعال أهل الضلال
 بقوله : (الصالحات) أى من الطاعات و المعارف التى شرحت لها الصدور،

/ ٤٣٤

(١) العبارة من هنا إلى «المقام» ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ
 و مد (٤) العبارة من هنا إلى «يكون مقاتلاً» ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى
 الأصل : فى (٦) العبارة من هنا إلى «تقديره» ساقطة من ظ (٧) فى مد : مر .
 (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : بسط (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : اخذل .
 (١٠-١١) - سقط ما بين الرقيين من ظ .

فأنارت بها القلوب ، و سلت من إحباط الذنوب ، فأوصلت إلى علام الغيوب (خير عند ربك) مما متع به الكفرة ومدوا به - على تقدير التنزل إلى تسميته خيرا ،^١ وإضافة الرب إليه صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه يريها تربية تبلغ أقصى ما يرضيه في كل تابعيه^٢؛ ثم بين جهة خيرية هذا بقوله : (ثوابا) أى من جهة الثواب (و خير مرداه)^٣ أى من جهة العاقبة يوم الحسرة^٤ . و هو كالذى قبله ، أو على قولهم : الصيف أحر من الشتاء - بمعنى أنه في حره أبلغ منه في برده . فالكفرة^٥ يردون إلى إفسار و فناء^٦ ، و المؤمنون إلى ربح و بقاء .

و لما تضمن [هذا -^٧] من التهديد بذلك اليوم ما يقطع القلوب ، فيوجب الإقبال على [ما -^٨] ينجى منه ، عجب من حال من كفر به ،^٩ موبخا له ، منكرًا عليه ، عاطفا على ما أرشد إليه السياق فقال^{١٠} معبرا عن طلب الخير بالرؤية التى هى الطريق إلى الإحاطة بالأشياء علما و خبرة ، و إلى صحة الخبر عنها^{١١} : (أفريت) أى أرايت الذى يعرض عن هذا اليوم فرأيت (الذى) زاد على ذلك بأن (كفر باينتنا) الدلالات على عظمتنا بالدلالات البينات (و قال) جراءة منه و جهلا ؛ أو يقال :^{١٥}

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : التبرك (٢-٢) سقط ما بين الرقبتين من ظ .
 (٣) العبارة من هنا إلى « ربح و بقاء » - انقطعت من ظ (٤-٤) من مد ، و فى الأصل : من (٥) من مد ، و فى الأصل : فالعرب (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : فناء و خسران و خسارة (٧) زيد من ظ و مد (٨) فأخر فى الأصل عن^{١٥} الخبر عنها ، و الترتيب من ظ و مد .

إنه لما هول أمر ذلك اليوم . وهتك أستار مقالاتهم ، وبين وهبها^١ ،
تسبب عن ذلك التعجب^٢ ممن يقول : (لاوتين)^٣ أى والله^٤ فى
الساعة على تقدير قيامها^٥ ممن له الإيتاء هناك^٦ (مالا وولدا^٧) [أى
عظيمين -]^٨ ، فلم يكفه فى جهله تعجيز القادر حتى ضم إليه
٥ إقدار العاجز .

ولما كان ما ادعاه لا علم له به إلا بأحد أمرين لا علم له بواحد
منهما ، أنكر عليه قوله ذلك بقوله : (اطلع الغيب) الذى هو غائب
عن كل مخلوق^٩ ، فهو فى بعده عن الخلق كالعالمى الذى لا يمكن أحدا
منهم الاطلاع عليه ، وتفرد به الواحد القهار^{١٠} (ام اتخذ)^{١١} أى
١٠ بغاية جهده^{١٢} (عند الرحمن) العام^{١٣} الرحمة بالإنعام على الطائع
والإتقام من العاصى ثوابا للطائع (عهدا^{١٤}) عاهده عليه^{١٥} بأنه يؤتبه
ما ذكر بطاعة فعلها له على وجهها^{١٦} ليقف سبحانه فيه عند قوله^{١٧} .

ولما كان كل من الأمرين : اطلاع الغيب واتخاذ العهد ، وكذا
ما ادعاه لنفسه . وما يلزم عن^{١٨} اتخاذ العهد من القرب ، متفيا قال :
١٥ (كلا^{١٩}) أى لم يقع شيء من هذين الأمرين ، ولا يكون ما ادعاه
٢٠ فليرتفع عنه صاعرا^{٢١} .

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : وحيا (٢ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤) بهامش ظ : تفسير الشيخ للغيب بما ذكره الاعلام بأن
الألف واللام فى الغيب للكمال (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : العلم .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : عند (٧-٧) من مد ، وفى الأصل : للتوكيد =

ولما كان النفي هنا عن الواحد مفهما للنفي عما فوه اكتفى به ،
ولما رد ذلك استأنف الجواب لسؤال من كأنه قال : فما ذا يكون
له ؟ بقوله مثبتا السين^١ للتوكيد في هذا التهديد : (سنكتب ما يقول)
أى نحفظه عليه حفظ من يكتبه لتوبخه به ، ونعذبه عليه^٢ بعد الموت / فيظهر له
بعد طول الزمان أن ما كان فيه ضلال يؤدي إلى الهلاك لا محالة^٣ ، ويجوز •
أن تكون السين على بابها من المهلة ، وكذا الكتابة ، والإعلام بذلك
للحث^٤ على التوبة قبل الكتابة ، وذلك من عموم الرحمة
(ونمده من العذاب مدا) باستدراجه بأسبابه من كثرة النعم من
الأموال والأولاد المحببة له في الدنيا ، المعذبة له فيها ، بالكدح في جمعها
والمخاصمة عليها الموجبة له التماذى في الكفر الموجب لعذاب الآخرة ، ١٠
وإتيان بعضه في إثر بعض " إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق
انفسهم وهم كفرون " (وزنه) بموته عن جميع ذلك ؛ ثم أبدل من
ضميره قوله : (ما يقول) أى من المال والولد فنحول بينه وبينهم
بعد البعث كما فعلنا بالموت كحيلولة الوارث بين الموروث وبين الموروث
عنه (ويأتينا) في القيامة (فرداه) مسكينا منزلا عن كل شيء^٥ ١٥
لا قدرة له على مال ولا ولد ، فلا عز له ، ولا قوة بشيء منها ؛ روى

= في هذا التهديد ، وما بين الرقين ساقط من ظ .

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : للنفي (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : الحث (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : الاموال .

(٥) سورة ٩ آية ٨٥ .

البخارى فى التفسير^١ عن خباب رضى الله عنه قال : كنت قينا بمكة فسلمت
للعاص^٢ بن وائل السهمى سيفاً ، فحقت أقتاضاه فقال : لا أعطيك حتى
تكفر بمحمد ، [قلت : لا أكفر بمحمد -^٣] حتى يملك الله ثم يحيك ،
و فى رواية : حتى تموت ثم تبعث ، قال : وإني لمبعوث من بعد الموت ؟
قلت : نعم اقال : فدرنى حتى أموت ثم أبعث فوف أوتى مالا وولدا
فأفصيك ، فنزلت هذه الآية " أفرايت الذى - إلى قوله : فردا " .

ولما أخبر تعالى بالبعث ، وذكر^٤ أن هذا الكافر يأتىه على صفة
الذل . أتبعه حال المشركين مع مبعوداتهم ، فقال^٥ معجبا منهم عاطفا
على قوله " ويقول الانسان " : ﴿ واتخذوا ﴾ أى الكفار ، وجمع لأن
١٠ نفى العز عن الواحد قد لا يقتضى نفيه عما زاد ﴿ من دون الله ﴾ وقد
تبين لهم أنه الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ الهة ليكونوا لهم ﴾
أى الكافرين ﴿ عزالاً ﴾ لينقذهم من العذاب .

ولما بين أنه لا يعزه مال ولا ولد . و كان نفع الأوثان دون
ذلك بلا شك ، نفاه بقوله : ﴿ كلاً ﴾ بأداة الردع ، لأن ذلك طلب
١٥ للعز من معدن الذل من العبيد الذين من اعتر بهم ذل ، فانهم مجبولون
على الحاجة ، ومن طلب العز للدنيا طلبه من العبيد لاجمالة ، فاضطر قطعاً

(١) من عدة طرق كما رواه أيضاً فى البيوع والخصومات (٢) من ظ و مد
والصحيح ، وفى الأصل : للقاضى (٣) زيد من ظ و مد والصحيح (٤-٤) سقط
ما بين الرقين من ظ (٥-٥) ما بين الرقين فى ظ : قال (٦) من ظ و مد ،
وفى الأصل : لا يعجزه .

- لبناهم على النقص - إلى ترك الحق و اتباع الباطل ، فكانت عاقبة أمره
الذل و إن طال المدى ، فان الله تعالى ربما أهمل المخذول إلى أن ينتهى
في خذلانه إلى أن يستحق لباس الذل؛ ثم بين [سبحانه - ٢] ذلك ٢
بما يكون منهم يوم البعث فقال: ﴿ سيكفرون ﴾ أى الآلهة ؛ بوعد لا
خلف فيه و إن طال الزمان ﴿ بعبادتهم ﴾ أى المشركين ، فيقولون ه
لهم ٥ " ما كنتم ايانا تعبدون " " اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا "
﴿ و يكونون عليهم ﴾ أى الكفار ؛ و وحده إشارة إلى إتفاق الكلمة
بحيث أنهم لفرط تضامهم ؛ كشيء واحد فقال: ﴿ ضداً ﴾ أى
أعداء فيكسبونهم الذل ، و كذا يفعل الكفار مع شركائهم و يقولون
" والله ربنا ما كنا مشركين " فيقع بينهم العداوة كما قال تعالى " ثم ١٠
يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض و يلعن بعضهم بعضاً " .

٤٣٦/ ولما كان من المستبعد عندهم جواز رجوعهم عنهم فضلاً / عن
كفرهم بهم ، دل على وقوعه بما يشاهد منهم من الأفعال المنافية
لرزانة الحلم الناشئة عن وقار العلم ، فقال: ﴿ ألم ترانا ﴾ بما لنا من
" المعظمة " ﴿ ارسلنا الشياطين ﴾ الذين خلقناهم من النار ، [إرسالاً مستعلياً - ٧] ١٥
بالإبعاد ٥ و الإحراق ﴿ على الكافرين ﴾ أى العريقين فى الكفر ؛

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكان (٢) زيد من ظ و مد (٣) بهامش ظ :
أى عدم العز (٤-٤) - سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٢٩
آية ٢٥ (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : بالارسال ، و الكلمة مع
« والإحراق » - ساقطة من ظ .

(توزم ازا^١) أى تحركهم تحريكا شديدا، وتزعجهم فى المعاصى و الدنيا
 التى لا يشكون فى قباحتها و عظيم شناعتها و هم أشد الناس عينا لفاعليها
 و ذما لمرتكبيها إزعاجا عظيما بحيث يكونون فى تقلبهم ذلك مثل الماء
 الذى يغلى فى القدر، و مثل الشرر المتطاير الذى هو أشد شىء منافاة
 لطبع الطين و ملاءمة لطبع النار، فلما ثبت بذلك المدعى، تسبب عنه
 النهى عما اتصفوا به من خفة السفه و طيش الجهل [فقال - ١] :
 ﴿ فلا تعجل عليهم^٢ ﴾ شىء مما تريد به الراحة منهم .

و لما كانت مراقبة [ناصر - ٢] الإنسان لعدوه فى الحركات
 و السكنات أكبر شاف للولى و مفرح، و أعظم غائظ للعدو و مزعج
 ١٠ و مخيف و مقلق، علل ذلك^٣ بقوله^٤ دالا على أن زمنهم قصير جدا
 بذكر^٥ العد : ﴿ انما نعد لهم ﴾ بامهالنا [لهم - ١] و إدرارنا النعم عليهم
 ﴿ عداي^٦ ﴾ لأنفسهم فما فوقها لا تنفل^٧ عنهم بوجه، فاذا جاء أجلهم
 [الذى - ٢] ضربناه لهم، محونا آثارهم، و أخلينا منهم ديارهم، لا يمكنهم
 أن يفوتونا، فاصبر فما أردنا باملاتنا لهم إلا إشقاهم و إرداهم لاتنعمهم
 ١٥ و إعلاهم، فهو من قصر الموصوف على صفته أفرادا .

و لما بين مآل حال الكافرين فى الهتهم و دليله، اتبعه بوقته فقال :
 ﴿ يوم ﴾ أى يكفرون بعبادتهم يوم ﴿ نحشر المتقين ﴾^٨ أى العريقين^٩

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) العبارة
 من هنا إلى « العد » ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل : مدار (٦) زيد
 من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لا نفضل (٨-٨) سقط ما بين الرقين
 من ظ .

في هذا الوصف^١؛ ولما تقدمت سورة النعم العامة النحل، و أتبع
سورة النعم الخاصة بالمؤمنين و بعض العامة، مثل "و لقد كرمتنا بنى آدم"
الإمراء، ثم سورتي^٢ الخاصة بالصالحين الكهف وهذه، قال: ﴿إلى الرحمن﴾
فيدخلهم دار الرضوان^٣، فذكر الاسم الدال على عموم الرحمة. و كرره
في هذه السورة تكريرا دل على ما فهمته. وربما أيد ذلك افتتاح النحل
بعممة البيان على هذا الإنسان التي عبر عنها بالخصيم، و ختام هذه بالقوم
اللد^٤ من حيث رد مقطع هذه التي كانت بالنظر إلى النعم شيئا واحدا
على مطلعها ﴿وفدا لا﴾ أي القادمين في إصرار و رفعة^٥ و على. كما تقدم
الوفود على الملوك، فيكونون في الضيافة و الكرامة

ولما ذكر ما يدل على كرامة أوليائه، أتبعه ما يدل على إهانة
أعدائه فقال: ﴿ونسوق المجرمين﴾ أي بالكفر و غيره من المعصية^٦،
كالبهائم سوقا عنيفا مزججا حيثما ﴿إلى جهنم﴾ بسطوة المنتقم الجبار^٧
﴿وردا﴾ أي عطاشا ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ أي لا يملك أحد من
القسمين أن يشفع و لا أن يشفع فيه ﴿إلا من أخذ﴾ أي كلف نفسه
و اجتهد في أن أخذ ﴿عند الرحمن عهدا﴾ بما وقفه له من الإيمان^٨
و الطاعة التي وعده عليها أن يشفع^٩ أو أن يشفع^{١٠} فيه؛ فالآية من
الاحتباك: ذكر الرحمن أولا دليلا على المنتقم ثانيا، و جهنم ثانيا دليلا

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) بهامش ظ: سورتي، معني أصله سورتين
حذفت النون للإضافة (٣) من ظ و مد، و في الأصل: الد (٤) من مد، و في
الأصل و ظ: تشفع.

'على حذف الجنة أولا' .

و لما أبطل مطلق الشفاء ، وكان الولد أقرب شفيح ، وكانوا قد ادعوا له ولدا ، أبطل دعواهم فيه ليتنى كل شفيح خاص و عام ، فيتنى كل عزراموه بشفاعة آفتهم و غيرها . فقال عاطفا على قوله " و اتخذوا من دون الله الهة " موجبا منهم : (وقالوا) أى الكفرة (اتخذ الرحمن) أى الذى لا منعم غيره ، فكل أحد محتاج إليه و هو غنى عن كل أحد (ولدائه) قالت اليهود : عزيز ، و النصارى : المسيح ، و المشركون : الملائكة ، مع قيام الأدلة على استحاله عليه سبحانه ؛ ثم استأنف الالتفات إلى خطابهم بأشد الإنكار ، إيماء إلى تنهى الغضب فقال : (لقد) أى و عزى لقد (جثم شيئا اذا لا) أى عظيما ثقيلنا منكرنا ؛ ثم بين ثقله بقوله : (تكاد السموات) على إحكامها . 'مع بعدها من أصحاب هذا القول ' (يفطرون) ' أى يأخذن فى الانشاق ' (منه) أى من هذا الشيء الإد (و تنشق الارض) على تحتها اشقا نافذا واسعا (و تخرب) أى تسقط سريعا (الجبال) على صلابتها (هذا لا) كما ينفسح ١٥ السقف تحت ما لا يحتمله من الجسم الثقيل ، لاجل (ان دعوا) ' أى سموا ' (للرحمن) الذى كل ما سواه نعمة منه (ولدائه) هذا المفعول الثانى ، و حذف الأول لإرادة العموم (و ما ينبغي) أى ما يصح و لا يتصور (للرحمن ان يتخذ ولدائه) لانه غير محتاج إلى الولد بوجه ،

(١-١) سقط ما بين الرقن من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منيرا .

ومع ذلك فهو محال ، لأن الولد لا يكون إلا مجانسا للوالد . ولا شيء من النعم بمجانس للنعم المطلق الموجد لكل ما سواه ، فمن دعا له ولدا فقد جعله كبحض خلقه ، وأخرجه عن استحقاق هذا الاسم ، ثم أقام الدليل على غناه عن ذلك واستحاله عليه ، تحقيقا لوحديته ، وبيانا لرحمانيته ، فهدم بذلك الكفر بمطلق الشريك بعد أن هدم الكفر بخصوص الولد .
 فقال : (ان) ' أى ما ' (كل من) ' أى شيء من العقلاء ، فهو نكرة موصوفة لوقوعها بعد كل وقوعها بعد 'رب' (فى السموات والارض) الذين ادعوا أنهم ولد وغيرهم (الآ) . [ولما كان من العبد من يعصى على سيده ، عبر بالإتيان فقال - ٢] : (انى الرحمن) العام بالاحسان ، أى متفادا له [طوعا أو كرها - ٢] فى كل حالة وكل وقت (عبداً) ١٠ مسخرامقهورا اخائفا راجيا ، فكيف يكون العبد ابنا أو شريكا ؟ أفدلت الآية على التنافى بين العبودية والودية ، فهى من الدليل على عتق الولد والوالد إذا اشترى ١ .

ولما كان من المستبعد معرفة الخلائق كلهم ، اتبعه بقوله : (لقد) أى والله لقد ٢ (احصهم) كلهم إحاطة بهم ٣ (وعدم) ١ ولما كان ١٥ ذلك لا يكاد يصدق ، أكده بالمصدر فقال ١ : (عبداً) قبل خلقهم من جميع جهات العبد ولوازمها ، فلم يوجد ولم يولد ، ولم يعدم أو يصب

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) ومن هنا تعرض نسخة مد لانطباس إلى ما سننبه عليه .

أحد منهم إلا في حينه الذي عدّه له . ' وقد يكون الإحصاء قبل الوجود في عالم الغيب و العدم بعد الوجود ' (وكلهم) أى وكل واحد منهم (اتيه يوم القيمة) بعد بعثه من الموت (فرداه) على صفة الذل ، موروثا ماله و ولده الذى كنا أعطيناه فى الدنيا قوة له و عزا ، لأنه لا موجود غيره يقدر على حراسة نفسه من الفناء ، فهو لاشك فى قبضته .
 ٥ فكيف يتصور فى بال أو يقع فى خيال أن يكون شيء من ذلك له ولدا أو معه شريكا .

و لما عم بهذا الحكم الطائع و العاصى ، وكان ذلك محزنا لأهل الطاعة باستشعار الذل فى الدارين ، تحركت النفس إلى معرفة ما أفادتهم ١٠ الطاعة ، و استأنف الجواب لذلك مبشرا لهم بقوله : (ان الذين امنوا و عملوا الصالحات) تصديقا لادعائهم الإيمان ، الأعمال (الصالحات / سيجعل) تحقيقا عما قليل عند يعة العقبة (لهم الرحمن) الذى خصهم بالرضا بعد أن عمهم بالنعمة ، جزاء على انقيادهم له ، لأنه كان إما باختيارهم و إما برضام (و داه) أى حبا عظيما فى قلوب العباد ، دالا على ما لهم عندهم من الود ؛
 ١٥ ' قال الأصهباني : من غير تودد منهم و لا تعرض للأسباب التى تكسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع غيره أو غير ذلك ، وإنما هو اختراع ابتدأ اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما

/ ٤٣٨

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد فى الأصل : الصالحات ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٣) فى الأصل بياض عباناه من ظ .

'قذف في قلوب أصدانهم الرعب والهيبة إعظاما لهم وإجلالا لمكانهم - انتهى' . و المراد - والله أعلم - أنه لا يجعل سبحانه في قلب أحد من عباده الصالحين^٢ عليهم أخته ، لأن الود - كما قال الإمام أبو الحسن الحرالي : خلو عن إرادة المكروه ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة الروم^٣ ما يزيد ذلك وضوحا ؛ روى الشيخان^٤ وغيرهما^٥ عن أبي هريرة ه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله إذا أحب عبدا دعا جبرئيل فقال : يا جبرئيل ! إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبرئيل ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يحب فلانا [فأحبه] ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإن الله إذا أبغض عبدا دعا جبرئيل فقال : [يا جبرئيل-^٦] ! إنى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبرئيل ثم ينادى ١٠ في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض .

ولما كان إنزال هذا القول تثقيلا ثم تيسيره حفظا وعملا سيما لما جعل لأهل الطاعة في الدنيا من الود بما لهم من التحلى والتزين بالصالحات ، والتخلى والتصون من السيئات ، الدال على ما لهم عند ١٥ مولاهم من عظيم العز والقرب ، وكان التقدير : والذين كفروا ليكسبنهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) آية ٢١ (٤) البخارى فى عدة المناسبات ، و مسلم فى كتاب البر و الصلة - باب إذا أحب الله عبدا أمر جبرئيل فأحبه و أحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض (٥) مثل الترمذى و الإمام أحمد (٦) زيد من ظ .

الجبار بغضا و ذلا ، فأخبر^١ كلا من الفريقين بما له بشارة و نذارة ، قال
 مسيبا عن إفساح ذلك و إتمامه^٢ : (فانما يسرناه) أى هذا القرآن ،
 الذى عجز عن معارضته الإنس و الجن ، و الكتاب القيم و الوحي الذى
 لا مبدل له بسبب إنزالنا إياه (بلسانك) هذا العرنى المين ، العذب
 الرصين (لتبشر به المتقين) و هم الذين يعملون بينهم و بين ما يستخط
 الله و قايه ، فلا يظلمون حقا و لا يحقون باطلا ، و متى حصلت لهم هفوة
 بادروا الرجوع عنها [بالمتاب -^٣] ، بما لهم عندنا من العز الذى هو ثمرة
 العز المدلول عليه بما لهم منه فى الدنيا . لا لتحزنهم بأن ينزل فيه ما يوم
 تسويتهم بأهل المعصية فى كلتا الدارين (و تنذر به قوما لداه) أشد
 ١٠ فى الخصومة ، يريدون العز بذلك ، لما لهم عندنا من الذل و الهوان
 الناشئ عن المقت المسبب عن مساوى الأعمال ، و أنا نهلكهم إن لم يرجعوا
 عن لددهم ، و الألد هو الذى يتبادى فى غيه و لا يرجع لدليل ، و يركب
 فى عناد الحق ما يقدر عليه من الشر ، و لا يكون هذا إلا من يحتقر
 من يخاصمه و يريد أن يجعل الحق باطلا ، تكبرا عن قبوله ، فينطبق عليه
 ١٥ ما رواه مسلم فى الإيمان^٤ عن صحيحه ، و أبو داود فى اللباس^٥ من سننه ،
 و الترمذى فى البر^٦ من جامعه . و ابن ماجه^٧ فى السنه^٨ من سننه عن ابن مسعود
 (١) من ظ ، و فى الأصل : خبر (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد
 من ظ (٤) فى ظ : ذل (٥) باب تحريم الكبر و بيانه (٦) باب ما جاء فى
 الكبر (٧) من ظ ، و فى الأصل : حبان (٨) أى المقدمة ، و راجع « باب فى
 الإيمان » .

رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة / من كبر، فقال رجل: [إن الرجل -^١] يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق و غبط - وفي رواية: و غمص - الناس . وكلاهما بمعنى الاحتقار، ومن كان هذا سبيله مرن على ذلك ومرد عليه، فكان جديرا بأن ٥
يركبه الله أبطل الباطل: الكفر عند الموت، فتحرم عليه الجنة، فان من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه "ساصرف عن ايتى الذين يتكبرون في الارض بغير الحق" - الآية^٢. فإذ من تكبر على الحق ا و يا عز من تشرف بالذل للحق والعز على الباطل! ولعمري لقد أجرى الله عاداته - ولن نجد لسنة الله تحويلا - [أن -^٣] من تعود الجراءة بالباطل ١٠
كان ذليلا في الحق، وإليه يشير قوله تعالى في وصف أجهابيه " اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين".

ولما كان التقدير بعد ما أرشد إليه السياق من مفعول " ينذر":
فأنا قادرون على إهلاكهم وجميع ما نريد منهم . عطف عليه قوله:
(وكم اهلكنا)^٤ بما لنا من العظمة . ولما كان المراد التعميم، أثبت الطرف^٥ ١٥

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد من ظ و مد و صحیح مسلم .
(٣) ٤٩: من الأعراف (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٥ آية ٥٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

'عريا عن' الجار . و أكد [الخبر - ٢] باثبات 'من' بعده فقال :
 (قبلهم من قرن ^١) كانوا أشد منهم شدة ، وأكثر عدة ، وأوثق
 عدة ، فلم يبق إلا سماع أخبارهم ، ومشاهدة آثارهم ؛ ثم قال تصويرا
 لحالهم ، و تقريرا لمضمون ما مضى من مآلهم : (هل تحس منهم من احد)
 ٥ يصر أو لمس (أو تسمع لهم ركزا ^٢) أى صوتا خفيا فضلا عن أن
 يكون جليا ، فقد ختمت السورة بما بدئت به من الرحمة لأوليائه ، و الود
 لأصفيائه ، و النعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه ، بعد الرحمة للفریقین
 بهذا الكتاب بشارة و نذارة . فحلت الرحمة على أوليائه ، و زلت عن
 أعدائه و الله الموفق .

• • • •

• • •

• •

•

(١-١) من مد ، و فى الأصل : عن نافي - كذا (٢) زيد من مد (٣) العبارة من

« عريد ، إلى هنا ساقطة من ظ .

سورة طه

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

مقصودها الإعلام بامهال المدعويين [والحلم عنهم - ٢] والترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم، زيادة في شرف داعيهم صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا المقصد الشريف دل اسمها بطريق الرمز والإشارة، لتبين أهل الفطنة والبصارة، وذلك بما في أولها من الحروف المقطعة، وذلك أنه لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن تهلك أمته صلى الله عليه وسلم قبل ظهور أمره الذي أمره الله به واشتهار دعوته، لقلة من آمن به منهم، ابتداء سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان وأصول الثنيتين العليين إلى قوة أمره وانتشاره، ١٠ وعلوه وكثرة أتباعه، لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفاً، وأشدّها حركة، وأوسعها انتشاراً، وبما فيها من صفات الجهر والإطباق والاستعلاء والقلقلة إلى انقلاب ما هو فيه من الاسرار جهراً، وما هو فيه من الرقة فخامة، لأنها من حروف التفخيم، وأنه يستعلى أمره، وينتشر ذكره، حتى يطبق جميع الوجود/ ويقلقل سائر الأمم، ولكن يكون ١٥ / ٤٤٠ ذلك - بما تشير إليه الهاء بمخرجها من أقصى الحلق - على [حد - ٢] بعده

(١) العثرون من سور القرآن، مكية وآياتها - كما قال الداني: مائة وأربعون آية شامياً، وخمس وثلاثون كوفياً، وأربع حجازياً، وآيتان بصرية - راجع روح المعاني ٥ / ٢١٨ (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: صفة (٤) من ظ ومد. وفي الأصل: تقليل.

من طرف اللسان مع طول كبير وتماد كثير، وبما فيها من صفات الممس والرخاوة والافتتاح والاستفال والحفاء مع مخافة وضعف كبير، وهدوء وخفاء عظيم، ومقاساة شدائد كبار. مع نوع نخامة و اشتهاار. وهو وإن كان اشتهاارا يسيرا يغلب هذا الضعف ٥ [كله وإن كان قويا شديدا. وقراءة الإمالة للهاء تشير إلى شدة الضعف - ']، وقراءة التفخيم - وهي لاكثر القراء - مشيرة إلى نخامة القدر وقوة الامر^٢. بما لها من الافتتاح، وإن رثى أنه^٣ ليس كذلك "إنه ليخافه ملك بنى الاصفر"^٤ وإن كان معنى الحرفين: يا رجل، فهو إشارة إلى قوته وعلو قدره، ونخامة ذكره، وانتشار أتباعه وعموم أمره، وإن كانا إشارة إلى وطئ الأرض فهو لإلاحة إلى^٥ قوة التمكن وعظيم القدرة وبعده الصيت حتى تصير^٦ كلها ملكا له ولاتباعه، وملكا لامراته وأشياعه - والله أعلم. وذكر ابن الفرات^٧ في تأريخه أن هجرة الحبشة كانت في السنة الثامنة^٨ من المبعث فالظاهر - على ما يأتي في إسلام عمر رضى الله عنه - أن نزول هذه السورة أو أولها كان قرب ١٥ هجرة الحبشة، فيكون سبحانه قد رمز له صلى الله عليه وسلم على ما هو

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: القدر.
 (٣) بهامش ظ: أي أن الأمر (٤) أي الروم - كما في اللسان (٥) سقط من ظ (٦) في مد: تكون (٧) هو محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن المصري المتوفى سنة ٨٠٧ هـ - راجع معجم المؤلفين ١٠/١٥٩ (٨) من ظ و مد، وفي الأصل:

أذ في محادثه الأحباب ، من صريح الخطاب ، بعدد مسمى الطاء^١ إلى أن
ومن الكفار - [الوهن^٢ -] الشديد - يقع في السنة التاسعة من نزولها ،
و ذلك في [غزوة بدر الموعد في سنة أربع من الهجرة ، و بعدد اسمها إلى
أن الفتح الأول يكون في السنة الحادية عشرة من نزولها ، و ذلك في -]^٣
عمرة الحديبية في ذى القعدة سنة ست من الهجرة عند نزول سورة ه
الفتح ، و رمز له بعدد مسمى الهاء إلى أن مبدأ النصر بالهجرة في السنة
الخامسة من نزولها ، و بعدد اسمها إلى أن نصره بالفعل يقع في السنة السابعة
من نزولها ، و ذلك في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة ،
و بعدد حرفي اسمها^٤ لا بعدد اسميها إلى أنه في السنة الثالثة عشرة من نزولها
يكون بفتح الأكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة التي كان سبباً قريباً بالاستعلاء ١٠
على جميع الأرض ، و ذلك في أواخرها في رمضان سنة ثمان من الهجرة ،
و كان تمامه بفتح الطائف بإرسال و قدم و إسلامهم و هدم طاغيتهم في
سنة تسع ، و هي السنة الرابعة عشرة ، و بعدد اسميها^٥ إلى أن تطبيق
أكثر الأرض بالإسلام يكون في السنة الثامنة عشرة من نزولها ، و ذلك
بخلافة عمر رضی الله عنه في السنة الثالثة عشرة من الهجرة - و الله أعلم . ١٥
(بسم^٦) الواسع الحلم اتام القدرة^٦ (الله^٦) الملك الأعظم^٦ (الرحمن^٦)

(١) بهامش ظ: أعني الحرف الأول منها. والاسم طاء مشتمل على ط ومدة وهمزة
فظهر أن المسمى الأول (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٣) بهامش
ظ: أي السورة (٤) بهامش ظ: أي الحرفين (٥) زيد في ظ: الله (٦-٦) سقط
ما بين الرقین من ظ .

الذى استوى فى أصل نعمته جميع خلقه (الرحيم^٥) الذى آمى النعمة
على أهل توفيقه واطفه (طه^٦) أى تخلص بالغ من كل^٧ ما يخشى
وظهر عظيم وطيب منتشر فى كل قطر إلى نهاية الوطن الذى هو
التاسع، عن له الإحاطة التامة بكل غيب، وإليه يرجع الأمر كله^٨،
كما اجتمعت أسماؤه كلها فى غيب^٩ هو الذى جعل العزة^{١٠} للبهتدين
/ والهدى للثقتين .

/ ٤٤١

هذه السورة^١ و أتى قبلها من أقدم السور المكية، قال ابن
هشام فى تهذيب السيرة^٢: قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن مسلم الزهرى
عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى عن أم سلمة
١٠ بنت أم أمية بن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال: قالت: لما
نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنا على ديننا و عبدنا الله
تبارك وتعالى لا تؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا
اتتمروا بينهم - فذكر إرسالهم إليه بهدايا ليردهم إليه، وأن بطارقه
كلبوه فى ذلك، وأنه أبى حتى يسمع كلامهم، وأنه طلبهم فاجمع
١٥ أمرهم على أن يقولوا الحق كما نأى فيه ما كان، فدخلوا وقد دعا النجاشى
أساقفته فشرخوا مصاحفهم حوله فقال لهم: ما هذا الدين الذى فارقم به

(١) العبارة من هنا إلى « الهدى للثقتين » - آقطة من ظ (٢) زيد فى مد: شىء .

(٣ - ٣) فى مد: ترجع الأمور المنعمه، ووقع بعده فى الأصل بياض قدر كلمة .

(٤) من مد، وفى الأصل: باب (٥) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) من

ظ و مد، وفى الأصل: السورتين (٧) ١ / ١١٥ (٨) من ظ و مد، وفى

الأصل: أنهم .

قومكم ولم تدخلوا به في دين أحد من هذه الملل . قالت : فكان الذي
كله جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : أيها الملك ! كنا قوما أهل
جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأني الفواحش ، ونقطع الأرحام ،
ونسئ الجوار ، ويأكل القوى [منا - ١] الضعيف ، فكنا على ذلك
حتى بعث الله إلينا^٢ رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه . ه
فدعانا إلى الله لتوحده ونعده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه
من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة
الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن
الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم . وقذف المحصنة ، وأمرنا
أن نعبد الله [وحده - ١] ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ١٠
و الصيام - [قالت - ١] : فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه^٣ وآمنا
به ، فدعا علينا قوما فعدبونا . فقتونا عن ديننا ليردنا إلى عبادة الأوثان .
فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلادك ، واخبرناك على من سواك ،
ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك ! فقال [له - ٤] النجاشي : هل
معك مما جاء به عن الله شيء ؟ فقال له جعفر : نعم ! فقال له النجاشي : ١٥
فاقرأه عليّ ! فقرأ عليه صدر من كنه بعض . وبكى والله نجاشي حتى
أخضل لحيته وبكى أسافته حتى أخضلو مصاحفهم حين سمعوا ما تلا
(١) زيد من السيرة (٢) زيدى الأصل : بيا ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد
والسيرة لمخذفها (٣) من ظ و مد والسيرة ، وفي الأصل : فصدقنا (٤) زيد من
ظ و مد والسيرة .

عليهم : ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم ذكر تأمينه لهم ورد هدايا قريش ورسلمهم خائبين . وقال ابن هشام^١ : و قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حشمة رضى الله عنها قالت : والله ! إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر رضى الله عنه في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه ، وكنا نلتقي منه البلاء أذى لنا وشدة علينا ، فقال : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟ قلت : نعم ! والله لنخرجن في أرض الله ، آذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا ، فقال : صحبكم الله ، و رأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه^٢ فيما أرى خروجنا ، فجاء عامر رضى الله عنه بحاجته تلك فقلت له : يا أبا عبد الله ! لو رأيت عمر آتفا و رفته و حزنه علينا قال : أطمعت في إسلامه ؟ قلت : نعم ! قال : لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب - ياسأمنه - لما كان يرى من غلظته وقسوته - عن الإسلام ، قال ابن إسحاق^٣ :
١٥ و كان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنهم ، وكانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد^٤ وهم مستخفون بإسلامهم^٥ من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله بن النحام - رجل من قومه نبي عدي بن كعب - قد أسلم رضى الله عنه ،

(١) في السيرة ١/ ١١٩ (٢) من السيرة ، وفي النسخ : الأرض (٣) من السيرة ، وفي النسخ : حزنه (٤-٥) في السيرة : هما مستخفيان بإسلامهما .

وكان أيضا يستخني باسلامه فرقا من قومه . وكان خباب بن الارت
رضي الله عنه يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها يقرئها القرآن ،
فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا
من أصحابه رضي الله عنهم قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند
الصفاء وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء . ومع رسول ه
الله صلى الله وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب و ابو بكر بن أبي قحافة الصديق
و علي بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين ممن
كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى
ارض الحبشة . فلقبه نعيم بن عبد الله رضي الله عنه فقال : أين تريد ، عمر ؟
قال : أريد محمدا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش و سفه أحلامها و عاب ١٠
دينها و سب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم رضي الله عنه : والله لقد غرتك
نفسك من نفسك يا عمرا أتري بنى عبد مناف تاركيك تمشي على
الأرض و قد قتلتم محمدا أفلا ترجع إلى أهل بيتك فقيم أمرهم ؟ قال :
و أي أهل بيتي ؟ قال : خنتك و ابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو و أختك
فاطمة بنت الخطاب فقد و الله أسلما و تابعا محمدا على دينه فعليك بهما . ١٥

فرجع عمر عامدا إلى أخته و ختته و عندهما خباب بن الارت رضي الله
عنه و عنهما ، معه صحيفة فيها طة يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب

(١) من مد و السيرة ، و في الأصل وظ : الهتنا (٢-٢) سقط ما بين ارتين من
ظ (ب) زيد في الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و السيرة لحذفها .

خباب بن الارت رضى الله عنه في مخدع لهم او في بعض البيت ، و اخذت
 فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها الصحيفة فجعلتها تحت ثغرها . وقد سمع عمر
 حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليها ، فلما دخل قال : ما هذه الهيمنة
 التي سمعت ؟ قال له : ما سمعت شيئا ؟ قال : بلى ! والله لقد أخبرت أنكما
 ٥ تابعتما محمدا على دينه ، و بطش بختنه سعيد بن زيد رضى الله عنه فقامت
 إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها ففسجها . فلما
 فعل ذلك قالت له أخته و ختنه رضى الله عنهما : نعم ! قد اسلنا و آمننا
 بالله و رسوله ، فاصنع ما بدا لك ! فلما رأى عمر [ما - '] بأخته من
 الدم ندم على [ما - '] صنع [فارعوى - '] و قال لأخته : أعطيني
 ١٠ هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ؟
 و كان عمر كاتباً . فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال :
 لا تخافي ، و حلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك
 طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخى ! إنك نجس على شركك ، و إنه
 لا يمسه إلا الطاهر . فقام عمر فاعتسل فأعطته الصحيفة و فيها طه ققرأها ،
 ١٥ فلما قرأها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام و أكرمه ! فلما سمع ذلك
 خباب رضى الله عنه خرج إليه فقال له : [يا - '] عمر ! والله إنى لأرجو
 أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه و سلم فاني سمعته
 [أمس - '] و هو يقول : اللهم ! أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام
 أو بعمر بن الخطاب فآله الله يا عمر ! فقال له عمر عند ذلك : فدلني

/ ٤٤٣

(١) زيد من ظ و مد والسيرة (٢) من ظ و مد والسيرة ، و في الأصل : فيها .

يا خباب على محمد حتى آتبه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند
الصفاء، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمده إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا
صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من
خلل الباب فرآه متوشحاً بالسيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو فزع فقال: يا رسول الله! هذا عمر بن الخطاب 'متوشحاً بالسيف'!
فقال حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه: فأذن له، فإن كان جاء يريد
خيراً بذلناه^١ له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: ائذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ^٢ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جبذه
جبذة شديدة^٣، وقال^٤: ما جاء بك يا ابن الخطاب! فوالله ما أرى أن
تنتهى حتى ينزل الله بك قارعه، فقال عمر: يا رسول الله! جئتك لأؤمن
بالله وبرسوله وما جاء من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
عمر قد أسلم. فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم، وقد
عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر بن الخطاب مع إسلام حمزة رضى الله عنهما،
و عرفوا أنها سيمعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتصفون

(١-١) من ظ و مد و السيرة، وفي الأصل: متوشح سيفه (٢) من ظ و مد
و السيرة، وفي الأصل: بذلنا (٣) من مد و السيرة، وفي الأصل و ظ: فاخذه.
(٤-٤) من ظ و مد و السيرة، وفي الأصل: فقال.

بها من عدم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر
رضي الله عنه حين أسلم. وكان إسلام عمر بعد إسلام حمزة رضي الله
عنها ثلاثة أيام، كما ثبت ذلك في حاشية شرح العقائد عن فوائد
تمام الرازي^١، و صفوة^٢ الصفوة لابن الجوزي^٣؛ قال ابن هشام^٤: قال ابن
إسحاق^٥: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنها قال: لما أسلم عمر قال: أي قریش أقبل للحديث؟ قال: قيل له:
جميل بن معمر الجمحي، فقد عليه. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنها:
وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت
حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد؟
قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه. واتعه عمر رضي الله عنه
وأتبعته حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر
قریش! - وهم في أندية حول الكعبة - إلا إن ابن الخطاب
قد صاب. قال: يقول عمر رضي الله عنه من خلفه: لذب و لكفى قد
أسلمت، شهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وثاروا
إليه فأراح يقائلهم ويقائلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم. [قال - ٦]:
و طلع^٦ فقموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف

١٤٤٤

(١) هو ابن محمد بن عبد الله بن جعفر البجلي محدث دمشق المغربي المتوفى سنة
٤٤٤ هـ - راجع كشف الظنون ١٢٩٦ (٢) طبعها الدائرة باسم صفة الصفوة (٣) راجع
١٠٠٠ حديث ابن عباس (٤) راجع السيرة ١٢٠١٠ من السيرة. وفي الأصول:
حاه (٥) زيد من ظ و مد و السيرة (٦) هامش ظ: أي أعيد.

بأنه أن لو رَ كُنَا - ١] ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، قال: فينما هو على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقيص موسى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا عمر، قال: فه ١٢ رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بني عدى بن كعب يسلبون لكم صاحبهم؟ هكذا ٤ عن الرجل اقال: فوائه لكأنا كانوا ثوبا ه كشط عنه . وفي الروض الأتف ٦ للإمام أبي القاسم السهيلي أن يونس روى عن ابن إسحاق أن عمر قال حين أسلم رضى الله عنه :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت له علينا أياد ما لها غير
و قد بدأنا ٧ فكذبنا فقال لنا صدق الحديث ٨ نبى عنده ٩ الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم ٩ هدى ربي عشية قالوا قد صبا عمر ١٠
و قد ندمت على ما كان من زلل بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة و الدمع من عينها مجلان يتندرا
أيقنت أن الذى تدعوه خالفها فكاد يسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالفنا وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
بنى صدق أتى بالحق من ثقة وافي الأمانة ما [فى - ١٠] عوده خور ١٥

إذا تقرر هذا، علم أن المقصود من السورة - كما تقدم - تشریف

(١) زيد من ظ ومد و السيرة (٢) بهامش ظ : أى مكة (٣) بهامش ظ : ما استفهامية و إلا للسكت (٤) من ظ ومد و السيرة ، وفى الأصل : صاحبكم .
(٥) زيد فى السيرة : خلوا ، و بهامش ظ : أى تنحوا عنه هكذا (٦) ٢١٨/١ .
(٧) من الروض ، وفى الأصول : برانا (٨-٨) من ظ ومد و الروض ، وفى الأصل : النبى عبده (٩) من مد و ظ و الروض ، وفى الأصل : حين (١٠) زيد من ظ ومد و الروض .

هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأعلامه بالرفق بأمة . و الإقبال
 بقلوبهم حتى يملأوا الأرض كثرة ،^١ كما أنزل عليهم السكينة وهم في
 غاية الضعف والقلة ، و حماهم ممن يريد قتلهم ، و لين قلب عمر رضى الله
 عنه بعد ما كان فيه من الغلظة و جملة وزيراً ، ثم حماه بعدوه ، و تأمينه
 ٥ صلى الله عليه وسلم من أن يستأصلوا ببغداد ، و بأنه يموت نبيهم قبلهم
 لا كما وقع للهالكين من قوم نوح و هود عليها السلام و من بعدهم -
^٢ بما دل عليه افتتاح هذه بنى الشقاء و ختم تلك بجعل الود و غير ذلك ،
 و الداعي إلى هذا التأمين^٣ أنه سبحانه لما ختم تلك باهلاك القرون
 و إبادة الأمم بعد إنذار القوم اللد ، و لم^٤ يختم سورة من السور الماضية بمثل
 ١٠ ذلك ، [كان -^٥] ربما أفهم أنه قد انقضت مدتهم ، و حل بوارهم ، و أتى
 دمارهم ، و أنه لا يؤمن منهم - لما^٥ فيه^٥ من اللدد - إلا من قد آمن ،
 فحصل بذلك من الغم و الحزن ما لا يعلم قدره إلا الله ، لأن الأمر كان
 في ابتدائه ، و لم يسلم منهم إلا نفر يسير جدا ، فسكن سبحانه الروح بقوله :
 ﴿ مَا أَنْزَلْنَا ﴾ بعظمتنا ﴿ عَلَيْكَ ﴾ أى و أنت أعلم الخلق ﴿ الْقُرْآن ﴾
 ١٥ أى ' أعظم الكتب ' ، الجامع لكل خير ، و الدافع لكل ضير ' ، الذى
 يسرناه بلسانك ﴿ لِتَشْقَى ﴾ أى بتعب قلبك بكونك من أقل المرسلين
 تابعا بعد استئصال قومك و شقائهم بانذارك ﴿ الْإِلَهِ ﴾ أى لكن أنزلناه
 (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢-٢) فى ظ : وذلك (٣) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : لما (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى مد : فيهم (٦) سقط
 من ظ (٧) بهامش ظ : الضير هو الضر .

(تذكرة) [أى - '] 'تذكيرا / عظيما' (لمن يخشى) من أشرنا في ٤٤٥ م
 آخر التي قبلها إلى بشارته إيماء إلى أنه سيكون فيهم من المتقين من تناسب
 كثرته إعجاز هذا القرآن و دوامه ، و ما فيه من الجمع ' المشار إليه بالتعبير
 بالقرآن لجميع ' ما في ' الكتب السالفة من الأحكام أصولا و فروعا ،
 و المواعظ و الرقائق ، و المعارف و الآداب ، و أخبار الأولين و الآخرين ،
 و مصالح الدارين ، ' و زيادته عليها بما شاء الله ، ' لأن كثرة الأمة على
 قدر جلالة الكتاب ، و التعبير عن ' لكن ' بالإشارة إلى أنه يمكن أن
 يكون من باب :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب
 و أشار بالمصدر الجارى على غير الفعل في قوله : (تنزيلا) إلى أنه ١٠
 يتمهل عليهم ترفقا بهم ، و لا ينزل هذا القرآن إلا تدريجا ، إزالة لشبههم ،
 و شرحا لصدورهم ، و تسكينا لنفوسهم ، و مدا لمدة البركة فيهم بتردد
 الملائكة الكرام إليهم ، كما أنه لم يهلكهم بمعاصيهم اكتفاء بيته ' ما في
 الصحف الأولى ، بل أرسل إليهم رسولا ثلثا يقولوا : ربنا لولا - كما
 اقتضته حكمته و تمت به كلمته ، و لما كان رجوعهم إلى الدين على ما ١٥
 يشاهد منهم من الشدة و الأنفة و الشماخة التي سماهم الله بها قوما لدا في
 غاية البعد ، شرع سبحانه يذكر بقدرته إشارة إلى أن القلوب بيده يقبلها
 كيف شاء كما صورها كيف شاء ، و أن شأنه الرفق و الأناة ، فقال
 ملتفتا من التكلم إلى الغيبة يدل على ما اقتضته النون من العظمة

(١) زيد من مد (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) بهامش ظ : القرآن
 مشق من القراء و هو الجمع (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بما في بيته .

[مقدما ما اقتضى الحال تقديمه من سكن المدعوين المعنى بتذكرتهم وهداية من أريد منهم -^١]: (من خلق الارض) المنخفضة^٢.

و لما^٣ قدم الارض إعلاما بالاعتناء برحمها بالترفق بسكانها ليملاها بالإيمان منهم تحقيقا لمقصود السورة تشريفا [للنزل عليه -^٤]، أتبعها محل الإنزال على سبيل الترقى من بيت العزة إلى ما كثره في خزانة العرش فقال: ﴿والسنوت العلىٰه﴾ في ستة أيام، ولوشاء كاتا في لحظة.

و لما كان القادر قد لا يكون ملكا، قال دالا على ملكه^٥ مادحا له بالقطع خبرا لمبتدأ محذوف: ﴿الرحمن﴾ مفتحا بالوصف^٦ المفيض للنعم^٦ العامة للطائع و العاصي: [ثم ذكر خبرا ثانيا دالا على عموم الرحمة فقال -^١]: ﴿على العرش﴾ الحاوى لذلك كله ﴿استوىه﴾^٨ أى أخذ في تدبير ذلك منفردا^٩، فخطب العباد بما يفهمونه من قولهم: فلان استوى. أى جلس معتدلا على سرير الملك، فانفرد بتديره^{١٠} وإن لم يكن هناك سرير ولا كوث^{١١} عليه أصلا، هذا روح هذه العبارة، كما أن روح قوله عليه الصلاة والسلام الذى رواه مسلم^{١٢} عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ١٥ والقلوب بين إصبعين من أصابع الله يقبلها كيف شاء. أنه سبحانه وتعالى عظيم القدرة على ذلك. وهو عليه بسير خفيف كخفته على من هذا

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى «العرش» فقال ه ساقطة من ظ.
 (٣) زيد في مد: كان (٤) زيد من مد (ه-ه) سقط ما بين الرقنين من ظ.
 (٦-٦) من ظ و مد، وفي الأصل: الفيض المنعم (٧) من مد، وفي الأصل: بتدبير، والكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ (٨) في باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء كتاب القدر، ولفظه: إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء.

حاله ، وليس المراد أن هناك إصبا أصلا - نه على ذلك حجة الإسلام الغزالي ،^١ ومنه أخذ الزمخشري^٢ أن يد فلان مبسوطه كناية عن جواد وإن لم يكن هناك بد ولا بسط أصلا .

ولما كان الملك قد لا يكون مالكا . قال [مقدا الأشرف على العادة - ٢] :

(له ما في السموت) أى كله من عاقل وغيره (و ما في الارض) ه
جميعه (و ما بينهما) أى السماوات و الارض (و ما / تحت الثرى) ه / ٤٤٦
^٤ وهو التراب الندى ، سواء قلنا : إنه آخر العالم فاتحته العدم المحض أم لا ؟ فيكون تحته النور أو الحوت أو غيرها^٥ .

ولما كان الملك لا ينتظم غاية الانتظام إلا باحاطة العلم . وكان الملك

من الآدميين^٦ قد لا يعلم أحوال أقصى ملكه كما يعلم أحوال أدناه لا سيما إذا كان واسعا^٧ ، ولذلك يحتل بعض أمره^٨ ، أعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك . فقال حثا على مراقبته والإخلاص له : (وان تجهر بالقول) أى بهذا القرآن للبخارة و النذارة أو تغير ذلك أو بغيره ، فانه عالم به و غير محتاج إلى الجهر ،^٩ فلا يتكلف ذلك فى غير ما أمرت بالجهر به لغرض غير الإسماع^{١٠} (فانه يعلم السر) وهو ما يناجى به الاثنان مخافته (و اخفه) ه / ١٥
من ذلك ، وهو ما فى الضائر مما تخيلته الأفكار ولم يبرز إلى الخارج

(١) العبارة من هنا إلى «لا بسط أصلا» ساقطة من ظ (٢) راجع الكشف ٨٤٥ .

(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ .

وغيره من الغيب الذى لم يعلمه غيره تعالى بوجه من الوجوه،^١ ومنه ما^٢ سيكون من^٣ الضمائر. [٢-] ولما كان من هو بهذه الاوصاف^٤ من تمام العلم والقدرة^٥ [ربما ظن أن له منازعا، نفي ذلك بقوله معلما أن هذا الظن باطل قطعيا لاشبهه له و أن ما مضى ينتج قطعيا^٦: (الله) مفتحا

٥ بالاسم الأعظم الحاوى لصفات الكبير وغيرها (لا اله الا هو) ثم علل ذلك بقوله: (له) أى وحده (الاسماء الحسنى) أى صفات الكمال التى لا يصح ولا يتصور أن يشوبها نقص ما، بل هو متصف بها دائما اتصافا حقيقيا لا يتكهن انفكاكه^٧. كما يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن فى بعض الأحياء ثم يعجز عنه فى وقت آخر أو بالنسبة إلى زمان آخر.

ولما أتبع ذلك قصة موسى عليه السلام مصدرة باستفهام مقترن بواو عطف، أرشد ذلك إلى أن المعنى: هل تعلم له سميا، أى متصفا بأوصافه أو بشيء منها له. بذلك^٨ الوصف مثل فعله، ولما كان الجواب قطعيا: لا، ثبت أن لا متصف بشيء من أوصافه، فعطف على هذا المقدر

١٥ قصة موسى عليه السلام. ويكون التقدير: هل علمت بما ذكرناك به فى هذه الآيات أن نريد ما هو علينا يسير بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل من إبعادك فى الدارين تكثير اجرک، و تفخيم أمرک. بتكثير

(١) العبارة من هنا إلى «الضمائر» ساقطة من ظ (٢-٢) من مد، وفى الأصل: يكون فى (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) - سقط ما بين الرتين من ظ (٥) بهامش ظ: الضمير فى انفكاكه يرجع إلى الاتصاف الحقيقى (٦) فى ظ: بل.

تُباعك، و عطف عليه القصة شاهدا محسوسا على ما له من الاتصاف بما اتقى عن غيره من الأسماء الحسنى، و لاسيما ما ذكر هنا من الاتصاف بتمام القدرة و التفرد بالعظمة، و أنه يعلى هذا المصطفى بانزال هذا الذكر عليه و إيصاله منه إليه النصرة على الملوك و سائر الأضداد، و التمكين في أقطار البلاد، و كثرة الأتباع، و إعزاز الأنصار ' و الوزراء ' ه و الأشياء، و غير ذلك بمقدار ما بين ابتداء أمرهما من التفاوت، فان بتداء أمر موسى عليه السلام أنه أتى نارا ليُقبس أهلها منها نارا أو يجد عندها هدى . ففتح بذلك من هدى الدارين و النصرة على الأعداء كما سيقص هنا ما منح . و هذا النى الكريم كان ابتداء أمره^٢ أنه يذهب إلى غار حراء فيتعبد الليالى ذوات العدد، و يتزود لذلك اجتنابا من الحق ١٠ له قبل النبوة بمدد، تدرييا له و تقوية لقلبه، فأنته النبوة و هو في مضارها سائر^٣، و إلى أرجها^٤ بعزمه صائر بل طائر^٥، و موسى عليه السلام / رأى حين أنته النبوة آية العصا و اليد . و محمد صلى الله عليه و سلم كان قبل النبوة لا يمر بحجر و لا شجر^٦ إلا سلم عليه - كما أسنده ابن إسحاق في السيرة . و روى مسلم^٧ و غيره^٨ عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النى ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقعتين من ظ (٢) من ظ و مد، و في الاصل: اصرا .
 (٣) من ظ و مد، و في الأصل: سايرا (٤-٤) من ظ و مد، و في الأصل:
 بعزمها سايرا بل طائرا (٥) زيد في الأصل: ولامدر، و لم تكن الزيادة في ظ
 و مد و لافي السيرة ٨٠/١ فخذناها (٦) في أول الفضائل (٧) مثل الترمذى في
 المناقب و الدارمى في المقدمة .

صلى الله عليه وسلم قال: إني لأعرف حجرا كان يسلم علىّ قبل أن أبعث.
 فقال تعالى موقرا^١ تنبها على أنه يذكر له منه ما يكفي في تسليته و تقوية
 قلبه. و تبكيت اليهود الذين توقفوا في أمره صلى الله عليه وسلم،
 وغشوا قريشا حين تكلفوا طي^٢ شقة البين إنيهم ورضوا بقولهم لهم
 ٥ [و - ٢] عليهم ليكون فائدة الاستفهام أن يفرغ أذنه الشريفة للسمع
 و قلبه للوعى العظيم: ﴿ وهز أتاك ﴾ أى يا أشرف الخلق ا
 ﴿ حديث موسى ﴾^٣ نادبا إلى التأسى بموسى عليه السلام في تحمل أعباء
 النبوة و تكليف الرسالة و الصبر على مقامات الشدائد^٤. و شارحا بذكر
 ما في هذه السورة من سياق قصة ما أجمل منها في سورة مريم. و موقرا
 ١٠ بما نظمه في أساليبها ما تقدم أنه مقصد السورة من أنه يسعده و لا يشقيه،
 و يعزه على جميع شائسته^٥ باعزازة على أهل بلده بعد إخراجهم له. كما
 أعز موسى عليه السلام على من خرج^٦ من بلادهم خائفا يترقب، ترغيا
 في الهجرة ثالثا بعد ما رغب فيها أولا بقصة أصحاب الكهف [و - ٢]
 ثانيا بقصة [آية - ٦] إبراهيم عليه السلام، و أنه^٧ يعلى قومه على جميع
 ١٥ أهل الأرض، و ينقذهم به بعد ضعفهم من كل شدة. و يغنى فقرهم
 و يجعلهم ملوك الأرض، و يذل بهم الجبابرة، و يهلك من علم شقارته
 منهم كما فعل [بقوم - ٦] موسى. و أشار بانجاء موسى عليه السلام على

(١) العبارة من هنا إلى « للوعى العظيم » - اقطعة من ظ (٢) زيد من مد.
 (٣) - قط ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: صانعه.
 (٥) بهامش ظ: فاعل 'خرج' ضمير يرجع إلى موسى (٦) زيد من ظ و مد
 (٧) بهامش ظ: معطوف على من أنه يسعده.

يد عدوه وإلقائه المحبة عليه وهداية السحرة دين فرعون وقومه ، وعبادة
 نبي إسرائيل العجل بعد ما رأوا من الآيات والنعم والنقم ، ثم رجوعهم
 عنها إلى عظيم قدرته على التصرف في القلوب لمن كاد^١ يخنع نفسه
 لكفرهم بهذا الحديث أسفا ، وكذا ما في قصة آدم عليه السلام من
 قوله " فنتى ولم يجد له عزما " وقوله " ثم اجتنبه ربه فتاب عليه
 وهدى " ولعله أشار بقوله " واحلل عقدة من لساني " إلى ما أنعم الله
 به عليه من تيسير هذا الذكر^٢ بلسانه ، وأرشد بدعاء موسى عليه السلام
 بشرح الصدر ، وتيسير الأمر وطلب وزير من أهله إلى الدعاء بمثل
 ذلك حتى دعا المنزل عليه هذا القرآن بأن يؤيد الله الدين بأحد الرجلين ،
 فأيده بأعظم وزير: عمر بن الخطاب رضى الله عنه - كما مضى هذا إلى ١٠
 تمام ما اشتمل عليه سياق قصة موسى عليه السلام هنا ، إتماما لتبكييت
 اليهود على تعليمهم قريشا أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح ،
 وما ذكر معها من دقائق ، من أمر قصة نبيهم صلى الله عليه وسلم ،
 لا يعلمها أحد منهم أو إلاحداقهم . منها أن الموعد كان يوم الزينة ،
 ومنها إيمان السحرة إيمانا كاملا . ومنها التهديد بتصليبهم في جذوع النخل . ١٥
 ومنها إلقاء السامرى لأثر الرسول ، فأتى لم أر أحدا من اليهود يعرف
 ذلك ، وأخبرنى بعض فضلانهم أنه لا ذكر لذلك عندهم .

وقال الإمام أبو جعفر / ابن الزبير في برهانه : لما ذكر سبحانه قصة
 إبراهيم عليه السلام وما منحه وأعطاه . وقصص الأنبياء بعده بما خصهم به ،

(١) بهامش ظ : لمن كاد - موقفه تعليل اقواه : وأشار بإنجاء موسى - إلى أن
 ذكر : إلى عظيم قدرته (٢) من ظ ومد . وفي الأصل : الحديث .

و أعقب ذلك بقوله تعالى " أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم " وكان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية ، و الدرجات المنيفة الجليلة . لاسيما وقد اتبع ذلك بقوله " تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " كان هذا مظنة إشفاق و خوف . فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ملاطفة المحبوب المقرب [المحتجى - ١] فقال " ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " و أيضا فقد ختمت سورة مريم بقوله " و كم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد . و تسمع لهم ركزا " بعد قوله " و تنذر به فوما لدا " و قد رأى عليه الصلاة و السلام من تأخر قریش عن الإسلام و لدها ما أرجب إشفاقه و خوفه عليهم . و لاشك أنه عليه الصلاة و السلام يحزنه تأخير إيمانهم ، و لذلك قيل له ٢ " فلا تحزن عليهم " فكأنه عليه الصلاة و السلام ظن أن يستعصب المقصود من استجاباتهم ، أو ينقطع الرجاء من إنابتهم فيطول العناء و المشقة . فبشره سبحانه و تعالى بقوله " ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " فلا عليك من لدد هؤلاء و توقعهم . فيستجيب من الطوى على الحشية إذا ذكر و حرك إلى النظر في آيات الله كما قيل [له - ١] في موضع آخر " فلا يحزنك قولهم " ثم أتبع ذلك سبحانه تعريفاً و تأنيساً بقوله " الرحمن على عرش استوى " إلى أول قصص موسى عليه السلام . فأعلم سبحانه أن الكل خلقه و ملكه . و عت قهره و قبضته . لا يتدشئ عن ملكه .

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد عدة في الأصل : سلامهم و . ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحدفناها (٣) من ظ و مد . وفي الأصل : لهم (٤) من ظ و مد . وفي الأصل : .

فاذا شاهد آية من وقفه لم يصعب أمره . ثم اتبع ذلك بقصة موسى عليه
 السلام ، وما كان منه في إلقائه صغيرا في اليم ، وما جرى بعد ذلك
 من عجيب الصنع و هلاك فرعون و ظهور بنى إسرائيل ، و كل هذا
 بما يؤكد القصد المتقدم ، و هذا الوجه الثاني أولى من الأول - و الله
 أعلم . انتهى . (اذ) أي حديثه حين (ناراً) وهو راجع ه
 من بلاد مدين (فقال لاهله امكثوا) أي مكانكم و اتركوا ما أنتم
 عليه من السير ؛ ثم علل أمره بقوله : (انى - است) أي أبصرت في
 هذا الظلام إبصارا يبا لا تشبه فيه من إسان العين لدى تبين به الأشياء ،
 و هو مع ذلك مما يسر من الإس الذين هم ظاهرون ما ترك بهم
 (ناراً) فكأنه قيل : فكان ما ذا ؟ فقال معبرا بأداة الترجى لتخصيصه ١٠
 الخبر الذى عبر به ° في النمل بالهدى : (لعلى - اتاكم) أي أترجى أن
 أجيئكم (منها بقبس) أي بشعلة من النار ° في رأس حذبة ° فيها جرة
 تعين على برد هذه الليلة (او اجد على) مكان (النار هدى ه) أي
 ما ° أهتدى به لأن الطريق كانت قد خفيت عليهم (فلما اتها) .
 ٣ ولما كان في الإبهام ثم اتعيين تشويق ثم تعظيم ، بنى للفعل ١٥
 قوله : (نودى) من الهدى الذى لا هادى غيره ؛ ثم بين الذداء بقوله :
 (١) في مد : يؤيد (٢) بهامش ظ : أي بشارته بقوله : ما أنزلنا (٣ - ٣) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٤) بهامش ظ : قول الشيخ رحمه الله ولا أخذه :
 لتخصيصه الخبر - إلى آخره . فيه نظر فإنه يقول : إنما عبر هنا بالترجى حيث
 قال له : آتيكم منها قبس ، لأن الهدى الذى ذكر هنا حص بالخبر الذى عبر به في
 سورة النمل (٥) بهامش : ظ الضمير في « به » راجع إلى الخبر .

(يُؤمِسِي ١) ولما كان المقام للتعريف بالأيادي تلطفاً، قال 'مؤكداً،

تنبها [له - ٢] على تعرف أنه كلامه سبحانه من جهة / أنه يسمعه من غير

/٤٤٩

جهة معينة [و- ٣] على غير الهيئة التي عهدتها في مكالمة المخلوقين، مسقطاً

الجار في قراءة ابن كثير و أبي عمرو و أبي حفص بالفتح، و حاكيا

٥ [بقول - ٤] مقدر عند الباقيين: (إني أنار بك) أي المحسن إليك بالخلق

و الرزق و غيرهما من مصالح الدارين (فاخلع نعليك ج) كما يفعل

بحضرات الملوك أديبا^٢، و لتناك بركتها و لتكون مهيبا للإقامة غير

ملتفت إلى ما وراءك من الأهل و الولد، و لهذا قال أهل العبارة: النعل

يدل على الولد^٢.

١٠ ثم علل بما يرشد إلى أنه تعالى لا يحويه مكان و لا يجري عليه

زمان فقال: (إنك بالواد المقدس) أي المطهر عن كل ما لا يليق بأفنية

الملك؛ ثم فسره بقوله: (طوى ه) ولما كان المعنى: فاني اخترته تشريفا

له من بين البقاع لمناجاتك، عطف عليه قوله: (و انا اخترتك) أي

للنبوة (فاستمع) أي أنصت ملقيا سمعك معملا فليك للسماح

١٥ (لما) أي اخترتك للذي. و قدم^٢ 'استمع' اهتماما به (يوحي ه)

أي يقال لك من سرا مستورا عن غيرك [سماعه - ٢] و إن كان في

غاية الجهر، كما يفعل الحبيب مع حبيبه من صيانه حديثهما عن ثالث

(١) العبارة من هنا إلى « عند الباقيين » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من

ظ و مد، و في الأصل: اذبا (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من

ظ و مد، و في الأصل: لايجريه (٦) من مد، و في الأصل: او، و العبارة من

هنا بما فيها هذه الكتابة إلى « اهتماما به » ساقطة من ظ (٧) من مد، و في

الأصل: قلنا

بما يجعل له من الخلوة إعلاما بعلو قدره ونخامة أمره؛ ثم فسر الموحى بأول الواجبات وهو معرفة الله تعالى، فقال [مؤكدًا لعظم الخبر وخروجه عن العادات - ١]: ﴿ انىّ انا الله ﴾ فذكر الاسم العلم لأن هذا مقامه إذ الأنسب للطوف به - بعد التعرف إليه بالإكرام - الإقامة في مقام الجلال^٢ أو الجمال^٢.

ولما كان هذا الاسم العلم جامعا لجميع معانى الاسماء الحسنى التى علت عن^٣ أن يتصف بها أو بشيء منها حق الاتصاف غيره تعالى، حسن تعقيبه بقوله: ﴿ لا اله الا انا ﴾ ولما تسبب عن ذلك وجوب إفراده بالعبادة، قال: ﴿ فاعبدنى لا ﴾^٢ أى وحدى^٢: ثم خص من بين العبادات معدن الأنس والخلوة. وآية الخضوع والمراقبة وروح الدين ١٠ فقال: ﴿ واقم الصلوة ﴾ أى التى أضعافها خلوف السوء، إشارة إلى أنها المقصود بالذات من الدين، لأنها أعلى شرائعه لأنها حاملة على المراقبة، بما فيها من دوام الذكر والإعراض عن كل سوء، وذلك معنى ﴿ لذكرى ه ﴾ وذلك أنسب الأشياء لمقام^٤ الجلال، بل هى الجامعة لمظهرى الجمال والجلال: ثم علق الأمر بالعبادة بأنه لم يخلق الخلق سدى، بل لا بد ١٥ من إمامتهم، ثم بعثهم لإظهار العظمة ونصب موازين العدل، فقال [مؤكدًا لإنكارهم معبرا بما يدل على سهولة ذلك عليه جدا - ١]: ﴿ ان الساعة آتية ﴾ أى لا ريب فى إتيانها، فهى أعظم باعث على الطاعة.

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بمقام.

و لما كان بيان حقيقة الشيء مع إخفاء شخصه ووقته^١ وجميع أحواله
موجبا في الغالب لفساده و الإعراض عنه ، فكان غير بعيد من إخفائه
أصلا و رأسا ، قال مشيرا إلى هذا المعنى : (أكاد أخفيها) [أى أقرب
من أن أجدد إخفاءها ، فلذا يكذب بها الكافر بلسانه و العاصي بعصيانه
٥ فالكافر لا يصدق بكونها و المؤمن لا يستعد غفلة عنها - ٢] ، فراقبى
فان الأمر يكون بغته ، ما من لحظة إلا و هى صالحة للترقب ؛ ثم بين
سبب الإتيان بها بقوله : (لتجزى)^٣ أى بأيسر أمر و أفذه^٢ (كل نفس)
كائنة من كانت (بما تسعى)^٤ أى توجد من السعى فى كل وقت كما
يفعل من^٥ أمر ناسا بعمل من النظر فى أعمالهم و مجازاة كل
١٠ بما يستحق^٦

و لما كانت - لما تقدم - فى حكم المنسى عند أغلب الناس قال :

(فلا يصدقك عنها) أى عن إدامة / ذكرها ليشمر^٧ التشمير فى
الاستعداد لها (من لا يؤمن بها) بأعراضه عنها و حمله غيره على ذلك
بزيينه^٨ مما أوتى من المتاع الموجب للكثرة الثمر لامتلاء القلب بالمباهاة

١٥ و المفاخرة ، فان من انصد عن ذلك غير بعيد الحال عن كذب بها^٩ .

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : وقته و شخصه (٢) زيد من مد (ب-٣) سقط

ما بين الرقين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « بما يستحق » ساقطة من ظ .

(٥) من مد ، و فى الأصل : كل من له (٦-٦) ما بين الرقين بياض فى الأصل

ملأناه من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستمر (٨) من ظ و مد ،

و فى الأص : بقرينة (٩) العبارة من بعده إلى « عليه الكشاف » ساقطة من ظ .

و المقصود من العبارة نهى موسى عليه السلام عن التكذيب ، فغير عنه
 بنهى من لا يؤمن عن الصد إجلالا لموسى عليه السلام ، و لأن [صد - ١]
 الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب ،
 و لأن صد الكافر مسبب^١ عن رخاوة الرجل في الدين و لين شكيمته فذكر
 المسبب^٢ ليدل على السبب^٣ ، فكأنه قيل : كن شديد الشكيمة صليب المعجم ؛ ه
 لثلا يطمع أحد في صدك و إن كان الصاد هم الجم الفقير ، فان كثرتهم
 تصل إلى الهوى لا إلى البرهان ، و في هذا حث عظيم على العمل بالدليل ،
 و زجر بليغ عن التقليد ، و إنذار بأن الهلاك و الردى مع التقليد و أهله
 - به عليه الكشاف . ثم بين العلة في التكذيب بها و الكسل عن التشمير
 لها بقوله : ﴿ و اتبع ﴾^٤ أى بغاية جهده^٥ ﴿ هون ﴾ فكان حاله حال البهائم ١٠
 التى لا عقل لها ، تنفيرا عن مثل حاله ؛ ثم أعظم التحذير بقوله [مسبيا - ٦] :
 ﴿ فتردى ه ﴾ أى فتهلك ، إشارة إلى أن من ترك المراقبة لحظة حاد عن
 الدليل ، و من حاد عن الدليل هلك .

و لما كان المقام مرشدا إلى أن يقال : ما جوابك يا موسى عما سمعت ؟
 و كان تعالى عالما بأنه يبادر إلى الجواب بالطاعة في كل ما تقدم ، طوى هذا ١٥
 المقال مؤميا إليه بأن عطف عليه قوله : ﴿ و ما تلك ﴾^٧ أى تعالية المقدار^٨

(١) زيد من مد و الكشاف ٨٤٨ (٢) من مد و الكشاف ، وفي الأصل : سبب .

(٣) من مد و الكشاف ، وفي الأصل : السبب (٤) من مد و الكشاف ، وفي

الأصل : المسبب (٥ - ه) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) زيد من مد .

(٧-٧) تأخر ما بين الرقيين في الأصل عن ه بيمينك و الترتيب من مد ، و سقط

(بيمينك يـموسى هـ) مريدا - بعد تأنيسه بسؤاله عما هو أعلم به منه - إقامة البينة لديه بما يكون دليلا على الساعة من سرعة القدرة على إيجاد ما لم يكن ، 'بقلب المعصى حيه بعد تحقق' أنها عصاة تقرب النظر إليها عند السؤال عنها ليزداد بذلك ثباتا و يثبت من يرسل إليهم (قال هي) هـ أى ظاهرا و باطنا ؛ (عصاى ج) ثم وصل به مستأنسا بلذيد المخاطبة قوله 'يانا لمنافعتها خوفا من الأمر بالقائنها كالنعل' ؛ (اتوكوا) ؛ أى أعتد و أرتفق و أتمكن ؛ (عليها) أى إذا أعيت أو عرض لى ما يحوجنى* إلى ذلك من زلق أو هبوط أو صعود ؛ أو طفرة ؛ أو ظلام و نحو ذلك ؛ ثم ثنى بعد مصلحة نفسه بأمر رعيته فقال : (و اهش) ١٠. أى أخط الورق . قال ابن كثير : قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك : و الهش أن يضع الرجل الحجن فى الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه و ثمره و لا يكسر العود و لا يخبط [فهذا الهش - ٢] ، قال : و كذا قال ميمون بن مهران ، و قال أبو حيان^٤ : و لأصل فى هذه المادة الرخاوة . يقال : رجع هش . (بها على غنى) .

١٥ و لما كان أكمل [أهش - ٢] ذلك الزمن ، خاف التطويل على الملك فقطع على نفسه ما هو فيه من لذة المخاطبة كما قيل : اجلس على

(١) العبارة من هذا إلى «السؤال عنها» - اقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : تحقيق (٣) من مد . و فى الأصل : عن (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : يخرجنى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : أهبط (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع النهر من البحر المحيط ٢٢٨/٦ ؛ و فى مد : أبو عمر - خطأ .

البساط و إياك و الانبساط . 'و طمعا في سماع كلامه سبحانه و تعالى' .
 فقال بجملا : (ولى فيها مبارب) 'أى حوائج و منافع يفهما الآلباء' .
 [و لما كان المحدث عنه لا يعقل . و أخبر عنه بجمع كثرة ، كان الأنسب
 معاملته معاملة الواحدة المؤثثة فقال - [٢] : (اخرى هـ) تاركا للتفصيل ،
 فكأنه قيل : فاذا قيل له ؟ / قيل : (قال القها) أى العصا ، هـ ٤٥١ /
 'و أنسه بقوله سبحانه و تعالى ١ : (يموسى هـ فلقنها) أى فتسبب عن
 هذا الأمر المطاع انه ألقاها و لم يتلعم (فاذاهى) أى فى الحال
 ظاهرا و باطنا (حيه) عظيمة جدا يطلق عليها لعظمتها 'بنهاية أمرها'
 اسم الثعبان ، 'و الحية اسم جنس يقع على الذكر و الأنثى و الصغير
 و الكبير (تسفى هـ) سعيا حفيفاً يطلق عليها لأجله ٢ 'فى أول أمرها' ١٠
 اسم الجان ، 'فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها صارت حية صفراء لها
 عرف كعرف الفرس ، و جعلت تورم حتى صارت ثعبانا - انتهى .
 فهى فى عظم الثعبان و سرعة الجان' .

و لما كان ذلك أمرا مخيفا ، استشرف السامع إلى ما يكون من
 حاله عند مثل هذا بعد ذلك ، فاستأنف إخباره بقوله - [٢] : (قال) ١٥
 'أى الله تبارك و تعالى على ما يكون منها عند فرعون' ١ 'لأجل التدريب' ١ :

(١ - ١) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : حاجات (م) زيد من
 مد (٤) العبارة من هنا إلى « و الكبير » - ساقطة من ظ (٥) فى مد : تقع .
 (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : حفيا (٧) من ظ ومد . و فى الاصل : لأجلها .
 (٨ - ٨) - سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .

(خذها ولا تخف وفتنه) مشيراً إلى أنه خاف منها على عادة الطبع البشري؛ ثم علل له النهي عن الخوف بقوله: (سعيدها) أي بعظمتنا عند أخذك لها بوعده لاخلف فيه (سيرتها) أي طريقته (الاولى) من كونها عصي، فهذه آية بينة على أن الذي يخاطبك هو ربك الذي له الأسماء الحسنى، انزلت عليه الكنية، وبلغ من طمأنينته أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها، فاذا هي عصاه. ويده بين شعبيها.

[ولما أراه آية في بعض الآفاق، أراد أن يريه آية في نفسه فقال - ٢]: (واضمم يدك) من جيئك الذي يخرج منه عنقك (إلى جناحك) أي جنبك تحت العضد تنضم على ما هي عليه ١٠ من لونها وما بها من الحريق، وأخرجها (تخرج) فالآية من باب الاحتباك، والجناح: اليد، والعضد. والإبط، والجانب - قاله في القاموس. فلا يعارض هذا ما في القصص لأنه أطلق الجناح هناك على اليد وهي أحق به، وهنا على الجنب الذي هو موضعها تسمية للحل باسم الحال (بيضاً) بياضاً كالشمس^٧ تتعجب منه.

١٥ 'ولما كان البرص ابغض شيء إلى العرب، قال نافياله وغيره، ولم يسمه باسمه لأن أسماعهم له بحاجة، ولأن نقي الأعم من الشيء'

(١-١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: هو (٤) راجع آية ٣٢ (٥) بهامش ظ: حيث قال: و اضمم اليك جناحك من الرهب (٦) موضعه في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد. (٧) - سقط من ظ.

'أبلغ من نفيه بخصوصه': (من غير سوء) أي مرض لا برص ولا غيره، حال كونها (آية أخرى لا) فاعل ما أمرتك به من إلقاء العصا وضم اليد، أو فعلنا ذلك من إحالة العصا ولون اليد من مناداتك لمناجاتك (لريك) في جميع أيام^٢ نبوتك (من 'أيتنا الكبرى') ليثبت بذلك جنالك، ويزداد إقتانك، فكأنه قيل: لما ذا يفعل بي هذا؟ قفيل: هـ لترسلك إلى بعض المهيات (أذهب إلى فرعون) أي لترده عن عقوبه: ثم علل الإرسال إليه بقوله، [مؤكدًا لأن طغيان أحد بالنسبة إلى شيء مما لللك الأعلى مما يستبعد^٣]: (أه طغى ع) أي تجاوز حده من العبودية فادعى الربوبية، وأشار إلى ما حصل له من الضيق من ذلك بما عرف^٤ من أنه أمر عظيم، وخطب جسيم، يحتاج معه إلى احتمال^٥ ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط و صدر فسيح^٦ [و قلب ضابط^٧] - كما صرح به في سورة الشعراء^٨ - بقوله: (قال رب اشرح) أي وسع (لي) و لما أبهم المشروح ليكون الكلام أوكد بتكرير المعنى في طريق الإجمال والتفصيل، قال رافعا لذلك الإبهام: (صدرى لا) للاقدام على ذلك، وإلى استصعابه بقوله: (ويسرلى) [ثم بين ذلك الإبهام بقوله^٩]: ١٥ (أمرى لا) [و إلى استعجازه نفسه عن الإبانة لهم عن المراد بقوله^{١٠}]:

(١ - ١) سقط ما بين الرّئين من ظ (٢) تكرر في مد (٣) زيد من مد .
 (٤) راجع آية ١٣، (٥) العبارة من هنا إلى «الذالك الإبهام» ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: من تكرير (٧) زيد من ظ و مد .

('واحلل') ولما كان المعنى [هنا - ٢] ما لا يحتمل غيره [إذ أنه لم يسأل
 بقاءه في غير حال الدعوة - ٢]، عدل عن طريق الكلام الماضي فقال:
 ('عقدة من لسان') أي بما فيه من الحبسة عن الإتيان بجميع المقاصد
 من الجمرة التي وضعها في فيه، هو عند فرعون، ٢ كما نقل عن ابن عباس
 ٥ رضى الله عنها؛ ولما كان سؤاله هذا إما هو لله، ولذلك اقتصر على
 قدر الحاجة فلم يطلب زوال الحبسة كلها، أجابه بقوله: ٢ ('يفقهوا قولى')
 وإلى اعتقاد صعوبة المقام مع ذلك كله بطلب التأييد بنصير يهيمه أمره
 بقوله: ٢ ('واجعل لى') أي [مما - ٢] تخصنى به؛ وبين اهتمامه بالإعانة
 كما يقتضيه الحال فقدم قوله: ٢ ('زيرا') أي ملجأ يحمل عنى بعض
 ١٠ الثقل ٢، يعاوتنى ٢ ('من اهلى لى') لأنى ٢ به أوثق لكونه على أشفق؛
 ثم أبدل منه قوله: ٢ ('هون') وبينه بقوله: ٢ ('اخى لا') [أى - ٨]
 لأنه أجدر أهلى بتمام مناصرتى؛ ٢ وأجاب الدعاء فى قراءة ابن عامر فقال: ٢
 ('اشدد') [بقطع الهمزة مفتوحة - ٢] ('به ازرى لا') أى قوتى ٢ وظهرى ٢
 ('واشركه') بضم الهمزة مسندا للفعالين إلى ضميره على أنها مضارعان ١،

(١ - ١) تأخر ما بين الرقبتين فى لأصل عن «الماضى فقال» والترتيب من ظ
 و مد (٢) زيد من مد (٣) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٤) من مد . وفى
 الأصل و ظ : فى قوله (٥) العبارة من هنا إلى «قدم تولد» - ساقطة من ظ .
 (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : لأنه (٧) من ظ و مد، وفى الأصل :
 بقولى (٨) زيد من ظ و مد ١ العبارة من هنا إلى «على الدعاء» - ساقطة من
 ظ (١٠) من مد، وفى الأصل : مضارع عمل - مصحفا .

و قراءة الباقيين بوصف الأول و فتح همزة اثنان على أنها أمران . مستندين
إلى الله تعالى على الدعاء (في امرى) أى النبوة .
ولما أنهم سؤاله هذا أن له فيه أغراضا ، أشار إلى أنها ليست
مقصودة له لأمر يعود على نفسه بذكر العلة الحقيقية . فقال : (كي نسبحك)
أى بالقول و الفعل بالصلاة و غيرها (كثيرا) فأوضح عن أن المراد
بالمعاودة إنما هو تمهيد الطريق إليه سبحانه .

ولما كان التسييح ذكرا خاصا لكونه بالتنزيه الذى أعلاه التوحيد ،
أتبعه العام فقال : (و تذكرك) أى بالتسييح و التحميد (كثيرا) فان
التعاون و التظاهر أعون على تزايد العبادة لأنه مهيج للرجات ؛ ثم علل
طلبه لآخيه لأجل هذا الغرض بقوله : (انك كنت بنا بصيرا) قبل ١٠
الإقامة فى هذا الأمر فى أنك جبلتنا على ما يلائم ذكرك و شكرك . و أن
التعاضد مما يصلحنا ، و كل ذلك تدريب لمن أنزل عليه هذا الذكر
على مثله . و تذكير بنعمة تيسيره بلسانه ليزداد ذكرا و شكرا .

ولما تم ذلك ، كان موضع [توقع -] الجواب ، فأتبعه قوله :
(قال) 'أى الله' : (قد اوتيت بح أسهل أمر) (سؤلك) أى ما ١٥
سألت (يئوسى) من حل عقدة لسالك و غير ذلك و لو شئت
لم أفعل ذلك . و لكنى فعلته منة منى عليك .
ولما كان بجأؤه من سد فرعون حيث ولد فى السنة التى يذبح

- (١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : شكرت .
(٣) بهامش ظ : اسم ' كان ' ضمير يرجع إلى ' ذلك ' (٤) زيد من ظ ومد .
(٥) فى مد : ولد .

فها الأبناء - قالوا: وهي الرابعة من ولادة^٢ هارون عليه السلام -
يد فرعون وفي بيته أمرا عظيما، التفت إلى مقام العظمة مذكرا له
بذلك^٣ تنويرا بصيرته وتقوية لقلبه^٤، إعلاما بأنه ينجيه منه الآن، كما
أنجاه في ذلك الزمان، ويزيده بزيادة السن والنوبة خيرا، فيجعل عزه^٥
في هلاكه كما جعل إذ ذاك عزه في وجوده فقال: ﴿ولقد مننا﴾ أي
أنعمنا إنعاما مقطوعا^٦ به^٧ على ما^٨ يليق بعظمتنا ﴿عليك^٩﴾ فضلا منا
﴿مرة أخرى﴾^{١٠} غير هذه^{١١}؛ ثم ذكر وقت المنة فقال: ﴿اذ﴾ أي^{١٢}
حين^{١٣} ﴿أوحينا﴾ [أي بما لنا من العظمة -^{١٤}] ﴿إلى أمك﴾ أي
بالإلهام ﴿ما﴾ يستحق لعظمته^{١٥} أن ﴿يوحى﴾^{١٦} به،^{١٧} ولا يعلمه إلا نبي
١٠. أو من هو قريب من درجة النبوة^{١٨}؛ ثم فسره بقوله: ﴿ان اقدفيه﴾
أي ألقى ابنك ﴿في التابوت﴾ وهو الصندوق، فعلوت من التوب^{١٩} الذي
معناه الرجوع تفاؤلا به^{٢٠}، وقال الخراي: هو وعاء ما يعز قدره،
والقذف مجاز عن المسارعة إلى وضعه^{٢١} من غير / تمهل لشيء أصلا، إشارة
إلى أنه فعل مضمون السلامة كيف ما كان،^{٢٢} والتعريف لأنه نوع من
١٥ الصناديق أشد الناس معرفة به^{٢٣} بنو إسرائيل ﴿فاقدفيه﴾ أي

/ ٤٥٣

(١) العبارة من هنا إلى « عليه السلام » ساقطة من ظ (٢) في مد: مؤند .
(٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) بهامش ظ: الضمير في قوله « عزه »
يرجع لموسى أي يجعل عز موسى في هلاك فرعون (٥) العبارة من هنا إلى
« بعظمتنا » ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: مقطوع (٧-٧) في مد:
كما (٨) تقدم في الأصل على « أنعمنا » والترتيب من مد (٩-٩) من ظ و مد .
وفي الأصل: غيره (١٠) زيد من مد (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ: القائه .

[موسى عليه السلام - ١] عقب ذلك بتابوته ، ٢ أو التابوت الذى فيه موسى عليه السلام ٣ (فى اليم) أى البحر وهو النيل .

ولما كانت سلامته فى البحر من العجائب ، لتعرضه للفرق بقلب الريح للتابوت ، أو بكسره فى بعض الجدر أو غيرها ، أو بجره مستقيماً مع أقوى جرية من الماء إلى البحر المملح وغير ذلك من الآفات ، أشار إلى ٥ تحتم تنجته بلام الأمر ٦ عبارة عن معنى الخبر ٧ فى قوله ، ٨ جاعلا البحر كأنه ذو تمييز لطبيع الأمر ٩ : (فليلقه) ١٠ أى التابوت الذى فيه موسى عليه السلام أو موسى بتابوته ١١ (اليم بالساحل) ١٢ أى شاطئ النيل ، سمي بذلك لأن الماء يسحله ، أى ينشره ١٣ إلى جانب البيت الذى الفعل كله هرباً من شرصاحبه ، وهو فرعون ، وهو المراد بقوله : (ياخذة ١٤) ١٥ جواباً للأمر ، أى موسى ١٦ (عدو لى) ١٧ ونه على محل العجب باعادة لفظ العدو فى قوله : (وعدوله ١٨) فانه ما عادى نبي إسرائيل بالتذيع إلا من أجله (و القيت عليك محبة) ١٩ أى عظيمة ؛ ثم زاد الأمر فى تعظيمها إيضاحاً بقوله : (منى ٢٠) [أى - ٢١] ليحبك كل من ٢٢ رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة ، و الشيم السديدة . لتكون أهلاً لما أريدك له (و لتصنع) ٢٣ أى تربي ٢٤ بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم لك لا ينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة ٢٥ (على عيني ٢٦) أى مستعلياً على حافظيك غير مستخفى

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرهين من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ .

في تربيتك^١ من أحد ولا يخوف عليك منه، وأنا حافظ لك حظ من
يلاحظ الشيء بعينه^٢ لا يغيب عنها، فكان كل ما أردته^٣، فلما رآك هذا
العدو أجبك^٤ وطلب^٥ لك المراضع، فلما [لم - °] تقبل واحدة منهم
بالغ في الطلب، كل ذلك إمضاء لأمري وإيقافا لأمره به نفسه لا بغيره
٥ ليزداد العجب من إحكام السبب؛ ثم ذكر ظرف الصنع فقال: (اذ)
أي حين^٦ (تمشى - اختك)^٧ أي في الموضع الذي وضعتك به ليظروا لك
مرصعة^٨ (فتقول) بعد إذ رأيتك، لآل فرعون: (هل ادلكم على من يكفله)^٩
أي يقوم بمصالحه من الرضاع والخدمة^{١٠}، ناصحاله^{١١}، فقالوا: نعم^{١٢}
٦ فجاءت بأمك فقيلت ثديها^{١٣} (فرجعناك)^{١٤} أي قسب عن قولها
هذا أن رجعتك (إلى أمك)^{١٥} حين دلتم عليها (كي تقر)^{١٦} أي تبرد
و تسكر^{١٧} (عيناها)^{١٨} وتزيك أمة عليك غير خائفة. ظاهرة غير مستخفية
(ولا تخزن^{١٩}) بفراقك أو بعدم تربيتها [لك - °] وبذلها الجهد في فعلك
(وقلت نفسا)^{٢٠} أي بعد أن صرت رجلا من القبط دفعا عن رجل من
قريمتك فظلت بها و أرادوا قتلك (فنجيتك)^{٢١} لنا من العظمة^{٢٢} (من العم)^{٢٣}
١٥ الذي كان قد نالك بقتله خوفا من جريته، بأن أخرجناك مهاجرا للديارم
نحو من (ووقتك فتونا)^{٢٤} أي خلاصناك من محبه بعد محبة مرة بعد مرة.

(١) من ظ و مد، وفي الأصل تربيتك من ظ و مد، وفي الأصل:
(٢) من ظ و مد. وفي الأصل أرادته (٤-٤) من ظ و مد، وفي
الأصل: تطلب (٥) يريد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقيين
من ظ (٧) تأخر ما بين الرقيين في الأصل عن ثديها و الترتيب من ظ
و مد (٨) سقط من ظ.

اعلى أنه جمع فتن أو فتنة. [على ترك الاعتداد بالنساء - ٢]، ويجوز أن يكون مصدرا كالشكور، إذن الفتون ولادته عام الذبح وإيقاؤه في البحر ثم منعه الرضاع من غير ثدى أمه ثم جره لحية فرعون، ثم تناوله الجمره بدل الدرّة، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مدين في الطريق الميع خاتفا يترقب، ثم إبحار / نفسه عشر سنين، ثم إضلاله الطريق، ثم تفرق ٥ / ٤٥٤ غمه في ليلة مظلمة (فلبث سنين) أي كثيرة (في أهل مدين لا) مقبلا عند نبينا شعيب عليه السلام يريك بأدابه، و صاهرته على ابنته (ثم جثت) أي الآن (على قدر) أي وقت قدرته في الأزل لتكليمي لك، وهو بلوغ الأشد و الاستواء، وإرسالك إلى فرعون لأمضى فيه قدرى الذى ذبح أبناء بنى إسرائيل خوفا منه، ^٢ أجمت غير مستقدم ولا مستأخر ^{١٠} (بنموسى و اصطفتك) أي ربيتك بصنائع ^٣ المعروف تربة من يتكلف تكوين المربى على طريقة من الطرائق ^٢ (لنفسى ج) أي لتفضل من مرضاتى فى تمهيد شرائعى و إنفاذ أوامرى ما يفعله من يصنع للنفس من غير مشارك، فهو تمثيل لما حوله من منزلة التقريب و التكريم ^{١٠}.

فلما تمهد ذلك كله بعد علم نتيجه، أعادها فى قوله: (أذهب أنت) ١٥ كما تقدم أمرى لك به (و أخوك) كما سألت (بأيتى) التى أريتك

- (١) العبارة من هنا إلى « ليلة مظلمة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
 (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد فى الأصل: يصنعه، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: تمهيك - كذا .
 (٦) بهامش ظ: أعنى بها قوله: انرسلك إلى بعض المهيات المتضمن ذلك اذهب إلى فرعون .

وغيرها مما أظهره على يدك (ولا تنيا) أي تفترا أو تضعفا
 (في ذكرى) الذي تقدم أنك جملة غاية دعائك ، بل لتكن - مع
 كونه ظرفا محيطا بجميع أمرك - في غاية الاجتهاد فيه وإحضار القلب له ،
 وليكن أكثر ما يكون عند لقاء فرعون أن عبدي كل عبدي للذي
 يذكرني عند لقاء قرنه^٢ ، فان ذلك أعون شيء على المراد^١ ، ثم بين المذهب
 إليه بقوله ، مؤكدا لنفس الذهاب لانه لشدة الخطر لا يكاد طبع البشر
 يتحقق جزم الأمر به فقال^٣ : (اذهباً الى فرعون) ثم علل الإرسال
 إليه بقوله ، مؤكدا لما مضى ، و لزيادة التعجب من قلة عقله ، فكيف
 بمن^٤ تبعه (انه ظفني عليه) ثم أمرها بما ينبغي لكل أمر بالمعروف من الأخذ
 بالأحسن فالأحسن والأسهل فالأسهل ، فقال مسيياً عن الانتهاء إليه
 و معقبا^٥ : (فقولاً له قولاً لنا) لثلا يبقى له حجة ، و لا يقبل له معذرة
 (لعله يتذكر) ما مر له من^٦ تطوير الله [له - ٧] في أطوار مختلفة .
 و حمله فيما^٨ بكره على ما لم يقدر على الخلاص منه بحيلة ، فيعلم بذلك أن
 الله ربه ، و أنه قادر على ما يريد منه ، فيرجع عن غيئه فيؤمن^٩
 (أو يخشى) أي أو يصل إلى حال من يخاف عاقبة قولكما^{١٠} التوهم الصدق

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) بهامش ظ : حديث سبكه ؟ الشيخ .
 (٣) العبارة من هنا إلى « بمن تبعه » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفي الأصل :
 من (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : تبني (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : في .
 (٧) زيد من ظ ومد (٨) في مد : على ما (٩) سقط من ظ (١٠) العبارة من
 هنا إلى « بنى إسرائيل » ساقطة من ظ .

[فيكون قولكما تذكرة له -^١] فيرسل معكما بنى إسرائيل ، ومعنى الترجي أن يكون حاله حال من يرجى منه ذلك ، لأنها من ثمرة اللين في الدعاء ، جرى الكلام في هذا وأمثاله على ما يتعارفه العباد في محاوراتهم ، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون ، فالمراد : اذهبا^٢ أتيا على رجائكما^٣ وطمعكما ومبلغكما من العلم ، وليس لها أكثر من ذاما لم يعلما ، ه أما عليه تعالى فقد أتى من وراء ما يكون - قاله سيويوه في باب من النكرة يجرى مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والأسماء .

ولما كان فرعون في غاية الجبروت ، وكان حاله حال من يهلكها

إلا أن يمنعهما الله ، وأرادا علم ما يكون من ذلك ﴿ قالوا ربنا ﴾ أى

أيها المحسن إلينا .^٤ ولما كان مضمون إخبارهما [بالخوف - مع -^١] ١٠

كونهما^٥ من جهة الله^٥ - من شأنه أن لا يكون وأن ينكر ، أكدا فقلا مبالغين فيه باظهار النون الثالثة إبلاغا في إظهار الشكوى لياتى الجبر

على قدر ما يظهر من الكسر : ﴿ اتناخاف ﴾ لما [هو -^٦] فيه من

المكنة ﴿ ان يفرط ﴾ أى يعجل ﴿ علينا ﴾ بالعقوبة قبل إتمام البلاغ

^٥ عجلة من يظفر و يثب إلى الشيء^٥ ﴿ او ان يطفىه ﴾ فيتجاوز / إلى أعظم ١٥ / ٤٥٥

عما هو فيه من الاستكبار ﴿ قال لاتخافا ﴾ ثم علل ذلك بما هو مناط النصر

والحيطة للولى : الإهلاك للعدو ، فقال^٧ مؤكدا إشارة إلى عظم الخبر^٧ ،

(١) زيد من مد (٢) من ظ ومد وكتاب - سيويوه : ١٦٧/ ، وفي الأصل : هنا .

(٣) من ظ ومد والكتاب ، وفي الأصل : رجالكما (٤) العبارة من هنا إلى ه من

الكسرة ساقطة من ظ (ه-ه) ما بين الرقنين يياض في الأصل ملأناه من هـ .

(٦) زيد من ظ ومد (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .

و تنيها لمضمونه لأنه خارج عن العوائد^١، و أثبت النون الثالثة على وزان تأكيدهما^٢: (انى معكآ) لا أغيب كما تغيب الملوك إذا أرسلوا رسلهم (اسمع و ارى) أى لى هاتان الصفتان^٣، لا يخفى على شيء من حال رسولى ولا حال عدوه، و أنما تعلمان من قدرى ما لا يعلمه غيركما .

ولما تمهد ذلك، تسبب عنه تعليمها^٤ ما بقولان، فقال مؤكدا للذهاب أيضا لما مضى^٥: (فاتيه فقولا) أى له؛ و لما كان فرعون^٦ ينكر ما تضمنه قولها، أكد سبحانه فقال: (انى) و لما كان التنيه على معنى المؤازرة هنا - كما تقدم - مطلوباً، نى فقال: (رسولا ربك) الذى رباك فأحسن تربيتك بعد أن أوجدك من العدم، إشارة إلى تحقيره بأنه من جملة عبيد مرسلها^٧ تكذيباً له فى ادعائه الربوبية؛ ثم سبب [عن -^٨] إرسالكما إليه قولكما: (فارسل معنا) عبيده (بنى إسرائيل) ليعبده، فانه لا يستحق العبادة غيره (ولا تعذبهم) بما تعذبهم به من الاستخدام و التذيع؛ ثم علل دعوى الرسالة بما يثبتها، فقال مفتتحاً بحرف التوقع لأن حال السامع لادعاء الرسالة أن يتوقع دلالة على الإرسال: (قد جئتكم بآية) أى علامة عظيمة و حجة و برهان

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢-٢) ما بين الرقين ياض فى الأصل ملآنه من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تعالها (٤) العبارة من هنا إلى « سبحانه فقال » ساقطة من ظ (٥) سقط من مد (٦) تقدم فى الأصل على « و لما كان فرعون » و الترتيب من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: من أرسلها . (٨) العبارة من هنا إلى « قولكما » ساقطة من ظ (٩) زيد من مد .

(من ربك) الذي لا إحصاء عليك إلا منه ، موجبة لقبول ما ادعياه من العصي واليد وغيرهما ، فأسلم تسلماً ، وفي تكبر مخاطبته بذلك تأكيداً لتبكيته في ادعاه الربوبية ، ونسبته إلى كفران الإحصاء . فسلام عليك خاصة إن قبلت هدى الله (و السلام) أي جنسه (على) جميع (من اتبع) بغاية جهده (الهدى) عامة ، وإذا كان هذا الجنس عليهم كان من المعلوم أن العصب على غيرهم ، فالمعنى : [و -] إن آيت عذبت (أنا) أي لآنا (قد أوحى النبا) من ربنا (إن العذاب) أي كله ، لأن اللام للاستغراق أو الماهية . وعلى التقديرين يقتضى قدر ثبوت هذا الجنس و دوامه لما تفهمه التسمية (على) كل (من كذب و تولى) أي أوقع التكذيب والإعراض ، وذلك ١٠ يقتضى أنه إن كان منه شيء على مصدق كان منقضاً ، وإذا انقضى كان كأنه لم يوجد . وفي صرف الكلام عنه تنبيه على أنه ضال مكذب أو تعليم للأدب .

ولما كان التقدير : فآتيه فقولا : إنا رسولا ربك - إلى آخر ما أمرا به ، و تضمن قولهما أن لرسلهما القدرة التامة والعلم الشامل ، ١٥ فتسبب عنه سؤاله عن تعيينه ، استأنف الإخبار عن جوابه بقوله : (قال) أي فرعون مدافعاً لها بالمناظرة لا بالبطش ، لئلا ينسب إلى

(١ -) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : بيان لقوله « آية » أي التي هي العصي واليد وغيرهما (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : واسلم (٤) من ظ ، وفي الأصل : تأكيداً ، وفي مد : تذكير (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : والمعنى (٦) زيدت الواو من ظ و مد .

السفه والجهل^١: ﴿فنح^٢ أي تسبب عن^٣ كلامكما هذا الذي لا يجترئ
على مواجهتي به أحد من أهل الأرض أن أسألكما: من ﴿ربكما﴾
الذي أرسلكما، ولم يقل: ربى، حيدة عن سواء النظر، و«صرفا للكلام»
على الوجه الموضح لحزبه.

/ ٤٥٦

٥ ولما كان موسى عليه السلام هو الأصل في ذلك، وكان ربما طمع
فرعون بمكره وسوء طريقه في حبة تحصل في لسانه، أفردته بقوله:
﴿ي موسى﴾ قال له موسى «أعلى القورا»: ﴿ربنا﴾ أي موجودنا ومرينا
ومولانا ﴿الذى اعطى كل شيء﴾ مما تراه في الوجود ﴿خلقه﴾ أي
ما هو عليه مما هو به أليق^٤ في المنافع المنوطة به، والآثار التي تتأثر
١٠ عنه من الصورة والشكل والمقدار واللون والطبع، وغير ذلك مما
يقوت الحصر، ويحل عن الوصف.

ولما كان في إفاضة الريح من الجلالة والعظم ما يضمنحل عنده
غيره من المفاوطة^٥، أشار إلى ذلك بحرف التراخي فقال: ﴿ثم هدى﴾
أي كل حيون منه^٦ مع أن فيها لعاقل وغيره إلى جميع منافعه فيسعى لها،
١٥ ومضاره فيحذرهما، فثبت بهذه المفاوطة والمفاصلة^٧ مع اتحاد نسبة الكل
إلى الفاعل أنه واحد مختار، وإن ذلك لو كان بالطبيعة المستندة إلى
النجوم أو غيرها كما كان يعتقد فرعون وغيره لم يكن هذا التفاوت

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «أسألكما من» - نقطة
من ظ (٣) من مد، وفي الأصل: من (٤-٤) من ظ ومد، وفي الأصل:
صرف الكلام (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: المفارقة (٦) بهامش ظ:
الضمير في «منه» يرجع إلى «كل شيء» (٧) من ظ ومد، وفي الأصل:
لمفاوطة.

ولما لم يكن لأحد بالطن في هذا الجواب قبل لأنه لا زلل فيه
ولا خلل - امع رشاقته و احتصاره وسبقه بالجمع إلى غاية مضاهاة - صرف
الكلام عنه بسرعة خوف من الاتضاح، بزيادة موسى عليه السلام في الإيضاح .
فيظهر الفساد من الصلاح . إلى شيء يتسع فيه المجال ، ولا يقوم عليه دليل ،
فيمكن فيه الرد ، فأخبر عنه سبحانه على طريق الاستئناف بقوله : هـ
(قال فما) أى تسبب عما تضمن هذا من نسبة ربك إلى العلم بكل موجود
أنى أقول لك : فما (بال) أى خبر (القرون الاولى) الذى هو
في العظمة بحيث أنه ما خالط أحدا إلا أحاله وأماله - [١] ، وهو وإن
كان حيدة . هو من أمارات الانقطاع ، غير أنه فعل راسخ القدم في
المكر والخذاع .

١٠

ولما فهم عنه موسى عليه السلام ما أراد أن ترتب على الخوض
في ذلك مما لا طائل تحته من الرد والمطالبة . ولم تكن التوراة نزلت
عليه إذ ذاك . وإنما نزلت بعد ملاك فرعون لم يمش معه في ذلك
(قال) قاطعاً له عنه : (علمها عند رى) أى المحسن إلى بارسالى
و تلقى الحاجج .

١٥

ولما كانت عدة المخلوقين إثبات الأخبار في الكتب . وكان تعالى
قد وكل بعباده من ملائكته من يضبط ذلك . قال محاضراتهم بما يعرفون
من أحوالهم : (في كتب ج) أى اللوح المحفوظ . ولما كان ربما وقع
(١-١) آخر ما بين الرقيين في الأصل عن « في ذلك » س ١٢ و ترتيب من
مد (٢-٢) في ظ : أن (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : ما (٤) زيد من مد .
(٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) بهامش ظ : قوله : من ملائكته - متعلق
ببضبط مقدم عليه و من للتمييز .

في وهم وإم أن تكتاب لا يكون بلاخوفا من نسيان الشيء أو الجهل
 بالتوصل إليه مع ذكر عينه ، فني ذلك بقوله : (لا يضل ربي) أي الذي
 رباني كما علمت و بجاني من جميع ما قصدتموه لي من الهلاك ولم يضل عن
 وجه من وجوهه ، ولا نسي وجها يدخل منه شيء من خلل^١ (ولا يئس^٢)
 أي لا يقع منه نسيان لشيء أصلا من أخباره ولا اغي^٣ ، وفي ذلك^٤
 إشارة إلى تسكيت اليهود بأن ثبوت النبوة إن كان يتوقف على أن
 يخبر النبي عن كل ما يسأل عنه لزم أن يتوقفوا في نبوة نبيهم عليه
 السلام لأنه لم يخبر فرعون عما سأله عنه من أمر القرون ؛ ثم / وصل
 بذلك^٥ ما كان فيه قبل من الدليل العقلي على وحدة الصانع واختياره
 ١٠ فقال : (الذي جعل لكم) أيها الخلائق (الأرض) أي أكثرها (مهذا)
 تفرشونها ، وجعل بعضها جبالا لا يمكن القرار عليها ، وبعضها رخوا
 تسرح فيه الأقدام وبعضها جلدا - إلى غير ذلك مما تشاهدون فيها من
 الاختلاف (وسلك لكم فيها سبلا) أي سهل طرقا تسلكونها في أراضي
 سهلة و حزنه^٦ وسطها بين الجبال والأودية والرمال^٧ ، وهيا لكم فيها
 ١٥ من المنافع من المياه والمراعي ما يسهل ذلك^٨ ، وجعل فيها ما لا يمكن
 استطراره أصلا . مع أن نسبة الكل إلى الطبيعة واحدة ، فلولا أن الفاعل
 واحد مختار لم يكن هذا التفاوت وعلى هذا النظم البديع
 (و أنزل من السماء ماء) تشاهدونه واحدا في اللون والطعم .
 ولما كان ما ينشأ عنه أدل على العظمة وأجلى للناظر وأظهر للعقول .

/ ٤٥٧

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ : أي قوله : لا يضل ربي
 ولا يئس (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل « و » ، و بين سطرى ظ : بيان للمنافع .
 (٤) بين سطرى ظ : أي السلوك في هذه (٥) بهامش ظ : الضمير يرجع إلى الأرض .

استغرق^١ صلى الله عليه وسلم في بحار الجلال ، فاستحضر أن الأمر له بهذا الكلام هو المتكلم به في الحقيقة فانياً^٢ عن نفسه وعن جميع الأكوان ، فعبر عن ذلك^٣ ، عادلاً عن الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع بما له من العظمة بقوله : (فاخرجنا)^٤ أي بما لنا من العظمة التي تنقاد لها الأشياء المختلفة^٥ (بـ أزواجاً) [أي -°] أصنافاً متشاكلة ليس فيها شيء يكون واحداً لا شبيه له^٦ (من نبات شتى^٧) أي مختلفة جداً في الألوان والمقادير والمنافع والطبائع والطعوم ؛ ثم أشار إلى تفصيل ما فيها من الحكمة بقوله^٨ أحالا من فاعل "أخرجنا"^٩ : (كلوا)^{١٠} أي ما دبره لكم بحكمته منها (وارعوا)^{١١} أي سرحوا في المراعى^{١٢} (انعامكم^{١٣}) ما أحكمه لها ولا يصلح لكم ، فكان من متقن تدييره أن جعل أرزاق العباد بعملها^{١٤} ١٠ تنعياً لهم ، وجعل علفها مما يفضل عن حاجتهم ، ولا يقدرون على أكله^{١٥} ، وقد دلت هذه الأوصاف على تحققه سبحانه قطعاً بأنه لا يضل ولا ينسى من حيث أنه تعالى أبداع هذا العالم شاملاً لكل ما يحتاجه من^{١٦} فيه^{١٧} لما خلقهم له^{١٨} من السفر إليه والعرض عليه في جميع تقلباتهم على اختلافها ، وتباين أصنافها ، وتباين أوصافها ، وعلى كثرتهم ، ١٥ وتناهي أمرجتهم ، ولم يدعه ناقصاً من شيء من ذلك بخلاف غيره ،

(١) بهامش ظ : قول المفسر سبحانه الله ولا تأخذه ، استغرق صلى الله عليه وسلم - إلى أن قال : فعبر عن ذلك ، فيه نظراً ، ويتلوه تعقيب مطول لا يقيد القلم أسوه الخط (٢) بهامش ظ : قوله « فانياً » هو حال من الضمير في « استغرق » أي استغرق حال كونه فانياً (٣) بين سطرى ظ : أي الاستطراق في . . . الجنة . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦-٦) يياض في الأصل ملأناه من مد (٧-٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : لكل ما خلقه لهم و خلقه له .

فانه لو عمل شيئا واجتهد كل الاجتهاد في تكيله فلا بد أن يظهر له فيه نقص و بصير يسعى في إزالته وقتا بعد وقت .

ولما كمل هذا البرهان القويم ، والاعلى العليم الحكيم ، قال منها على انتشار أنواره ، و جلاله مقداره ، مؤكدا لأجل إنكار المنكرين^١ :
 (ان في ذلك) أى الإنشاء على هذه الوجوه المختلفة (لأيت) على منشه
 (لاولى النهى) أى العقول التى من شأنها أن تنهى صاحبها عن الفى ،
 و من عمى عن ذلك فلا عقل له أصلا ، لأن عقله لم ينفعه ، و ما لا ينفع في حكم العدم ، و ذكر ابن كثير هنا ما عزاه ابن إسحاق في السيرة^٢ لزيد بن عمرو بن نفيل ، و ابن هشام لامية بن أبى الصلت^٣ :

١٠. و أنت الذى من فضل من^٤ و رحمة بعثت إلى موسى رسولا ناديا
 ققلت^٥ ألا يا اذهب و هارون فادعوا إلى الله فرعون الذى كان باغيا^٦
 فقولا له أنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت^٧ كما هيا
 و قولا له أنت رفعت هذه بلا عمد أرفق إذن بك بانبا
 و قولا له أنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنه الليل هاديا
 ١٥ و قولا له من^٨ يخرج الشمس بكرة^٩ فيصبح ما مست من الزرع ضاحيا
 و قولا له من نبت الحب فى الثرى فيخرج^{١٠} منه البقل يهتز رايا
 و يخرج منه حبه فى رؤسه و فى ذاك آيات لمن كان واعيا

و لما أخبر سبحانه و تعالى عما خلق فى الأرض من المنافع الدالة

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) ٧٧/١ و ٧٨ (٣) زيد فى الأصل : فقال هذه الآيات ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد مخدفاها (٤-٤) فى ظ : له يا ، و فى السيرة : له - كذا (٥) فى السيرة : طغيا (٦) فى السيرة : اطمانت (٧-٧) فى السيرة : يرسل الشمس غدوة (٨) فى السيرة : فيصبح .

على تمام علمه [و باهر قدرته ، على وجه دال على خصوص القدرة على
البعث -^١] ، وكان من الفلاسفة تناسختهم و غيرهم من يقر الله بالوحدانية
و لا يقر بقول أهل الإسلام : إن الروح جسم لطيف سار في الجسم
سريان النار في الفحم ، بل يقول : إنها ليست بجسم و لا قوة في جسم
و لا صورة لجسم و ليست متصلة به اتصال انطباع و لا حلول فيه ، بل
اتصال تدبير و تصرف ، و أنها إذا فارقت البدن اتصلت بالروحانيين من
العالم العقلي الذي هو عالم المجردات و انخرطت في سلك الملائكة المقربين ،
أو اتصلت ببعض الأجرام السماوية من كوكب أو غيره كاتصالها بالبدن
الأول و انقطع تعلقها به فلم تعد إليه حتى و لا يوم البعث عند من
يقول منهم بالحشر -^٢] ، وصل بذلك قوله [تعالى ، يرد عليهم ، معبرا ١٠
بالضمير الذي يعبر به عن الهيكل المجتمع من البدن و النفس -^٢] : (منها)
[أي الارض لا من غيرها -^٢] (خلقنكم) إذ أخرجناكم منها ^٢ بالعظمة
الباهرة ^٢ في النشأة الأولى بخلق أيكم آدم عليه السلام (و فيها) [لا في
غيرها كما أنتم كذلك تشهدون -^٢] (نعيدكم) بالموت [كذلك
أجساما و أرواحا -^٢] ، فتصرون ترابا كما كنتم ، [وللروح مع ذلك ١٥
و إن كانت في عليين تعلق يديها بوجه ما ، يدرك البدن به اللذة
بالتذاذها و الألم بتألمها ، و قد صح أن الميت يقعد في قبره و يجب سؤال
الملكين عليهما السلام -^٢] ، لا يقدر أحد منكم أن يخلص من تلك العظمة

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣-٣) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : لم ، و العبارة من هنا إلى « بدقيق
حكته » ساقطة من ظ .

المحيطة بجميل عظمته ولا بدقيق حكته (ومنها) [لامن غيرها - ١]
 (نخرجكم) يوم البعث^٢ بتلك العظمة بعينها^٣ (تارة اخرى) كما بدأناكم
 [أول مرة - ١] مثل ما فعلنا في النبات سواء، فقد علم أن هذا فعل
 الواحد المختار، لا فعل الطبايع، فرة جعلكم أحياء من شيء ليس له أصل
 ٥ في الحيوانية أصلاً، وكرة^٤ رددكم إلى ما كنتم عليه قبل الحياة تراباً لا روح
 فيه ولا ما يشبهها، فلا ريب أن فاعل ذلك قادر على أن يخرجكم منها
 أحياء كما ابتدأ ذلك، بل الإعادة أهون في مجارى العادة .

ولما كان ما ذكر^٥ مما علق^٥ بالأرض من المرافق^٥ وغيره على
 غاية من الوضوح، ليس وراءها مطمح، فكان المعنى: أرينا فرعون هذا
 ١٠ الذى ذكرنا لكم من آياتنا وغيره، وكان المقام لتعظيم القدرة، عطف
 عليه^٦ قوله: (ولقد اربئته) أى بالعصى واليد وغيرهما^٧ مما تقدم
 من مقتضى عظمتنا^٨ (أيتنا) [أى التى عظمتها من عظمتنا - ١]
 (كأيا) [بالعين والقلب - ١] لأن من قدر على مثل ذلك فهو قادر
 على غيره من أمثاله من خوارق العادات، لأن الممكنات بالنسبة إلى
 ١٥ قدرته على حد سواء، لاسيما والذى ذكر أمهات الآيات كما سيؤما

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و مد، فى
 الأصل: مرة (٤) العبارة من هنا إلى «غيره» ساقطة من ظ (٥-٥) من مد، وفى
 الأصل: من الأرض من المناق (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: عليها .
 (٧) العبارة من هنا إلى «مقتضى عظمتنا» ساقطة من ظ (٨) من مد، وفى الأصل:
 عظمته .

إليه 'إن شاء الله تعالى' في سورة الأنبياء ﴿فكذب﴾ أي بها ﴿زانة﴾ أي أن يرسل نبي إسرائيل؛ وهذا أبلغ من تعديد ما ذكر في الأعراف، فكأنه قيل: كيف صنع في تكذيبه وإبائه؟ فقيل: ﴿قال﴾ حين لم يجد مطعنا محيلا للقط^٢ بما يثيرهم^٣ حية لأنفسهم لأنه علم حقيقة ما جاء به موسى و ظهوره، و تقبل العقول له، تخاف أن يتبعه الناس و يتركوه، ووهن^٤ في نفسه و هذا عظيما بتأمل كلماته مفردة و مركبة يعرف مقداره: ﴿اجتئنا لتخرجنا من أرضنا﴾ هذه التي نحن مالكوها ﴿بسحرك يموسى^٥﴾ ثقيل إلى أتباعه أن ذلك سحر، فكان ذلك - مع ما الفوه من عاداتهم في الضلال^٦ - صار فالهم^٧ عن اتباع ما رأوا من البيان، ثم وصل به بالفاء السبية قوله 'مؤكدنا إيدانا بعله أن ما أتى به ١٠ موسى ينكر كل من يراه أن يقدر غيره على معارضته': ﴿فلناتينك﴾ أي^٨ [و الإله الأعظم -]^٩ 'بوعد لاخلف / فيه' ﴿بسحر مثله﴾ تأكيذا 'لما خيل به'؛ ثم أظهر النصفة و العدل إثاقا لربط قومه فقال: ﴿فاجعل بيننا و بينك موعدا﴾ أي من الزمان و المكان ﴿لانخلفه﴾ أي لا نجعله خلفنا ﴿نحن و لآنت﴾ بأن تقعد عن إتيانه . ١٥ و لما كان كل من الزمان و المكان لا ينفك عن الآخر قال: ﴿مكانا﴾ و آثر ذكر المكان لأجل وصفه بقوله: ﴿سوى﴾ أي

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢-٢) من ظ . وفي الأصل: بما يغيرهم،
 وفي مد: كما يثيرهم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: حقيقة (٤) بهامش ظ:
 أي فرعون (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الضلالة (٦) من ظ و مد، وفي
 الأصل: الكم (٧) سقط من ظ و مد (٨) زيد من مد .

عدلا بينا ، لاجرج على واحد منا في قصده أزيد من حرج الآخر ،
فانظر هذا الكلام الذي زوقه وصنعه^١ ونمقه فأوقف به قومه عن السعادة
واستمر يقودهم بأمثاله حتى أوردتهم البحر فأغرقهم ، [مم - ٢] في غمرات
النار أحرقتهم ، فعلى الكيس الفطن أن يتقد الأقوال والأفعال ، والحواطر
• والأحوال ، ويعرضها على محك الشرع : الكتاب^٢ والسنة ، فما وافق
لزمه وما لا تركه .

ولما كان مجتمع سرورهم الذي اعتادوه حاويا لهذه الأغراض
زمانا ومكانا وغيرهما ، اختاره عليه السلام [لذلك - ٣] ، فاستوقف الخبر
عه في قوله تعالى^٤ : ﴿ قال موعدهم ﴾ أي الموصوف ﴿ يوم الزينة ﴾^٦ أي
١٥ عيدكم^٦ الذي اعتدتم الاجتماع فيه في المكان الذي اعتدتموه ، فأثر هنا
ذكر الزمان وإن كان يتضمن المكان لما فيه من عادة الجمع كما آثر فيما
تقدم المكان لوصفه^٧ بالعدل ﴿ وان يحشر ﴾ [بناء - ٤]^٦ للفعل لأن
القصد الجمع ، لا كونه من معين^٦ ﴿ الناس ﴾^٨ [أي إغراء ولو بكره - ٤]
﴿ ضحى ﴾^٩ ليستقبل النهار من أوله ، فيكون أظهر لما يعمل وأجلى ،
١٥ ولا يأتي الليل إلا وقد قضى الأمر . وعرف المحق من المبطل ، وأنتم
أجمع ما تكونون وأفرغ ، فيكل حد المبطلين وأشياعهم ، والمتكبرين^{١٠}

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : صنفه (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) العبارة من « اختاره » إلى هنا ساقطة من ظ (٦-٦) سقط
ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : لوصف (٨) تقدم في الأصل
على « بناء » والترتيب من مد (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : يستقبل ، وزيد
قبله في مد عبارة لا تتضح أصلا (١٠) العبارة من هنا إلى « الوبر والمد »
ساقطة من ظ (١١) من مد . وفي الأصل : المنكرين .

على الحق و أتباعهم، و يكثُر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدر
 و حضر، و يشيع في جميع أهل الورد و المدر (قول فرعون) عن
 موسى إلى تهية ما يريد من الكيد بعد توليه عن الاقياد لأمر الله
 (فجمع كيده) 'أى مكره و حيلته و خداعه'، الذى دبره على موسى
 بجمع من يحصل بهم الكيد، و هم السحرة، حشرهم من كل أوب^٢، ه
 و كان أهل مصر أسحر أهل الأرض و أكثرهم ساحرا، و كانوا في ذلك
 الزمان أشد اعتناء بالسحر و أمهر ما كانوا و أكثر (ثم أتى^٣) لليعاد
 الذى وقع القرار عليه بمن حشره من السحرة و الجنود و من تبعهم من
 الناس، مع توفر الدواعى على الإتيان للعيد، و النظر إلى تلك المذابة التى
 لم يكن مثلها.

١٠

و لما تشوف^٤ السامع إلى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك،
 استأنف سبحانه الخبر عنه بقوله: (قال لهم) 'أى لأهل الكيد و هم السحرة
 وغيرهم' (موسى) حين رأى اجتماعهم ناصحا لهم: (ويلكم) يا أيها
 الناس الذين خلقهم الله لعبادته (لا تقفروا) أى لا تعتمدوا أن تصنعوا
 استعلاء^٥ (على الله كذبا) يجعلكم آياته العظام الثابتة سحرا لاحقيقة ١٥
 له، و ادعائكم أن ما تخيلون به حق و ليس بخيال، 'و إشرأكم به'؛

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ادب.

(٣) العبارة من هنا إلى ه عنه بقوله، ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل:

تشوق (٥) فى ظ: خلقكم.

١ و سبب عنه قوله: ﴿ فيسحتكم ﴾ أى يهلككم؛ قال الرازى: و أصله الاستئصال ﴿ بعذاب ج ﴾ أى عظيم تظهر به خبتكم ﴿ و قد خاب ﴾ / كل ﴿ من اقترى ه ﴾ أى تعمد كذبا على الله أو على غيره ﴿ فتنازعوا ﴾ أى تجاذب السحرة ﴿ امرهم بينهم ﴾ لما سمعوا هذا الكلام، علمنا منهم بأنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمثله فى جميع جنوده و أتباعه لم^٢ يسلم منه [إلا -^٣] من الله معه ﴿ و اسروا النجوى ه ﴾ أى كلامهم^٤ الذى تناجوا به و بالغوا فى إخفائه، فان النجوى الإسرار، لثلا يظهر فرعون و أتباعه على عوارمهم^٥ [فى -^٦] اختلافهم الذى اقتضاه لفظ التنازع، فكأنه قيل: ما قالوا حين انتهى^٧ تنازعهم؟ [ف قيل -^٨]: ﴿ قالوا ﴾ أى السحرة بعد النظر و إجمالة^٩ الرأى ما خيلهم به فرعون تلقا منه و تقربا إليه بما ينفر الناس عن موسى و هارون عليهما السلام [و يبطهم عن اتباعهما و إن غلبا، لأنه لا ينكر غلبة ساحر على ساحر آخر^{١٠}]: ﴿ ان هذين ﴾ أى موسى و هارون . و قرئ: هذان - بالالف، على لغة من يجعل ألف المثنى لازما فى كل حال؛ قال أبوحيان^{١١}: و هى لغة لطوائف^{١٢} من العرب: بنى الحارث بن كعب و بعض كنانة و خثعم و زبيد و بنى العنبر

(١) - سقط ما بين ارقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل: اموره و، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ثم (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى « النجوى الإسرار » ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: الكلام (٧) بهامش ظ: خلائهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: انقضى (٩) بهامش ظ: لإدارة (١٠) زيد من مد (١١) فى النهر الماد من البحر المحيط ٢٥٠/٦ (١٢) من ظ و مد و النهر، و فى الأصل: طوائف .

و بنى الهجيم و مراد و عذرة . ﴿ لسحرن ﴾ لاشك في ذلك منها
 ﴿ يريدن ﴾ أى [بما - ١] يقولان من دعوى الرسالة و غيرها
 ﴿ ان يخرجكم ﴾ أيها الناس ﴿ من ارضكم ﴾ هذه التى أفتموها ، و هى
 وطنكم خلفا عن سلف ﴿ بسحرهما ﴾ الذى أظهره لكم و غيره .^٥

[و لما كان كل حزب بما لديهم فرحون قالوا - ٢] : ه
 ﴿ و يذها بطريقتكم ﴾ هذه السحرية التى تعتم فى تمهيدها ، و أفى فيها
 أسلافكم أعمارهم ، حتى بلغ أمرها العاية ، و بدينكم الذى به قوامكم
 ﴿ المثلى ه ﴾ أى ه التى هى أمثل الطرق ، فيكونا آثر بما يظهرانه منها عند
 الناس [منكم - ٦] ، و يصرفان وجوه الناس إليها عنكم^٧ ، و يبطل ما لكم
 بذلك من الأرزاق و العظمة عند الخاص و العام و غير ذلك من الأغراض .^{١٥}
 ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾^٧ أى لا تدعوا منه شيئا إلا جئتم به^٨ و لا تختلفوا تضعفوا
 ﴿ ثم اتوا ﴾ إلى لقاء موسى و هارون لمباراتهما ﴿ صفاج ﴾ أى متسابقين
 متساوين فى السباق ليستعلى أمركم عليهما فتفاحوا ،^٩ و الاصطفاف أهيب
 فى صدور الرائين .

و لما كان التقدير : [فن - ٢] أى كذلك [فقد - ٢] استعلى ، عطف ١٥

- (١) العبارة من إهنا إلى « و غيرها » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش
 ظ : تونه « و غيره » معطوف على « الذى » أو محله جر على الضد لمباراتهما - فانهم
 ذلك (٤ - ٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل نيب « و يذها » و الترتيب من مد .
 (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .
 (٨) العبارة من هنا إلى « محققا » ساقطة من ظ .

عليه قولهم 'محققا': (وقد فلع اليوم) في هذا الجمع الذي ما اجتمع
 مثله قط (من استعلى ه) أي غلب ووجد علوه، أي فعلوا ما تقدم
 و أتوا صفا، فلما أتوا^٢ وكانوا خبيرين بأن يقولوا ما ينفعهم في مناصبه
 موسى عليه السلام، استوفى الإخبار عنه بقوله تعالى^٣: (قالوا) أي
 ه السحرة منادين، لأن لين القول مع الخصم إن لم ينفع لم يضر:
 (يُموسى^٤ أما إن تلقى) ما معك مما تناظرنا به أولا (و أما إن نكون)
 أي نحن (أول من التى ه) ما معه (قال) أي موسى 'مقابلا لأدبهم
 [أحسن منه - ه] و لأنه فهم أن مرادهم الابتداء، و ليكون هو الآخر
 فيكون العاقبة بتسليط معجزته على سحرم فلا يكون بعدها شك: لا التى
 ١٠ أنا أولا (بل القواج) أنتم أولا، فانتهزوا الفرصة. لأن ذلك كان مرادهم
 بما أفهموه من تعبير السياق و التصريح بالأول، فألقوا (فاذا جالهم وعصيم)
 التى ألقوها (يخيل اليه) و هو صفينا [تخيلا مبتدئا - ه] (من سحرم)
 الذى كانوا [قد - ه] فأقوا به أهل الأرض (انها) لشدة اضطرابها
 (تسمى ه) / سعيًا. و إذا كان هذا حاله مع أنه أثبت الناس بصرا
 ١٥ و أنفذهم بصيرة فما ظنك بغيره! (فأوجس) أي أضمر بسبب ذلك.
 و حقيقته: أوقع راجسا أى خاطرا و ضميرا .

/٤٦١

(١) من مد، و فى الأصل: قواه (٢) بهامش ظ: و استفيد وجود أعلو
 من السين إذ هى تدل على الوجود (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٤) العبارة من هنا إلى «بعدها شك» ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من
 ظ و مد، و فى الأصل: فانتهز (٧) زيد من ظ و مد .

ولما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه ، فكان ربما فهم أنه أوقفه في نفس أحد غيره ، كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق ، فقال لذلك لا مراعاة الفواصل : (في نفسه) " أى خاصة " . [وقدّم ما المقام له و الاهتمام به فقال - ٢] : (خيفة موسى) مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر ، وللنظر إلى الطبع عبره بالنفس لا القلب مثلا .

ولما كان ذلك ، وكان المعلوم أن الله معه ، وأنه [جدير - ٢] بإبطال سحرهم ، استأنف الخبر عنه بقوله : (قلنا) [بما لنا من العظمة - ٢] : (لا تخف) من شيء من أمرهم ولا غيره ، ثم علل ذلك بقوله ، وأكده أنواعا من التأكيد لاقتضاء الحال [إنكار أن يغلب أحد ما ١٠ أظهروا من سحرهم لعظمه ٢] : (انك انت) [أى خاصة - ٢] (الاعلى) أى الغالب غلبة ظاهرة لاشبهة فيها (والحق) وأشار إلى يمن العصى وبركتها بقوله : (ما في يمينك) أى من هذه العصى التي قلنا لك أول ما شرفناك بالمناجاة " وما تلك يمينك بموسى " ثم أريناك منها ما أريناك (تلقف) بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك - بما ١٥ أشار إليه حذف التاء (ما صنعوا) [أى فعلوه بعد تدرب كبير عليه

- (١) في مد : لتقديم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد .
 (٤) العبارة من هنا إلى «عنه بقوله» ساقطة من ظ (٥-٥) من مد ، وفي الاصل :
 ولاغيرهم ، وسقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) في ظ : وحدك لاغيرك .
 (٧) سقط من مد .

و ممارسة طويلة - [١]: ثم على ذلك بقوله: ﴿انما﴾ [أى أن الذى - ١]
 ﴿صنعوا﴾ أى [٢ أن - ١] صنعهم [بما - ١] رأيت و هالدا - أمره .
 و لما كان المقصود تحقير هذا الجيش أفرد و نكر لتكبير
 المضاف و تحقيره فقال: ﴿كيد سحر﴾ أى كيد سحرى للاحقيقة له
 و لا ثبات، [سواء كان واحدا أو جمعا، و لو جمع لخيّل أن المقصود العدد،
 و لما كان التقدير - ١]: فهم لا يملحون، عطف عليه قوله: ﴿ولا يفلح السحر﴾
 أى هذا الجنس ﴿حيث أتى﴾ أى كيف ما سار و آتته [سلك - ١] فانه
 إنما يفعل ما للاحقيقة له . فامثل ما أمره به [ربه - ١] من إلقاء عصاه،
 فكان ما وعده به سبحانه من تلقفها لما صنعوا من غير أن يظهر عليها
 ١٠ زيادة فى تخن و لا غيره مع أن جبالهم و عصيهم كانت شيئا كثيرا،
 فلم كل من رأى ذلك حقيقته ١ و بطلان ما فعل السحرة، فبادر السحرة
 منهم إلى الخضوع لأمر الله ساجدين مبادرة من كأنه ألقاه ملق ١ على
 وجهه، و لذلك قال تعالى بعد أن ذكر مكرهم و اجتهدهم فى معارضة
 موسى عليه الصلاة و السلام [و - ١] حذف ذكر الإلقاء و ما سببه من

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « و تحقيره فقال » ساقطة من ظ .
 (٣) فى مد و (٤) زيد بعده فى الأصل : لكتب ، و لم تكن الزيادة فى مد
 لخدمتها (٥) من مد ، و فى الأصل : تكبير (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٧-٧) ما بين الرقيين سقط من ظ و تقدم فى الأصل على « فهو » ، و الترتيب
 من مد (٨) تأخر فى الأصل عن « سلك » و الترتيب من مد (٩) زيد من ظ
 و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقة (١١) فى ظ : احد .

التلقف لأن مقصود السورة القدرة على تليين انقلوب القاسية :
 ﴿فالتقى السحرة﴾ أى فألقاهم ما رأوا من أمر الله بعبادة السرعة و بأسر
 أمر^١ ﴿سجدا﴾ على وجوههم : قال الأصمعي : سبحان الله ! ما أعظم
 شأنهم ! ألقوا حياهم و عصيهم للكفر و الجحود . ثم القوا رؤسهم بعد
 ساعة للشكر و السجود : فما أعظم الفرق بين الإلفائين^٢ . فكان قائلا ه
 قال : هذا فعلهم فما قالوا ؟ فقليل : ﴿قالوا آمنا﴾ أى صدقنا .

ولما كان سياق هذه السورة مقتضيا لتقديم هارون عليه السلام
 قال : ﴿رب هرون و موسى﴾ بشارة للنبي صلى الله عليه و سلم بأنه
 سبحانه لا يشقيه بهذا القرآن بل يهدى الناس [١٥ - ١٠] و يذلهم له ،
 فيجعل العرب على شماعتها^٣ أذل شيء / لوزرائه و أنصاره و خلفائه ١٠ / ٤٦٢
 وإن كانوا أضعف الناس ، و قبائلهم أقل القبائل ، مع ما فى ذلك من
 الدليل على صدق إيمانهم و خلوص ادعائهم بتقديم الوزير المترجم ترقيا
 فى درج المعرفة بمن أرسل ذلك إليهم إلى من أمره بذلك ثم إلى من
 أرسله شكرا للنعمين بالتدريج ، لا شكر الله من لم يشكر الناس ، و هذا
 لما أوجب تقديمه هنا لا لهذا فقط . و ذكروا اسم الرب إشارة إلى أنه ١٥
 سبحانه أحسن إليهما بأعلاء شأنهما على السحرة ، و على من كانوا يقرون له
 بالربوبية . و هو فرعون الذى لم يغب عنهم شيئا ، فكانوا أهل النهار سحرة ،
 و آخره شهداء بررة ، و هذه الآية فى أمثالها من آى هذه السورة

(١) العبارة من « بعد أن » إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من
 ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : سماعتها (٥) فى مد : لا (٦) بهامش ظ : =

و غيرها مما قدم فيه ما يقادر ان حقه التأخير و بالعكس لانحاء^١ من المعاني دقيقة ، هي التي حملت بعض من لم يرسخ إلى أن يقول : إن القرآن يراعى الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب السجع ، و تبعه جمع من المتأخرين تقليداً ، و قد عاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك^٢ حين قال « سجع كسجع الجاهلية » أو قال : الكهان ، و قد علم مما ذكرته أن المعنى الذي بنيت عليه السورة ما كان ينظم إلا بتقديم هارون ، و يؤيد ذلك أنه قال هنا « انا رسولاً » و في الشعراء « رسول » ، و قد قال الإمام نجرالدين الرازي كما حكاه عنه الشيخ أبو حيان في سورة فاطر من النهر^٣ : لا يقال في شيء من القرآن : إنه قدم أو أخر لأجل السجع ، لأن

١٠ معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ ، بل فيه و في المعنى ، [و -] قال القاضي أبو بكر الباقلاني^٤ في كتاب إيجاز القرآن : ذهب أصحابنا^٥ كلهم إلى نفي السجع من القرآن و ذكره^٦ أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه ، ثم رد على مخالف بان قال : و الذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم ، لأنه قد يكون تكلام على مثال السجع و إن لم يكن سجعا لأن

— و مراد الشيخ بالشهداء ايس المتولين لما ينص عليه بعد ، بل هؤلاء بمنزلة الشهداء في العلو و الرفعة فليعلم ذلك .

(١) بين سطرى ظ : نوجوه (٢) بين سطرى ظ : أى السجع (٣) اللاد من البحر المحيظ ، و بهامش ظ : قوله « من النهر » المضاف إليه . . . سورة أى سورة فاطر هو النهر - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ابن القاسم البصرى ثم البغدادى المتوفى سنة ٤٣٤ هـ - راجع معجم المؤلفين ١٠٩/١٠ .

(٦) بين سطرى ظ : أى الأشاعرة (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : ذكر .

السجع

في هذا الموطن ، وهذا على عادته في تحييل أتباعه فيما يوقفهم عن اتباع الحق .

ولما خيلهم ، شرع يزيدهم حيرة بتهديد السحرة فقال : ﴿ فلا قطعن ﴾

٥ أي بسبب ما فعلتم ^٢ ﴿ ايديكم ﴾ على سبيل التوزيع ﴿ وارجلكم ﴾ أي من كل يدا ورجلا ^٣ ﴿ من خلاف ﴾ فإذا قطعت اليد اليمنى قطعت الرجل اليسرى ﴿ ولا وصلينكم ﴾ [وعر عن الاستعلاء بالظرف إشارة

إلى تمكينهم من المصلوب فيه تمكين المظروف في ظرفه فقال - ^٤] :

﴿ في جذوع النخل ^٥ تبشيعا لقتلكم ردعا لامثالكم ﴾ [وتلعن ايتنا]

أنا ورب موسى الذي قال : إنه أوحى إليه أن العذاب على من كذب ١٠ وتولى ﴿ اشد عذابا وابقه ﴾ ^٦ أي من جهة العذاب ، أي أيتنا عذابه

أشد واطول زمانا ^٧ .

ولما علموا ما خيل به على عقول الضعفاء . فهوهم ^٨ [فأخبر تعالى

عن ذلك بقوله مستأفيا - ^٩] : ﴿ قالوا لن نؤترك ﴾ أي [نقدم اترك - ^٩]

بالاتباع [لك - ^٩] انسلم من عذابك الزائل ﴿ على ما جاءنا ^{١٠} ﴾ به

١٥ موسى عليه السلام ^{١١} ﴿ من البيئت ﴾ التي عايناهما وعلينا أنه لا يقدر

أحد على مضاهاتها . ولما بدأوا بما يدل على الخالق [من الفعل - ^{١٢}]

الخارق . ترفوا إلى ذكره بعد معرفته بفعله ، إشارة إلى على قدره فقالوا :

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : تهديد (٢-٣) سقط ما بين الرئين من ظ .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : رجل (٤) زيد من مد (٥) زيد في ظ : بأن .

(٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ ، وفي مد : أي على لسان موسى عليه السلام .

(٧) زيد من ظ و مد .

(و الذى) أى و لا تؤثرك بالاتباع على الذى (فطرنا) أى ابتداء خلقنا، إشارة إلى شمول 'ربوبيته سبحانه' و تعالى لهم وله^٢ و لجميع الناس، و تنيها على^٣ عجز فرعون^٣ عند من استحقه، و فى جميع أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة و إشارة و تحقير فرعون أمر عظيم .

و لما تسبب عن ذلك أنهم لا يبالون به . علما بأن ما فعله فهو ه
 باذن الله، قالوا: (فاقض ما) أى فاصنع فى حكمك الذى (انت قاض)
 ثم عللوا ذلك بقولهم: (انما تقضى) أى تصنع بنا ما تريد
 [إن قدرك الله عليه -^٤] (هذه الحيوة الدنيا) أى إنما حكمك^٥ فى مدتها^٥
 على الجسد خاصة، فهى ساعة تعقب راحة^٦، و نحن لا نخاف إلا من
 يحكم على الروح و إن فنى الجسد، فذاك هو الشديد العذاب، الدائم الجزاء ١٠
 بالثواب^٧ أو العقاب، [و اعلمهم أسقطوا الجار تنزلا إلى أن حكمه لو فرض
 أنه يمتد إلى آخر الدنيا لكان أهلا لأن لا يخشى لأنه زائل و عذاب
 الله باق -^٤] . ثم عللوا تعظيمهم لله و استهانتهم بفرعون بقولهم:
 (أنا آمانا بربنا) أى المحسن إلينا طول أعمارنا^٨ مع إساءتنا بالكفر و غيره
 (ليغفر لنا) [من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك -^٩] ١٥

(١-١) فى ظ و مد: ربوبية الله (٢) بين سطرى ظ: فرعون (٣-٣) فى ظ: عجزه،
 و بين - طويه: فرعون (٤) زيد من مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: دارحة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل:
 بان الثواب (٨) من ظ و مد و فى الأصل: الاعمار .

(خطيتنا) التي قابلتنا بها إحسانه؛ ثم خصوا بعد العموم فقالوا:
 (وما أكرهتنا عليه) [ويفنوا ذلك بقولهم - ١]: (من السحر) ^٥
 لتعارض به المعجزة، فانه كان الأكل لنا عضيانك فيه لأن الله أحق بأن
 يبقى. روى أن الذي كان من القبط من السحرة اثنان فقط، والباقيون
 من بني إسرائيل. أكرههم فرعون على تعلم السحر، وروى أنهم رأوا
 موسى عليه السلام قائماً، وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون: إن الساحر إذا
 نام بطل سحره، فهذا لا يقدر على معارضته، فأبى عليهم وأكرههم
 على المعارضة.

[ولما كان التقدير: فربنا أهل التقوى وأهل المغفرة، عطفوا
 ١٠ عليه مستحضرين لكماله - ١]: (والله) أي الجامع لصفات الكمال
 (خير) جزاء منك فيما وعدتنا به (وابقى) ثواباً وعقاباً،
 والظاهر أن الله تعالى سلهم من فرعون، ويؤيده قوله تعالى "انما
 ومن اتبعكما الغلبون" - قاله أبو حنيفة. [وسأني في آخر الحديد ما
 هو صريح في نجاتهم - ٢]؛ ثم عللوا هذا الختم بقولهم: (انه من يات ربه)
 ١٥ أي الذي ربه وأحسن إليه بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه
 (مجرماً) أي قاطعاً ما أمره به أن يوصل (فان له جهنم) / دار الإهانة
 (لا يموت فيها) أبداً مع شدة عذابها. بخلاف عذابك الذي [إن - ٣]

/ ٤٦٤

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى
 «على المعارضة» ساقطة من ظ (٤) في مد: قائماً (٥-٥) من مد، وفي الأصل:
 لا ينبغي (٦-٦) - فقط ما بين الرهين من ظ (٧) من ظ ومد، وفي الأصل:
 قال (٨) في البحر المحيط ٢٦٢/٦ (٩) تكرر في الأصل فقط بعد «ر» هـ.
 (١٠) زيد من ظ ومد.

اشتد أمات فزال سريعا، وإن خف ثم يُخِفْ وكان آخره الموت، وإن طال ﴿ولا يحييهُ﴾ فيها حياة ينفع بها ﴿ومن ياتهُ﴾ أى ربه الذى أوجده^٢ ورباه ﴿مؤمنا﴾ أى مصدقا به .

[ولما قدم أن مجرد الكفر يوجب العذاب . كان هذا محلا يتوقع فيه الإخبار عن الإيمان بمثل ذلك فقال - ٢]: ﴿قد﴾ [أى - ٣] ٥ ضم [إلى ذلك تصديقا لإيمانه أنه ﴿عمل﴾ أى فى الدنيا] ﴿اصلنحت﴾ التى أمر بها - ٥] فكأن [صادق - ٢] الإيمان مستلزم لصلاح الأعمال^٦ ﴿فاولئك﴾ أى العالو الرتبة؛ ﴿لهم﴾ [أى لتداعى ذواتهم بمقتضى الجبله - ٢] ﴿الدرجت العلى﴾ التى لانسبة لدرجاتك التى وعدتنا بها منها؛ تم بينها بقولهم: ﴿جنت عدن﴾ أى أعدت للاقامة وهى ١٠ فيها أسبها ﴿تجرى من تحتها الانهر﴾ أى من تحت غرفها وأسرتها وأرضها؛ فلايراد موضع منها لأن يجرى فيه نهر إلا جرى؛ ثم بين بقوله: ﴿تخلدين فيها﴾ أن أهلها هبوا أيضا للاقامة .

^٨ ولما أرشد السياق [و - ٢] العطف على غير [معطوف عليه - ٢] ظاهر إلى أن التقدير: ذلك الجزء العظيم وشميم المقيم جزاء الموصوفين : ١٥ لتزكيتهم أنفسهم، عطف عليه قوله: ﴿وذلك جزاؤا﴾ كل ﴿من تزكى﴾ أى طهر نفسه بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة، وفى هذا تسلية للصحابة رضوان الله عليهم فيما كان يفعل بهم عند نزول (١) العبارة من هنا إلى «ورباه» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفى الأصل: أوعده (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) العبارة من «فكان» إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: نسبتك (٨) العبارة من هنا إلى «وأن التقدير» ساقطة من ظ .

هذه السورة إذا كانوا مستضعفين .

ولما بين سبحانه استكبار فرعون المدعى في قوله " فكذب واني " و ختمه سبحانه بأنه يهلك العاصي كائنا من ^٢ كان ، و ينجي الطائع . أتبع ذلك ^٣ شاهدا محسوسا عليه ؛ كفيلا ببيان أنه لم يغش عن فرعون شيء من قوته و لا استكباره ، فقال عاطفا على " و لقد ارينه آيتنا " :
 ﴿ ولقد اوحينا ﴾ ^٥ أي بعظمتنا لتسهيل ما يأتي من الأمور الكبار ^٥ ﴿ الى موسى ﴾ ^٦ غير مكترئين ^٦ لشيء من أقوال فرعون و لا أفعاله ، و هذا الإيحاء يبد ما تقدم من أمر السحرة بمدة مديدة جرت فيها خطوب طوال كانت بسببها الآيات الكبار ، و كأنها حذفت لما تدل عليه من مساواة القلوب ، و المراد هنا الانتهاء لما تقدم من مقصود السورة ^{١٠} ﴿ ان امر ﴾ ^٥ أي ليلا ، لأن السرى سير الليل ؛ و شرفهم بالإضافة إليه فقال ^٥ : ﴿ بعبادى ﴾ أي نبي إسرائيل ^٧ الذين ^٧ لفت قلب فرعون حتى أذن في مسيرهم بعد أن كان قد ^٨ أبي ^٨ أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب ، فانصد بهم ناحية بحر القلزم ﴿ فاضرب لهم ﴾ أي ^٩ اعمل

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : ادا (٢) من ظ ومد ، و في الأصل : بمن .
 (٣) بين سطرى ظ : الحتم بالإهلاك و الإنجاء (٤) بين سطرى ظ : الإهلاك و الإنجاء (٥ - ٥) - فقط ما بين الرقين من ظ (٦) بهامش ظ : الاكترات : الاهتمام (٧) زيد في الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها .
 (٨) زيد في ظ : فرعون (٩) من مد ، و في الأصل : و لما ان ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى « ضربا » .

بضرب البحر بعصاك ، ولذلك سماه ضربا .

ولما كان ضرب البحر بالعصا سببا لوجود الطريق الموصوفة ،
أوقع الفعل عليها فقال : (طريقا في البحر)^١ أو وصفها بالمصدر [مبالغة -^٢]
فقال : (يبسال) حال كونها أو كونك^٣ (لا تخف) و المراد بها
الجنس ، فانه كان لكل سبط طريق (دركا)^٤ أى أن يدركك شيء^٥ ه
من طغيان البحر أو بأس العدو [أو غير ذلك -^٦] .

ولما كان الدرك مشتركا بين اللحاق والتبعة ، اتبعه بقوله :
(ولا تخشى^٧) أى شيئا غير ذلك أصلا إنفاذا^٨ لأمرى وإنفاذا لمن
أرسلتك لاستنقاذهم ، وسوقه على هذا الوجه من^٩ إظهار القدرة والاستهانة
بالمعاند مع كبريائه ومكته استدلالا شهوديا على ما قرر أول السورة ١٠
من شمول القدرة وإحاطة العلم للبشارة بإظهار هذا الدين بكثرة الاتباع
وإبارة^{١٠} الخصوم والإسعاد برد^{١١} الأضداد وجعل بغضهم ودا ، وإن
كانوا قوما / لذا : ثم أتبع ذلك قوله [عطفًا على ما تقديره : فبادر

٤٦٥ /

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش
ظ : قوله « حال كونها أو كونك » أى لا تخاف إما أن تجعلها حالا من المفعول أعنى
طريقا أو من الفاعل وهو الضمير فى اضرب - فافهم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين
من ظ (٥) فى ظ : ولا (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : ايقانا (٧) بين سطرى
ظ : بيان هذا الوجه (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : نارة (٩) من ظ ومد ،
وفى الأصل : « و » .

امثال الامر في الإسراء وغيره -]: (فاتبهم) أي [أوجد التبع
والمسير وراء-'] [بنو إسرائيل على ذلمهم و ضعفهم (فرعون مجنوده)
على كثرتهم وقوتهم وعلومهم وعزتهم^١، فكانوا^٢ كالتابع الذي لا معنى
له بدون متبوعه (فتشيهم) أي فرعون وقومه (من اليم) أي البحر
٥ [الذي من شأنه أن يؤم؛ وأوجز فهو قول فقال -'] : (ما غشيهم^٣)
أي أمر لا تحتمل العقول وصفه حق وصفه، فأهلك أولهم وآخرهم؛
وقطع دابرهم، لم يبق منهم أحدا، وما شاكت أحدا من عبادنا
المستضعفين شوكة (واضل فرعون) على تحذلقه (قومه) مع
ما لهم من قوة الأجساد ومعانيها.

١٠ ولما كان إثبات الفعل لا يفيد العموم، نفي ضده ليفيده مع كونه
أوكد وأوقع في النفس وأروع لها فقال: (وما هدى^٤) أي ما
وقع منه شيء من الهداية، لا لنفسه ولا لأحد من قومه. فتم الدليل
الشهودي على تمام القدرة على إنجاء الطائفة وإهلاك العاصي.

ولما كان هذا موجبا للتشوف إلى ما وقع لبنى إسرائيل بعده،
١٥ قال تعالى شافيا لهذا الغليل، أقبلنا على بني إسرائيل ممتنين بما مضى وما يأتي
قائلين: (يحيى إسرائيل) معترفين لهم أننا نظرنا إلى السوابق فأكرمناهم^٥

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: غرهم (٣) من مد، وفي
الأصل وظ: وكانوا (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) العبارة من هنا
إلى «المنافع قال» ساقطة من ظ (٦) من مد. وفي الأصل: قاتلناهم.

لأجل أيهم .

ولما كان دره المفسد وإزالة الموانع قبل جلب المصالح واستدرار
المنافع قال: ﴿ قد انجيتكم ﴾ بقدرتنا الباهرة ﴿ من عدوكم ﴾ الذى
كنتم أحقر شيء عنده .

٥ 'ولما تفرغوا لإنقاذ ما يراد منهم من الطاعة قال: ﴿ وواعدتكم ﴾ ه
أى ' كلكم - كما مضى فى البقرة عن نص التوراه - للشول بمحضرتنا
والاعتزاز بمواطن رحمتنا ﴿ جانب الطور الايمن ﴾ أى الذى على أيمانكم
فى توجيهكم هذا الذى وجوهكم فيه إلى بيت [أيبكم - ٢] لإبراهيم عليه
السلام، [وهو جانبه الذى يلي البحر وناحية مكة واليمن - ٢] .

١٠ 'ولما بدأ بالمنفعة الدينية، ثى بالمنفعة الدنيوية [فقال - ٢]: ١٠
﴿ وازلنا عليكم ﴾ بعد إزال هذا الكتاب فى هذه المواعدة لإنعاش
أرواحكم ﴿ المن والسلوى ﴾ لإبقاء أشباحكم، فبدأ بالإنجاه الممكن من
العبادة، ثم اتبعه بنعمة الكتاب الدال عليها، ثم بالرزق المقوى، 'ودل
على [نعمة - ٢] الإذن فيه بقوله: ﴿ كلوا ﴾ 'ودل على سعته بقوله:
﴿ من طيبت ما ﴾ 'ودل على عظمته بقوله: ﴿ رزقنكم ﴾ من ذلك ١٥
ومن غيره .

'ولما كان الغنى والراحة سبب الساحة، قال: ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد .
(٤) بين سطرى ظ: العبادة (٥) العبارة من هنا إلى « فيه بقواه » ساقطة
من ظ .

بالادخار إلى غد في غير يوم الجمعة ولا بغير ذلك من البطر وإغفال
 الشكر بصرفه في غير الطاعة ﴿ فيحل به ١ أى ينزل ﴾ [ويحب في حينه
 الذى هو أولى الأوقات به - ٢] - على قراءة الجماعة بالكسر. ونزولا ٣
 عظيما وبروكا شديدا - على قراءة الكسائي بالضم ﴿ عليكم غضبي ع ﴾
 ٥ قتهلكوا لذلك ﴿ و ﴾ كل ﴿ من يحلل عليه غضبي ﴾ منكم ومن غيركم
 ﴿ فقد هوى به ﴾ أى كان حاله حال من سقط من علوه .

ولما كان الإنسان محل الزلل وإن اجتهد، رجاء ٤ واستعطفه ٥
 بقوله: ﴿ وانى لغفار ﴾ أى ستار بأسباب ذيل العفو ﴿ لمن تاب ﴾ أى
 رجس عن ذنوبه من الشرك وما يقاربه ﴿ وامن ﴾ بكل ما يجب
 ١٠ الإيمان به ﴿ وعمل صلحا ﴾ تصديقا لإيمانه .

ولما كانت رتبة الاستمرار على الاستقامة في غاية العلو، عبر عنها
 بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم اهتدى به ﴾ أى استمر على العمل الصالح متحررا
 به إيقاعه على حسب أمرنا وعلى أقرب الوجوه المرضية لنا، له إلى
 ذلك ٦ غاية التوجه كما يدل ٧ عليه صيغة افتعل، وكأنه لما رتب الله سبحانه
 ١٥ منازل قوم موسى عليه السلام عامة والسبعين المختارين منهم خاصة في
 الجبل - كما مضى عن نص التوراة في سورة البقرة، وواعده الكلام

/ ٤٦٦

(١) العبارة من هنا إلى « بالضم » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
 وفي الأصل: نزول (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و مد ،
 وفي الأصل: تزيئة (٦) سقط من مد (٧) بين سطرى ظ : أى العمل الصالح .
 (٨) في مد: تدل (٩) سقط من ظ .

بعد ثلاثين ليلة ولم يعين له أبها^١، وكأنه لاشتباهه إلى ما رأى من التعرف إليه بمقام الجمال لم يتوقف على خصوص إذن من الله تعالى في أول وقت الإتيان اكتفاءً بمطلق الأمر السابق في الميعاد، فتعجل بشرة أيام عن الوقت الذي علم الله أن الكلام يقع فيه^٢ بعد الثلاثين التي^٣ ضربها لذلك، وأمر موسى عليه السلام قومه [عند -^٤] فهو ضمه، ه وتقدم إليهم في اتباعه والسكون في أثره للحلول في الأماكن التي حدها الله لهم وأمر السبعين المختارة بمثل ذلك، وكأنهم لما مضى تلبسوا لما رأوا من مقام الجلال، فلما مضت الثلاثون بعد ذهاب موسى لم يكن أنى الوقت الذي أراد الله أن تكون المناجاة فيه، فزاده عشرا فظن بنو إسرائيل الظنون في تلك العشرة، ووقع لهم^٥ ما وقع من اتخاذ العجل . ١٠

ولما كان ذلك - والله أعلم بما كان، وكان أعظم ما مضى في

آية الامتتان عليهم والتعرف بالنعمة إليهم المواعدة لهدايتهم بالآيات المرئية والمسموعة، وختم ذلك بالإشارة إلى الاجتهاد في الإقبال^٦ على الهدى، أتبع ذلك ذكر ضلالهم بعد رؤية ما يبعد [معه -^٧] كل

البعد إمام من رآه^٨ بشيء من الضلال. كل ذلك لإظهار القدرة التامة ١٥ على التصرف في القلوب بضد ما يظن بها، وكان تنجز المواعيد الذي شيء للقلوب وأشهاه إلى النفوس. وكان السياق مرشدا: حتما إلى أن

(١) بين سطرى ظ: الثلاثين (٢) في مد: به (٣) من ظ و مد، وفي الأصل:

الذي (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بهم (٦-٦) من

ظ و مد، وفي الأصل: الإقبال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد، وفي

الأصل: تراه (٩) زيد في ظ: لا .

التقدير: فأتوا إلى الطور لمعادنا، و تيمموا جانبه الأيمن بأمرنا ومرادنا،
و تعجل موسى صفينا الصعود فيه [١- مبادرا لما عنده من الشوق إلى ذلك
المقام الشريف و تأخر مجيء قومه عن الإتيان معه، فقلنا: ما أخر قومك
عن الإتيان معك؟ فعطف عليه قوله^٢]: (و ما أمجلك) ^٢ أى أى شىء
٥ أوجب لك العجلة^٣ فى المجيء^٣ (عن قومك) و إن كنت بادرت بمبادرة
المبالغ فى الاسترضاء، [أما علمت أن حدود الملوك لا ينبغي تجاوزها بتقدم
ولا تأخر-١]؟ (يموسى^٤) فهلا أتيتم جملة و انتظرتم أمرا جديدا
بخصوص الوقت الذى استحضركم فيه (قال) موسى ظنا منه أنهم أسرعوا
وراه: (هم) [و أتى باسم الإشارة و أسقط منه هاء التنبيه لأنه لا يليق
بخطاب الله، قال ابن هيرة: و لم أر أحدا من الأصفياء خاطب ربه بذلك، وإنما
١٠ خاطب به الكفار اجباوتهم] قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دركنا" فى أمثله [١] أما آخره فنرفق بقوله ذكر من التمييز بفأف رضى-١]
(أولاء) أى هم فى القرب بحيث يسار إليهم، كائنين (على شرى)
أى ماشين على آثار^٥ مشي قبل أن ينظمس^٥ لم أسبقهم إلا بشىء جرت
"عادة فى السبق [بمثله - ١] بين الرفاق، هذا بناء منه على ما كان
١٥ عهد إليهم، و أكد فيه عليهم: ثم اعتذر عن فعله فقال: (و عجلت)

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد؛ و زيد قبله فى ظ: كان كأنه قين:
فأتى موسى لمعادنا (٢-٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ و مد، و فى
الأصل: شىء (٤) زيد من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منهم.
(٦) زيد من مد (٧) من مد، و فى الأصل: اثر (٨) فى الأصل بياض ملأناه
من مد، و العبارة من: أى ماشين، إلى هنا نقطة من ظ.

أنا بالمبادرة (الك) 'و جرى على عادة أهل القرب كما يحق له فقال':
 (رب) أى أبها المسارع فى إصلاح شأنى و الإحسان إلى (لرضىه)
 عنى 'رضا أعظم مما كان (قال) الرب سبحانه: (فانا) أى [قد-^٢]
 تسبب عن مجلتك عنهم أنا (قد فتنا) أى خالطنا بعظمتنا مخالطة 'ميلة
 محبة' (قومك) بتعجلك .

٤٦٧/ و لما كانت الفتنة لم تستغرق / جميع الزمن الذى كان بعده، وإنما
 كانت فى بعضه، أدخل الجار فقال: (من بعدك) [أى خالطنا
 بأمر من أمرنا مخالطة أحوالهم عما عهدتهم عليه-^٢]، وكان ذلك بعد
 تمام المدة التى ضربتها لهم، وهى الثلاثون بالفعل و بالقوة فقط، من
 أول ما فارقتهم [بضربك لتلك المدة-^٨] [باعتبار أن أول إتيانك-^٣] ١٠
 هو الذى كان سبب الفتنة لزيادة أيام الغيبة بسببه لانا زدنا فى آخر
 المدة بمقدار ما مجلت به فى أولها، فلما تأخر رجوعك إليهم حصل
 لهم الفتون بالفعل، فظنوا مرجحات الظنون .

'ولما عمتهم الفتنة إلا اثنى عشر ألفا من أكثر من ستمائة ألف،

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عن .
 (٣) زيد من ظ (٤) سقط من مد (٥-٥) ما بين الرقين بياض فى الأصل ملأناه
 من مد، و العبارة من «أى خالطنا» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) بين سطرى ظ:
 بالقوة، و العبارة من بعده إلى «نقط من» ساقطة من ظ (٧) من مد . و فى
 الأصل: ضربناها (٨) زيد من مد (٩) بين سطرى ظ: بالفعل (١٠) فى مد:
 زيادة .

أطلق الضلال على الكل فقال: ﴿واضلهم السامريه﴾ أي عن طريق
الرشد بما سبب لهم؟ روى النسائي في التفسير من سننه، وأبو يعلى
في مسنده^٥ و ابن جرير^٦ و ابن أبي حاتم في تفسيريهما عن ابن عباس
رضي الله عنها في حديث الفتون أن موسى عليه السلام لما وعده ربه
أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هارون عليه السلام، وأجلهم ثلاثين^٧
يوما، و ذهب فصامها^٨ ليلها و نهارها، ثم كره أن يكلم ربه و ربح فيه
متغير، فضع شيئا من نبات الأرض فقال له ربه: أو ما علمت أن
ريح الصائم أطيب من ريح المسك؟ ارجع فصم عشرة، فلما رأى قوم
موسى أنه لم يرجع إليهم ساءهم ذلك، و كان هارون قد خطبهم و قال:
١٠ إنكم خرجتم من مصر، و لقوم^٩ فرعون عندكم عواري و ودائع، و لكم
فيها مثل ذلك، و أنا أرى أن تحسبوا ما لكم عندهم، و لا أحل لكم
وديعه^{١٠} استودعتموها و لا عارية، و لسنا برادين إليهم شيئا من ذلك
و لا عمسكه لأنفسنا، فحفر حفيرا و أمر كل قوم عندهم من ذلك من
متاع أو حلية أن يتدفوه في ذلك^{١١} الحفير، ثم أوقد عليه النار فأحرقه

(١ - ١) سقط ما بين الزميين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في مد: في.
(٤) ص ١٦٧/ب من نسخة خطية مخروطة بالدائرة (٥-٥) من مد، و في الأصل
وظ: بن خزيمه؛ ورواه ابن جرير في مناسبة آية الفتون مختصرا (٦) من ظ
ومد و مسند أبي يعلى، و في الأصل: ثلاثون (٧) من وظ مد و المسند،
و في الأصل: فصام (٨) من ظ و مد و المسند، و في الأصل: تقوم (٩) في
مد: و دايعة (١٠-١٠) من ظ و مد و المسند، و في الأصل: حلية او متاع و.
(١١) من ظ و مد و المسند، و في الأصل: تلك.

قال: لا يكون^١ لنا ولا لهم، وكان السامري من قوم يعبدون البقر،
 جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل، فاحتل مع موسى
 و بني إسرائيل حين احتملوا، فقصى له أن رأى أثرا قبض منه [قبضة-^٢]
 فر بهارون فقال له هارون عليه السلام: يا سامري! ألا تلتقي ما في
 يدك - وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك اليوم، فقال: هذه
 قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، [و-^٣] لا ألقىها لشيء
 إلا أن تدعوا لله إذا ألقىتها أن يكون ما أريد، فألقاها ودعا له هارون،
 فقال: أريد أن يكون عجلا، فاجتمع ما كان^٤ في الحفرة من متاع
 أو حلية أو نحاس أو حديد، فصار عجلا أجوف ليس فيه^٥ ربح، له
 خوار، قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا والله! ما كان له صوت^{١٠}
 قط، إنما كانت الريح تدخل في^٦ دبره فتخرج من فيه. فكان ذلك
 الصوت من ذلك، فتفرق بنو إسرائيل فرقا، فقالت فرقة: يا سامري!
 ما هذا و أنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم، ولكن موسى أضل^٧ الطريق،
 فقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى. فان كان ربنا
 لم نكن ضيعناه و عجزنا فيه حين رأيناه. وإن لم يكن ربنا فانا تتبع قول^{١٥}
 موسى، وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان، وليس ربنا، ولن يؤمن

٤٦٨ /

(١) زيد في الأصل: لا، ولم تكن الزيادة في ظ و مد و المسند لحذفناها.
 (٢) زيد من ظ و مد و المسند (٣) سقط من مد (٤) من المسند، وفي
 الأصول «و» (٥) في مد: له (٦) في المسند: من (٧) بهامش ظ: الهمزة في
 أضل للصيرورة.

به ولن نصدق، وأشربا فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل، وأعلنوا التكذيب به^٢ - الحديث .

^٣ ثم سب عن إخباره سبحانه له بذلك قوله: (فرجع موسى^٢)
 أي ' لما أخبره ربه بذلك (إلى قومه) ^٣ أي الذين لهم قوة عظيمة على ما يحاولونه^٤ (غضبان اسفاج) أي شديد الحزن أو الغضب؛
 [واستأنف قوله - ^٦]: (قال) لقومه لما رجع إليهم مستعظفا لهم:
 (ينقوم) وأنكر عليهم بقوله: (الم يعدكم ربكم) الذي طال إحسانه إليكم (وعدا حسنا) ^٣ أي بأنه ينزل عليكم كتابا حافظا، ويكفر عنكم خطاياكم، وينصركم على أعدائكم - إلى غير ذلك من إكرامه^٥.

١٠. ولما جرت العادة بأن طول الزمان ناقض للعزائم، مغير للعهود، كما قال أبو عملاء أحمد بن سليمان المعري^٦ في هذا البيت:

لا أنسينك إن طال الزمان بنا وكم حبيب تمادى عهده فنى
 وكان عليه الصلاة والسلام قريب العهد بهم، أنكر طول العهد بقوله، مستأنفا^٧ [عما تقديره: هل ترك ربكم مواعيده لكم وقطع معرفه عنكم -]:
 ١٥ (إفضال عليكم العهد) أي [زمن -] لطفه بكم، فتغيرتم عما

(١) بهامش ظ: من الشرب، أي كأن صدقهم به شرب (٢) بين سطرى ظ: بما قال هارون، أو بسبب ما قال السامري (٣-٣) سقط بما بين الرقيين من ظ .
 (٤) سقط من مداه) من ظ و مد، وفي الأصل «و» (٥) زيد من مد .
 (٦) سقط من ظ .
 (٧) سقط من ظ .

فارتكم عليه كما يعترى أهل الرذائل الانحلال في العزائم لضعف العقول^١
 و قلة التدبر (ام اردتم) بالنقض مع قرب العهد و ذكر الميثاق
 (ان يحل عليكم) بسبب عبادة العجل (غضب من ربكم) [أى - ٢]
 المحسن إليكم^٢ ، وكلا الأمرين لم يكن . أما الأول فواضح ، و أما الثانى
 فلا يظن بأحد إرادته^٣ ، و الحاصل أنه يقول : إنكم فعلتم ما لا يفعله عاقل ه
 (فاخلقتم) أى فتسبب عن فعلكم ذلك أن أخلقتم (موعدى ه) فى
 إجلال الله و الإتيان إلى الموضع الذى ضربه لكم للكلامه لى و إزال
 كتابه على إحسانا إليكم و إقبالا عليكم ، وكأنه أضاف الموعد إليه
 أدبا مع الله تعالى و إعظاما له ،^٤ أو أنه لما كان إخلاف الموعد المؤكد
 المعين الذى لاشبهة فيه . لما نصب عليه من الدلائل الباهرة^٥ ، و أوضحه من ١٠
 البراهين الظاهرة ، لا يكون إلا بنسيان أطول عهد ، أو عناد بسوء قصد ،
 و كان من أبلغ المقاصد و أوضح التقرير إلقاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف
 بالمراد ، سألهم عن تعيين أحد الأمرين مع أن طول العهد لا يمكن ادعائه ،
 فقال ما معناه : أطال عليكم العهد بزيادة عشرة أيام فتسيتم فلم يكن
 عليكم فى الإخلاف^٦ جناح ؟ أم اردتم أن يحل عليكم الغضب فعاندتم ؟ ١٥
 فكانت الآية من الاحتباك : ذكر طول العهد الموجب للنسيان أولا دليل

(١) بهامش ظ : لضعف العقول تعليل يعترى أهل الرذائل (٢) زيد من مد .

(٣) زيد فى ظ : أى (٤) بين سطرى ظ : أى حلول غضب ربه (٥) العبارة من

هنا إلى « ذكره فقال » ص ٣٢٨ س ه ساقطة من ظ (٦) فى مد : الواضحة .

(٧) من مد ، و فى الأصل : الاخلاق .

على حذف العناد ثانياً، وذكر حلول الغضب ثانياً دليل على اتفاه الجناح أولاً، وسر ذلك أن ذكر السبب الذي هو طول العهد أدل على النسيان الذي هو المسبب، وإثبات الغضب - [و -] هو المسبب - أنكأ^٢ من إثبات سببه الذي هو العناد .

٥ ولما تشوف السامع إلى جوابهم، استأنف ذكره فقال: (قالوا):
[لم يكن شيء من ذلك - ١].

ولما كان المقصود من هذا السياق - كله إظهار عظيم القدرة، عبر عن ذلك بقوله، حكاية^٥ عنهم للاعتراف بما قرره موسى عليه السلام به من العناد^٦ معتذرين عنه بالقدرة^٧، والاعتذار به لا يدفع العقوبة المرتبة / على الذنب: (ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى لقد صدقت فيما قلت، ولكننا لم نفعل ذلك ونحن بملك أمرنا -^٨ هذا على قراءة الجماعة بالكسر، وعلى قراءة نافع وعاصم بالفتح المعنى: ولنا ملكة تصرف بها في أنفسنا، وعلى قراءة حمزة والكسائي بالضم كأنهم قالوا: ولنا سلطان قاهر^٩ لأبورتنا - على أنهم قد ذكروا أن القراءات الثلاث لغات
١٥ لمعنى واحد، قال في القاموس: ملكة يملكه ملكاً مثلثة: احتواه قادراً

(١) زيد في الأصل: نفي، ولم تكن الزيادة في مدحذفتها (٢) زيد من مد .
(٣) من مد، وفي الأصل: انكار (٤) زيد من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « على الذنب » ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في مد
لحذفتها (٧) في مد: بالقدر (٨) العبارة من هنا إلى « من عبده » ص ٣٢٩ س ٤
ساقطة من ظ (٩) من مد، وفي الأصل: ظاهر .

على الاستبداد به ، والمعنى أن السامري زين لهم ذلك ، ووسوس به
الشیطان فبادروا^١ إلا وقد تبعوه حتى [كانوا -] كأنهم يقادون إليه
بالسلاسل ، وقيل : هذا كلام من لم يعبده ، اعتذروا بأنهم كانوا قليلا ،
لا قدرة لهم على مقاومة من عبده^٢ . وهذا كله إشارة إلى أنه تعالى هو
المتصرف في القلوب ، فهو قادر على أن يرد كفار قريش و العرب من ه
بعد عنادهم ، ولدهم وفسادهم ﴿ ولکننا ﴾ كنا ﴿ حملنا أوزارا ﴾
أى أثقالا من التقدين^٣ هي أسباب الآثام ، كما تقدم في الاعراف أن الله
أمرهم في التوراة أن يستعبروها من القبط فخرّبوهم بها ، وكان هذا ما
كان خيانه في ذلك الشرع ، أو^٤ أن الله تعالى أباح لهم ذلك في القبط
خاصة ﴿ من زينة القوم ﴾ الذين لم تكن تعرف قوما غيرهم ، وغيرهم ١٠
ليس حقيقا باطلاق هذا اللفظ [عليه -^٥] وهم القبط ، فقضى لنا^٦
أن نقذفها في النار ، وتوفرت الدواعي على ذلك واشتدت بحيث لم نملك
﴿ فخذفنها فكذلك ﴾ أى فتعقب^٧ هذا [انه -^٨] مثل ذلك الإلقاء

(١-١) من مد ، وفي الأصل : فبادروا (٢) زيد من مد (٣) من مد . وفي
الأصل : مقارنة (٤) من مد ، وفي الأصل : يعبده (٥) سقط من ظ .
(٦) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فخذفناها (٧) من ظ
ومد ، وفي الأصل « و » (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) موضعه في ظ :
فسولت لنا أنفسنا (١٠) بهامش ظ : إنما جعل الشيخ الفاء هنا للتقريب لأن
« فخذفنا » لا يصح أن يكون سببا لإلقاء السامري فليفهم ذلك .

(القي السامري لا) وهو لصيق انضم إليهم من قبط مصر. أتى ما كان معه. إما من المال وإما من أثر الرسول، كما مضى وإتى، وكان إلقاه كان آخره.

ولما كان خروج التمثال عقب إلقائه، جعل كأنه المتسبب في ذلك^١، فقبل مع العدول عن أسلوب التكلم استهجانا لنسبة أمر العجل إلى المتكلم: (فاخرج لهم) [أى لمن شربه وعبده - ٢]، وجعل الضمير للغيبه يؤيد قول من جعل هذا كلام من لم يعبد العجل، والمعنى عند من جعله من كلام العابدين أنهم دلوا بذلك على البراءة منه والاستفذار له^١.

١٠. ولما كان شديد الشبه للعجول، قيل: (مجلا) وقدم^٢ قوله:-
(جسدا) المعروف أن مجليته صورة لامعنى - على قوله: (له خوار)
لثلا يسبق إلى وهم أنه حتى^٣، فتمر عليه لمحة على اعتقاد الباطل (فقالوا)
أى فتسبب عن ذلك^٤ أن 'سامري قال^٥ فتابعه عليه من أسرع في الفتنة
أول ما رآه': (هذآ) مشيرين إلى العجل الذى هو على صورة [ما هو-^٦]

(١-١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ: إخراج التمثال.
(١-٢) زيد من ظ ومد (٤) بهامش ظ: قواه وقدم 'جسدا' على 'له خوار' أى
'له خوار' صفة، و'جسدا' كذلك، فإحكمة تقديم أحد الوصفين،
والجواب ما قرره الشيخ (٥) من ظ ومد. وفي الأصل: (٦) سقط
من ظ (٧) بين سطرى ظ: فالسبب هو قواه والمتسبب متابعتهم له.

مثل في الغبارة ﴿ اللهم و اله موسى لا قسى ه ﴾^١ أى قسب [عن -^٢]
 أنه إلهكم أن موسى نسي - بعدوله عن هذا المكان - موضعه فذهب يطلبه
 في مكان غيره، او نسي أن يذكره لكم .

ولما كان هذا سببا للانكار على من قال هذا، قال: ﴿ افلا يرون ﴾
 أى أقالوا ذلك؟^٣ قسب عن قولهم عمائم عن رؤية ﴿ ان ﴾^٤ أى أنه ه
 ﴿ لا يرجع اليهم قولا ﴾^٥ و الإله لا يكون أبكم ﴿ ولا يملك لهم ضرا ﴾
 فيخافوه كما كانوا يخافون فرعون فيقولوا ذلك خوفا من ضره ﴿ ولا نفعاء ﴾
 فيقولوا ذلك رجاء له .

٤٧٠ /

ولما كان الذنب مع العلم 'أشع'، و الضلال 'بعد البيان أشنع'،
 قال عاطفا على قوله " قال يُقوم الم بعدكم " أو على قوله " قالوا ما
 اخلفنا " : ﴿ ولقد قال لهم هرون ﴾^٦ أى مع أن من لم يعبه لم يملكوا
 رد من عبده .

ولما كان قولهم^٧ في بعض ذلك الزمان . قال: ﴿ من قبل ﴾^٨ أى من
 قبل رجوع موسى . مستعظفا لهم : ﴿ يُقوم ﴾^٩ ثم حصر أمرهم ليجتمع فكرهم

(١) العبارة من هنا إلى « هذا المكان » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بين
 سطرى ظ : أى هذا إلهكم وإله موسى (٤-٥) من ظ و مد ، وفي الأصل:
 اشع و الضلالة (ه - ه) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى
 « الزمان قال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل : قوله لهم (٨) العبارة
 من هنا إلى « فقال » ص ٣٣٢ س ١ ساقطة من ظ .

[ونظرم -] فقال : ﴿ انما فتتم ﴾ أى [وقع اختاركم -] فاختبرتم^١ فى صحة
 إيمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه ﴿ بهج ﴾ أى بهذا التمثال فى إخراجكم لكم على
 هذه الهيئة الخارقة للعادة . وأكد لأجل^٢ إنكارهم فقال^٣ : ﴿ وان ربكم ﴾
 ° أى الذى أخرجكم من العدم : رباكم بالإحسان^٤ ﴿ الرحمن ﴾ وحده
 ٥ الذى فضله عام ونعمه شاملة ، فليس على بر ولا فاجر نعمة إلا وهى
 منه قبل أن يوجد العجل . وهو كذلك بعده . ومن رحمته قبول التوبة ،
 فقاموا نزع^٥ نعمه بمعصيته . وارجوا إسباغها بطاعته ﴿ فاتبعونى ﴾ بقاية
 جهدكم^٦ فى الرجوع إليه ﴿ واطيعوا أمرى ﴾ فى دوام الشرف بالخضوع
 لديه ، ودوام الإقبال عليه . يدفع عنكم ضيره^٧ . ويفيض عليكم خيره .
 ١٠ ولما كان هذا [موضع أن يسأل من جوابهم لهذا -]
 الأمر الواضح الذى لا غبار عليه . قيل : ﴿ قالوا ﴾ بفظاظة وجود :
 ﴿ لن نبرح عليه ﴾ أى على هذا العجل ﴿ عاكفين ﴾ أى مقيمين^٨ مستديرين
 مجتمعين^٩ وإن حاربنا فى ذلك^{١٠} ﴿ حتى يرجع إلينا موسى ﴾ فدافعهم .

(١) زيد من مد (م) من مد . وفى الأصل وظ : اختبرتم ؛ وبها مشظ : إن قيل :
 كيف للشيخ أن يقول فيما تقدم حيث فسر الفتنة : خالطناهم من أمرنا - إلى
 آخره ، وقال هنا : اختبرتم فى صحة إيمانكم - إلى آخره . وكلا التفسيرين
 غير الآخر ، فينتأض . فالجواب أن التفسير الاول مبدأ الفتنة والآخر
 غايتها فليفهم ذلك (م) من مد ، وفى الأصل : لاجز (ه) العبارة من « وأكد »
 إلى هنا - اقاطة من ظ (ه - ه) - فقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : نوع (٧) من ظ و مد . وفى الأصل : ضره (٨) زيد من ظ
 و مد (٩) فقط من ظ .

فهموا به ، وكان معظمهم قد ضل ، فلم يكن معه من يقوى بهم ، تخاف
أن يجاهد بهم الكافرين فلا يفيد ذلك شيئاً ، ويقتل بعضهم فيحتمى
له آخرون من ذوى رحمه الأقربين ، فيصير بين بنى إسرائيل فرقة يبعد
ضم شتاتها وتلافي دهمائها ، وكانوا قد غيوا الرجوع [رجوع - ٢]
موسى عليه السلام مع أنه لم يأمره بجهاد من ضل ، إنما قال له ه
" واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين " فرأى من الإصلاح اعتزالهم إلى
أن يأتى ، فلما ذكر ما قال هارون عليه السلام ، [التفتت النفس إلى
علم ما قال له موسى عليه السلام - ٢] لأنه خليفته عليهم ، مع كونه
رأساً في نفسه ، فدفع هذا العناء بقوله ، مسقطاً [أخذه - ٦] برأس أخيه
لما تقدم من ذكره و يأتى هنا من^٦ الدلالة عليه ، ولم تدع إليه ضرورة ١٠
في هذه السورة التي من أعظم مقاصدها الدلالة^٤ على تليين القلوب :
(قال) أى موسى : (ينهرون) أنت نبى الله وأخى ووزيرى
و خليفتى فأنت أولى الناس بأن ألومه ، و أحقهم بأن أعاتبه (ما منعك إذ^٩
أى حين) (رأيتهم ضلوا) عن طريق الهدى ، و اتبعوا سبيل الردى ،
من اتباعى فى سيرتى فيهم من^{١٠} الأخذ على يد الظالم طوعاً أو كرها ، ١٥

(١) بين سطرى ظ : الجهاد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقبل (٣) زيد
من ظ و مد (٤) بين سطرى ظ : هارون (٥) العبارة من هنا إلى « تليين القلوب »
ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : فى (٨) من مد ،
و فى الأصل : الدال (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ (١٠) بين سطرى ظ :
بيان سيرتى .

اتباعاً لازيغاً فيه عما نهجته لك بوجه من الوجوه شيئاً من زيغ، و عبر
 عن هذا التأكيد بزيادة 'لا' في قوله: ﴿الَّا تَتَّبِعُونَ﴾ كما تقدم غير
 مرة أن النافي إذا زيد في كلام كان نافياً لضعف مضمونه فيفيد إثباتاً
 للضمون ونفاً لضعفه، فيكون ذلك في غاية التأكيد ﴿افصيت﴾ أى
 أنكبرت عن^٢ اتباعى فتسبب عن ذلك أنك عصيت ﴿امرى﴾ و أخذ
 بليجته و برأسه يحمره إليه غضباً لله تعالى، فكأنه / قيل: ما قال له؟ قيل:
 ﴿قال﴾ مجيئاً له مستعظماً بذكر أول وطن ضمها بعد نفخ الروح مع
 ما له من الرقة و الشفقة: ﴿ينثوم﴾ فذكره بها خاصة وإن كان
 شقيقه^٣ لأنه يسوءها ما يسوءه، و هى أرق من الأب^٤
 ١٠ ﴿لا تأخذ بليجتي و لا براسي﴾ أى بشعره، ثم علل ذلك بقوله:
 ﴿انى خشيت ان تقول﴾ إن اشتدت عليهم حتى يصل الأمر إلى القتال
 ﴿فرقت بين بنى اسرائيل﴾ بفعلك هذا الذى لم يُجِد شيئاً لقله من كان معك
 و ضعفك عن ردهم ﴿و لم تر قب قولى﴾ "اخلفنى فى قومى و اصلح
 و لا تتبع سبيل المفسدين" و لم تقل: و ارددهم و لو أدى الأمر إلى
 ١٥ السيف، و هذا كما كان النبي صلى الله عليه و سلم مأموراً بالصفح و الحلم
 و المدافعة باللين عند ضعف الناصر و قلة المعين .

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تراعى (٢) فى مد: على (٣ - ٢) سقط ما
 بين الرقين من ظ (٤) بهامش ظ: أى كونه لم يأخذ بسيرته التى هى الأخذ
 على يد الظالم .

ولما فرغ من نصيحة أقرب الناس إليه وأحقتهم بنصيحته وحفظه
على الهدى إذ كان رأس الهداة، تشوف السامع إلى ما كان من
غيره، فاستأنف تعالى ذكره بقوله: ﴿ قال ﴾ ^٢ أي موسى عليه السلام
لرأس أهل الضلال معرضاً عن أخيه بعد قبول عذره. ^٢ جاءلاً ما نسب
إليه سبياً لسؤاله عن الحامل له عليه ^٢: ﴿ فما خطبك ﴾ أي أمرك هذا
العجيب العظيم الذي ^٢ حملك على ما صنعت ^٢ وأخبرني العزيز العليم أنك
[أنت - ^٢] أضلتهم به ﴿ يسامرى ه قال ﴾ السامرى مجيأ له: ﴿ بصرت ﴾
من البصر و البصيرة ﴿ بما لم يصبوا به ﴾ من أمر الرسول الذي أجاز بنا
البحر ﴿ قبضت ﴾ ^٢ أي فكان ذلك [سبياً - ^٢] لأن قبضت ﴿ قبضة ﴾
^٢ أي مرة من القبض ، أطلقها على المقبوض تسمية للفعول بالمصدر ^{١٠}
﴿ من اثر ﴾ ^٢ فرس ذلك ^٢ ﴿ الرسول ﴾ ^٢ أي المهود ^٢ ﴿ فنبذتها ﴾ في
الحلى الملقى في النار. ^٢ أو في العجل ^٢ ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما سولت لى
نفسى أخذ أثره ﴿ سولت ﴾ أي حسنت و زينت ﴿ لى نفسى ه ﴾ بندها
فى الحلى فنبذتها . فكان منها ما كان ^٢ ، ولم يدعى إلى ذلك داع
ولا حملى عليه حامل غير التسويل ^٢ .

١٥

ولما كان فعله هذا مفرقا لبني إسرائيل عن طريق الحق

(١) من مد، وفى الأصل: تشرف، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى
« ذكره بقوله » ساقطة من ظ (٢-٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من
مد (٤) العبارة من هنا إلى « قبضت » ساقطة من ظ .

التي^١ كانوا عليها ، وجامعا لهم على تمثال حيوان هو من أخس الحيوانات ،
وعلى نفسه بكونه صار متبوعا في ذلك الضلال ، لكونه كان سيئه ، عوقب
بالنفرة من الإنسان الذي هو أشرف الحيوان ، ليكون ذلك سببا لضد
ما تسبب عن^٢ فعله ، فيعاقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أشد منها وذلك
٥ أنه منع من^٣ مخالطة الناس منعا كلياً ، فلا يتصل بأحد ولا يتصل به
أحد ، بل يكون وحيدا طريدا ما دام حيا ، فذلك^٤ استوقف الإخبار
عن هذا بقوله تعالى : ﴿ قال ﴾ أي^٥ له موسى عليه السلام : ﴿ فاذهب ﴾
أي تسبب عن فعلك أني أقول لك : اذهب [من بيننا . أو -^٦] حيث
ذهبت^٧ ﴿ فان لك في الحيوة ﴾ أي ما دمت حيا ﴿ ان تقول ﴾ لكل
١٠ من رأيت : ﴿ لا مساس ﴾ أي لا تمسني ولا أمسك ، فلا تقدر أن
تنفك عن ذلك لإرادة الإله الحق ذلك بك^٨ وترغيبك فيه - بما أفادته
اللام^٩ ، لتعلم أنت ومن تبعك أنكم كنتم على أعظم ضلال في ترك
القادر على كل شيء . واتباع ما لا قدرة له على شيء ﴿ وان لك ﴾
بعد الملمات ﴿ موعدا ﴾ للثواب إن تبت ، وللعقاب إن آيت

(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : الذي (٢) بهامش ظ : الذي تسبب عن فعله
هو الاجتماع عليه فعوقب بضده ، أي النفرة من الإنسان (٣) سقط من مد .
(٤) العبارة من « فيعاقب » إلى هنا ساكنة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين
من ظ (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من مد (٨) بهامش ظ : إنما قال الشيخ
« حيث ذهبت » لأن الفعل ففيدة التميم .

(ان تخلفه) مبنيا للفاعل وللفعول^١ . أى لا يكون خلقك و لا تكون أنت خلفه ، بل يكون كل منك^٢ مواجهها لصاحبه ، لا انفكاك له عنه ، كما أنك فى الحياة لا تقدر أن تنفك عن النفرة / من الناس ، فاختر لنفسك ما يحلو^٣ .

ولما ذكر ما للاله الحق من القدرة التامة فى الدارين ، أتبعه ه
عجز العجل فقال : (وانظر الى الهك) أى بزعمك (الذى ظلت)
أى دمت [فى مدة بسيرة جدا - بما أشار إليه تخفيف التضعيف -^٤]
(عليه عاكفا^٥) أى مقبلا مقاربا مواظبا [جهازا -^٤] (لنحرقنه)
أى بالنار و بالمبرد - كما سلف عن نص التوراة ، وكان معنى ذلك أنه
أحماه حتى لان فهان على المبارد (ثم لنسفته)^٦ أى لنذرينه^٦ [إذا ١٠
صار سحالة -^٧] (فى اليم) أى البحر الذى^٨ [أغرق الله فيه آل
فرعون و -^٩]^٩ هو أهل لأن يقصد^٩ [فيجمع الله سحاله التى هى من
حليهم و أموالهم فيحيمها فى نار جهنم و يكويهم . يجعلها من أشد العذاب
عليهم ، و أكد الفعل إظهارا لعظمة الله الذى أمره بذلك ، و تحقيقا
للصدق فى الوعد فقال -^٩] : (نسفاه) .

١٥

و لما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان ، أخبرهم بالحق على وجه الحصر

(١) بين سطرى ظ : ذكر على الترتيب : الأول للفاعل و الثانى للفعول .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٣) بهامش ظ : و اختر لنفسك ما يحلو
- مثل من الأمثال : أى قد تبين لك الحق و غيره فاختر لنفسك أيها شئت ،
و أصل هذا المثل لابن العارض حيث قال : نصحتك علما فى الهوى ... أرى
مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد (٦-٦) سقط
ما بين الرقين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ .

فقال: ﴿انمأ الهكم﴾ جميعا ﴿الله﴾^١ أى الجامع لصفات الكمال؛ ثم كشف المراد من ذلك وحققه بقوله^١: ﴿الذى لا اله الا هو﴾ أى لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لأنه ﴿وسع كل شيء علما﴾^٢ يتميز محول عن الفاعل، أى أحاط علمه بكل شيء^١، فكان على كل [شيء-^٢] يمكن قديرا، فكان^٢ كل شيء إليه فقيرا، وهو غنى عن كل شيء، وجوده يبين وجود غيره، وذاته تباين ذات غيره، وصفاته تباين صفات غيره^١، وأما العجل الذى عبده^٢ فلو كان حيا كان مثلا فى العروة، فلا يصلح للالهية بوجه ولا [فى-^٦] عبادته شيء من حق، وكان القياس^٢ على ما^٢ يتبادر إلى الذهن حيث نفي عنه^٤ العلم بقوله "الا يرجع اليهم قولا" و القدرة بقوله "ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا"^{١٠} أن يثبتا هنا للاله الحق، ولكنه اعنى بإثبات العلم الواسع لاستلزامه للقدرة على كل ما يمكن أن يتعلق به، بإفادة الأسباب للشيء المراد، ومنع الموانع عنه فيكون لا محالة، ولو لم يكن^٤ كذلك لكان التخلف للجهل إما^١ بما يفيد مقتضيا أو يمنع مانعا^٤، وأدل دليل على ذلك قوله تعالى "ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء"^{١٥} ولا يستلزم إثبات القدرة المحيطة العلم الشامل لخروج قسم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: عبده (٥) العبارة من هنا إلى «من حق» ساقطة من ظ. (٦) زيد من مد (٧-٧) فى مد: كما (٨) بين سطرى ظ: العجل (٩) زيد فى مد: الكلى (١٠) بين سطرى ظ: تفصيل للجهل (١١) العبارة من هنا إلى «مسنى السوء» ساقطة من ظ (١٢) سورة ٧ آية ١٨٨.

الحال الذى ليس من شأن القدرة أن تتعلق به .

ولما تمت هذه القصة^١ على هذا الأسلوب الأعظم ، و السيل
 الأقوم ، متكفلة^٢ بالدلالة على القدرة على ما وقعت إليه الإشارة من
 البشارة أول السورة بتكثير هذه الأمة و رد العرب عن غيهم بعد طول
 التهادى فى العناد ، و التنكب عن سبيل الرشاد ، إلى ما تخللها من
 التسلية بأحوال السلف الصالح و التأسية ، مفصلة من أدلة التوحيد
 و البعث ، و غير ذلك من الحكم ، بما يبعث الهمم ، على^٣ معالى الشيم ،
 كان كانه قيل : هل يعاد شيء من القصص على هذا الأسلوب البديع
 و المثال الرفيع ؟ فقيل : نعم ! (كذلك) أى مثل هذا القصص العالى ،
 فى هذا النظم العزيز العالى ، لقصة موسى و من ذكر معه (نقص عليك)^{١٠}
^٤ أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شيء ؛ و أشار إلى جلالة علمه
 بقوله^٥ : (من انباء) أى أخبار (ما قد سبق) من الأزمان
 و الكوائن الجليلة ، زيادة فى علمك ، و إجلالا لمقدارك ، و تسلية لقلبك ،
 و إذهابا لحزنك ، بما اتفق للرسول من قبلك [و تكثيرا لاتباعك
 و زيادة فى معجزاتك ، و ليعتبر السامع و يزداد المستبصر فى دينه بصيرة^{١٥}
 و تأكد الحججة على من عابه -] : (و قد اتيتك) من عظمتنا^٤

(١) بين سطرى ظ : أى قصة موسى و هارون (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 متكلفة (٣) من ظ و مد ، وفى الاصل : عن (٤-٤) - فقط ما بين الرقمين من
 ظ (٥) زيد من مد .

تشريفا لك وتعظيما لقدرك ﴿ من لدنا ﴾ أى من عندنا من الأمر الشريف بمزيد خصوصيته بنا ولطيف اتصاله بحضرتنا [من - ٢] غيب غيبا ﴿ ذكرنا في ﴾ عظيما جليلا جامعا لما أظهرناه من أمرنا في التوراة، وما أبطناه من سرنا / في الإنجيل، وما أودعناه من سكينتنا في الزبور، مع ما خصصناه به من لطائف المزايا، وعظائم الأسرار، يعرف بمجرد تلاوته أنه من عندنا لما يشهد له من الروح، ويُدّاق له من الإخبات والسكون، ويرى له من الجلالة في الصدر مسح^١ القطع بأن أحدا لا يقدر أن يعارضه، وضمناه تلك القصص مع ما زدنا فيه على ذلك من المواعظ والآحكام ودقائق إشارات الحقائق، متكفلا بسعادة الدارين ١٠ وحسن الحسنيين، فمن أقبل عليه كان مذكرا له بكل ما يريد من العلوم النافعة.

ولما اشتمل هذا الذكر على جميع أبواب الخير، فكان كل ما ليس له^٢ فيه أصل شقاوة محضة وضلالا بعيدا، قال يقص عليه من أنباء ما يأتي كما قص من أنباء ما قد سبق: ﴿ من اعرض عنه ﴾ أى عن ذلك الذكر، وهو عام في جميع من يمكن دخوله في معنى 'من' ١٥ من العالمين ﴿ فانه يحمل ﴾^٣ ولما كان المراد استغراق الوقت قال^٤:

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: خصوصية (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: اتصال (٣) زيد من مد (٤ - ٥) تقدم ما بين الرقين في الأصل على 'و قد اتينك' و الترتيب من مد مع سقوطه عن ظ (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: خصصنا (٦) بين سطرى ظ: متعلق يعرف (٧) سقط من مد . (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ .

(يوم القيمة وزرا لا) أى حملا ثقيلًا من العذاب الذى سببه الوزر وهو الذنب ، جزاء لإعراضه عنه [و اشتغاله بغيره - ٢] (٣ خلدن فيه ٤) و جمع هنا حملا على المعنى بعد الإفراد للفظ ، تنديها على العموم لئلا يفغل عنه بطول الفصل . أو يظن أن الجماعة يمكنهم المدافعة ، ويمكن أن يراد بالوزر الحمل الثقيل من الإثم ، و يكون الضمير فى ' فيه ' للعذاب المسبب ه عنه فيكون استخداما كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه^٥ وإن كانوا غضابا

و لما كانوا منكربين ليوم القيامة ، صرح بذكره ثانيا مع قرب العهد ، قارعا لإسماعهم به ، مجريا له إجراء ما هو به جدير من^٦ أنه متحقق لا مربية فيه فقال : (وساء^٧) أى و بئس :^٨ و بين أصحاب السوء ١٠ فقال^٩ : (لهم^{١٠}) أى ذلك الحمل^{١١} (يوم القيمة حملا لا) ثم شرح لهم بعض أحوال ذلك اليوم من ابتدائه ، فقال مبدلا من " يوم القيمة " : (يوم ينفخ^{١٢}) أى بعظمتنا - على قراءة ابى عمرو بالنون مبنيًا للفاعل ، و دل على تنهى العظمة بطريقة كلام القادرين فى قراءة الباقيين بالياء^{١٣}

(١) بهامش ظ : فأطلق السبب على المسبب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٤) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن مربية فيه فقال " والترتيب من ظ و مد (٤) البيت لمعود الحكاه معاوية بن مالك - راجع لسان العرب [ممو] (٥) من مد و اللسان ، و فى الأصل و ظ : دعيناه (٦) بين سطرى ظ : بيان ما هو جدير (٧-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) بهامش ظ : و إجراء مجرى " ما هو به جدير من أنه متحقق " حيث قال : ساء لهم - بصيغة الماضى غير مؤكدة ذلك كأنه قال : قد فرغ الأمر من ذلك فلا بد منه (٩) من مد ، و فى الأصل : الحميل ، و فى ظ : الوزر .

'مبنيًا للفعول' (في الصور) فيقوم الموتى من القبور (ونحشروا) أى بعظمتنا (المجرمين) منهم الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل، و عدل عن أن يقول: ونحشروهم - لبيان الوصف الذى جره لهم: الإعراض عن الذكر (يومئذ) أى يوم القيامة، ويكون لهم ما تقدم' (زرقاتي) أى زرق العيون والجسوم على هيئة من ضرب فتغير جسمه، حال كونهم (يتخافتون) .

٢. ولما كان التخافت - وهو المسارة بالكلام - قد يكون بين اثنين من قبيلتين، فيكون كل منهما خائفا من قومه أقل عارا مما لو كانا من قبيلة واحدة، لأنه يدل على أن ذلك الخوف طبع لازم، قال ١٠. دالا على لزومه وعمومه: (بينهم) أى يتكلمون خافضى أصواتهم من الهيئة والجزع.

٥. ولما كانت الزرقة أبيض^٦ ألوان العيون إلى العرب [لعدم ألفهم لها -^٧]، والمخافة أبيض^٦ الأصوات إليهم لأنها تدل عندهم على سفول الهمة والجن، [وكانوا من الزرقة أشد نفرة لأن المخافة قد يتعلق بها غرض، رتبها سبحانه كذلك -^٧]، ثم بين ما يتخافتون به فقال:

(١-١) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) بهامش ظ: يتخافتون حال من المجرمين.
(٣) العبارة من هنا إلى « وعمومه » - ساطرة من ظ (٤ - ٤) من مد . وفى الأصل: من كان - كذا (٥) العبارة من هنا إلى « والجن » ساطرة من ظ .
(٦) من مد . وفى الأصل: بعض (٧) زيد من مد .

(ان) ^١ أى يقول بعضهم لبعض: ما ^١ (لبتم) أى فى الدنيا
 [استقصارا لمدة إقامتهم فى غيب ما بدا لهم من المخاوف، أو غلظا ودهشة-^٢
 (الا عشراء) ^٢ أى عقدا واحدا، لم يزد على الآحاد إلا بواحد، وهو
 - [لو أنه سنون -^٢] - سن من لم يبلغ الحلم، [فكيف إذا كان شهورا
 أو أياما-^٢] فلم يعرفوا لذة العيش بأى تقدير كان .

وما كان / علم ما يأتى اخفى من علم ما سبق، أتى [فيه-^٤]
 ٤٧٤ / بمظهر العظمة فقال: (نحن اعلم) من كل أحد (بما يقولون)
 أى فى ذلك اليوم (اذ يقول امثلهم طريقة) فى الدنيا فيما يحسبون،
 [أى أقربهم إلى أن تكون طريقته مثل ما يطلب منه-^٢]:
 (ان) (أى ما-^٢) (لبتم) [ودل على أن المعدود المحذوف من الأول ١٠
 الأيام بقوله-^٢]: (الا يوما ٤) أى مبدأ الآحاد، لا مبدأ العقود
 كما قال فى الآية الأخرى "قالوا لبئنا يوما أو بعض يوم" ، "يقسم
 المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون" ، فلا يزالون فى
 إفك و صرف عن الحق فى الدارين، لأن الإنسان يموت على ما عاش
 عليه، و يبعث على ما مات عليه، و يجوز أن يكون المراد [أن-^٢] ١٥
 من قال: إن لبثهم يوم واحد، امثلهم فى نفس الأمر^٢، لأن الزمان
 و إن طال إنما هو يوم متكرر، ليس مرادا لنفسه، وإنما هو مراد

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى
 «تقدير كان» ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٢٣ آية ١١٣ .
 (٦) سورة ٣٠ آية ٥٥ (٧) بين سطرى ظ: فى الحقيقة .

لما يكون فيه ، فإن ^١ كان خيرا كان صاحبه محمودا [و-] لم يضره قصره ، وإن كان ^٢ شرا كان مذموما ولم ينفعه طوله ، [ويجوز أن يكون أنت أولا إرادة للبالى ، لأنها محل الراحة المقصودة بالذات ، فكان كأنهم قالوا : لم يكن لنا راحة إلا بزمن يسير جدا أكثر أول العقود ، ونص الأمثل على اليوم الذى يكون الكد فيه للراحة فى الليل إشارة إلى أنهم ما كان لهم فى اللبث فى الدنيا راحة أصلا ، ولم يكن سعيهم إلا نكدا كله كما يكون السعى فى يوم ليلية يستراح فيها . وإن كانت فيه راحة فهى ضمنية لا أصلية -] .

ولما أخبر عن بعض ما سبق ثم عن بعض ما يأتى من أحوال المعرضين ١٠ عن هذا الذكر فيما ينتجه لهم إعراضهم عنه ، وختم ذلك باستقصارهم مدة لبثهم فى هذه الدار ^٣ . أخبر عن بعض أحوالهم فى الإعراض فقال : ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ ^٤ ما يكون حالها يوم ينفخ فى الصور؟ شكا منهم فى البعث وقوفهم مع الوهم فى أنها تكون موجودة على قياس وجودهم لا محالة ، لأنها أشد الأشياء قوة ، وأطولها لبثا ، ١٥ وابعدها مكثا . فتمنع بعض الناس من سماع النفخ فى الصور ، وتخيل للعض بحكم رجوع الهواء الحامل للصوت أنه آت من غير جهته فلا يستقيم المقصد إلى الداعى ^٥ ﴿ فقال ﴾ أى فتسبب عن علمنا بأنهم يسألونك هذا

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لما (٢) زيد من مد (٣) زيد فى مد : عماد -

كدا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : المدار (٥-٥) سقط ما بين الرقين من

ظ (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : المقصد الى المدهى - كذا .

السؤال أنا نقول لك : قل ، أو يكون على تقدير شرط ، أى فاذا ' سألوك
 فقل لهم ، [و - ٢] هذا بخلاف ما نزل بعد وقوع السؤال عنه مثل
 الروح [و - ٢] قصة ذى القرنين فإن الأمر بجوابه على طريق الاستئناف
 لما هناك من استشراف النفس للجواب (ينسفها) أى يقلعها من أما كتبها
 و يذريها بالهواء (ربي) المحسن إلى نصرى فى [يوم - ٢] القيامة نصرا ه
 لا يبلغ كنهه (نسفا لا) عند النفخة الأولى (فيذرها) أى أما كتبها
 (قاعا) أى أرضا ملساء (صفصفا لا) أى مستويا ، كأنه صف واحد
 [لا أثر للجبال فيه - ٢] (لا ترى) أى بالبصر [و - ٢] لا بالبصيرة (فيها) أى
 مواضع الجبال (عوجا) بوجه من الوجوه ، و عبر هنا بالكسر و هو للعانى ،
 و لم يعبر بالفتح الذى يوصف [به - ٢] الأعيان ، و مواضع الجبال أعيان ١٥
 لا معانى ، نفا للاعوجاج على أبلغ وجه ، بمعنى أنك لو جمعت أهل الخبرة
 بتسوية الأراضى لا تفقوا على الحكم باستوائها ، ثم لو جمعت أهل الهندسة
 فحكوا مقاييسهم العلمية بها لحكموا بمثل ذلك (و لا امتازة) أى شيئا
 مرتفعا كالكدية ، أو تتوا يسيرا أو شقا [أو اختلافا - ٢] ؛ و قال البيضاوى
 و الزمخشرى : الأمت التوا يسيرا ، قال الغزالى فى الدررة الفاخرة : ١٥

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فان (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقين مرظ (٥) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مستوا - كذا (٧) العبارة من هنا إلى « بالبصيرة »
 ساقطة من ظ (٨) زيد فى مد : هو (٩) العبارة من « و عبر هنا » إلى هنا ساقطة
 من ظ (١٠) من مد و الكشف ، و فى الأصل و ظ : النمو .

ينفخ في الصور فتطير الجبال ، و تفجر الأنهار بعضها في بعض ، فيمتلئ
عالم الهواء [ماء - ١] ، و تنتثر الكواكب و تتغير ^٢ السماء و الأرض ،
و يموت العالمون فتخلو ^٣ الأرض و السماء ^٤ ؛ قال : ثم يكشف سبحانه
عن بيت في سقر فيخرج لهيب النار فيشتعل في البحور فتكشف ، و يدع
٥ الأرض حمرة سوداء ^٥ ، و السارات كأنها عكر الزيت و النحاس المذاب ،
ثم يفتح تعالى خزائنه من خزائن العرش فيها بحر الحياة ، فيمطر به
الأرض ، و هو كمنى الرجال / فتبت الأجسام على هيئتها ، الصبي صبي ،
و الشيخ شيخ ، و ما بينها ، ثم تهب من تحت العرش نار لطيفة فتبرز
الأرض ليس فيها جبل و لا عوج و لا أمت ، ثم يحيي الله إسمرا فينفخ
١٠ في الصور ^٦ من صحرة القدس ، فتخرج الأرواح من ثقب في الصور
بعددها ^٧ كل روح إلى جسدها حتى الوحش و الطير فاذا هم بالساهرة .
و لما أخبر سبحانه بزوال ما يكون منه العوج في الصوت قال :
﴿ يومئذ ﴾ أى إذ ينفخ في الصور فتنسف ^٨ الجبال ﴿ يتبعون ﴾ أى
أهل المحشر [بغاية جهدهم - ^٩] ﴿ الداعى ﴾ أى بالنفخ ^٩ منتصبين إليه
١٥ على الاستقامة ﴿ لا عوج له ﴾ ^{١٠} أى الداعى ^{١٠} فى شيء من قصدهم إليه ،

/ ٤٧٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) يرض في الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٣-٢) في مد :
انساء و الأرض ؛ و زيد بعده في الأصل و ظ : ثم ، و لم تكن الزيادة في مد
لحذفها (٤) من ظ و مد و في الأصل : سواد (٥-٥) سقط ما بين الرقين
من مد (٦) بين سطرى ظ : الأرواح (٧) في ظ : بعد نسف (٨) زيد من مد .
(٩) من ظ و مد ، و في الأصل : النفخ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .
لأنه

لأنه ليس في الأرض ما يوجههم إلى التعرّيج^١ ولا يمنع الصوت من النفوذ على السواء^٢، وقال أبو حيان^٣: أي^٤ لا عوج لدعائه، بل يسمع جميعهم فلا يميل إلى ناس دون ناس .

و لما أخبر بخشوعهم في الحديث و الانقياد للدعوة، أخبر بخشوع غير ذلك من الأصوات التي جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال: هـ
 ﴿ و خشعت الاصوات ﴾ أي ارتخت و خفيت و [خفضت و -^١]
 تطامنت^٥ لخشوع أهلها^٦ ﴿ للرحمن ﴾ أي [الذي -^٦] عمت نعمه،
 فيرجى كرمه، و يخشى نقمه ﴿ فلا ﴾ أي فيتسبب^٧ عن رخاوتها أنك
 لا ﴿ تسمع الا همساء ﴾ أخفى ما يكون من الأصوات، [و قيل: أخفى
 شيء من أصوات الأقدام -^٨] .

١٠

[و لما تقرر ما للأصوات -^٦] من الانخفاض، وكان قد أشير
 [فيما مضى -^٨] إلى وقوع الشفاعة من بعض أخصائه بأذنه، وكان
 الحشر للحساب بمعرض التقريب لبعض و التباعد لبعض، و كانت العادة
 جارية بأن المقرب يشفع للبعد، لما بين أهل الجمع من الوصل و الأسباب
 المقتضية لذلك^٩، و كان الكفار يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم ١٥

- (١) من ظ و مد، و في الأصل: التعرّيج (٢) في البحر المحيط ٢٨٠/٦ .
 (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من مد (هـ-هـ) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: قسبب (٨) زيد من
 ظ و مد، و بهامش ظ: أي في سورة مريم حيث قال "لا يملكون الشفاعة
 الا من اتخذ عند الرحمن عهداً"^٩ (٩) بهامش ظ: أي الشفاعة .

قال نافيا لأن تقع شفاعه [بغير إذنه-^١] ، [معظما ذلك اليوم بالإنذار
 منه مرة بعد مرة-^٢] : ﴿يومئذ﴾ [أى إذ كان ما تقدم-^٣] ﴿لا تنفع الشفاعه﴾ أى لا تكون شفاعه^٤ ليكون لها نفع ، لأنه
 قد ثبت بما مضى أنه لا صوت ، وتقرر^٥ فى تحقيق المحصورات من
 علم الميزان أن السالبة^٦ الحقيقية لا تستدعى وجود الموضوع فى الخارج ،
 وإنما حول العبارة لأن المقصود بالذات النفع ، ففيه بادئ بدأ أفزع ،
 وقرع السمع به أولا أهول وأفرع ﴿الا﴾ أى إلا شفاعه ﴿من اذن
 له الرحمن﴾ العام النعمة ﴿ورضى له قولا﴾ و لو الإيمان المجرد .
 ولما نقي أن تقع الشفاعه بغير إذنه . علل ذلك^٧ - كما سلف فى
 ١٠ آية الكرسي - بقوله : ﴿يعلم ما بين ايديهم﴾^٨ أى الخلاق^٩ [وهو
 كل ما يعلونه-^{١٠}] ﴿وما خلفهم﴾^{١١} وهو كل ما غاب عنهم عليه^{١٢} .
 أى عليه [سبحانه-^{١٣}] محيط بهم ، فهو يمنح قلوبهم فى ذلك اليوم
 بما يوجد من الأسباب أن تهتم بما لا يرضاه ﴿ولا يحيطون به علماء﴾
 ليحترزوا عما^{١٤} يقدره عليهم ، و "علما" تمييز منقول من الفاعل ،

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « أهول
 و أفرع » متكررة فى الأصل فقط قبل « يومئذ » (٤) من مد ، وفى الأصل
 و ظ : يقرر (٥) فى ظ : الكلية (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : لولا (٧) بين
 سطرى ظ : علم وقوع الشفاعه (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) من مد ،
 وفى الأصل : من ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى
 « اليوم » (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : بما .

[أى - ١] ولا يحيط عليهم به - قاله أبو حيان^٢ . والأقرب عندى^٣

كونه متغولا عن المفعول الذى تعدى إليه الفعل بحرف الجر، أى ولا

يحيطون ببله؛ فيكون ذلك أقرب إلى ما فى آية الكرسي^٤ .

٤٧٦/

ولما ذكر خشوع الأصوات، أتبعه خضوع^٥ دونها فقال :

{ وعتت الوجوه } أى ذلك^٦ وخضعت واستسلمت^٦ [وجوه الخلاق^٥

كلهم - ٧] ، وخصها لشرفها ولأنها أول ما يظهر فيه الذل { للحي }

الذى هو مطلع على الدقائق والجلائل ، وكل ما سواه جماد حيث ما

نسبت حياته إلى حياته { القيوم^٦ } الذى لا يغفل عن التدبير ومجازاة

كل نفس بما كسبت { وقد خاب } أى خسر [خسارة ظاهرة - ٧]

{ من حمل } منهم [أو من غيرهم - ٧] { ظلما } .

١٠

ولما ذكر الظالم، أتبعه الحكيم^٨ فقال : { ومن يعمل } ولما كان

الإنسان محل العجز وإن اجتهد، قال : { من الصلحت } أى التى

أمره^٩ الله بها بحسب استطاعته ، لأنه «لن يقدر الله أحد حق قدره ،

« ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، { وهو مؤمن } ليكون بناؤها على

الأساس ، [وعبر بالفاء إشارة إلى قبول الأعمال وجعلها سببا لذلك الحال

١٥ فقال - ٧] : { فلا يخف ظلما } [بأن ينسب إليه سوء لم يقترفه - ٧]

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى البحر المحيط ٢٨٠/٦ (٣) وبهامش ظ : تعقيب

مطول على ما وصفه المؤلف بالأقرب (٤) بهامش ظ : أعنى " ولا يحيطون

بشيء من علمه " (٥) فى مد : خشوع (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٧) زيد من مد (٨) فى مد : الحليم ، وبهامش ظ : وهو من يضع الأشياء فى

محلها والظالم عكسه (٩) من مد ، وفى الأصل وظ : امر .

لأن الجزاء من جنس العمل: ' و قراءه ابن كثير بلفظ النهى محققة للبالغة في النهى (ولا هضاه) أى نقصا من جزائه وإن كان هو لم يوف المقام حقه لأنه لا يستطيع ذلك '، ' وأصل المضم الكسر، وأما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال من الأعمال لم يكن لها وزر ' .

٥ ولما اشتملت هذه الآية على الذروة من حسن المعاني، فبشرت وبسرت، وأنذرت وحذرت، وبينت الخفايا، وأظهرت الحجابا^٢، مع ما لها من جلالة السبك و براعة النظم. كان كأنه قيل 'نتيها على جلالتها': أنزلناها على هذا المنوال العزيز المثال (وكذلك) أى ومثل هذا الإنزال (أنزلته) أى هذا الذكر كله بعظمتنا (قرأنا) جامعا ١٠ لجميع المعاني المقصودة (عربيا) مبينا لما أودع فيه لكل من له ذوق في أساليب العرب .

ولما كان أثر هذه الآيات محذرا، قال: (و صرفنا) أى بما لنا من العظمة (فيه من الوعيد) أى ذكرناه مكررين له محولا في أساليب مختلفة، و أفانين متنوعة مؤتلفة .

١٥ ولما ذكر الوعيد. أتبعه نمرته فقال: (لعلهم يتقون) أى ليكون الناظر لهم بعد ذلك على رجاء من أن يتقوا^٣ و يكونوا به في عداد من يحدد التقوى كل حين، بأن تكون [له -^٤] وصفا مستمرا، وهى الحذر الحامل

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) بين سطرى ظ: توفية المقام حقه (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: الخفايا (٤) سقط من ظ (٥) من مد، وفي الأصل: تقي، وانعبارة من 'ايكون' إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد من مد .

على اتخاذ الوقاية بما يحذر (او) في عداد من (يحدث) أى يحدث
هذا التصريف^١ (لهم ذكراه) أى ما يستحق أن يذكر من طرق
الخير ، فيكون سببا للخوف الحامل على التقوى ، فيردم عن بعض
ما تدعو إليه النفوس من النقائص والبؤس .

ولما بلغت هذه الجمل نهاية الإعجاز ، فاشتملت على غاية الحكمة ، هـ

دالة على أن لقائلها تمام العلم والقدرة والعدل في أحوال الدارين ، تسبب
عن سوقها كذلك أن بان له من العظمة ما أفهمه^٢ قوله ، أعظمها لنفسه

[الأقدس بما هو له أهل -^٣] بعد تعظيم كتابه [تعليما لعباده ما يجب

له من الحق -^٤] دالا بصيغة التفاعل على مزيد العلو : (فتعلى الله)

أى [بلغ -^٥] الذى لا يبلغ الواصفون وصفه^٦ حق وصفه من العلو^٧ . ١٠

أمرا لا تختمه العقول ، فلا يلحقه شئ من إلحاد الملحدين ووصف

المشركين (الملك) الذى لا يعجزه / شئ . فلا ملك فى الحقيقة غيره

(الحق ج) أى الثابت الملك . فلا زوال لكونه ملكا فى زمن ما ؛ [و -^٨]

لعظمة ملكه وحقية^٩ ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من
الأمور المتباينة^{١٠} .

١٥

(١) فى الأصل بياض ملأناه من مد ، و العبارة من « أى يحدث » إلى هنا ساقطة

من ظ (٢) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فخذناها .

(٣) العبارة من هنا إلى « مزيد العلو » ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥) العبارة

من هنا إلى « وصف المشركين » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل :

الظواهر (٧) من مد ، وفى الأصل : حقيقة (٨) العبارة من « لعظمة » إلى هنا

ساقطة من ظ .

ولما كانت هذه الآيات في ذم من أعرض عن هذا الذكر، كان التقدير: فلا تعرض عنه، [بل أقبل عليه - ١] لتكون من المتقين الذاكرين، ولما كان هذا الحث^٢ [العظيم - ٢] ربما اقتضى^٣ للسابق في التقوى المبالغة في المبادرة إليه فيستعجل بتلقفه قبل الفراغ من إيجائه، قال عاعظنا على هذا المقدر^٤: (ولا تعجل بالقرآن) أى بتلاوته .

ولما كان النهى عاما بجميع الأوقات القبلية، دل عليه بالجار ثلا يظن أنه خاص بما يستغرق زمان القبل [جملة واحدة - ١] فقال: (من قبل ان)^٥ ولما كان النظر هنا إلى فراغ الإيجاء لا إلى موح معين، بنى للجهول قوله^٦: (يقضى^٢) أى ينهى (اليك وحيه^٧) من ١٠ الملك النازل إليك من حضرتنا به كما أنا لم نعجل بانزاله عليك جملة، بل رتلناه لك ترتيلا، و نزلناه^٨ إليك تنزيلا مفصلا تفصيلا، وموصلا توصيلا - كما أشرنا إليه أول السورة^٩، فاستمع له ملقيا جميع تأملك إليه^{١٠} ولا تسأقه بالقراءة^{١١}، فاذا فرغ^{١٢} فاقراه فانا نجعله في قلبك ولا نسقيك بانسائه وأنت مصغ إليه، ولا بتكليفك للساقية^{١٣} بتلاوته

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الحديث (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: افضى (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: المقدار (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: نزلنا. (٨) بهامش ظ: حيث قلنا « تنزيلا من خلق الارض » (٩) بين سطرى ظ: أى الملك (١٠) بهامش ظ: أى تساوى الملك في التالظ بحيث تكونان حال اللفظ سواء .

(و قل رب)^١ أى المحسن إلى بافاضة العلوم على^٢ (زدنى علماء)
 أى بتفهيم ما أنزلت إلى منه^٣ وإنزال غيره كما زدتنى بانزاله وتحفيظه ،
 لتتمكن^٤ من معرفة الأسباب المفيدة لتبع الخلق لك ، فانه كما تقدم على
 قدر إحاطة العلم يكون شمول القدرة ، وفي هذا^٥ دليل على أن التأني
 في العلم بالتدبر وبالقاء^٦ السمع أنفع من الاستعجال المتعب للبال المكدر^٧
 للحال ، وأعون على الحفظ ، [فن وعى شيئاً حق الوعى حفظه غاية
 الحفظ - ٦] ؛ وروى الترمذى^٨ وابن ماجه^٩ والبزار عن أبي هريرة
 رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم
 انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علماً والمحمد لله على كل حال ،
 وأعوذ بالله من حال أهل النار - أفاده ابن كثير فى تفسيره . ١٠

ولما قرر سبحانه بقصة موسى عليه السلام ما أشار إليه أول السورة
 بما هو عليه من الحلم والتأني على عباده ، وإمهال لهم فيما هم عليه من
 النقض بالنسيان للعهود والنقض للوائق ، وأتمها [ذكر - ٩] مدح

(١ - ١) سقط ما بين الرتين من ظ (٢) بين سطرى ظ : الذكر (٣) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : ليتمكن (٤) بين سطرى ظ : أى قوله « فلا تعجل »
 (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : القاء (٦) زيد من ظ ومد (٧) فى الدعوات ؛
 وبهامش ظ : قوله « وروى الترمذى » موقعه دليل على الدعوى التى ادعاها
 الشيخ من كون التأني فى العلم بالتدبر إلى آخره ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم
 سأل ربه فى أن ينفعه بما علمه فأرشدته إلى قوله « فلا تعجل » - والواو فى « وروى »
 للعطف ، أعنى عطف الدليل على الدعوى (٨) فى المقدمة (٩) زيد من مد .

هذا الذكر الذي تأدت إلينا به ، و ذم من أعرض عنه ، و ختمه بما عهد إليه صلى الله عليه و سلم في أمره نهيا و أمرا ، أتبع ذلك سبحانه قصة آدم عليه السلام تحذيرا من الركون إلى ما يسبب النسيان ، و حثا على رجوع من نسي إلى طاعة الرحمن ، و يانا لأن ذلك الذى قوره من حله و إمهاله عادته سبحانه من القدم ، و صفته التى كانت و نحن فى حيز

/ ٤٧٨

العدم ، و أنه جبل الإنسان على النقص ، فلو أخذهم^٢ بذنوبهم ما ترك عليها من دابة ، فقال عاطفا على قوله " و كذلك انزلته حكما عريا " أو " كذلك نقص عليك من انباء ما قد / سبق " مؤكدا لما تقدم فيه و عهد به من أمر القرآن ، و محذرا من الإخلال بذلك و لو على وجه النسيان ،

١٠ أو منجزا لما وعد به من قصص أنباء المتقدمين بما يوافق هذا السياق : (و لقد عهدنا) • بما لنا من العظمة • (إلى آدم) • أبى البشر الذى أطلعناه على كثير منها فى النهى عن الأكل من الشجرة (من قبل) أى فى زمن • من الأزمان الماضية • قبل هؤلاء الذين تقدم فى هذه السورة ذكر نسيانهم و إعراضهم (فنسى) عهدنا و أكل منها مع^٣ عليه ١٥ من تلك العظمة بما لا ينبغى أن ينسى معه ذلك العهد المؤكد بذلك الجلال ، فمددنا عليه وقوعه فى ذلك المنهى ناسيا ذنبا لعلو رتبته عندنا ، فهو

(١) بين سطرى ظ : وصلت القضية (٢) بهامش ظ : الضمير فى « أخذهم » يرجع إلى المعنى الذى يفهمه الإنسان ، أى لو أخذ جميع الناس (٣) العبارة من هنا إلى « هذا السياق » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : بما (٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ : بمظمتنا التى (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : به .

من^١ باب « حسنات الأبرار^٢ سيئات المقربين » فكيف بما فوق ذلك^١
 (ولم نجد) بالنظر^٣ إلى ما لنا من العظمة^٤ (له عزما^٥) أى
 [قصدا صلبا ماضيا وإرادة نافذة لا تردد فيها كإرادات الملائكة عليهم
 السلام، والمعنى أنه -^٦] لم يتعلق علينا بذلك^٦ موجودا، ومع ذلك^٧
 عفونا عنه ولم نزحزحه^٨ عن رتبة الاصطفاء .

ولما كان المقصود من السورة - كما سلف - الإعلام بالحلم والآناة
 والتلطف بالناثق^٩ والقدرة على المعرض، ذكر فعلة^{١٠} آدم عليه السلام
 هذه في هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بأنها على وجه النسيان،
 وذكر ذلك أولا بجملة ثم أتبعه تفصيله ليكون ذلك مذكورا مرتين،
 تأكيدا للمعنى المشار إليه، تقريرا وتحذيرا من الوقوع في منهى، وإرشادا^{١٠}
 لمن " غلب عليه " طبع النقص إلى المبادرة إلى الندم و تعاطى أسباب
 التوبة ليتوب الله عليه كما فعل بآدم عليه السلام فقال: (واذ^{١١} أى
 اذكر هذا واذكر حين^{١٢}) (قلنا) بما لنا من العظمة،^{١٣} أى اذكر
 قولنا في ذلك الوقت^{١٤} (للآنك)^{١٥} أى المجبولين على مضى العزم

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: في (١) بهامش ظ: أى فوق المقربين وهم
 الأنبياء (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد .
 (٥) زيد قبله في الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من
 مد، وفي الأصل و ظ: ٤ (٧) بين سطرى ظ: أى ومع عدنا وقوعه في
 ذلك ذنباً (٨) في مد: لم يزحزحه (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: بالثاني؛
 وبين سطرى ظ: البعيد (١٠) من مد، وفي الأصل: قوله، وفي ظ: زلة .
 (١١-١١) في مد: غلبه (١٢) في ظ: اذ (١٣) العبارة من هنا إلى « نور »
 ساقطة من ظ .

والتصميم^١ على القصد^٢ من غير مانع تردد^٣ ولا عائق قور (اسجدوا لآدم) الذي خلقته يدي ، فلم فأمرهم بذلك إلا بعد أن اصطفيهاه ونحن عالمون بما سيقع منه ، وأنه لا يقدر في رتبة اصطفايته ، فان الحلم والكرم من صفاتنا ، والرحمة من شأنا ، فلا تياس من عودنا بالفضل والرحمة على من بالغ في مقاطعتنا من قومك الذين وصفناهم بالدد (فسجدوا) [أى الملائكة - ٤] (آآ ابليلس^٥) الذي نسب الله إلى الجور والإخلال بالحكمة^٦ فكفر فأيس من الرحمة وسلب الخير فأصر على إضلال الخلق بالتليس ، فكأنه قيل : ما كان من حاله^٧ في عدم سجوده^٨؟
 قيل : (أبى^٩) أى تكبر على آدم فعصى أمر الله (قلنا) بسبب ذلك^{١٠} بعد أن حلينا عنه ولم نعالجه بالعقوبة : (يأدم ان هذا) الشيطان الذي تكبر عليك (عدو لك) دائما لأن الكبر^{١١} الناشئ عن الحسد لا يزول (ولزوجك) لأنها منك (فلا يخرجكما) أى لا تصفيا إليه بوجه فيخرجكما ، ووجه النهى^{١٢} إليه والمراد : هما ، تنبها على أن لها من الجلالة [ما ينبغي أن تصان عن أن يتوجه إليها نهى ، وأسند الإخراج إليه لزيادة التحذير والإبلاغ في التنفير ، وزاد - ٤] في

(١) من مد ، وفي الأصل : التعميم (٢) من مد ، وفي الأصل : المقصد (٣) زيد بعده في الأصل : مانع ، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٤) زيد من مد . (٥) العبارة من هنا إلى « بالتليس » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل : بالحكم (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : المتكبر (٩) العبارة من هنا إلى « التنبه بقوله » ساقطة من ظ (١٠) من مد ، وفي الأصل : النهى .

التنيه بقوله : (من الجنة) أى ' فانه لا يقصر فى شركا وإرادة
إنزالها عنها .

ولما نص سبحانه على شركتها له^١ فى الإخراج فكان من المعلوم
شركتها له فى آثاره ، وكانت المرأة تابعة للرجل ، فكان هو المخصوص
فى هذه الدار بالكل فى الكد والسعى ، والذب والرعى ، وكان أغلب ه
تعبه فى أمر المرأة . أفرد بالتحذير من التعب لذلك وعدا لتعبها / بالنسبة
إلى تعبها عدما ، وتعريفا بأن أمرها بيده ، وهو إن تصلب قاعها^٢ إلى
الخير ، وإلا قادته إلى الضير . وعبر عن التعب بالشقاء زيادة فى التحذير
[منه -^٣] فقال : (فتشقى ه) أى فتعب ، ولم يرد شقاوة الآخرة ، لأنه
لو أرادها ما دخل الجنة بعد ذلك^٤ ، لأن الكلام المقدر بعد الفاء خبر ، ١٠
والخبر لا يخالف . ثم علل شقاوته على تقدير الإخراج بوصفها بما لا يوجد
فى غيرها^٥ من الأقطاب التى يدور عليها كفاف الإنسان ، وهى الشبع
والرى والكسوة والكن ، ذاكرا^٦ لها بلفظ النى لتقائضها ليطرق سمعه
بأسماء أصناف الشقاوة التى حذر منها ليصير^٧ بحيث يتحامى السبب الموقع
فيها كراهة لها ، فاذا مضت عليه القدرة الباهرة علم أنه لا يبقى حذر من ١٥
قدر ، فقال : (ان لك) أى علينا (الاتجوع فيها) أى يوما ما
(ولا تعزى ه) فلا يتجرد باطنك ولا ظاهرك (وانك لا تظموا)

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : قارها (٣) زيد من مد .
(٤) بين سطرى ظ : أى الله (٥) بين سطرى ظ : الإخراج (٦) العبارة من
هنا إلى « من قدره ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : ذكرا (٨) من مد ،
وفى الأصل : ليصيره (٩) سقط من مد .

'بالتهاب القلب' (فيها ولا تضحى ه) أى لا يكون بحيث يصيبك حر
 الشمس، والمعنى أنه لا يصيبك حرفى الباطن ولا فى الظاهر (فوسوسن)
 أى فتعقب تحذيرنا هذا من غير بعد فى الزمان أن وسوس (إليه الشيطان)
 المحترق المطرود، وهو إبليس، أى ألقى إليه على وجه الخفاء بما مكناه
 ٥ من الجرى فى^٢ هذا النوع مجرى الدم، وقذف المعانى فى قلبه،
 وكأنه^٣ عبر به 'الى'، لأن المقام لبيان سرعة قبول هذا النوع للنقائص
 وإن أتته من بعد، أو لأنه ما أنهى إليه ذلك إلا بواسطة زوجه،
 لذلك عدى الفعل عند ذكرهما باللام، وكأنه قيل: ما دس إليه؟
 فقيل: (قال ينادم) ثم ساق له الغش مساق العرض، إبعادا لنفسه
 ١٠ من التهمة أو الغرض؛ وشوقه إليه أولا بقوله: (هل ادلك) فان
 النفس شديدة الطلب لعلم ما تجهله؛ وثانيا بقوله: (على شجرة الخلد)
 أى التى من أكل منها خلد، فان الإنسان أحب شىء فى طول البقاء؛
 وثالثا بقوله: (و ملك لا يبلى ه) أى لا يخاق أصلا، فكأنه قال له
 بلسان الحال أو القال: نعم، فقال: شجرة الخلد هذه - مشيرا إلى التى
 ١٥ نهى عنها - ما بينك وبين الملك الدائم إلا أن تأكل منها. (فاكلا)
 أى فتسبب عن قوله و تعقب أن أكل (منها) هو و زوجته، متبعين
 لقوله ناسيين ما عهد إليهما (فبدت لهما) لما خرقا من ستر النهى و حرمة
 (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: من .
 (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: لانه (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: شرعة .
 (٥) فى مد: المقال (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: زوجته .

(سواتها) وقوعاً لما حذرا منه من إخراجها عما كانا فيه
 (وطفقا) أى شرعاً (يخصفن) [أى - ١] يخيطان^٢ أو يلبقان^٣
 (عليهما من ورق الجنة) ليسترا عوراتها (وعصى^٤ آدم) وإن
 كان إنما فعل المنهى نسياناً، لأن عظم^٥ مقامه وعلو رتبته يقتضيان له
 مزيد الاعتناء ودوام المراقبة مع ربط الجأش وبقظة الفكر (ربه) ٥
 أى المحسن إليه بما لم ينله^٦ أحداً من نبيه من تصويره له بيده وإسجاد
 ملائكته له ومعاداة من عاداه (فغوى^٧) [من - ١] الغواية^٨ [وهى
 الضلال ، ولذلك قالوا : المعنى : فضل - ١] عن طريق السداد ، فأخطأ^٩
 طريق التوصل إلى الخلد^{١٠} بمخالفة أمره ، وهو صفيه ، لم ينزله عن
 رتبة الاصطفاء ، لأن رحمته / واسعة ، وحله عظيم ، وعفوه شامل ، ١٠ / ٤٨٠
 فلا يهملك أمر القوم اللد ، فانا قادرون على أن تقبل بقلوب من شئنا
 منهم فنجعلهم من أصفى الأصفياء ، ونخرج من أصلاب من شئنا منهم
 من نجعل قلبه معدن الحكمة والعلم .

ولما كان الرضى عنه - مع هذا الفعل الذى أسرع^{١١} فيه فى اتباع
 العدو و عصيان المولى^{١٢} بشيء لا حاجة به إليه - مستبعداً^{١٣} جداً ، أثبت ١٥

(١) زيد من مد (٢-٣) فى مد : أو يلزقان ، وما بين الرقين ساقط من ظ (٣) فى
 مد : عظيم (٤) بين سطرى ظ : يعطه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد ،
 وزيد فى ظ موضعه : أى فضل (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) بهامش
 ظ : يقال : أسرع الشيء : أى جد فيه فيكون متعدياً (٩) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : المولى (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : مستبعد .

ذلك تعالى مشيراً إليه بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم اجتنبه ربه ﴾ أى المحسن إليه ﴿ فتاب عليه ﴾ أى 'سبب الاجتباء' بالرجوع إلى ما كان عليه من طريق السداد^١ ﴿ وهدىه ﴾ بالحفظ فى ذلك كما هو الشأن فى أهل الولاية و القرب .

• ولما كانت دور الملوك لا تحتل مثل ذلك ، وكان قد قدم سبحانه عنايته بآدم عليه السلام اهتماماً به ، وكان الخبر عن زوجه وعن إبليس لم يذكر ، فكانت نفس السامع لم تسكن عن تشوفها إلى سماع بقية الخبر . أجب عن ذلك بأنه أهبط من داره المقدسة الحامل على المخالفة و المحمول^٢ وإن كان قد هياه بالاجتباء لها ، فقال على طريق الاستئناف : ﴿ قال ﴾ أى الرب الذى انتهكت حرمة داره : ﴿ اهبطا منها ﴾ أيها الفريقان : آدم و تبعه ، وإبليس ﴿ جميعاً ﴾ .

ولما كان السياق لوقوع النسيان و انحلال العزم بعد أ كيد العهد ، حرك^٣ العزم و بعث الهم بايقاع العداوة التى تنشأ عنها المغالبة ، فبعث الهمم و تثير العزائم ، فقال فى جواب من كأنه قال : على أى حال يكون الهبوط^٤ : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ و هو صادق بعداوة كل من الفريقين للفريق^٥ الآخر : فريق إبليس - الذين^٦ هم الجن - بالإضلال ، و فريق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل : وهدى الرشاد فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) بهامش ظ : الحامل على المخالفة إبليس ، و المحمول آدم و زوجه (٤) من ظ و بد ، وفى الأصل : حرام لى . (٥) زيد فى ظ : قيل (٦) ونسخة مد يتورها من ههنا سقطت قنتهى إلى ما سنبه عليه (٧) فى ظ : الذى .

الإنس بالاحتراز منهم بالتعاونيد والرفق وغير ذلك ، وبعداوة بعض كل فريق
 لبعضه^١ (فاما) أى قسب عن ذلك العلم بأنه لا قدرة لأحد منكم على
 التحرز من عدوه إلا بنى ولا حرز لكم من قبلى إلا اتباع أمرى ، [فاما -^٢]
 (ياتينكم)^٣ أى أيها الجماعة الذين هم أضل ذوى الشهوات من المكلفين^٤
 (منى هدى^٥) تحترزون به عن استهواء العدو واستزلاله (فمن اتبع)^٥
 عبر بصيغة ' افعل ' التى فيها تكلف وتعيم للتبع الناشئ عن شدة
 الاهتمام (هدى) الذى أسعفته به من أوامر الكتاب^٦ والرسول
 المؤيد بدلالة العقل ، وللتعبير بصيغة ' افعل ' قال : (فلا يضل) أى
^٢ بسبب ذلك^٣ ، عن طريق السداد فى الدنيا ولا فى الآخرة أصلا
 (ولا يشق^٥) أى فى شىء من سعيه فى واحدة منها ، فان الشقاء عقاب^{١٠}
 الضلال ، ويلزم^٥ من فيه^٥ نفي الخوف والحزن بخلاف العكس ، فهو
 أبلغ^٦ بما فى البقرة^٧ ، فان^٨ المدعو إليه فى تلك مطلق العبادة ، والمقام
 فى هذه للخشية والبعث على الجد بالعداوة " : الا تذكرة لمن يخشى "
 والاقبال على الذكر " من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا "
 والتحفظ من المخالفة ولو بالنسيان " نفسى / ولم نجد له عزا " - [٩] . ١٥ / ٤٨١

قال الرازى فى اللوامع : و الشقاء : فراق العبد من الله ، و السعادة وصوله

(١) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذفتاها (٢) زيد من ظ .

(٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) بهامش ظ : أعنى " فمن تبع هدى

فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون " (٥-٥) فى ظ : منه (٦) فى ظ : انفع (٧) راجع

آية ٣٨ (٨) فى ظ : لان (٩) زيد من ظ و القرآن الكريم .

إليه؛ أو قال الأصهباني عن ابن عباس رضى الله عنهما: ضمن الله عز وجل لمن أتبع القرآن أن لا يبضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة^١. (ومن اعرض) أى فعل دون فعل الرضيع بتعمد الترك لما ينفعه بالمجاورة^٢ (عن ذكرى) الذى هو الهدى (فان له) ضد ذلك (معيشة) جقرها سبحانه ٥ بالتأنيث ثم وصفها بأفطع وصف وهو مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع وغيره فقال: (ضنكا) أى ذات ضنك أى ضيق، لكونه على ضلال وإن رأى أن حاله على غير ذلك فى السعة والراحة، فان ضلاله لا بد أن يرديه، فهو ضنك لكونه سببا للضيق وآثلا إليه، من تسمية السبب باسم المسبب، منع أن المعرض عن الله لا يشبع ١٠ ولا يبضل إلى أن يقنع، مستولى عليه الحرص الذى لا يزال أن يطيح يبال من يريد الازدىاد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الإنفاق، عن مناواة الخصوم، وتعاقب الهموم، مع أنه لا يرجو ثوابا، ولا يأمن عقابا، فهو لذلك فى أضييق الضيق، لا يزال همه أكبر من وجده ولو كان لابن آدم واد من ذهب لا تبغى إليه ثانيا، ولو أن له ١٥ واديين لا تبغى لهما ثالثا، ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، - متفق عليه عن أنس رضى الله عنه، وهكذا حال من أتبع نفسه هواها، وأما المقبل^٣ على الذكر بكليته فهو قانع راض بما هو فيه، مستكثر من ذكر الله الشارح للصدور الجالى للقلوب فهو فى أوسع سعة، فلا تقتر بالصور^٤ وانظر إلى المعانى.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: القبل (٣) من

ظ، وفى الأصل: بالفتور.

ولما ذكر حاله في الدنيا، أتبعه قوله: ﴿ ونحشره يوم القيمة اعمى ٥ ﴾
وكان ذلك في بعض أوقات ذلك اليوم، قال ابن عباس^١ رضي الله عنهما:
إذا خرج من القبر خرج بصيرا، فإذا سبق إلى المحشر عمى، أو يكون
ذلك -^٢ وهو أقرب مفهوم العبارة^٣ - في بعض أهل الضلال ليجتمع
مع قوله " اسمع بهم و ابصر يوم ياتوننا " و حديث عبد الله بن عمر^٤
رضي الله عنهما في الصحيح^٥ من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
الظلم ظلمات يوم القيامة .^٦ ثم استأنف قوله: ﴿ قال ﴾ مذكرا بالنعمة
السابقة استعطافا لأن من شأن مسلف نعمة أن يريها وإن قصر المنعم
عليه، وغاية ذلك إنما يكون مهما بقي للصلح موضع: ﴿ رب ﴾ أي^٧
أيها المحسن إلى المسبغ نعمه عليّ ﴿ لم حشرتني ﴾ في هذا اليوم ١٠
﴿ اعمى وقد كنت ﴾ أي في الدنيا، أو في أول هذا اليوم ﴿ بصيرا ٥ ﴾
فكأنه قيل: بم أجيب؟ فقيل: ﴿ قال ﴾ له ربه: ﴿ كذلك ﴾ أي
مثل هذا الفعل الشنيع^٨ فعلت في الدنيا،^٩ و المعنى: مثل ما قلت كان:
ثم فسر على الأول، و علل على الثاني، فقال: ﴿ اتك ايتنا ﴾ على
عظمتها التي هي من عظمتنا^{١٠} ﴿ فنسيتهاج ﴾ أي فعاملتها^{١١} باعراضك عنها ١٥
معاملة المنسى الذي لا يبصره صاحبه، فقد جعلت نفسك أعمى البصر

(١) العبارة من هنا إلى ٥ يكون ذلك ٥ ساقطة من ظ (٢) راجع البحر ٦/٢٨٧ .
(٣-٢) في ظ: أو (٤) كتاب المظالم باب الظلم ظلمات يوم القيامة .
(٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) سقط من ظ (٧-٧) في ظ: ذلك .
(٨) من ظ ، وفي الأصل: فعاملتك .

و البصيرة عنها ، كما قال تعالى " الذين كانت / اعينهم في غطاء عن
 ذكرى " (وكذلك) أى ومثل ذلك النسيان الفطيع ، وقدم الظرف
 ليسد سوقه للظروف و يعظم اختباره لفهمه فقال : (اليوم تنسى ه)
 ' أى ترك على ما أنت عليه بالعمى و الشقاء بالنار ' ، فتكون كالشيء
 ٥ الذى لا يبصره أحد و لا يلتفت إليه (وكذلك) أى ومثل [ذلك - ٢]
 الجزء الشديد (يجزى من اسرف) فى متابعة هواه فتكبر عن متابعة
 أوامرنا (ولم يؤمن بايت ربه ١) ' فكفر إحسانه ' إما بالتكذيب
 و إما بفعله فعل المكذب .

ولما ذكر أن هذا الضال كان فى الدنيا معذبا بالضنك ٦ ، و ذكر
 ١٠ بعض ما له فى الآخرة ، قال مقسما لما له من التكذيب : (ولعذاب الآخرة)
 بأى ٧ نوع كان (اشد) من عذاب الدنيا (و اتقى ه) منه ، فان الدنيا
 دار زوال ، و موضع قلعة ٨ و ارتحال .

ولما كان ما مضى من هذه السورة و ما قبلها من ذكر مصارع
 الأقدمين ، و أحاديث المكذبين ، بسبب العصيان على الرسل ، سببا عظيما
 ١٥ للاستبصار و البيان ، كانوا أهلا لأن ينكر عليهم لزومهم لهمام ٩ فقال
 تعالى : (افلم يهد) أى بين (لهم كم اهلكنا قبلهم) أى كثرة إهلاكنا

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : للتكبر (٥) من ظ ، وفى الأصل : كانه (٦-٦) ما بين
 الرقيين بياض فى الأصل ملاءه من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : اى (٨) من
 ظ . وفى الأصل : قطعة (٩) من ظ ، وفى الأصل : لغيبهم .

لمن تقدمهم^١ (من القرون) بتكذيبهم لرسنا، حال كونهم
 (يمشون في مسكنهم^٢) ويعرفون خبرهم بالتوارث خلفا عن سلف أنا
 نصر أوليائنا ونهلك أعدائنا ونفعل ما شئنا^٣ والأحسن ان لا يقدر
 مفعول، ويكون المعنى: أولم يقع لهم البيان^٤ الهادى، ويكون
 ما بعده استنفا عينا كما وقع البيان^٥ بقوله استنفا: (ان في ذلك)^٥
 أى الإهلاك^٦ العظيم الشأن^٧ المتوالى في كل أمة (لايت) عظيما
 البيان (لاولى النهى^٨) أى العقول التى من شأنها النهى عما لا ينفع
 فضلا عما يضر، فانها تدل بتواليها على قدرة الفاعل، وبتخصيص الكافر
 بالهلاك والمؤمن بالنجاة على تمام العلم [مع -^٩] عموم القدرة،
 وعلى أنه تعالى لا يقرب على الفساد وإن أمهل - إلى غير ذلك من له ١٠
 وازع من عقله .

ولما هددهم باهلاك الماضين، ذكر سبب التأخير عنهم، عاطفا
 على ما أرشد إلى تقديره السياق، وهو مثل ان يقال: فلو أراد سبحانه
 لعجل عذابهم: (ولو لا كلية) أى عظمة ماضية نافذة (سبقت)
 أى فى الأزل^١ (من ربك) الذى عودك بالإحسان بأنه يعامل ١٥
 بالحلم^٢ والأناة، وأنه لا يتأصل مكذيك، بل يمد لهم، ليرد من شاء
 (١) من ظ، وفى الأصل: تقدم (٢) من ظ، وفى الأصل: البيئات .
 (٣-٢) موضع ما بين الرقين فى ظ: ثم عظم ما فى ذلك (٤-٤) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: اصلا (٦) زيد من ظ (٧) من ظ،
 وفى الأصل: بالحكم .

منهم ويخرج من أصلاب بعضهم من بعده ، وإنما ذلك إكراما لك
 ورحمة لامتك لأننا كما قلنا أول السورة "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"
 باهلا كههم وإن كانوا قوما لدا ، ولا بغير ذلك ، وما أنزلناه إلا لتكثر
 أتباعك ، فيعملوا الخيرات ، فيكون ذلك زيادة في شرفك ، وإلى ذلك
 الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه
 الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » (لكان) أى العذاب
 (لزاما) أى لازما أعظم لزوم لكل من أذنب عند أول ذنب يقع
 منه لشرفك عنده وقربك لديه (و) لو لا (أجل مسمى) ضربه لكل
 شيء لكان الأمر كذلك أيضا ، لكنه سبقت رحمته غضبه فهو لا يعجل ،
 ١٠ / ٤٨٣ و ضرب الأجل فهو لا يأخذ قبله ، وكل من سبق / الكلمة وتسمية
 الأجل مستقل بالإمهال فكيف إذا اجتمعا ، فتسبب عن العلم بأنه
 لا بد من استيفاء الأجل وإن زاد العاضى فى العصيان تسليم الأمور إلى
 الله وعدم القلق فى انتظار الفرج فقال : (فاصبر على ما يقولون)
 لك من الاستهزاء وغيره .

١٥ ولما كان الصبر شديدا على النفس منافرا للطبع ، لأن النفس
 مجبولة على النقائص ، مشحونة بالوساوس ، أمر منه لأجل من يحتاج
 إلى الكمال بما ينهض بها من حضيض الجسم إلى أوج الروح بمقامى

(١) رواه البخارى فى صحيحه - باب كيف نزل الوحي ، من كتاب فضائل
 القرآن (٢) زيد فى الصحيح : يوم القيامة (٣-٢) سقط ما بين الرقمن من ظ .
 (٤) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : فهو مستقيل .

التحلى [بالكمالات و التخلي عن الرعونات، و بدأ بالأول لأنه العون على الثاني، و ذكر أشرف الحلى - ١] فقال: ﴿ و سبح بحمد ربك ﴾ أى اشتغل بما ينجيك من عذابه، و يقربك من جنابه، بأن تنزهه من أحسن إليك عن كل نقص، حال كونك حامدا له بالبات كل كمال، و ذلك بأن تصلى له خاصة^٢ و تذكره بالذكرين^٣، غير ملتفت إلى شيء سواه ه
﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ صلاة الصبح ﴿ و قبل غروبها ﴾ صلاة العصر و الظهر؛ و غير السياق فى قوله: ﴿ و من أتى الليل ﴾ أى ساعاته، [جمع إنو - بكسر ثم سكون، أى ساعة - ١]، [لأن العبادة حيثئذ أفضل لاجتماع القلب و هدوه الرجل و الخلو بالرب، و لأن العبادة إذ ذاك أشق و أدخل فى التكليف فكانت أفضل عند الله - ١] ﴿ فسبح ﴾ أى بصلاة^٤ ١٠
المغرب و العشاء، إذانا بمظنة صلاة الليل، و كرر الأمر بصلاتي الصبح و العصر إعلاما بمزيد فضلها. لأن ساعتها أثناء الطي و البعث فقال: ﴿ و اطراف النهار ﴾ و يؤيد ما فهمته من أن ذلك تكرير لها ما فى الصحيحين^٥ عن جرير بن عبدالله البجلي رضى الله عنه قال: كنا جلوسا عند

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: جناه بل (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الظهر و العصر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ساعته (٦) زيد من مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: صلاة (٨) البخارى فى عدة مناسبات بما فيها المواقيت، و إليها يرجع السياق، و مسلم فى باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس - كتاب المساجد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون^١ في رؤيته ، فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا^٢ ، ثم قرأ هذه الآية .
 وإلا لم يكن في الآية مزيد حث عليها خاصة ، على أن لفظ ' آناه و أطراف ' صالح لصلاة التطوع من الرواتب وغيرها ليلا ونهارا ، و أفاد بذكر الجار في الآناه التبويض ، لأن الليل محل الراحة ، و نزعه من الأطراف لتيسر استغراقها بالذكر ، لأن النهار موضع النشاط واليقظة ، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون المراد بما قبل [الطلوع -^٣] الصبح ، و ما قبل الغروب العصر فقط ، و يبعض الآناه المغرب و العشاء ، و أدخل الجار ١٠ لكونها وقتين ، و بجميع الأطراف الصبح و الظهر و العصر ، لأن النهار له أربعة أطراف : أوله ، و آخره ، و [آخر -^٣] نصفه الأول ، و [أول -^٣] نصفه الثاني ، و الكل مستغرق بالتسيح ، و لذلك نزع الجار ، أما الأول و الآخر فالصبح و العصر ، و أما الآخران فبالتهوؤ للصلاة ثم الصلاة نفسها ، و حينئذ تكون الدلالة على فضيلة الصبح و العصر ١٥ من وجهين : التقديم^٤ و التكرير ، و إلى ذلك الإشارة بالحديث ، و إذا أريد إدخال النوافل حملت الأطراف على الساعات - و الله الهادي .

(١) بهامش ظ : روى : تضامون - بفتح التاء و تخفيف الضاد مع تشديد الميم من التضام ، و بضم التاء و تخفيف الضاد مع تخفيف الميم من الضيم (٢) تكرر في الأصل فقط (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : وجهي .
 (٥) زيد في الأصل : و التأخير ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها .

ولما كان الغالب على الإنسان النسيان فكان^١ الرجاء عنده أغلب، ذكر الجزاء بكلمة الإطعام لئلا يأمن فقال: ﴿لعلك ترضى^٥﴾ أى افعل هذا لتكون على رجاء^٢ من أن^٣ يرضاك ربك فيرضيك في الدنيا والآخرة^٤، باظهار دينك وإعلاء أمرك، ولا يجعلك في عيش ضحك في الدنيا ولا في الآخرة - هذا على قراءة الكسائي وأبي بكر عن عاصم^٥ بالبناء للمفعول، والمعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل: لتكون / على رجاء من أن تكون راضيا دائما في الدنيا والآخرة. ولا تكون كذلك إلا وقد أعطاك ربك جميع ما تؤمل^٦.

[٥-] ولما كانت النفس ميالة إلى الدنيا، مرهونة بالحاضر من فاني العطايا، وكان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن بعلو همتها، ١٠ قال مؤكدا [بذانا بصعوبة ذلك^٧]: ﴿لا تمدن﴾ مؤكدا [له - ٥] بالنون الثقيلة ﴿عينك﴾ أى لا تطول نظرهما بعد النظرة الأولى المعفو عنها قاصدا^٨ النظر للاستحسان ﴿الى ما متعنا به﴾^٩ بما لنا من العظمة التى لا ينقصها^{١٠} تعظم أعدائنا^{١١} به في هذه الحياة الفانية ﴿ازواجاً﴾ أى أصنافا متشاكلين^{١٢} ﴿منهم﴾ أى من الكفرة ﴿زهرة﴾ أى تمتيع ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: وكان (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بان (٣) في مد: الأخرى (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد ما بين الحائزين من ظ و مد (٦) من ظ و مد. وفي الأصل: هذا (٧) العبارة من هنا إلى «أعدائنا» ساقطة من ظ (٨) من مد، وفي الأصل: تنقصها. (٩) من مد، وفي الأصل: أعدا (١٠) سقط من ظ.

(الحيوة الدنيا) لا يتفعلون به في الآخرة لعدم صرفهم له في أوامر الله .
 فهو مصدر من المعنى مثل جلست قعودا ؛ ثم علل تمتيعهم بقوله تعالى :
 (لنتفتمهم فيه) أى لنفعل بهم فعل المختبر ، فيكون سبب عذابهم في الدنيا
 بالعيش الضنك لما مضى^٢ ، وفي الآخرة بالعذاب الأليم ، فصورته
 ٥ تفر^٢ من لم يتأمل^٢ معناها حق التأمل ، فما أنت فيه خير مما هم فيه
 (ورزق ربك) الذى عود به أولياه - وهو^٥ في دار السفر -
 الكفاف الطيب المقرون بالتوفيق (خير) من زهرتهم ، لأنه يكفى
 ولا يطغى وزادك ما يدنى إلى جنبه فيعلى (وابقاه) فانه وفقك
 لصفه في الطاعة فيكتب لك من أجره ما توفاه يوم الحاجة^٦ على وجه
 ١٠ لا يمكن أحدا من الخلق حصره ، ويكون الدنيا كلها^٧ فضلا عما في
 أيديهم [أقل من فطرة -^٨] بالنسبة إلى بجره^٩ ، وإضافة رزقه دون رزقهم
 إليه سبحانه - وإن كان الكل منه - للتشريف ، 'و في التعبير' بالرب
 إيدان^{١٢} بالحل ؛ وفيه^{١٣} إشارة إلى ظهوره عليهم وحياته بعدهم كما هو
 الشأن في الصالحين و الطالحين .

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : مصرفهم (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل :
 خير (٣) في الأصل بياض ملأناه من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل :
 لم يتالم (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « بجره » ساقطة
 من ظ (٧) في الأصل بياض ملأناه من مد (٨) زيد من مد (٩) في مد : بجر
 (١٠) العبارة من هنا إلى « بالحل » ساقطة من ظ (١١) من مد ، وفي الأصل :
 التقيد (١٢) من مد ، وفي الأصل : الايقان (١٣) بين سطرى ظ : الكلام
 السابق .

ولما أمر بتزكية النفس أتبعه الإعلام بأن منها تزكية الغير ، لأن ذلك أدل على الإخلاص ، وأجدر بالخلاص ، كما دل عليه مثل السفينة^١ الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يأمر بالمعروف ومن يتركه فقال: ﴿ و امر اهلك بالصلوة ﴾ كما كان أبوك إسماعيل عليه السلام ، ليقودهم إلى كل خير ” ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر“ ولم يذكر ه الزكاة لدخولها في التزهيد بالآية^٢ التي قبلها .

ولما كانت شديدة على النفس عظيمة^٣ النفع . قال : ﴿ واصطبر ﴾ بصيغة الافتعال ﴿ عليها^٤ ﴾ [أى -^٤] على فعلها ، مفرغا نفسك لها وإن شغلتك عن بعض [أمر -^٥] المعاش ، لأننا ﴿ لانستلك رزقا^٦ ﴾ أى لا نكلفك طلبه لنفسك ولا لغيرك ، فان ما لنا من العظمة [بأبى -^٧] ١٠ أن نكلفك أمرا ، و لانكفيك ما يشغلك عنه .

ولما كانت النفس بكليتها مصروفة إلى أمر المعاش ، كانت كأنها تقول : فمن أين يحصل الرزق ؟ فقال : ﴿ نحن ﴾ بنون العظمة ﴿ رزقك^٨ ﴾ لك ولهم ما قدرناه لكم من أى^٩ جهة شئنا من ملكنا الواسع وإن كان يظن أنها^{١٠} بعيدة ، و لا ينفسع في الرزق حول محتال ، فاتقوا الله ١٥ و أجملوا في الطلب ، و لاتدأبوا في تحصيله و السعى فيه ، فان كلا من الجاد فيه و المتهاون به لا يناله أكثر مما قسمناه^{١١} له في الازل و لا أقل ،

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٤/٢٦٩ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : في الآية .

(٣ - ٣) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ

و مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : آية (٧) بين سطرى ظ : أى الجهة .

(٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : قسمنا .

فالتقى لله المقبل على ذكره واثق بوعدہ^١ قانع راض فهو في أوسع سعة،
والمعرض متوكل على سعيه فهو في كد و شقاء و جهد و عناء أبدا
(و العاقبة) أي الكاملة، وهي التي لا عاقبة / في الحقيقة غيرها، وهي / ٤٨٥
الحالة الجميلة المحمودة التي تعقب الأمور، أي تكون بعدها^٢ (للتقوى ه) ه
أي لأهلها، ولامعولة^٣ على الرزق وغيره توازي^٤ الصلاة، فقد كان
[رسول الله -^٥] صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة -
أخرجه أحمد^٦ عن حذيفة وعلقه البغوي في [آخر -^٧] سورة الحجر^٨،
و قال الطبراني في معجمه الأوسط^٩: ثنا أحمد - هو ابن يحيى الحلواني -
ثنا سعيد - هو ابن سليمان - عن عبد الله بن [المبارك عن معمر عن
١٠ محمد بن حمزة عن عبد الله بن -^{١٠}] سلام رضى الله عنه قال: كان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق^{١١} أمرهم بالصلاة، ثم قرأ^{١٢} وأمر
أهلك بالصلاة^{١٣} - الآية. لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن سلام إلا بهذا
الإسناد. تفرد به معمر، و قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير في
تفسيره: و قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد
١٥ القطران نا سيار نا جعفر عن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: بوحده (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من ظ
(٣) من مد، وفي الأصل وظ: معوته (٤) من مد، وفي الأصل وظ: يوازي.
(٥) زيد من مد (٦) راجع المسند ٣٨٨/٥ (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع معالم
التزويل على هامش باب التأويل ٦٤/٤ (٩) راجع مجمع الزوائد ٦٧/٧ (١٠) في
المجمع: الضيف (١١) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و مد فخذناها.

إذا أصابته خصاصة نادى أهله : يا أملاه ! صلوا صلوا ، قال ثابت : وكان
الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ، وقد روى الترمذى^١ وابن
ماجه^٢ كلاهما في الزهد - وقال الترمذى : حسن غريب - من حديث
عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالى عن أبي هريرة
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : ه
تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأت
صدرك شغلا ولم أسد فقرك . وروى ابن ماجه^٢ من حديث الضحاك
عن الأسود عن ابن مسعود رضى الله عنه : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم
يقول : من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد ، كفاه الله هم دنياه ، ومن
تشعبت به الهموم^٢ أحوال الدنيا لم يبال الله في أى أوديتها هلك . ١٠
وروى^٥ أيضا من حديث عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن
أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه
ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب^٢ له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع
الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ١٥
ولما قدم في هذه السورة ما ذكر من قصص الأولين^٨ وأخبار

(١) ٢٩٨/١ (٢) باب الهم بالدنيا (٣) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة
في ظ ومد وسنن ابن ماجه لحذفها (٤) في السنن : اوديته (٥) بين سطرى ظ :
لى ابن ماجه (٦-٧) من مد والسنن : وفي الأصل وظ : فيكم (٧) من
ظ ومد والسنن ، وفي الأصل : كتبت (٨) زيد في الأصل : والآخريين ،
ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها .

الماضين ، مبكتا بذلك من أمر قرشا بالتنت من اليهود ، فلم يقدروا
على إنكار شيء منه ولا توجيه طعن إليه ، وخطه يدافع الحكم ، وغرائب
المواعظ في أرشق الكلم ، وختم ذلك بأعظم داع إلى التقوى ، عجيب
منهم في كونهم لا يدعون للحق أفة من المجاهرة بالباطل . أو خوفا من
٥ سوء العواقب ، فقال : ﴿ وقالوا ﴾ ولعله عطف على ما يقدر في حين
قوله " اظلم يهد لهم - [إلى قوله : ان في ذلك لايت] من أن يقال : وقد
أبوا ذلك ولم يعدوا شيئا منه آية -^١] : ﴿ لولا ﴾ [أى هلا ولم لا -^٢]
﴿ باتينا ﴾ [أى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم -^٢] ﴿ بآية ﴾
[أى مثل آيات الأولين -^٢] ﴿ من ربه ﴾ المحسن إليه ، دالة
١٠ على صدق .

ولما تضمن هذا أنهم لم يعدوا شيئا من هذه الينات -^٢ التي أدلى
بها على من تقدمه - آية مكابرة^٢ ، استحقوا الإنكار ، فقال : ﴿ اولم ﴾
أى ألم يأتهم من الآيات في هذا القرآن ما خصصتك به من الأحكام
والحكم في أبلغ المعاني بأرشق النظم ما أعجز بلغاهم ، وأبكم فصحاءهم ،
١٥ / ٤٨٦ فدل / قطعا على أنه كلامى ، أو لم ﴿ تاتهم بينة ما ﴾ أى الاخبار التي
﴿ في الصحف الأولى ه ﴾ من صحف إبراهيم وموسى وعيسى وداود عليهم
السلام في التوراة والإنجيل والزيور وغير ذلك من الكتب الإلهية
(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد من مد (٣-٢) ما بين الرقيين يياض في الأصل
ملأناه من مد ، وما في ظ إلا : آية (٤) في مد : خصصك (٥) من ظ ومد ،
وفي الأصل : قدلت .

كقصي آدم و موسى المذكورتين في هذه السورة وغيرهما مما تقدم قصه لها كما هي عند أهلها على وجوه^٦ لا يعلمها إلا قليل من حذاقهم من غير أن يخالط عالما منهم أو من غيرهم، ومن غير أن يقدر أحد منهم على معارضة ما أتى به في قصتها من النظم المنتج قطعاً أنه^٦ [لا -^٦] معلم له إلا الله المرسل له، وأن ما أتى به منها شاهد لما في الصحف الأولى من ذلك بالصديق، لأنه كلام الله، فهو بينه على غيره لإعجازه، فجميع الكتب الإلهية مفتقرة إلى شهادته افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة، ولا افتقار له بعد العجز عنه إلى شيء أصلاً، فهو أعظم من آيات جميع [الأنبياء -^٦] اللاتي يطلبون مثلها بما لا يقايس.

- و لما تبين بذلك أنهم يطعنون بما لاشبهة^٧ لهم فيه^٧ أصلاً، أتبعه ما ١٠
 كان لهم فيه نوع شبهة^٨ لو وقع، فقال عاطفاً [على -^٦] "ولولا كلمة"
 ﴿ولو انآ اهلكنهم﴾ معاملة لهم في عصيانهم بما يقتضيه مقام العظمة^٩
 ﴿بعذاب من قبله﴾ أي من قبل هذا القرآن [المذكور في الآية الماضية^٩]
 (١) من مد، وفي الأصل وظ : لها (٢) من ظ ومد، وفي الأصل : وجوحها .
 (٣) من مد، وفي الأصل وظ : لانه (٤) زيد من ظ ومد (٥) العبارة من
 هنا إلى « لا يقايس » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧-٧) من ظ ومد، وفي
 الأصل : له عليه (٨) من مد، وفي الأصل وظ : شبهته (٩) بين سطرى ظ :
 كقواه : من اعرض عن ذكرى فان انه معيشة ضنكا، فان الذكر يصدق على القرآن .
 (١٠) بهامش ظ : أعنى : بينة ما في الصحف الأولى، لأن هذا يدل على أن
 القرآن أتى بذلك .

وما قاربها. وفي قوله "ولا تعجل بالقرآن" صريحاً، وكذا في مبنى السورة
 "فما انزلنا عليك القرآن - ١ [لتسقى' " (لقالوا) ٢ يوم القيامة :
 (ربنا) يامن هو متصف بالإحسان إلينا (لولاً) ٣ أى هلا ولم لا
 (ارسلت) ٤ ودلوا على عظمته وعلو رتبته بحرف الغاية فقالوا :
 (إلينا رسولا) ٥ أى يأمرنا بطاعتك (فتبع) أى فيتسبب عنه أن
 تتبع (إبتك) التى يحيننا بها .

٢ ولما كان اتباعهم لا يستغرق زمان القبل قالوا : (من قبل ان نذل)
 بالعذاب هذا الذل (ونخزى) بالمعاصى التى عملناها على جهل هذا الخزى
 فلاجل ذلك أرسلناك إليهم وأقنا بك الحجة عليهم ، ونحن نترفق ٣
 ١٠ بهم ، ونكشف عن قلوب من شئنا منهم ما عليها من الرين بما نزل
 من الذكر ونجدد من الآيات حتى نصدق أمرك ونعلى شأنك [ونكثر
 أبتاعك - ١] ونصر أسباعك .

ولما علم بهذا أن إيمانهم كالممتنع ، وجدالمهم لا ينقطع ، بل إن
 جاءهم الهدى طعنوا فيه ، وإن عذبوا قبله تظلموا ، كان كأنه قيل :
 ١٥ فما الذى أفعل معهم ؟ فقال : (قل كل) أى منى ومنكم (متربص)
 أى منتظر حسن عاقبة أمره ودوائر الزمان على عدوه
 (فتربصوا) فانكم كالبهائم ليس لكم تأمل ، ولا تجوزون

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) -قط ما بين الرقين من ظ (٣-٣) تكرر ما
 بين الرقين فى الأصل فقط بعده ما عليها .

الجانز إلا عند وقوعه (فستملون) 'أى عما قريب' بوعد لا خلف
فيه عند كشف الغطاء (من اصحب الصراط) [أى الطريق الواضح
الواسع - ٢] (السوى) أى الذى 'الاعوج فيه ولا تتو، فهو' من
شأنه أن يوصل إلى المقاصد .

ولما كان صاحب الشيء قد لا يكون عالما بالشيء ولا عاملا
بما يعلم منه، قال: (ومن اهتدى) أى 'من الضلالة' فحصل على
جميع ما ينفعه واجتنب جميع ما يضره . نحن أم أنتم ؟ ولقد علموا
يقينا ذلك يوم فتح مكة المشرفة ، واشتد اغتباطهم بالإسلام ، ودخلوا
رغبة فى الحلم والكرم ، ورهبة من السيف والنقم . وكانوا بعد ذلك
يمجبون من توقعهم عنه وقرتهم منه ، وهذا معناه أنه صلى الله عليه وسلم
ومن اتبعه هم السعداء الأغنياء الراضون فى الدنيا والآخرة ، وهو عين
قوله تعالى " ما انزلنا عليك القرآن لتشقى " فقد / انطبق الآخر على
الأول ، ودل على أن العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل - ٦ والله أعلم .

٤٨٧ /

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد .
(٤) بهامش ظ : أى طائفة منهم دخلت رغبة وأخرى راهبة فعل هذا الواو فى
قوله « ورهبة من السيف » بمعنى « أو » والمراد منه التقسيم (٥) بين سطرى
ظ : أى قوله « من اصحب الصراط السوى » (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من مد .

* * * * *

سورة الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت ، و وقوع الحساب فيها على الجليل والحقير ؛ لأن موجدتها لا شريك له يعوقه عنها ، وهو من لا يبدل القول لديه ، والدال على ذلك أوضح دلالة ٥ مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام ، ولا يستقل قصة منها استقلالا ظاهرا بجميع ذلك كما سنين ، ولا يتخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك فنسبت^٢ إلى الكل - والله الموفق .

(بسم) الحكيم العدل الذي تمت قدرته وعم أمره (الله)

١٠ الملك الذي لا كفوء له* (الرحمن) الذي ساوى بين خلقه في رحمة [إيجاده - ٦] (الرحيم) الذي ينجي من شاء من عباده في معاده . لما ختمت نطفة بانذارهم بأنهم سيعلون الشقى والسعيد ، وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان ، وتارة بمعاينة ظهور الدين ، وتارة باحلال العذاب بازهاق الروح بقتل أو غيره ،

١٥ وتارة ببعثها يوم الدين . افتتحت هذه بأجل ذلك وهو^٣ اليوم الذي

(١) الحادية والعشرون من سور القرآن ، مكية مع الخلاف ، وهي مائة واثنان عشرة آية في عدد الكوفي وإحدى عشرة في عدد الباقرين كما قاله الطبرسي والداني - روح المعاني ٥/٣٢٣ (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : تنسب ، وبين سطرى ظ : أى السورة (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : عن (٤) تقدم في ظ ومد على * الحكيم * (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : هم .

يتم فيه كشف الغطاء فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين وهو يوم الحساب ، فقال تعالى : ﴿ اقرب للناس ﴾ أى عامة أمتهم وغيركم ﴿ حسابهم ﴾ أى فى يوم القيامة ؛ وأشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب لأنه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها ،^١ و آخر الفاعل تهويلا لتذهب النفس فى تعيينه^٢ كل مذهب ، و يصح أن يراد هـ بالحساب الجزاء ، فيكون ذلك تهديدا بيوم بدر والفتح ونحوهما ، و يكون المراد بالناس حيثنذ قريشا أو جميع العرب ، و الحساب : إحصاء الشيء و المجازاة عليه بخير أو شر ﴿ وهم ﴾ أى و الحال أنهم^٣ من أجل ما فى جبلاتهم من النوس ، و هو الاضطراب الموجب لعدم الثبات على حالة الأمن ، أنقذه الله منهم من هذا النقص و هم قليل جدا^٤ ﴿ فى غفلة ﴾ ١٠ فهى^٥ تعليل لآخر تلك على ما تراه ، لأنهم إذا نشروا علموا ، و إذا أبادتهم الوقائع علموا هم بالموت ، و من بقى منهم بالذل المزيل لشاخة^٦ الكبر ، أهل الحق من [أهل -^٧] الباطل ، و قوله : ﴿ معرضون ﴾^٨ كالتعليل للغفلة ، أى أحاطت بهم الغفلة بسبب إعراضهم عما يأتهم منا ، و سأتى [ما يؤيد -^٩] هذا فى قوله^{١٠} آخرها " بل كنا ظلمين " ١٥^{١١} أو إلا فالعقول قاضية بأنه لا بد من جزاء المحسن و المسئء^{١٢} .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن -^{١٣}] الزبير فى برهانه : لما تقدم قوله

(١) العبارة من هنا إلى « كل مذهب » - نقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : تكيفه - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بين - طرى ظ : أى السورة (هـ) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشاخة (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .

سبحانه " لا تمدن عينك - إلى قوله : فستعلبون من اصحب الصراط
السوى و من اهتدى " قال تعالى " اقرب للناس حسابهم و هم فى غفلة
معرضون " أى لا تمدن عينك إلى ذلك فانى جعلته فتنة لمن ناله بغير
حق ، و نسأل عن قليل ذلك و كثيره " [و - ١] لتستنن يومئذ عن
النعيم " و الامر قريب " اقرب للناس حسابهم " و أيضا فانه تعالى لما
قال " و تنذر به قوما لدا " و هم الشديدو / الخصومة فى الباطل ، [ثم - ٢]
قال " و كم اهلكنا قبلهم من قرن " - إلى آخرها ٢ ، استدعت هذه الجملة
بسط حال ، فابتدئت بتأنيبه عليه الصلاة و السلام و تسليته . حتى لا يشق
عليه لددهم ، فتضمنت سورة ظه من هذا الغرض بشارته بقوله " ما
انزلنا عليك القرآن لتشتق " و تأنيبه بقصة موسى عليه السلام و ما كان
من حال بنى إسرائيل و انتهاء أمر فرعون و مكابدة موسى عليه السلام
لرد فرعون و مرتكبه إلى أن وقصه الله و أهلكه ، و أورث عباده أرضهم
و ديارهم ، ثم اتبعت بقصة آدم عليه السلام [ليرى فيه صلى الله عليه
و سلم سنته فى عباده حتى أن آدم عليه السلام - ٣] - و إن لم يكن امتحانه
بذريته و لا مكابدته من أبناء جنسه - فقد كابد من إبليس ما قصه الله
فى كتابه ، و كل هذا تأنيس للنبي صلى الله عليه و سلم ، فانه إذا
تقرر لديه أنها سنة الله تعالى فى عباده هان عليه لدد قريش

(١) زيدت الواو من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من
ظ و مد ، و فى الأصل : آخره (٤) فى ظ : استوفت (٥) من ظ و مد ، و فى
الأصل : فى .

ومكابدتهم، ثم ابتدئت سورة الانبياء بيقية هذا التأنيس، فبين اقتراب الحساب ووقوع يوم الفصل المحمود فيه ثمرة ما كويد في ذات الله والتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر والمشقة أصعب لجليل الثمرة وجميل الجزاء، ثم اتبع ذلك سبحانه بعظات، ودلائل وبسط آيات، وأعلم أنه سبحانه قد سبقت سنته باهلاك من لم يكن منه الإيمان من متقدمي القرون وسالفي الأمم " ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها " وفي قوله " افهم يؤمنون " تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر قريش ومن قبل ما الكلام بسيله . وقد تضمنت هذه السورة إلى ابتداء قصة إبراهيم عليه السلام من المواعظ والتنبيه على الدلالات وتحريك العباد إلى الاعتبار بها ما يعقب لمن اعتبر به التسليم والتفويض^١ لله سبحانه ١٠ والصبر على الابتلاء وهو من مقصود السورة، وفي قوله " ثم صدقتهم الوعد فابحيثهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين " إجمال لما فسره النصف الأخير من هذه السورة^٢ من تخلص الرسل عليهم السلام من قومهم وإهلاك من أسرف [وأفك -^٤] ولم يؤمن، وفي ذكر تخلص الرسل وتأيدهم^٥ الذي تضمنه النصف الأخير من لدن قوله " ولقد اتينا إبراهيم رشده " ١٥ إلى آخر السورة كإل الغرض المتقدم من التأنيس وملازمة ما تضمنته سورة طه وتفسير لمجمل " وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٢) من مد، وفي الأصل و ظ : التعريض .

(٣) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من

مد (٥) من ظ و مد . وفي الأصل : تأيدهم .

من احد او تسمع لهم ركزا" - [انتهى - ١] .

ولما أخبر سبحانه عن غفلتهم وإعراضهم ، علل ذلك بقوله :
 ﴿ ما ياتهم ﴾ ٢ وأغرق في النفي بقوله ٣ : ﴿ من ذكر ﴾ أى وحى
 يذكره ، بما جعل في العقول من الدلائل عليه سبحانه ٢ و يوجب ٢ الشرف
 لمن اتبعه ٥ ﴿ من ربه ﴾ المحسن إليهم بخلقهم وتذكيرهم ، قديم لكونه
 صفة له ﴿ محدث ﴾ إزاله ﴿ الا استمعوه ﴾ أى قصدوا سماعه ٢ وهو
 أجد الجد وأحق الحق ٢ ﴿ وهم ﴾ أى والحال أنهم ﴿ يلعبون ﴾
 أى يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء به و وضعه [فى - ٧] غير مواضعه
 وجعلهم استماعهم له لإرادة الطعن فيه ، فهو قريب من قوله " لا تسمعوا
 ١٠ لهذا القرآن والعوا فيه " ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أى غارقة قلوبهم فى
 اللهو ، مشغولة به عما حداها إليه القرآن ، ونهبها عليه الفرقان ،
 وحذرها منه البيان ؛ قال الرازى فى اللوامع : لاهية / : مشتغلة من هيت
 ألهى ، أو طلبة للهو ، من لهوت ألهو - انتهى . ويمكن أن يراد بالناس مع
 هذا كله العموم و يكون من باب قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره "

/ ٤٨٩

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : دل على (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : مذكر (٥-٥) ما بين الرقنين بياض فى الأصل
 ملأناه من مد (٦) بهامش ظ : قول الشيخ « قديم » إشارة لقول من قال :
 يجوز أن الله تعالى تكلم بالقرآن غير مرتب الحروف دفعة واحدة فيكون قد بما
 بحروفه (٧) زيد من مد (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : وهو (٩) سورة ١٤
 آية ٢٦ (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : فارقة (١١) فى مد : اليه .

و قوله

وقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك ، وأن يخص بالكفار .
ولما ذكر ما يظهرونه^١ في حالة الاستماع من اللهو واللب ، ذكر
ما يخفونهم من التشاور في الصد عنه^٢ وإعمال الحيلة في^٣ التنفير منه
والتوق من بعضهم لبعض في الثبات على المجانب له فقال عاطفاً على
” استمعوا “ : ﴿ واسرؤا ﴾^٤ أى الناس المحدث عنهم^٥ ﴿ النجوى ﴾^٥
أى بالغوا في إسرار كلامهم بسبب الذكر ، لأن المناجاة في اللغة السر -
كذا في القاموس ، وقال الإمام أبو عبد الله القزاز في ديوانه : والنجوى :
الكلام بين اثنين كالسر والتشاور^٦ .

^٧ ولما أخبر بسوء ضمائرهم ، أبدل من ضميرهم ما دل على العلة^٧
الحاملة لهم على ذلك فقال : ﴿ الذين ظلموا ﴾ ثم بين ما تناجوا به فقال : ١٠ .
﴿ هل ﴾ أى فقالوا فى تناجيتهم هذا ، معجيين من ادعائه النبوة مع مماثلته^٨
لهم فى البشرية : هل ﴿ هذا ﴾ الذى أتاكم بهذا الذكر ﴿ الا بشر مثلكم ﴾
أى فى خلقه وأخلاقه من الأكل والشرب والحياة والموت ، فكيف
يختص عنكم بالرسالة ؟ ما هذا الذى جاءكم به مما لا تقدرون على مثله
(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : يظهرون (٢) العبارة من هنا إلى « المجانب له »
ساقطة من ظ (٣) من مد ، وفى الأصل « و » (٤) فى مد : عطف ، والعبارة
من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « استمعوا » (٥ - ٥) - فقط ما بين
الرفين من ظ (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : اتساول (٧ - ٧) ما بين الرفين
فى ظ : ثم وصفهم بالعلة (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : مماثلة .

إلا سحر لاحقيقة له ، فحيثذ تسبب عن هذا الإنكار في قولهم :
 ﴿ افتاتون السحر و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تبصرونه ﴾ بأعينكم أنه
 بشر مثلكم ، و يبصائركم أن هذه الخوارق التى يأتى بها يمكن أن تكون
 سحرا ، فبإله العجب من قوم رأوا ما أعجزهم فلم يجوزوا أن يكون عن
 الرحمن الداعى إلى الفوز بالجنان^١ و جزموا بأنه من الشيطان الداعى إلى
 الهوان ، باصطلاح^٢ النيران ، و العجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص
 بالرسالة مع مشاهدتهم لما يخص الله به بعض الناس عن بعض من الذكاء
 و الفطنة ، و حسن الخلاق و الأخلاق ، و القوة و الصحة ، و طول
 العمر و سعة الرزق - و نحو ذلك من القيامة و العياقة و الرجز و الكهانة ،
 ١٠ و يأتون أصحابها لسؤالهم عما عندهم من ذلك من العلم^٤ .

و لما كان الله تعالى لا يقر من كذب عليه ، فضلا عن أن يصدقه
 و يؤيده ، و لا يخفى عليه كيد حتى يلزم منه^٥ نقص ما أراده ، قال
 'دالاهم على صدقه و منبها على موضع الحجية فى أمره - على قراءة
 حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم ، و جوابا لمن كأنه قال : فماذا
 ١٥ يقال لهؤلاء؟ - على قراءة الباقرين^٦ : ﴿ قل ربى ﴾ المحسن إلى^٦ بتأيدى
 بكل ما بين صدقى و يحمل على اتباعى ﴿ يعلم القول ﴾ سواء كان^٧

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ :
 الجذون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : باصلا (٤ - ٤) - سقط ما بين الرقنين
 من ظ (٥) فى مد : عليه (٦) زيد فى الأصل : بتأيدى و ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و مد لخدمتها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كأنه .

سرا أو جهرا .

و لما كان من " يسمع من هاتين " المسافتين يسمع من أى مسافة
فرضت غيرهما قطعا ، لم يحتج إلى جمع على أنه يصح إرادة الجنس فقال :
(فى السماء والارض) على حد سواء . لأنه لا مسافة بينه وبين
اشىء من ذلك (وهو) أى وحده (السميع العليم) يسمع ٥ / ٤٩٠
كل ما يمكن سماعه . ويعلم كل ما يمكن عليه من القول وغيره ، فهو
يسمع سركم ، ويطلق مكرم ، ويسمع ما أنسبه إليه من هذا الذكر ،
" فلولا لم يكن " عنه لزلزل " نبي ، وقد جرت سنته القديمة فى الأولين ، باهلاك
المكذبين . وتأيد الصادقين ، وإنجائهم من زمن " بوح عليه السلام
إلى هذا الزمان ولعله بحال الفريقين . وستعلمون لمن تكون له " الماقه . ١٠
وقد أشار إلى هذا فى هؤلاى الأنبياء عليهم السلام " الذين دل بقصصهم
فى هذه السورة على ما تقدمها من الأحكام والقضايا " وكنا به
علمين " " اذ قال لايه وقومه وكنا لحكمهم شهدين " و " كنا بكل
شىء علمين " " وان ادرى اقريب ام يبعد ما توعدون " " انه يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون " " ان الارض يرثها عبادى ١٥
الصلحون " " ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم " .

(١) العبارة من هنا إلى « الجنس فقال » ساقطة من ظ (٢-٢) من مد ، وفى
الأصل : يستمع ما بين (٣-٣) من ظ و مد ، فى الأصل : لم يكن (٤) من مد ،
وفى الأصل وظ : تزلزل (٥) سقط من مد (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل .
ولم تكن فى ظ و مد لحدوثها .

ولما كانت أقوالهم في أمر القرآن قد اضطربت، والاضطراب من أمارات الباطل، وكان وصفهم له بأنه سحر مما يهول السامع ويعلم منه^١ أنه معجز، فرمما أدى إلى الاستبصار في أمره، أخبر أنهم نزلوا به عن رتبة السحر على سبيل الاضطراب فقال: ﴿بل قالوا﴾ أى عن هذا الذكر الحكيم أنه ﴿اضغات احلام﴾ أى تخالط قائم مبناه الباطل وإن كان ربما صدق بالإخبار ببعض المغيبات التى كشف الزمان عن أنها كما أخبر القرآن، ثم نزلوا عن ذلك إلى وصف موجب لأعظم النفرة عنه [و-^٢] عمّن ظهر عنه فقالوا: ﴿بل اقترابه﴾ [أى-^٢] ^٢تعمد وصفه^٢ من عند نفسه ونسبه إلى الله .

١٠ ولما كان ذلك^٤ لا ينافى كون مضمونه^٥ صادقا في نفسه، قالوا:

﴿بل هو شاعر مج﴾ أى يخيل ما لا حقيقة له كغيره من الشعراء، تربص^٦ به ريب المتون لأنه بشر كما تقدم، فلا بد أن يموت ونستريح بعد موته، وإليه أشار في^١ آخر التى قبلها "قل كل متربص" إلى آخره، فاضطربت أقوالهم وعولوا أخيرا على قريب من السحر فى نفي الحقيقة .

١٥ ولما كانوا يصفون القرآن بجميع هذه الأوصاف جملة، يقولون

لكل شخص ما رآه أنسب له منها، به الله سبحانه كل من له لب على بطلانها كلها^١ بتناقضها بحرف الإضراب^٢ إشارة إلى أنه كان يجب على

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٤) بين سطرى ظ : أى كونه مقترى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: مضمون .

(٦) من مد، وفى الأصل : يتربص، وفى ظ غير منقوط (٧) فى ظ : الاضطراب .

من قالها على قلة عقله و عدم حياته أن لا ينتقل إلى قول منها إلا بعد الإعراض عن الذى قبله ، و أنه بما ضرب عنه لكونه غلطا ، ما قيل إلا عن سبق لسان و عدم تأمل^١ . سترنا لعناده و تدليسا لفجوره ، و لو فعل ذلك لكانت جديرة بانكشاف بطلانها بمجرد الانتقال فكيف عند اجتماعها^٢ . و لما كانت نسبتة إلى الشعر أضعفها شأنا ، و أوضحها بطلانا ، ه لم يحتج إلى إضراب^٣ عنه ، و عبروا فى الأضغاث بوصف القرآن تأكيدا لعيبه^٤ ، و فى الافتراء و الشعر بوصفه صلى الله عليه و سلم لذلك^٥ .

و لما أتج لهم ذلك على زعمهم القدح فى أعظم المعجزات ، سيوا عن هذا القدح طلب آية فقالوا : (فلياتنا) أى دليلا على رسالته

/ (بآية) أى لانا قد بينا بطعننا أن القرآن ليس بآية ؛ ثم خيلوا النصفة ١٠ / ٤٩١

بقولهم : (كما)^٦ أى مثل ما ، و بنوا الفعل للفعل إشارة إلى أنه متى صححت الرسالة كان ذلك بزعمهم من غير تخلف لشيء أصلا فقالوا^٧ :

(ارسل الاولون)^٨ أى بالآيات مثل تسييح الجبال ، و تسخير الريح ،

و تسخير الماء ، و إحياء الموتى ، و هذا تناقض آخر فى اعترافهم برسالة

الاولين مع معرفتهم أنهم بشر ، و إنكارهم رسالته صلى الله عليه و سلم ١٥

لكونه بشرا ، و لم يستحيوا^٩ بعد التناقض^{١٠} من المكابرة فيما أتاهم به من

(١) فى مد : التامل (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : اجتماعها (٣) من ظ و مد ،

و فى الأصل : اضطراب (٤) بين سطرى ظ : القرآن (٥) من ظ و مد ، وفى

الأصل : بذلك ؛ و بين سطرى ظ : للتأكيد (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

انشقاق القمر، وتسيح الحصى، ونبع الماء. و القرآن المعجز، مع كونه أميا - إلى غير ذلك .

ولما أشار سبحانه إلى فساد طعنهم بما جمعه هباء مشورا، وتضمن قولهم الذي سبوه عنه' القرار بالرسول البشريين وآياتهم، أتبعه بيان ما عليهم فيه، فيين أولا أن الآيات تكون سببا للهلاك، فقال جوابا لمن^٥ كأنه قال: رب أجهم^٦ إلى ما^٧ اقترحوه ليؤمنوا: ﴿ مَا آمَنْتَ ﴾ أى بالإجابة إلى الآيات المقترحات .

ولما كان المراد استغراق الزمان، جرد الظرف عن الخافض فقال: ﴿ فبليهم ﴾ أى قبل كفر مكة المقترحين عليك، وأغرق في النفي فقال: ﴿ من قرية ﴾^{١٠} ولما كان المقصود التهويل في الإهلاك، وكان إهلاك القرية دالا على إهلاك أهلها من غير عكس^٩، دل على إهلاك جميع المقترحين تحذيرا من مثل حالهم بوصفها بقوله في مظهر العظمة [المقضى - ٧] لإهلاك المعاندين: ﴿ اهلكنهن ﴾ أى على كثرتهم "وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح"، "وما اهلكنا من قرية الا لها^{١٥} منذرون"، "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"، "وما من الأنبياء

(١) بين سطرى ظ: الطعن (٢) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخدمتها (٣-٢) من ظ ومد، وفي الأصل: لما (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥-٥) ما بين الرقين في ظ: ثم (٦) العبارة من هنا إلى «المعاندين» ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقطت الواو من مد، والحديث رواه البخارى وقد مر عليه التعليق .

نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وأشار بذلك إلى أنه لم يسلم عند البأس إلا قرية واحدة وهم قوم يونس لأنهم آمنوا عند رؤية الخايل^١ وقيل الشروع في الإهلاك، [وهو إشارة إلى أن سبب الإيمان مشيئته سبحانه لا الآيات -^٢] .

ولما كانوا كمن قبلهم إن لم يكونوا دونهم، حسن الإنكار في قوله : هـ
(افهم يؤمنون هـ) أي كلا بل لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم حين لا ينفع الإيمان،^٣ وقد قضينا في الأزل أن لا نستأصل هذه الأمة إكراما لنبيها، فنحن لا نجيبهم إلى المقترحات لذلك .

ولما بين أولا أن الآيات تكون سببا للإهلاك، فلا فائدة [لهم -^٤] في الإجابة إلى ما اقترحوه منها بعد بطلان ما قدحوا به [في -^٥] القرآن، بين ١٠
ثانيا بطلان ما قدحوا به في الرسول بكونه بشرا، بأن الرسل الذين كانوا من قبله كانوا باقراهم من جنسه، فما لهم أن ينكروا رسالته وهو مثلهم، بل عليهم أن يعترفوا له عند ما أظهر من المدجز كما اعترفوا لأولئك، كل ذلك فطما^٦ عن أن يتمنى أحد إجابتهم إلى التأييد بملك ظاهر، فقال عاطفا على " ما^٧ امنت " : (وما أرسلنا) .

ولما كان السياق لإنكار أن يكون النبي بشرا، وكان الدهر كله ما خلا قط جزء منه^٨ من رسالة^٩، إما برسول قائم . وإما بتناقل أخباره ،

(١) بين سطرى ظ : أى بتقييدها بالإهلاك (٢) بين سطرى ظ : المظان (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : يعتروا (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : عظيما ؛ وبين سطرى ظ : منعا (٨) سقط من مد (٩-٩) من ظ و مد، وفي الأصل : برسالة .

كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف [جر - ١]: ﴿ قبلك ﴾
 أى فى جميع الزمان الذى^٢ تقدم زمانك فى جميع طوائف البشر
 ﴿ الارجالا نوحى اليهم ﴾ بالملائكة سرا من غير أن يطلع / على ذلك
 الملك غيرهم^٣ كما اقتضته العظمة من التخصيص والاختيار^٤ والإسرار
 عن الأغيار، وذلك من نعم الله على خلقه، لأن جعل الرسل من البشر
 ٥ أمكن للتلقى منهم والأخذ عنهم .

/ ٤٩٢

ولما لم يكن لهم طريق فى علم هذا إن لم يقبلوا خبره عن القرآن
 إلا سؤال من كانوا يفرعون إليهم من أهل الكتاب ليشايعهم^٥ على
 ما هم عليه من الشك والارتياب، قال: ﴿ فسلوا أهل الذكر ﴾ ثم نبه
 ١ على أنهم غير محتاجين فيه^٦ إلى السؤال بما كان قد بلغهم على الآجال من
 أحوال موسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم عليهم الصلاة والسلام
 بقوله، معبرا بأداة الشك محركا لهم إلى المعالى: ﴿ ان كنتم ﴾^٧ أى بجلاتكم^٧
 ﴿ لا تعلمون ﴾ أى لا أهلية لكم فى اقتناص علم، بل كنتم أهل تقليد
 محض وتبع صرف .

١٥ ولما بين أنه على سنة من مضى من الرسل فى كونه رجلا، بين

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد فى الأصل بعده: تقدم زمان، ولم تكن
 الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٣) العبارة من هنا إلى « الأغيار » ساقطة من ظ .
 (٤) من مد، وفى الأصل: الاختيار (٥) من مد، وفى الأصل: ليتابعوهم،
 والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « والارتياب » (٦) بين
 سطرى ظ: العلم (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .

أنه على سنتهم في جميع الأوصاف التي حكم بها على البشر من العيش
والموت فقال: ﴿ وما جعلتهم ﴾ ' أي الرسل الذين اخترنا بعثهم إلى
الناس ليأمرهم بأوامرنا . ولما كان السبب في الأكل ترتيب هذا
الهيكال الحيواني على ما هو عليه لا كونه متكثرا ، وحده فقال: ﴿ جسدا ﴾
[أي ذوى جسد لحم ودم - ٢] متصفين بأنهم ﴿ لا ياكلون الطعام ﴾ ٥
بل جعلناهم أجسادا يأكلون ويشربون ، وليس ذلك بمانع من إرسالهم ؛
قال ابن فارس في المعجم: [و- ٢] في كتاب الخليل: إن ' الجسد
لا يقال لغير الإنسان من خلق الأرض . ثم عطف على الأول قوله:
﴿ وما كانوا نخلدن ﴾ ' أي بأجسادهم ' ، بل ماتوا كما مات الناس
قبلهم وبعدهم . ' أي لم يكن ذلك في جبلتهم ' وإنما تميزوا عن الناس ١٠
بما يأتيهم عن الله سبحانه ، ورسولكم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد ،
فقبصوا كما أشار إليه ختم طه فانه متربص بكم وأتم عاصون للملك الذي
اقرب حسابه لخلقهم وهو مطيع له ، فأيكم أحق بالامن ؟

ولما بين أن الرسل كالمرسل إليهم بشر غير خالدين ، بين سنته
فيهم وفي أهمهم ترغيبا لمن اتبع . وترهيبا لمن امتنع ، فقال عاطفا بأداة ١٥
التراخي في مظهر العظمة على ما ٢ أرشد إليه ٢ التقدير من مثل : بل جعلناهم

(١-١) سقط مسابين الرقين من ظ (٢) ريد من مد (٣) العبارة من هنا إلى
« خلق الأرض » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفي الأصل : لان (٥) من مد ،
وفي الأصل : بغير (٦) بين سطرى ظ : أي الكلام الأول (٧-٧) من ظ ومد ،
وفي الأصل : ارسل عليه .

جسدا يأكلون ويشربون ، و يعيشون إلى انقضاء آجالهم و يموتون ،
 و أرسلناهم إلى أمهم فخذروهم و أنذروهم و كلوهم^١ كما أمرناهم ، و وعدناهم
 أن من آمن بهم أسعدناه ، و من كفر و استمر أشقيناه ، و أنا نهلك
 من أردنا من المكذبين ، فأمن بهم بعض و كفر آخرون ؛ فلم نعالجهم
 ٥ بالأخذ بل صبرنا عليهم ، و طال بلاء رسلنا بهم (ثم صدقناهم)^٢ بما
 اقتضت عظمتنا ، و أكد الأمر بتعدية الفعل من غير حرف الجر فقال^٣ :
 (الوعد)^٤ أى باجرائهم^٥ ؛ و أشار بأداة التراخي إلى أنهم طال بلاؤهم
 بهم و صبرهم عليهم ، ثم احل بهم سطوته ، و أراهم عظمتهم ، و لذا قال
 مسيبا عن ذلك : (فانجيتهم)^٦ أى الرسل بعظمتنا^٧ ، [و لكون السياق
 ١٠ لانهم في غاية الغفلة التي نشأ عنها التكذيب البليغ الذي اقتضى تنوع
 القول به إلى سحر و أضغاث و افراء و شعر ، فاقضى مقابلته بصدق الوعد
 منه سبحانه ، عبر بالإنجاء الذي هو إقلاع من وجدة العذاب في غاية
 السرعة -]^٨ (و من نشأ)^٩ أى من تابعيهم . [إشارة إلى أن سبب
 الإنجاء المشيئة إلا أن التصديق موجب له . لأنه لا يجب عليه سبحانه
 ١٥ و تعالى شيء^{١٠} (و اهلكنا)^{١١} [أى بما يقتضيه الحكمة -]^{١٢} (المسرفين)^{١٣}
 كلهم الذين علمنا أن الإسراف لهم وصف لازم لا ينفكون / عنه .

/ ٤٩٣

(١) من مد ، وفي الاصل و ظ : علوهم (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) العبارة من هنا إلى « و تعالى شيء »
 ساقطة من ظ (٦-٦) من مد ، وفي الأصل : لان (٧) من مد ، وفي
 الأصل : شيئا .

و لما انقضى ما لزمهم بسبب الإقرار برسليّة البشر من الإقرار برسليّة
رسولهم صلى الله عليه وسلم لكونه مساويا لهم في النوع و الإتيان بالمعجز،
و ما فعل بهم و بأجمعهم ترغيبا و ترهيبا، و ختم ذلك بأنه أباد المسرفين،
و محاذركم إلا بالبشر، التفت إلى الذكر الذي طعنوا فيه، فقال مجيبا
لمن كأنه قال: هذا الجواب عن الطعن في الرسول قد عرف، فإ الجواب ه
عن الطعن في الذكر؟ معرضا عن جوابهم لما تقدم من الإشارة بحرف
الإضراب^١ إلى أن ما طعنوا به فيه لا يقوله عاقل، مينا لما^٢ لهم فيه من
الغبطة التي هم لها رادون، و النعمة التي هم بها كافرون: ﴿لقد﴾ أي و عزتنا
أقد^٣ ﴿انزلنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿اليكم﴾ يامعشر قريش بل العرب
قاطبة ﴿كتبنا﴾ أي جامعا لجميع المحاسن لا يغسله الماء و لا يحرقه النار ١٠
﴿فيه ذكركم﴾ طوال الدهر بالخير إن أطعتم، و الشر إن عصيتم، و به
شرفكم على سائر الأمم بشرف ما فيه من مكارم الأخلاق التي كنتم
تتفاخرون بها^٤ و بشرف نبيكم الذي تقولون عليه الأباطيل، و تكثرون
فيه القال و القيل .

و لما تم ذلك^٥ على هذا الوجه، نه أنه يتعين على كل ذي لب ١٥
الإقبال عليه و المسارعة إليه، فمن جدا قوله منكرا عليهم منها على أن
علم ذلك لا يحتاج إلى غير العقل المجرد عن الهوى: ﴿افلا تعقلون﴾.

(١) من ظ و مد، و في الأصل: الاضطراب (٢) في مد: ما (٣) سقط من
مد (٤) بين سطرى ظ: لرسوخه في انقلوب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من
ظ (٦) بين سطرى ظ: أي الجواب عن القرآن .

ولما كان التقدير: فان عدلتم بقبوله^١ شرفناكم. وإن ظلمتم برده عنادا
 أهلكناكم كما أهلكنا من كان قبلكم، عطف عليه قوله: ﴿وكم قصمنا﴾
^٢ أى بعظمتنا^٢ ﴿من قرية﴾ جعلناها كالشيء اليابس الذى كسر قبايبت
 أجزاءه، والإناء الذى فت فانكسب ماؤه؛ وأشار بالقصم^٣ الذى هو^٤ أظفح
 الكسر إلى أنها كانت باجتماع الكلمة وشدة الشكيمة كالحجر الرخام فى
 الصلابة والقوة. و'كم' فى هذا السياق يقتضى الكثرة، ثم علل إهلاكها
 [واتقأها - °] بقوله: ﴿كانت ظالمة﴾ ثم بين الغنى عنها بقوله:
 ﴿وانشأنا﴾^٥ أى بعظمتنا.

ولما كان الدهر لم يخل^٦ قط بعد آدم من إنشاء^٨ وإفناء^٩، فكان
 المراد أن الإنشاء بعد الإهلاك يستغرق الزمان على التعاقب، بيانا لأن
 المهلكين ضروا أنفسهم من غير افتقار إليهم، أسقط الجار فقال:
 ﴿بعدها قوما﴾^٢ أى أقوياء، وحقق أنهم لا قرابة قريبة بينهم بقوله^٢:
 ﴿الآخرين﴾ ثم بين^٩ حالها عند إحلال البأس بها فقال: ﴿فلما احسوا﴾
 أى أدرك أهلها بجوارحهم ﴿بأسنا﴾ أى بما فيه^{١٠} من العظمة ﴿أذا هم﴾

(١) زيد فى الأصل: بقوله، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٢-٢) سقط
 ما بين الرتين من ظ (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: بالقصى، والعبارة من
 بعده إلى «أظفح الكسر» ساقطة من ظ (٤) زيد فى الأصل: اعظم، ولم تكن
 الزيادة فى مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى «الجار فقال»
 ساقطة من ظ (٧) من مد، وفى الأصل: لم يخلوا (٨-٨) بيأس فى الأصل،
 ملأناه من مد (٩) زيد فى الأصل: أهلاكها، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد
 فحذفناها (١٠) سقط من مد.

'أى من غير توقف' أصلا (منها)^٢ أى القرية^٣ (يركضون^٤)
 هارين عنها^٥ مسرعين^٦ كمن يركض الخيل - أى يحركها - للعدو^٧، بعد
 تجبرهم على الرسل وقولهم لهم " لنخرجكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا"
 فناداهم لسان الحال^٨ تقريبا^٩ و تبشيعا^{١٠} لحالهم و تفضيحا^{١١}: (لا تركضوا)
 ' و صور التهمك بهم بأعظم صورته فقال^{١٢}: (و ارجعوا) إلى قريبتكم^{١٣}
 (إلى ما) .

ولما كان التأسيف إنما هو على العيش الرافه^{١٤} لا على كونه من
 معط معين، بنى للفعول قوله: (اترقتم فيه)^{١٥} أى^{١٦} منها،^{١٧} و يجوز أن
 يكون بنى للجهول إشارة إلى [غفلتهم عن العلم لمن أترفهم أو إلى^{١٨}]
 أنهم كانوا ينسبون [نعمتهم -^{١٩}] إلى قواهم، و لو عدوها من الله^{٢٠}
 'شكروه فنفعهم'^{٢١} / [ولما كان أعظم ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم
 المسكن، قال -^{٢٢}]: (و مسكنكم)^{٢٣} أى^{٢٤} التى كنتم تفتخرون بها على
 الضعفاء من عبادى بما^{٢٥} أتقتم من بنائها، و أوسعتم من فئاتها، و عليتم
 من مقاعدها، و حسنتم من مشاهدتها و معاهدتها (لعلكم تسئلون^{٢٦})
 (١) العبارة من هنا إلى « أصلا » ساقطة من ظ (٢) بياض فى الأصل، ملأناه
 من مد (٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤-٤) ما بين الرقنين بياض فى الأصل
 ملأناه من مد (٥) العبارة من هنا إلى « للفعول قوله » ساقطة من ظ (٦) سقط
 من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « فنفعهم » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد .
 (٩-٩) من مد، و فى الأصل: يشكروه فنفعتم؛ و العبارة من « بنى للجهول »
 إلى هنا متكررة فى الأصل فقط (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ما .

الإيمان بما كنتم تسألون . فابوا بما عندهم من الآتفة ومزيد الحية
و العظمة ، أو تسألون في الحوائج والمهمات ، كما يكون الرؤساء في مقاعد
العية ، ومراتبهم البهية ، فيجيون سائلهم بما شاؤوا على تودة وأحوال
مهل تخالف أحوال الراكض العجل " أو لم تكونوا اقستم من قبل ما لكم
من زوال " .

و لما كان كأنه قيل : بما اجابوا هذا المقال ؟ قيل : ﴿ قالوا ﴾ حين
لا نفع لقولهم عند نزول البأس : ﴿ نيولنا ﴾ إشارة إلى أنه حل بهم
لأنه لا ينادى إلا القريب ، وترفضه كما يقول الشخص لمن يضربه :
ياسيدى - كأنه يستغيث به ليكف عنه ، وذلك غباوة منهم ، وعمى عن
الذى أحله بهم ، لأنهم كالبهائم لا ينظرون إلا السبب الأقرب ؛ ثم عللوا
حلولة بهم تأكيذا لترققهم بقولهم : ﴿ انا كنا ﴾^٧ أى جبلة [لنا -^٨]
وطبعا ﴿ ظلمين ه ﴾^٩ حيث كذبنا الرسل ، وعصينا أمر ربنا ، فاعترفوا
حيث لم ينفهم الاعتراف لفوات محله^٩ ﴿ فئا ﴾ أى فتسبب عن
إحلالنا ذلك البأس بهم أنه ما ﴿ زالت تلك ﴾^٩ أى الدعوة البعيدة عن
د الخير والسلامة . وهى قولهم : يا ويلنا ﴿ دعواهم ﴾^{١٠} يرددونها لا يكون

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : كما (٢-٣) تكرر ما بين الرقين فى الأصل
فقط بعد « جبلة لنا وطبعا » (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : حربه (٤) من ظ
و مد ، وفى الأصل : الاقربون (٥-٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : حلولهم
به (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : لتوقفهم (٧) العبارة من هنا إلى « وطبعا »
ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) العبارة
من هنا إلى « غيرها » ساقطة من ظ .

[دعوى - ١] لهم غيرها ، لأن الويل ملازم لهم غير منفك عنهم ، و ترقمهم له غير نافهم (حتى جعلتهم)^٢ بما لنا من العظمة (حصيدا) كالزرع المحصود .

٥ ولما كان هذا وما بعده [مثل - ١] حلو حامض في الرمان ، جملا خبرا واحدا ليكون ' جعل ' مقتصرا على مفعولين فقال : ه (حامدين *) أي جامعين^٣ للانقطاع و الخفوت ، لاحتراك لهم ولاصوت ، كالنار المضطربة^٤ إذا بطل لهيها ثم جرها وصارت رمادا ، ولم يك^٥ يفهم إيمانهم واعترافهم بالظلم و خضوعهم لما رأوا باسنا .

و لما ذمهم باللعب و بين أنه يفعل في^٦ إهلاك الظالم و إجماع العدل^٧ فعل الجاذ^٨ باحقاق الحق بالانتقام لأهله ، و إزهاق الباطل باجثائه^٩ من ١٠ أصله ، فكان التقدير : و ما ينبغي لنا أن تفعل غير ذلك من أفعال الحكمة العربية عن اللعب ، [فلم نخلق الناس عبثا يعصوننا و لا يؤاخذون - ١] ، عطف عليه قوله : (و ما خلقنا)^{١٠} أي بعظمتنا التي تقتضى الجد و لا بد . و لما كان خلق سماء واحدة يكفى في الدلالة على الحكمة فكيف باكثر منها ! و حد فقال :^{١١} (السماء) أي على علوها و إحكامها ١٥

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « مفعولين فقال » ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « و الخفوت » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و في الأصل : جامعة (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : المضربة . (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : لم يكن (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : بي . (٩) بهامش ظ : أي الرجل العدل (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : الجار . (١١) بين سطرى ظ : انقطاعه .

(و الارض) على عظمتها واتساعها (و ما بينهما) مما دبرناه لتمام
 المنافع من أصناف البدائع و غرائب الصنائع (لعين ه) غير مردين
 بذلك تحقيق الحقائق و إبطال الأباطيل ، بل خلقنا [لكم - ٢] ذلك آية
 عظيمة كافية في الوصول إلينا ليظهر العدل في جزاء كل بما يستحق ،
 مشحونة بما يقوت الأجسام ، و يهيج النفوس ، و يشرح الصدور . و يروح
 الأرواح و يبعث إلى الاعتبار . كل من له استبصار ، للدلالة على حكمتنا
 و وجوب وحدانيتنا فأتخذتم أنتم ما زاد* على الحاجة لها صاداً عن
 الخير ، داعياً إلى الضير .

و لما نفى عنه اللعب ، أتبعه دليله فقال : (لو اردنا) / أي [على - ١]

/ ٤٩٥

١٠ عظمتنا (ان تتخذ هوا) يكون لنا و منسوباً في لوه إلينا ، و اللهو
 - قال الأصمغاني : صرف الهم عن النفس بالقبيح . (لا نتخذته) أي
 بما لنا من العظمة (من لدنا) أي مما يليق أن ينسب إلى حضرتنا
 ؛ بما لنا من تمام القدرة و كمال العظمة ، و باهر الجلالة و الحكمة ، و ذلك
 بأن يكون محض لوه لا جد فيه أصلاً ، و لا يخلطه شيء من الكدر ،

(١) من مد ، و في الأصل : المنافع ؛ و العبارة من « من أصناف » إلى هنا ساقطة
 من ظ و متكررة في الأصل بهد « ولا يؤخذون » ص ٣٩٧ س ١٢ (٢) بين سطر
 ظ : أي خلق السماوات و الأرض و ما بينهما (٣) زيد من ظ و مد (٤-٥) - سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : ما زال (٦) العبارة
 من هنا إلى « عظمتنا » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى
 « بالقبيح » ساقطة من ظ (٩) من مد ، و في الأصل : الاصبغاني .

ولا يتوقف من براه في تسميته لهوا^١ . لا يكون له عنده اسم غير ذلك كما لو أن شمسا أخرى وجدت لم يتوقف أحد في تسميتها شمسا كما قال تعالى في السورة الماضية " وقد أتيناك من لدنا ذكرا " أى فهو بحيث لا يتوقف أحد في أنه من عندنا . وأنه ذكر و موعظة كما مضى ، لكننا لم نرد ذلك فلم يكن . وما اتخذتموه لهوا فانا خلقناه لغير ذلك بدليل ، ما فيه من الشواغل و المنغصات و انقواطع فاتخذتموه انتم من عند أنفسكم لهوا . فكان أكثره لكم ضرا و عليكم شرا ، و خص الحرالى "عند" بما ظهر . و "لدن" بما بطن . فعلى هذا يكون المراد : من حضرتنا الخاصة بنا الحفية التى لا يطالع عليها غيرنا . لأن ما لللك لا يكون مبتدلا ، و كذلك لم يذكر إلا ما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته^٢ فوحد ١٠ السبأ هنا وجمعها في غير هذا الموضع لاقتضاء الحال ذلك .

ولما كان هذا مما ينبغى أن تنزه الحضرة القدوسية عنه و عن مجرد ذكره و لو على سبيل "فرض" ، أشار إلى ذلك بأداة شرط أخرى فقال :
 ﴿ ان كنا فاعلين ﴾ أى له . و لكنه لا يليق بجناتنا فلم تفعله و لا نكون فاعلين له ﴿ بل ﴾ "و إشعار لهذا المعنى بالقذف" و الدمغ تصويرا للحق ١٥ يجعل الحق كأنه جرم صلب كالصخرة قذف بها على "جرم رخو"

(١) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فخذناها (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : برويته (٣) العبارة من هنا إلى " أجوف فقال " - انقطة من ظ .
 (٤) في مد : بالقذف (٥) من مد ، و في الأصل : حزم (٦ - ٧) ما بين الرقيين بياض في الأصل ملأناه من مد .

رف قال: (نقذ) أى إنما شأننا أن نرمى زميا شديدا (بالحق) الذى هو هذا الذكر الحكيم الذى أنزلناه جدا كله و ثابتا جميعه لا هو فيه و لا باطل . و لاهو مقارب لشيء منها ، و لا تقدررون أن تتخذوا شيئا منه^١ لهما اتخاذا يطابقكم عليه منصف ، فنحن نقذف به (على الباطل) الذى أحدثموه من عند أنفسكم (فيدمغه) أى فيمحقه محق المكسور الدماغ (فاذا هو) فى الحال (زاهق^٢) أى ذاهب الروح أى هالك ؛ ثم عطف على ما أفادته 'إذا' قوله: (ولكم) أى و إذا لكم^٣ أيها المبطلون^٤ (الويل ما تصفون^٥) أى من وصفكم لكل شيء بما تهوى أنفسكم من غير إذن منا^٦ [لكم - ٢] ، لأنكم لا تقفون على حقائق الأمور . فان وصفتم القرآن بشيء مما تقدم ثم قذفنا عليه بما بين^٧ بطلانه ، بان لكل عاقل أنه يجب عليكم ان تنادموا الويل بميلكم^٨ كل الميل ، و إن وصفتم الله أو الدنيا أو غيرهما^٩ فكذلك إنما اتم متعلقون بقشور و ظواهر لا يرضاها إلا بعيد عن العقل محجوب عن الإدراك^{١٠} ثم عطف أيضا على ما لزم من ذلك القذف قوله: (وله من فى السموات) أى الاجرام العالية و هى

١٥ ما تحت العرش . و جمع السهات هنا^{١١} لاقتضاء تعميم الملك ذلك .

و لما كانت عقولهم لا تدرك تعدد الأراضى ، و حـد فقال^{١٢}:

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يقدرروا ان يتخذوا منه شيئا (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) ريد من مد (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : تبين . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يميل بكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرها . (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى مد : معيدا للوصول تأكيذا للإشارة إلى ما يترجمهم من ادعاء أن ما دعوه شريكا إما أن لا يكون له ، و إما أن يكون المملوك شريكا . و كلاهما لا يعقل ، و من فى .

{ و الارض^١ } [أى ومن فيها - ١] ، وذلك شامل - على أن التعبير [بمن - ٢] لتغليب العقلاء - للسموات و الارض ، لأن الارض في السموات ، / وكل سماء في التي فوقها ، والعليا في العرش وهو سبحانه ذو العرش العظيم - كما سيأتى قريبا ، فدل ذلك دلالة عقلية على أنه مالك الكل و ملكه^٣ .

و لما كانوا يصفون الملائكة بما لهم^٤ الويل من وصفه ، خصهم بالذكر معبرا عن خصوصيتهم و قريهم بالعندية^٥ تمثيلا بما نعرف من أصفياء الملوك عند التعبير بعند من مجرد القرب في المكاة لا في المكان^٦ فقال :
{ و من عنده^٧ } أى [م له - ١] حال كونهم لا { يستكبرون عن عبادته }
بنوع كبر طلبا و لا إجمادا { و لا يستحسرون^٨ } أى و لا يطلبون أن ١٠
ينقطعوا عن ذلك^٩ فأتج ذلك قوله^{١٠} : { يسبحون } أى ينزهون^{١١}
المستحق للتنزيه^{١٢} بأنواع التنزيه من الأقوال و الأفعال^{١٣} [التي هي عادة ، فهي مقتضية مسح نقي النقائص إثبات الكمال - ١]
{ الليل و النهار } أى [في جميع آناهما - ١] دائما . [و لما لم يصرح هنا بانكار منهم ، و لا ما يستلزمه من الاستكبار ، لم يؤكد و لا عطف ١٥
بالواو فقال - ١] : { لا يفترون^{١٤} } عن ذلك في وقت من الأوقات
[بخلاف ما في "فصلت^{١٥}" فان الأمر فيها مبنى على حد استكبارهم المستلزم

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في ظ : ملكها (٤) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحدفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : يسبحون . (٨) آية ٣٨ .

لانكارهم المتقضى للتأكيد - [١] ، وكل هذا في حيز 'إذا' أى إذا أنزلنا شيئا من القرآن منبها على أقاويلكم ميينا لباطيلكم ، فاجأه ظهور الزهوق للباطل ، والويل لكم والملك له سبحانه منزها عن كل نقص [ثابتا له بالعبادة كل كمال - [١] ، ويموز أن يسطف على "نقذف" .

و لما كانوا عند هذا اليان جديرين بأن يادروا إلى التوحيد فلم يفعلوا ، كانوا حقيقين - بعد الإعراض عنهم^٢ - بالتوبيخ والتهمم والتعنيف^٣ فقال تعالى : ﴿ ام اتخذوا ﴾ أى أعلوا أن كل شىء تحت قهره نافذ فيه أمره فرجعوا عن ضلالهم ، أم لم يعلوه ، أو علوا ، ما ينافيه فاتخذوا ﴿ الهنة ﴾ .

١٠ ولما كانت معبوداتهم أصناما أرضية من حجارة ونحوها قال^٤ :

﴿ من الارض ﴾ [أى - [١] التى هم مشاهدون لانها وكل ما فيها طوع مشيئة ﴿ هم ﴾^٢ أى خاصة^٣ ﴿ ينشرون ﴾ أى يجيئون شيئا مما فيها من الاجسام النامية حتى يستحقوا بذلك صفة الإلهية ، وإفادة^٤ السياق المحصر تفيد أنه لو وقع الإنشاء لأحد على وجه يموّز مشاركة^٥ غيره له

١٥ لم يستحق العبادة ، وفى هذا الاستفهام تهكم بهم بالإشارة إلى أنهم عبدوا

ما هو^٤ [من - [١] أدنى ما فى الأرض مع أنه ليس فى الأرض ما يستحق أن يعبد ، لأن الإنسان أشرف ما فيها ، ولا يخفى ما له من

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) من ظ و مد ، وفى

الأصل : التضييق (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عليه (٥) العبارة من هنا

إلى ه الرتبة الشبه ، ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : افاد (٧) من

مد ، وفى الأصل : بمشاركة (٨) من مد ، وفى الأصل : هم .

الحاجة المبددة من تلك الرتبة الشياء .

ولما كان الجواب قطعا: لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف، ولا شيء.

غيره سبحانه يستحق وصف الإلهية، أقام البرهان القطعي على صحة نفي إله غيره ببرهان التامع، وهو أشد برهان لأهل الكلام فقال:

(لو كان فيهما) أى [فى - ١] السماوات والأرض، أى فى تديرهما . ٥
 ٢ ولما كان الأصل فيما بعد كل من 'إلا' و'غير' أن يكون من

جنس ما قبلها وإن كان مغايرا له فى العين، صح وضع كل منهما موضع الآخر، واختير هنا التعبير بأداة الاستثناء والمعنى للصفة إذ هى تابعة لجميع منكور غير محصور الإفادة إثبات الإلهية له سبحانه مع النفي عما عداه، لأن

'لولا' - لما فيها من الامتناع - مفيدة للنفي، فالكلام فى قوة أن يقال 'ما فيها' ١٠

(الهة الا الله) أى مدرون غير من تفرد بصفات الكمال، ولو كان فيهما

آلهة غيره / (فسد تاج) لقضاء العادة بالخلاف بين المتكافئين المؤدى إلى ٤٩٧ /

ذلك، ولقضاء العقل بإمكان الاختلاف اللازم منه [إمكان التامع اللازم

منه إمكان مجزأ أحدهما اللازم منه - ٥] أن لا يكون إلهها لحاجته، [وإذا

اتقى الجمع، اتقى الاثنان من باب الأولى، لأن الجمع كلما زاد حارب ١٥

بعضهم بعضا فقل الفساد كما نشاهد - ١] .

٢ ولما أفاد هذا للدليل أنه لا يجوز أن يكون المدير لها إلا واحدا، وأن

ذلك الواحد لا يكون إلا الله قال: (فسبحن الله) أى قسب عن

(١) زيد من مد (٢ - ٢) . سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى

« غيره » ساقطة من ظ (٤) من مد، وفى الأصل: لما (٥) زيد من ظ و مد .

ذلك تنزه المتصف^١ بصفات الكمال (رب العرش) [أى -^٢]
 الذى هو نهاية المعلومات من الأجسام^٣، [ورب ما دونه من السموات
 والأراضى وما فيها -^٤] المتفرد بالتدبير، كما يتفرد الملك الجالس على
 السرير (عما يصفون^٥) مما^٦ يوم تقصا ما، ثم علل ذلك بقوله:
 (لا يستل^١ أى من سائل^٦ [ما -^٢] (عما يفعل) أى لا يعترض
 عليه لأنه لا كفو له فى علم ولا حكمة ولا قدرة [ولا عظمة -^٧] ولا غير
 ذلك، [فليس فى شيء من أفعاله لإتقانها موضع سؤال -^٨]، فهما أراد أن
 ومهما قال فالحسن الجميل، فلو شاء لعذب أهل سمواته وأهل أرضه،
 ١٠. وكان ذلك منه عدلا حسنا، وهذا مما يتباح به أولو الهمم العوال،
 كما قال عامر الحصني^٩ فى هاشم بن حرمله بن الأشعر:

أحيا أباه هاشم بن حرمله يوم الهباءات ويوم اليعمله

ترى الملوك عنده مغربله^٩ يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

قال ابن هشام فى مقدمة السيرة^{١٠} قبل «أمر البسل»^{١١} بقليل: أشدنى

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: المنعم (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد .
 (٣) العبارة من هنا إلى «نهاية الأجسام» ساقطة من ظ (٤) من مد، وفى
 الأصل: الاجساد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: عما (٦-٧) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى سيرة ابن هشام ١/٣٥: خصفة بن
 قيس بن عيلان، وراجع أيضا تعليق المعلى فى الأنساب ٥/١٥٠ (٩) من ظ
 ومد والسيرة، وفى الأصل: مغربه (١٠-١١) من مد، وفى الأصل وظ:
 قتل الله الشاعر - كذا .

أبو عبيدة هذه الآيات وحدثني أن هاشما قال لعامر: قل في بيتنا جيدا
 أنبك عليه، فقال عامر البيت الأول فلم يعجب هاشما، ثم قال البيت^١
 الثاني فلم يعجبه،^٢ ثم قال الثالث فلم يعجبه^٣، فلما قال [الرابع - ٢]
 «و يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له» أعجبه فأثابه عليه، [ومن أعجب
 ما رأيت في حكم الأقدمين أن الشهرستاني قال في الملل: وقد سأل^٥
 بعض الدهرية أرسطاطاليس فقال: إذا كان لم يزل ولا شيء غيره
 ثم أحدث العالم فلم أحده؟ فقال: «لم»، غير جائز عليه، لأن 'لم' تقتضي
 علة و العلة محمولة فيما هي علة له من معلّ فوقه و لا علة فوقه، و ليس
 بمركب فتحمل ذاته الملل، فلم عنه منفية - ١] . (وهم يسألون^٥)
^١ من كل سائل لما في أفعالهم^٢ من الاختلال^٣ بل يمنعون^٤ عن أكثر^٥
 ما يريدون .

و لما قام الدليل، ووضح السيل، و اضمحل كل قال و قيل،
 فأنمحت الأباطيل، قال منبها لهم على ذلك: (أم) أي أرجعوا عن
 ضلالهم لما بان [لهم - ١] غيهم فيه فوجدوا الله أم (اتخذوا) "ونه"
 على أن كل شيء دونه و أثبت أن آلتهم بعض من ذلك باثبات ١٥

- (١) سقط من السيرة (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من مد (٣) زيد من السيرة .
 (٤) زيد ما بين الطاجزين من مد (٥-٥) تأخر ما بين الرقنين في الأصل عن «من
 الاختلال» و الترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى «الاختلال» ساقطة من ظ .
 (٧) من مد، وفي الأصل: حالهم (٨) من مد، وفي الأصل: الاختلاف .
 (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: يعفون (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة
 من هنا إلى «التهديد» ساقطة من ظ (١٢) من مد، وفي الأصل: فيه .

الجار فقال [منها لهم -'] مكررا لما مضى على وجه أعم ، طالبا البرهان
تلويحا إلى التهديد : ﴿ من دونه 'الهة' ﴾ من السماء أو^٢ الأرض وغيرهما .
ولما كان جوابهم : اتخذنا^٢ ، ولا يرجع أمره بجوابهم فقال :
﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ما ادعيتموه من عقل أو نقل كما أثبت أن
برهان النقل المؤيد بالعقل .

و لما كان الكريم سبحانه لا يؤاخذ بمخالفة العقل ما لم ينضم إليه
دليل النقل ، أتبعه قوله^٤ مشيرا إلى ما بعث الله به الرسل من الكتب :
﴿ هذا ذكر ﴾ أى موعظة [و شرف -'] ﴿ من معى ﴾ بمن آمن بي
و قد ثبت^٥ أنه كلام الله بجزم عن معارضته فانظروا هل تجدون فيه شيئا
١٠ يؤيد أمركم ﴿ و ذكر ﴾ أى و هذا ذكر ﴿ من قبل ﴾ فاسألوا أهل
الكتابين هل فى كتاب منها برهان لكم .

و لما كانوا لا يجدون شبهة لذلك فضلا عن حجة اقتضى^٦ الحال
الإعراض عنهم غضبا ، فكان كأنه قيل : لا يجدون لشيء من ذلك برهانا
﴿ بل أكثرهم ﴾ [أى هؤلاء المدعويين -'] ﴿ لا يعلمون لا الحق ﴾ بل هم جهلة
١٥ و الجهل أصل الشر و الفساد^٧ ، ﴿ فهم يكفرون تقليدا ﴾ فهم ﴿ أى قسب
عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من أنهم ﴾ معرضون^٨ عن ذكرك و ذكر
(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل « و » (٣) من ظ و مد ، و فى
الأصل : اتخذوا (٤ - ٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى
الأصل : أثبت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقتضت بذلك (٧) من مد ،
و فى الأصل : التساوة ، و العبارة من « بل هم » إلى هنا ساقة من ظ (٨) زيد
ما بين الحاجزين من ظ و مد .

من قبلك غفلة منهم عما يراد بهم و فعلا باللعب فعل القاصر عن درجة العقل، و بعضهم معاند مع علمه الحق]، 'و بعضهم يعلم فيفهم - كما أفهمه التقيد بالاكثرا'.

ولما كان التقدير [يانا لما في الذكرين - ٢]: ولو أقبلوا على الذكر لعلوا أنا أوحينا إليك في هذا الذكر أنه لا إله إلا أنا، 'ما أرسلناك ه إلا لنوحى إليك' ذلك، عطف عليه قوله: (وما أرسلنا) أى بعظمتنا. ولما كان الإرسال بالفعل غير مستغرق للزمان المتقدم لأنه كما أن الرسالة لا يقوم بها كل واحد، فكذلك الإرسال لا يصلح له كل زمن، أثبت الجار فقال: (من قبلك) 'وأعرقى في النقي فقال: (من رسول) في شيع الأولين (الايوحى: إليه) من عندنا ١٠ (انه لا اله الا انا) ولم يقل: نحن، لئلا يجعلوها وسيلة إلى شبهة، ولذا قال: (فاعبدون ه) 'بالأفراد، و ترك التصريح بالأمر / بالتخصيص بالعبادة لفهمه من المقام و الحال، فانهم كانوا قبل ذلك يعبدونه و لكنهم يشركون' تنبيها على أن كل عبادة فيها شوب شرك عدم.

٤٩٨ /

ولما دل على نفي مطلق الشريك عقلا و نقلا، فاتفق بذلك كل فرد ه؛

يطلق عليه هذا الاسم، عجيب من ادعاتهم الشركة المقيدة بالولد، فقال

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و تأخر في الأصل عن 'كان التقدير ه، و الترتيب من مد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى «إليك ذلك» ساقطة من ظ (٤) من مد، و في الأصل: إليه (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) و قراءة عاصم: نوحى (٩-٩) ما بين الرقمين متكرر في الأصل فقط.

عاطفا على قوله "واسروا النجوى" : ﴿ وقالوا ﴾^١ قيل : الضمير
لخزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، وقيل : لليهود [حيث -^٢]
قالوا : إنه سبحانه صاهر الجن فكانت منهم الملائكة : ﴿ اتخذ ﴾^٣ أى
تكلف كما يتكلف من يكون له ولد^٤ ﴿ الرحمن ﴾ [أى -^٥] الذى كل
وجود^٦ من فيض نعمته ﴿ ولدا ﴾ .

٥ ولما كان ذلك أعظم الذنب ، نزه نفسه سبحانه عنه بمجمع^٧
التنزيه فقال : ﴿ سبحانه^٨ ﴾ أى تنزهه [عن -^٩] أن يكون له ولد ،
فإن ذلك يقتضى المجانسة بينه وبين الولد ، ولا يصح مجانسة النعمة للنعمة
الحقيق^{١٠} ﴿ بل ﴾ الذين جعلوهم له ولدا وهم الملائكة ﴿ عباد ﴾
١٠ من عباده ، أنعم عليهم بالإيجاد كما أنعم على غيرهم^{١١} لا أولاد ، فإن
العبودية تنافى الولدية^{١٢} ﴿ مكرمون^{١٣} ﴾ بالعصمة من الزلل ، ولذلك فسر
الإكرام بقوله : ﴿ لا يسبقونه ﴾ [أى لا يسبقون إذنه -^{١٤}] ﴿ بالقول ﴾
أى [بقولهم ، لأنهم -^{١٥}] لا يقولون شيئا لم يأذن لهم فيه ويطلقه لهم .
ولما كان الواقع عما لم يؤذن له فيه قد^{١٦} لا يفعل ما أمر به قال :
١٥ ﴿ وهم بأمره ﴾^{١٧} أى خاصة^{١٨} إذا أمرهم ﴿ يعملون^{١٩} ﴾ لا بغيره^{٢٠} لأنهم

(١) العبارة من هنا إلى « منهم الملائكة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
(٢-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل وظ : شىء .
(٥) العبارة من هنا إلى « انتزبه فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل :
ايجمع (٧) زيد من ظ و مد (٨) بهامش ظ : وجه العجز أنه سبحانه نفى
المطلق فلم منه نفى المقيد ، فكيف يشبه المقيد مع نفى مطلقه (٩) من ظ و مد ،
وفى الأصل « و » (١٠) بهامش ظ : فالخصر استفيد من تقديم الجار أعنى « بأمره » .

في غاية المراقبة له 'اجمعوا في الطاعة بين القول و الفعل و ذلك غاية الطاعة'؛ ثم علل 'إخباره بذلك' بعله بما هذا المخبر به مندرج فيه فقال: (يعلم ما بين ايديهم) أي مما [لم - '] يعملوه * (وما خلفهم) بما عملوه ، ' أو يكون ' الأول لما عملوه و الثاني لما يعملوه ، لأنك تطلع على ما قدامك و يخفى عليك ما خلفك . أي أن عمله محيط بأحوالهم ه ماضيا و حالا و مآلا . لا يخفى عليه خافية ؛ ثم صرح بلازم الجملة الأولى فقال: (و لا يشفعون لا) [أي - '] ' في الدنيا و لا في الآخرة ' (الا لمن ارتضى) فلا تطعموا في شفاعتهم لكم بغير رضاه ، و بلازم الجملة الثانية ' فقال: (و هم من خشيته) أي لا من غيرها ' (مشفقون ه) أي دائما ' .

١٠

و لما نبى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية ، أتبعه التهديد " على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع فقال: (و من يقل منهم) أي من كل من قام الدليل على أنه لا يصلح للالهية " حتى العباد المكرمون الذين وصف كرامتهم " و قرب منزلتهم عنده و أثم عليهم كما رواه البيهقي في الخصائص من الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما: ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد في الأصل : له ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذفناها (٣) بهامش ظ : الإشارة في قواه « بذلك » يرجع إلى « و هم بأمره يعملون » (٤) زيد من ظ و مد (ه) من ظ . وفي الأصل و مد : يعلموه (٦) العبارة من هنا إلى « ما خلفك » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل : ان (٨) بهامش ظ : أعني « لا يسبقونه بالقول » (٩) زيد من مد . (١٠) بهامش ظ : أي « و هم بأمره يعملون » (١١) في مد : لتهديب (١٢) العبارة من هنا إلى « عنها » ساقطة من ظ (١٣) من مد ، وفي الأصل : كرمهم .

(انى اله) 'اولا كانت الرتب' التى تحت رتبة الإلهية كثيرة، بعض
 يدل على 'من استغرق' بطريق الأولى فقال: (من دونه) أى من
 دون الله (فذلك) [أى - °] اللعين الذى لا يصلح للتقريب أصلا
 ما دام على ذلك (بحجزه) [أى - °] بعظمتنا (جهنم) لظلمه،
 ٥ فأنهم تعذيب مدعى الشرك تعذيب أتباعه من باب الأولى، وهو على
 سبيل الفرض و التمثيل فى الملائكة من إحاطة عليه بأنه لا يكون .
 و ما ذاك إلا لقصد تفضيح أمر الشرك و تعظيم شأن التوحيد .
 [و فى دلائل النبوة لليهوق فى باب التحدث بالنعمة و الخصائص أن هذه
 الآية مع قوله تعالى "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك" دليل على
 ١٠ فضله صلى الله عليه وسلم على أهل السماء - °] .

و لما كان مقتضيا للسؤال عن "غير هذا من الظلمة ، قيل :

(كذلك) أى مثل هذا الجزء الفظيع جدا (بحجزى الظالمين) / كلهم / ٤٩٩
 ما داموا على ظلهم .

و لما أنكر سبحانه اتخاذهم آلهة من دونه تارة بقيد كونها أرضية .

١٥ و تارة "بقيد كونها" سماوية ، و تارة مطلقة ، لتعم كلا من القسمين

(١) العبارة من هنا إلى «الأولى فقال» - آقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل :
 المراتب (٣) من مد ، و فى الأصل : يجب (٤ - ٤) من مد ، و فى الأصل :
 الاستغراق (٥) زيد من مد (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 لظلمه (٨) بهامش ظ : لأن العظيم إذا عذب فكيف بأتباعه؟ (٩ - ٩) سقط ما بين
 الرقين من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١١ - ١١) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : بكونها .

وغيرهما، واستدل على ذلك كله بما لم يبق معه شبهة، فدل تفردہ على أنه لا مانع له مما يريد من بعث ولا غيره، وكان عليهم لا يتجاوز ما في السموات والأرض، قال مستدلاً على ذلك أيضاً مقرراً بما يعلمونه. أو ينبغي أن يسألوا عنه حتى يعلموه لتمكنهم من ذلك "فاسئلوا أهل الذكر" جالياً له في أسلوب العظمة: ﴿اولم﴾ أى ألم يعلموا ذلك بما أوحينا من أدلته^٢ ولم يربوا، ولكنه أظهر للدلالة على أنهم يعظون^٣ أنوار الدلائل عنادا فقال: ﴿ير﴾ أى يعلم علماً هو كالمشاهدة ﴿الذين كفروا﴾ أى استروا ما يعلمون من قدرة الله فأدى ذلك إلى الاستهانة والتقص^٤ فصار ذنبهم غير مغفور^٥، وسعيهم غير مشكور، وحذف^٦ ابن كثير^٧ الواو العاطفة على ما قدرته مما هدى إليه "سياق أيضاً، لا للاستفهام بما دل عليه ختام الآية التى قبل من البعث والجزاء المقضى للانكار على من أنكره، فكان المعنى على قرأته^٨: "يجزى كل ظالم بعد البعث، ألم ير المنكرين لذلك قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلاق، وإنما أنكر عليهم عدم الرؤية بسبب أن الاجسام وإن تباينت لا ينفصل بعضها عن بعض إلا بقادر يفصل بينها، فمن البديهي الاستحالة أن يرتفع شيء منها ١٥

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: (٢) تكرر في مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: دلالاته (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: او (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: يعظون (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: النقص (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: مقصور (٨) في ظ: اسقط (٩) بين سطرى ظ: المقرى (١٠) في مد: ما قرأته.

عن الآخر منفصلا عنه بغير رافع 'لا سيما إذا كان المرتفع ثابتا' عن غير عماد، فكيف وهو عظيم الجسم كبير الجرم؟ وذلك دال على تمام القدرة و الاختيار و التزه عن كل شائبة قصص من مكافئ و غيره، فصح الإنكار عليهم في عدم علم ذلك بسبب أنهم عملوا بخلاف ما يعلمونه^٢

٥ (ان السموات و الارض) .

٢ ولما كان المراد الإخبار عن الجماعتين لا عن الأفراد قال^٣ :
 (كانتا) ؛ ولما كان المراد^٤ شدة الاتصال و التلاحم ، أخبر عن ذلك بمصدر مفرد وضع موضع الاسم فقال : (رتقا) أى ملتزقتين^٥ زبدة واحدة على وجه الماء ، و الرتق في اللغة : السد ، و الفتق : الشق^٦

١٠ (فتقنهما) ؛^٧ أى بعظمتنا^٨ [أى -^٩] بأن ميزنا إحداهما عن الأخرى بعد التكوين المتقن و فتقنا السماء بالمطر ، و الأرض بأنواع النبات بعد أن لم يكن شيء من ذلك ، و لا كان مقدورا على شيء منه لأحد غيرنا ؛
 عن ابن عباس^{١٠} رضى الله عنهما و عطاء و الضحاك و قتادة : كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما بالهواء . و عن مجاهد و أبى صالح و السدى . كانتا مؤتلفة طبقة^{١١} واحدة ففتنها فجعلها سبع سماوات ، و كذلك

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط بعد تمام القدرة ، (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : يعلمون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
 (٤) العبارة من هنا إلى « الاسم فقال » ساقطة من ظ (٥ - ٥) في مد : كانتا (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الشد .
 (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى « طبقات » ساقطة من ظ (٩) راجع البحر المحيط ٦/٣٠٨ (١١) من مد و البحر ، و في الأصل : طينة .

الأرض^١ كانت مرتقة طبقة واحدة قفتها لجعلها سبع^٢ - طبقات .

ولما كان خلق الماء سابقا على خلق السماوات والأرض، قال:

(وجعلنا) [أى بما اقتضته عظمتنا - ^٣] (من الماء) أى الهامر

ثم الدافق^٤ (كل شيء حتى^٥) مجازا من النبات وحقبة من الحيوان،

خرج الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال للنبي ه

صلى الله عليه وسلم: أخبرني عن كل شيء، / فقال: كل شيء خلق من

ماء^٦ . ولذلك أجاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الذى وجدته على

ماء بدر^٧ وسأله^٨: من هو؟ بقوله: نحن من ماء .

ولما كان هذا من تصرفه فى هذين الكونين ظاهرا ومنتجا لانهما

وكل ما فيها^٩ ومن فيها بصفة المعجز عن أن يكون له تصرف ما، ١٠

تسبب عنه إنكار عدم إيمانهم فقال: (افلا يؤمنون ه) أى بأن شيئا

منها أو فيها لا يصلح للالهية، لا على وجه الشركة^{١٠} ولا على وجه الانفراد،

وبأن صانعها ومبدع النامى من حيوان ونبات منها بواسطة الماء قادر

على البعث للحساب للثواب أو العقاب، بعد أن صار الميت ترابا بماء

يسيه لذلك .

١٥

ولما كان من القدرة الباهرة ثبات الأرض من غير حركة،

وكان المساء أدل دليل على ثباتها، وكانت الأرض أقرب فى

(١) فى البحر: الأرضون (٢) زيد من مد والبحر إلا أن فى البحر سبعاء مع

حذف «طبقات» (٣) زيد من مد (٤) بهامش ظ: أى للتي (٥) من ظ ومد،

وفى الأصل: الماء (٦-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: فسأله (٧) من ظ ومد،

وفى الأصل: عنها (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: الشرك .

الذكر من السماء ، أتبع ذلك قوله : ﴿ وجعلنا ﴾^١ بما لنا من العظمة
 ﴿ في الارض ﴾ جبالا ﴿ رواسي ﴾ أى ثوابت ، كراهة ﴿ ان تميد بهم ﴾^٢
 و تضطرب فتهلك المياه كل شيء حتى فيعود نفعها ضرا و خيرا شرا .
 و لما كان المراد من المراسي^٣ الشدة و الحزونة لتقوى على الثبات
 و الثبيت ، و كان ذلك مقتضيا لإبعادها و حفظها عن [الذلة و -^٤]
 اللبوة ، بين أنه خرق^٥ فيها العادة ليعلم أنه قادر مختار لكل ما يريد فقال :
 ﴿ وجعلنا ﴾^١ بما لنا من القدرة الباهرة و الحكمة البالغة^٦ ﴿ فيها ﴾ أى
 الجبال مع حزوتها ﴿ لجاجا ﴾ أى مسالك واسعة سهلة ؛ ثم أبدل منها
 قوله : ﴿ سبلا ﴾ أى مذلة للسلوك ، و لو لا ذلك لتعسر^٧ أو تعذر
 الوصول إلى بعض البلاد ﴿ لعلمهم يهتدون ﴾^٨ إلى منافعهم فى ديارهم
 و غيرها ، و إلى ما فيها من دلائل الوجدانية و غيرها^٩ يفعلوا أن
 وجودها لو كان بالطبيعة كانت على نمط واحد مساوية للأرض متساوية^{١٠}
 فى الوصف ، و أن كونها على غير ذلك دال على أن صانعها قادر مختار
 متفرد بأوصاف الكمال .

١٥ و لما دلهم بالسموات و الأرض على عظمته ، ثم فصل بعض ما فى
 الأرض لملاستهم^{١١} له ، و خص الجبال لكثرتها فى بلادهم ، أتبعه

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواشى .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خرن (٥) من مد ، و فى
 الأصل : لقصر ، و فى ظ : ليعسر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مساوية .
 (٧) بين سطرى ظ : لمخاطبتهم .

السما فقال : ﴿ وجعلنا ﴾ 'أى بمظمتنا' ﴿ السماء ﴾ وأفردها ' بارادة الجنس' لأن أكثر الناس لا يشاهدون منها إلا الدنيا ' ولأن الحفظ للشئ الواحد أتقن ' ﴿ سقفا ﴾ 'أى للأرض لا فرق بينها وبين ما يعهد من السقوف إلا أن ما يعهد منها لا يسقط منه إلا ما بضر ، وهذه مشحونة بالمنافع فأكثر ما ينزل منها ما لا غنى للناس عنه من آلات ه الضياء وعلامات الاهتداء والزينة التى لا يقدر قدرها ٢ .

ولما كان ما يعرفون من السقوف على صفرها لا تثبت إلا بالعمد ، 'و يتمكن منه المفسدون' ، وتحتاج كل قليل إلى إصلاح وتعهد ، بين أن هذا السقف على سعته وعلوه على غير ذلك فقال : ﴿ محفوظا سمي ﴾

'أى عن السقوط بالقدرة وعن الشياطين بالشهب' ، فذكر باعتبار السقف ، ١٠ وأشار إلى كثرة ما حوى من الآيات مؤثرا باعتبار السماء أو العدد الدال عليه الجنس ، 'لأن العدد أولى بالدلالة على كثرة الآيات' [والنجوم مفرقة فى الكل - '] فقال : ﴿ وهم ﴾ 'أى أكثر الناس'

﴿ عن ايتهما ﴾ 'أى من الكواكب الكبار والصغار ، والرياح والأمطار ، ٥٠١ / وغير ذلك من الدلائل التى تفوت الاحصار' ، أى 'الدالة على قدرتنا ١٥ على كل ما نريد من البحث وغيره [و - ٦] على عظمتنا بالتفرد بالإلهية

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى مد : مع ارادة الجنس ، وما بين الرقمين ساقط من ظ (٣-٣) ما بين الرقمين تأخر فى الأصل عن 'على كثرة الآيات' و الترتيب من مد ، وسقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد . (٦) زيد من ظ و مد .

وغير ذلك من أوصاف الكمال، من الجلال و الجمال (معرضون ه) لايتفكرون فيما فيها من التسيير و التدبير بالمطالع^١ و المقارب و الترتيب القويم الدال على الحساب الدائر عليه سائر المنافع .

و لما ذكر السماء، ذكر ما ينشأ عنها فقال: (وهو) أى لاغيره

ه (الذى خلق الليل و النهار) ثم اتبعها آيتين فقال: (و الشمس)

التي هي آية النهار و بها وجوده (و القمر) الذى هو آية الليل . و لما^٢

ذكر أعظم آياتها فأفهم بقية الكواكب ، استأنف لمن كأنه قال: هل

هي كلها في سماء واحدة؟: (كل) [أى-^٤] من ذلك (في فلك)

فكأنه قيل: ما ذا تصنع؟ فقيل^٦ [تغليبا لضمير العقلاء... و نقلهم

١٠ إليها-^٤]: (يسبحون ه) [أى كل واحد يسبح في الفلك الذى جعل

به-^٤].

و لما ذكر الصارم البتار^٧، للاعمار الطوال و القصار، من الليل

و النهار، [كان كأنه-^٨] قيل: فيضيان كل شديد، و يلبيان كل جديد،

فعطف^٩ عليه قوله: (و ما جعلنا) أى بما لنا من العظمة التي اقتضت

١٥ تفردنا بالبقاء (لبشر) [و حقق عدم هذا الجعل باثبات الجار فقال-^٩]:

(من قبلك الخلد) ناظرا^{١٠} إلى قوله "و ما كانوا نخلدن" بعد قوله

(١) العبارة من هنا إلى «سائر المنافع» ساقطة من ظ (٢) من مد، و في الأصل:

و المطالع (٣-٢) من مد، و في الأصل: ثم؛ و العبارة من هنا إلى «سماء واحدة»

ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥-٥) في ظ: منها (٦-٦) سقط ما بين الرقين

من ظ (٧) من ظ و مد، و في الأصل: النهار (٨) زيد من ظ و مد (٩) من

ظ و مد، و في الأصل: عطف (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: ناظر .

”هل هذا الا بشر مثلكم“ وهذا من أقوى الأدلة على أن الخضر عليه السلام مات ، ويجاب بأن الحياة الطويلة ليست خلدا كما في حق عيسى عليه السلام ، لكن قوله صلى الله عليه وسلم ^٢ « اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض بعد اليوم ، وقوله ^٣ « لا يبقى على رأس مائة سنة من هو على ظهر الأرض اليوم أحد ، وقوله ^٤ « وددنا أن موسى عليه السلام صبر ققص علينا من أمرهما ، في أمثال ذلك ، يدل على موته دلالة لا تقبل ادعاء حياته بعدها إلا بأظهر منه ^٥ .

ولما كان قولهم ”بل هو شاعر“ مشيرا إلى أنهم قالوا تبرص به ريب المتون كما اتفق لغيره من الشعراء ، وكان ينبغي أن لا ينتظر أحد لآخر من الأذى إلا ما يتحقق سلامته هو منه . توجه الإنكار عليهم ^{١٠} والتسلية [له - ^٧] بمنع شماتهم في قوله : (افانن) أي ^٨ أيتمنون موتك فان ^٩ (مت فهم) أي خاصة ^٨ (الخلدون) فالمنكر تقدير خلودهم على تقدير موته الموجب لإنكار تمنيمهم لموته ، ^٩ فحق الهمة دخولها على الجزاء ، و هو : فهم ، وإنما [قارنت الشرط لأن - ^٧] الاستفهام له الصدر .

(١) العبارة من هنا إلى « بأظهر منه » ساقطة من ظ (٢) راجع سيرة ابن هشام ١٧/٢ و مسند الإمام أحمد ٣٠/١ (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٨٨/٢ (٤) زيد في مد : لو ، و راجع حديث موسى في كتاب الأنبياء من صحيح البخارى . (٥ - ٥) يابض في الأصل ملأناه من مد (٦) العبارة من هنا إلى « شماتهم » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « له الصدر » ساقطة من ظ .

ولما تم ذلك ، أنتج قطعا : (كل نفس) أى منكم و من غيركم^١
 (ذاتقة الموت^٢) أى فلا يفرح أحد ولا يحزن بموت أحد ، بل يشتغل
 بما يهيمه ، وإليه الإشارة بقوله : (و نبلوكم) أى [نعاملكم -^٢] معاملة
 المبلى المختبر [المظهر فى عالم الشهادة الشاكر و الصابر و المؤمن و الكافر
 ٥ كما هو عندنا فى عالم الغيب -^٢] بأن نخالطكم (بالشر) الذى هو طبع
 النفوس ، فهى أسرع شىء إليه ، فلا ينجو منه إلا من «أخلصناه لنا»
 (والخير) مخالطة كبيرة ، [و أكد فعل البلاء بمصدر من معناه مقرون
 بالهاء تعظيما له فقال -^٢] : (فتنة^٣) أى [كما يفن الذهب إذا أريدت
 تصفيته بمخالطة النار له ، على حالة عظيمة -^٢] بحيلة مائلة لكم لا يثبت لها
 ١٠ إلا الموق (و البناء) أى بعد الموت لا إلى غيرنا (ترجعون^٥) للجزاء
 حيث لاحكم لاحد أصلا لا ظاهرا و لا باطنا [كا -^٢] فى هذه الدار
 ينفوذ الحكم فلا يكون إلا ما نريد^٦ فاشتغلوا بما ينجيكم منا ، و لا تلتفتوا
 إلى غيره ، فان الأمر صعب ، وجدوا فان الحال جد .

ولما أخبر سبحانه عن إعراضهم عن الساعة تكذيبا ، و استدل على^٨
 ١٥ كونها منزهة عن الغيب فى خلق هذا العالم و تعاليه عن^٩ [جميع -^١]
 صفات النقص و اتصافه بأوصاف الكمال إلى أن ختم ذلك بمثل / ما
 ابتدأ به على وجه أصرح . ' و كان فيه تبيهوم على الابتلاء''

٢٠٥/

(١) من مد ، و فى الأصل : غيرهم ، و العبارة من « أى منكم » إلى هنا ساقطة
 من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : اخلصنا لك (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) سقط من ظ
 (٧ - ٧) ما بين الرقيين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : عن (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١٠) العبارة من هنا إلى
 « من آياته » ساقطة من ظ (١١) من مد ، و فى الأصل : الامتنى - كذا .

[وكان الابتلاء - ١] على قدر النعم^١، فكان صلى الله عليه وسلم اعظم شئ ابتلوا به لانه لانعمة أعظم من النعمة به، ولا شئ أظهر من آياته عطف على قوله " واسروا النجوى " قوله: (واذا رآك)^٢ أى وأنت أشرف الخلق [وكلك - ١] جد و جلال و عظمة و كمال (الذين كفروا) فأظهر منبها^٣ على أن ظلمهم الذى أوجب لهم ذلك هو الكفر^٤ وإن ه كان فى أدنى رتبة، تبشيعا له و تنبيها على أنه يطمس الفكر مطلقا^٥.

ولما كان من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم فى غاية البعد عن الهزء، قال منبها على أنهم أعرقوا فى الكفر حتى بلغوا الذرورة: (ان)^٥ أى ما^٥ (يتخذونك) أى حال الرؤية، و سيعلم من يبقى^٦ منهم عما قليل أنك جد كلك^٧ (الا هزوا^٨) أى جعلوك^٩ بحمل أنفسهم على ١٠ ضد ما يعتقد^{١٠} عين^٨ ما ليس فيك شئ منه؛ ثم بين استهزاهم به بأنهم يقولون إنكارا و استصغارا: (اهذا الذى يذكر) [أى - ١] بالسوء (الهتك) [قال أبو حيان - ١٠]: و الذكر " يكون بالخير و الشر، فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه - ١٢] - [انتهى - ١٣] . فاذا^{١١}

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: المنعم (٣) العبارة من هنا إلى «عظمة و كمال» ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: تنبيها . (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من مد . وفى الأصل: بقى (٧) بياض فى الأصل ملأناه من مد، و العبارة من « أى حال » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: غير (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد من ظ، و راجع البحر المحيط ٦ / ٣١٢ (١١) من ظ و مد و البحر، وفى الأصل: فالذى . (١٢) زيد من ظ و البحر (١٣) زيد من ظ (١٤) من مد، وفى الأصل: فما، و العبارة من ها بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « أطلق عليه » .

دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه ﴿وم﴾ أى و الحال أنهم 'على
 حال كانوا بها أصلا فى الهزء، و هى أنهم ' ﴿بذكر الرحمن﴾ الذى
 لانهمة عليهم و لاعلى غيرهم إلا منه، او ككرر الضمير تعظيما بما أتوا به
 من الفباحة فقال: ﴿م﴾ أى بظواهرهم و بواطنهم ﴿كفرونه﴾
 ٥ أى ساترون لمعرفتهم به، فلا أعجب من 'هو محل للهزء لكونه' أنكر
 ذكره من لانهمة منه و لانهمة أصلا بالسوء، و هو يذكر من كل
 نعمة منه بالسوء او يهزأ به.

و لما كان من آيات الأولين التى طلبوها العذاب بأنواع الهول،
 وكانوا هم أيضا قد طلبوا ذلك و استعجلوا به "عجل لنا قطنا" و نحو
 ١٠ ذلك، و كان الذى جرأهم على 'هذا حلم' الله عنهم بامهاله لهم، قال
 معللا لذلك: ﴿خلق﴾ 'و بناه للفعول لأن المقصود بيان ما جبل عليه
 و الخالق معروف' ﴿الانسان﴾ أى هذا النوع.

و لما كان مطبوعا على العجلة قال: ﴿من عجل﴾ فلذا يكفر،
 لانه إذا خولف بادر إلى الانتقام عند القدرة فظن بجعله أن خالقه كذلك،
 ١٥ و أن التأخير ما هو إلا عن عجز' او عن رضى: ثم قال تعالى مهددا

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «بواطنهم» ساقطة
 من ظ (٣) فى مد: ضمائرهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٥) فى
 ظ: الذين (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك علم (٧) بين سطرى ظ:
 أى بطراتهم على ذلك بسبب إمهاله (٨) العبارة من هنا إلى «العجلة قال» ساقطة
 من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: العجل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل:
 عجل (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: ممهدا.

للكذابين : ﴿ ساوريكم ﴾ حقا ﴿ ايتى - القاصمة و العاصمة . بهجرة
النبي صلى الله عليه و سلم و من عندكم من أتباعه المستضعفين و خلافتهم
بين أيديكم و جعلهم شجا في حلوقكم حتى يتلاشى ما أنتم عليه و غير ذلك
من العظام ﴾ ﴿ فلا تستعجلون ﴾ أى تطلبوا أن أوجد العجلة بالعذاب
أو غيره ، فانى منزه عن العجلة [ائى هى من جملة نقائصكم .

و لما ذم العجلة و هى إرادة شىء قبل أوانه ، و نهى عنها ، قال
دالا عليها عاطفا على عامل " اهذا " - [٢] : ﴿ و يقولون ﴾ [أى - ٢] فى
استهزائهم بأرزيه الله : ﴿ متى هذا ﴾ و تهكوا بقولهم : ﴿ الوعد ﴾ [أى - ٢]
بآيات الآيات من الساعة و مقدماتها و غيرها . و زادوا ٢ فى الإلهاب
و التهيج تكذيبا فقالوا : ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ أى عريقين فى هذا ١٠
الوصف جدا - بما دل عليه الوصف و فعل تكون .

و لما غلوا فى الاستهزاء فكانوا أجهل الجهلة باستحالة الممكن ،
استأنف الجواب عن كلامهم بنق العلم عنهم / فى الحال و المآل دون
المعانية على طريق التهكم و الاستهزاء بهم : ﴿ لو يعلم الذين كفروا ﴾
و ذكر المفعول به فقال : ﴿ حين ﴾ أى لو تجدد لهم علم ما بالوقت الذى ١٥
يستمجلون به : و ذكر ما أضيف إليه ذلك الوقت فقال : ﴿ لا يكفون ﴾

(١-١) -قط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل :

زاد (٤) من مد ، و فى الأصل : فقال ، و العبارة من « و زادوا » إلى هنا ساقطة

من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « انوقت فقال » - ساقطة من ظ (٦) من مد ،

و فى الأصل : أكد .

أى^١ فيه بأنفسهم [(عن وجوههم)] التي هي أشرف أعضائهم
 (النار) استسلاما و^٢ [ضعفا و عجزا] (ولا عن ظهورهم) التي هي
 أشد أجسادهم ، فعرف من هذا أنها قد أحاطت بهم ، أنهم لا يكفون
 عن غير هذين من باب الأولى (ولا هم ينصرون)^٣ أى ولا يتجدد لهم
 نصر^٤ ظاهرا ولا باطنا ، بأنفسهم ولا بغيرهم ، لم يقولوا شيئا من ذلك
 الكفر والاستهزاء والاستعجال ، ولكنهم لا يعلمون ذلك بنوع من
 أنواع العلم إلا عند الوقوع^٥ ، لأنه لا أمانة لها قاطمة بتعيين وقتها ، لا تأتي
 بالتدرج كغيرها^٦ ، وهذا معنى (بل تأتيهم) [أى -]^٧ الساعة التي
 هي ظرف لجميع تلك الأحوال ، وهي معلومة لكل أحد فهي مستحضرة
 ١٠ في كل ذهن^٨ (بوقت قبوتهم)^٩ أى تدعهم باعتين حائرين^{١٠} ؛ ثم تسبب
 عن قبوتهم قوله^{١١} : (فلا يستطيعون ردها) أى لا يظلمون طوع ذلك
 لهم^{١٢} في ذلك الوقت ، لأنهم عنه^{١٣} (ولا هم ينظرون)^{١٤} أى يمهلون
 [من مهل ما -]^{١٥} ليتداركوا ما أعد لهم فيها ، فيا شدة أسفهم على
 التفريط في الأوقات التي أمهلوا فيها في هذه الدار ، و صرفهم إليها في
 ١٥ لذات أكثرها اكدار .

ولما كان التقدير : (حاق بهم) هذا ، باستهزائهم بك ، تبعه ما يدل

- (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل :
 عن ٤ - ٤ - سقط ما بين الرهين من ظ (٥) زيد من مند ٦ - ٦ - فى ظ : عال .
 (٧) فى ظ : بقوله (٨) ابن سطرى ظ : أى كونهم لا يكفون عن وجوعهم
 النار وهم لا ينظرون .

على أن الرسل في ذلك شرع واحد، تسلياً له صلى الله عليه وسلم
 وتأسية، فقال [عاطفاً على " وإذا رآك " - ١] : ﴿ ولقد ﴾ مؤكداً له
 لمزيد التسلية^٢ بمساواة إخوانه من الرسل وبتعذيب أعدائه . ولما كان
 المخوف نفس الاستهزاء لا كونه من معين ، بنى للفعل قوله^٣ :
 ﴿ استهزئ برسلي ﴾ [أى ١] كثيرين .

٥
 ولما كان معنى التذكير عدم الاستغراق ، أكدته بالخافض فقال^٤ :
 ﴿ من قبلك فخاق ﴾ أى^٥ فأحاط ﴿ بالذين سخروا منهم ﴾ لكفرهم
 ﴿ ما كانوا ﴾^٦ بما هو لهم كالجبل^٧ ﴿ به يستهزءون ﴾ من الوعود الصادقة
 كبعض من^٨ ، سألوه الإتيان بمثل آياتهم كيقوم نوح ومن بعدهم .

ولما هددهم بما مضى مما قام الدليل على قدرته عليه ، وختمه^٩ - لوقوفهم^{١٠}
 مع المحسوسات - بما وقع لمن قبلهم ، وكان الأمان عن مثل ذلك
 لا يكون إلا بشيء يوثق به . أمره ان يسألهم عن ذلك بقوله :
 ﴿ قل من يكلؤكم ﴾ أى بحفظكم^{١١} و﴿ يؤخركم ويكثر رزقكم ﴾ . وهو
 استنهام توبيخ .

ولما استوى بالنسبة إلى قدرته حذرهم وغفلتهم . قال : ﴿ بالبين ﴾ ١٥

(١) زيد من مد (٢ - ٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد في مد : أحال
 ونزل (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : ما (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 كتبه (٦) من ظ و مد . وفي الأصل : غفلهم .

أى^١ وأتم فأنمور .^٢ ولما كانت مدافعة عذابه سبحانه غير ممكنة لأنتم
ولا يقظان قال^٣ : ﴿ والنهار ﴾ [أى -^٤] وأتم مستيقظون .^٥ ولما
كان لا منعم^٦ بكلاية ولا^٧ غيرها سواه سبحانه . ذكرهم بذلك بصفة
الرحمة فقال : ﴿ من الرحمن^٨ ﴾ الذى لا نعمة بحراسته ولا غيرها إلا منه
ه حتى أمتم مكره^٩ ولو يقطع إحسانه . فكيف إذا ضربكم بسوط جبروته
وسطوة قهره وعظومته^{١٠} .

ولما كان الجواب قطعاً : ليس لهم من يكلؤهم منه^{١١} وهو معنى
الاستفهام الإنكارى ، قال مضرباً عنه : ﴿ بل هم ﴾ أى فى أمنهم من
سطواته ﴿ عن ذكر ربهم ﴾ الذى لا يحسن إليهم غيره ﴿ معرضون ه ﴾
^{١٢} فهم لا يذكرون أصلاً فضلاً عن أن يخشوا بأسه وهم يدعون أنهم
أشكر / الناس للإحسان^{١٣} .

/ ٥٠٤

ولما أرشد السياق إلى أن التقدير : أصحيح^{١٤} هذا الذى أشرنا إليه
من أنه لا مانع لهم منا . عادله بقوله إنكاراً عليهم : ﴿ ام لهم الهة ﴾
موصوفة بأنها ﴿ تمنهم ﴾^{١٥} نوب الدهر .^{١٦} ولما كانت جميع الرتب

(١) - سقط من ظ (٢ - ٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من مد .
(٤) العبارة من هنا إلى « الرحمة فقال » ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفى
الأصل تمنهم (٦ - ٦) من مد ، وفى الأصل : غيرها إلا هو (٧) العبارة من هنا
إلى « وعظومته » ساقطة من ظ (٨) فى مد : عظمته (٩) سقط من مد ؛ والعبارة
من بعده إلى « الإنكارى » ساقطة من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل :
تقدير الصحيح (١١) زيد فى الأصل و ظ : من ، ولم تكن الزيادة فى مد
لحذفها (١٢) العبارة من هنا إلى « الابتداء فقال » ساقطة من ظ .

تحت رتبته^١ سبحانه ، أثبت^٢ حرف الابتداء فقال [محقرا لهم - ٣] :
 ﴿ من دوننا^١ ﴾ أى [من - ٤] * مكروه هو تحت^٥ إرادتنا و من جهة
 غير جهتنا .

ولما كان الجواب قطعاً : [ليس - ٤] لهم ذلك ،^٦ وهو بمعنى الاستفهام^٧ ،
 استأنف الإخبار بما يؤيد هذا الجواب ، ويجوز أن يكون تعليلاً . فقال : هـ
 ﴿ لا يستطيعون ﴾ أى الآلهة التى يزعمون أنها تنفعهم ، أو هم - لأنهم
 لا مانع لهم من دوننا - ﴿ نصر انفسهم ﴾ من دون إرادتنا فكيف بغيرهم ،
 أو يكون ذلك صفة لآلهة على طريق التهكم ﴿ ولا هم ﴾^٨ أى الكفار
 أو^٩ الآلهة ﴿ منا ﴾^{١٠} أى بما لنا من العظمة^{١١} ﴿ يصحبون هـ ﴾ [بوجه من
 وجوه الصحبة - ٢] حتى يصير لهم استطاعة بنا ، فانسدت عليهم ابواب ١٠
 الاستطاعة أصلاً و رأساً .

ولما لم يصلح^{١٢} هذا لأن يكون سبباً لاجترائهم ، أضرب^{١٣} عنه قائلاً
 فى مظهر العظمة ، إشارة إلى أن اغترارهم به سبحانه - مع ما له من
 دلائل الجلال - من أعجب العجب ، [بانينا على نحو لا كالى^{١٤} لهم منه
 و لا مانع هـ - ٣] : ﴿ بل متعنا ﴾^{١٥} أى بعظمتنا^{١٦} ﴿ هؤلاء ﴾^{١٧} أى الكفار^{١٨} ١٥

- (١) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : اشهر .
 (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (هـ-هـ) من مد ، وفى الأصل : يمكروه
 هو عن ، وفى ظ : دون (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) العبارة من
 هنا إلى « الآلهة » ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل « و » (٩) من ظ
 و مد . وفى الأصل : يلم يصح (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : ضرب .

اعلى حقاقتهم^١، أو الإضراب عن عدم استطاعتهم للنصر^٢، والمعنى أن ما هم فيه من الحفظ إما هو من أجل تمتيعهم بما لا يفتقر به إلا مغرور^٣، [لا من مانع يمنعهم -^٤] ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بالنصر وغيره ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ فكان طول سلامتهم غارا لهم بنا، فظنوا
 ٥ أنه لا يغلبهم على ذلك التمتع شيء، ولا ينزع عنهم ثوب النعمة .

ولما أقام الأدلة ونصب الحجج على أنه لا مانع لهم من الله، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم في اعتقاد غيره فقال: ﴿افلا يرون﴾ أى يعذبون علما هو في وضوحه^١ مثل الرؤية بالبصر ﴿انا﴾ بما لنا من العظمة . وصور ما كان يجربه من عظمته على أيدي أوليائه فقال:
 ١٠ ﴿نأى الارض﴾ [أى -^٢] التى أهلها كفار، إتيان غلبة لهم بتسليط أوليائنا [عليهم -^٣] . ولما كان الإتيان على ضرب شتى، بينه بقوله: ﴿نقصها من اطرافها﴾ بقتل بعضهم ورد^٤ من بقى عن دينه إلى الإسلام، فهم في نقص، وأوليائونا في زيادة .

ولما كانت مشاهدتهم لهذا مرة بعد مرة قاضية بأنهم المغلوبون .
 ١٥ تسبب عنه^١ إنكار غير ذلك فقال: ﴿فأفهم﴾ أى خاصة^٢ ﴿الغلوبون﴾ أى مع مشاهدتهم لذلك^٣ أم أوليائونا .

(١-١) سقط ما بين برقين من ظ (٢-٢) ما بين الرقين في ظ : أى بل منعناهم .
 (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد . وفى الأصل : اعتقادهم (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد . وفى الأصل : برد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن .

ولما تين [الخلف - ١] في قوهم على كثرته وادعائهم الحكمة
 و البلاغة، و فعلهم على كثرتهم وزعمهم القوة و الشجاعة، ثبت أن أقواله
 الناقضة^٢ لذلك من عند الله بما ثبت^٣ من استقامة معانيها و إحكامها،
 بعد ما اتضح من إعجاز نظومها و حسن الثامها، فأمره أن يبين لهم ذلك
 بقوله: ﴿ قل إنما أنذركم ﴾^٤ أيها الكفار ﴿ بالوحي نزل ﴾ أي الآتى به
 الملك [عن الله - ١] فلا قدح في شيء من نظمه و لا معناه و الحال أنكم
 لا تسمعون - على قراءة الجماعة، و الحال أنك لا تسمعهم - على قراءة ابن
 عامر بضم الفوقانية و كسر الميم^٥ و نصب الصم خاصة^٦، و لكنهم لما كانوا
 لا ينتفعون بانذاره^٧ لتصامتهم^٨ و جعلهم أصابعهم في آذانهم وقت الإنذار^٩
 عدم صما. أظهر الوصف لتعليق الحكم به فقال: ﴿ و لا يسمع الصم الدعاء ﴾^{١٠}
 أي من يدعوهم، أو يكون معطوفا على ما تقدّمه: فان كانت أسماعكم صحيحة
 سمعتم فأجبت^{١١}، و نبه بقوله: ﴿ اذا ما يندرون ﴾ على أن المانع لهم مع
 الصمم كراهة الإنذار، و البناء للفعول على منذر - ١٠ .
 و لما كان المنذر لا يترك الاستعداد لما ينذر به من العذاب

- (١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل: اقوالهم المناقضة .
 (٣) من ظ و مد، و في الأصل: ثبتت (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٥) العبارة من هنا إلى « خاصة » ساقطة من ظ (٦) من مد، و في الأصل:
 تسمع (٧) من مد، و في الأصل: بكسر (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من مد .
 (٩) من مد، و في الأصل: فاصبتم، و العبارة من « أو يكون » إلى هنا ساقطة
 من ظ (١٠) زيد من مد .

إلا إذا كان قويا على دفعه . بين أنهم على غير ذلك فقال : (ولئن) أى لا يسمعون والحال أنه لا قوة بهم ، بل إن (مستهم) أى لاقتهم أدنى ملاقاته (نفة) أى رائحة يسيرة مرة من المرات (من عذاب ربك) المحسن إليك بنصرك عليهم (ليقولن) وقد أذهلهم أمرها عن نخوتهم . وشغلهم قدرها عن كبرهم وحميتهم : (يويلنا) الذى لا نرى الآن بحضرتنا غيره (انا كنا) [أى - '] بما لنا بما هو فى ثباته كالجلبات^٢ (ظلين^٥) : أى عريقين فى الظلم^٥ فى إعراضنا و تصامنا^٥ ترفقا و تذلا لعله يكف عنهم .

ولما بين ما افتتحت السورة من اقتراب^١ الساعة بالقدرة عليه ١٠ و اقتضاء الحكمة له ، و ان كل أحد^٢ ميت لا يستطيع شيئا من الدفع عن نفسه فضلا عن غيره . و ختمت الآيات باقرار الظالم بظلمه ، و كانت عادة كثير من الناس الجور عند القدره ، بين أنه سبحانه بخلاف ذلك فذكر بعض ما يفعل فى حسب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله " بل تاتيهم بغتة " : (و نضع) فأبرزه فى مظهر " العظمة إشارة إلى هو انه عنده و إن كان لكثرة الخلائق و أعمال كل منهم متعددا عندنا (الموازين)^٣ المتعددة لتعدد الموزونات أو أنواعها . ولما كانت الموازين آلة العدل ، و صفتها به مبالغة فقال^٤ (القسط) أى العدل^٤ المميز للاقسام على السوية .

(١) ريد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : (٣) اعبارة من « بما لده » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) عبارة من هنا إلى « يكف عنهم » ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرئين بياض فى الأصل ملاءه من مد (٦) فى ظ : اضراب (٧) فى ظ : واحد . (٨-٨) سقط ما بين الرئين من ظ (٩) اعبارة من هنا إلى « فيه فقال » ص ٤٢٩ س ٢ ساقطة من ظ .

ولما كان يوم الجزاء علة في وضع المقادير، عبر باللام ليشمل
 - مع ما يوضع [فيه - '] - ما وضع الآن لأجل الدينونة فيه^١ فقال:
 ﴿ ليوم القيمة ﴾ الذي أنتم عنه - لإعراضكم عن الذكر - غافلون .
^٢ ولما جرت العادة بأن الملك قد يكون عادلا فظلم بعض أتباعه . بين
 أن عظمته في إحاطة علمه وقدرته تأتي ذلك ، فبنى الفعل للجھول فقال : ٥
 ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن هذا الوضع أنه لا ﴿ تظلم ﴾ [أى من ظالم
 ما - '] ﴿ نفس شيئا ﴾ من عملها ﴿ وان كان ﴾ أى العمل ﴿ مثقال حبة ﴾
 هذا على قرأة الجماعة بالنصب . والتقدير على قرأة نافع بالرفع : وإن
 وقع أو وجد ﴿ من خردل ﴾ أو أحقر منه ، وإنما مثل به لأنه غاية
 ندنا في القلة ، [وزاد في تحقيره بضمير التأنيث لإضاقة إلى المؤنث ١٥
 فقال - '] : ﴿ اتينا بها ﴾ بما لنا من العظمة في العلم والقدرة وجميع صفات
 الكمال فحاسبناه / عليها ،^٣ والميزان حقيقى ، ووزن الأعمال على صفة يصح
 وزنها معها بقدرة من لا يعجزه شئ .

٥٠٦/

ولما كان حساب الخلائق كلهم على كل ما صدر منهم أمرا باهرا
 للعقل ، حقره عند عظمته فقال^٤ : ﴿ وكفى بنا ﴾^٥ أى بما لنا من العظمة^٥

(١) زيد من مد (٢) تقدم فى الأصل على « لأجل » والترتيب من مد (٣) العبارة
 من هنا إلى « للجھول فقال » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : ف .
 (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « أو وجد » ساقطة من ظ (٧) من
 مد ، وفى الأصل : أى (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : أى (٩ - ٩) سقط
 ما بين الرقيين من ظ ، و تقدم فى الأصل على « اتينا بها » والترتيب من مد .
 (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(حسين ه) أى لا يكون فى الحساب أحد مثلنا . فقيه [توعد من جهة أن معناه أنه لا يروج عليه شىء من خداع ولا يقبل - ١] غلطا ، ولا يضل ولا ينسى . إلى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس أو شوب نقص ، [و وعد من جهة أنه يطلع على كل حسن فقيد وإن دق وخفى - ٢] .

٥ ولما قدم [فى قوله - ١] " ما ياتيهم من ذكر من ربهم " - الآية وغيره^٣ أنهم أعرضوا عن هذا الذكر تعلافاً بأشياء منها طلب آيات الأولين ، ونبه على إفراطهم فى الجهل بما ردوا من الشرف بقوله " لقد انزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم " ومر إلى أن ختم بالتهديد بعذابه ، وأنه يحكم بالقط ، وكان كتاب موسى عليه السلام بعد القرآن أعظم الكتب الساهية ، وكان أهل الكتاب قد أعرضوا عنه غير مرة على ١٠ زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل وغيره وبعد موته مع كون المرسل . به اثنان تعاضداً على إبلاغه وتقرير أحكامه بعد أن بهرا العقول بما أتيا به من الآيات التى منها - كما بين فى سورة البقرة والإعراف - التصرف فى العناصر الأربعة التى هى أصل الحيوان الذى بدأ الله منها ١٥ خلقه . ومقصود أسررة الدلالة على إعادته^٤ ، ومنها ما عذب به من أعرض عن ذكر موسى وهارون عليهما السلام الذى هو ميزان العدل لما نشر من الضياء البورث للتصصرة لما حقه للظلام ، فلا يقع متبعه فى

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : غيرها (٤) فى مد : تعليلا .
(٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : كونه (٦) من ظ مد ، وفى الأصل :
انصقول (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : إعادتها .

ظلم^١، وكان الحساب تفصيل الأمور ومقابلة كل منها بما يليق به،
وذلك بعينه هو الفرقان، قال سبحانه بعد آية الحساب عاطفا على "لقد
انزلنا": ﴿ ولقد آتينا ﴾ أى^٢ بما لنا من العظمة^٣ ﴿ موسى و هرون ﴾
أى أخاه الذى سأل^٤ أن يشد أزره به ﴿ الفرقان ﴾ الذى تعاضدا
على إبلاغه و الإلزام بما دعا إليه حال كونه مينا لسعادة الدارين، لا يدع
لبسا فى أمر من الأمور ﴿ و ضياء ﴾ لا ظلام معه، فلا ظلم للمستبصر
به، لأن من شأن من كان فى ضياء أن لا يضع شيئا إلا فى موضعه
﴿ و ذكرا ﴾^٥ أى وعظا و شرفا .

ولما كان من لا ينتفع بالشيء لا يكون له منه شيء، قال^٦:

- ﴿ للثقتين ﴾^٧ أى الذين صار [هذا -]^٨ الوصف لهم شعارا حاملا [لهم -]^٩ ١٠
على التذكر لما يدعو إليه الكتاب من توحيد الذى هو أصل المراقبة؛
ثم بين التقوى [بوصفهم -]^{١١} بقوله: ﴿ الذين يخشون ﴾^{١٢} أى يخافون
خوفا عظيما^{١٣} ﴿ ربهم ﴾^{١٤} أى المحسن إليهم بعد الإيجاد بالترية و أنواع
الإحسان^{١٥} ﴿ بالغيب ﴾ أى فى ان يكشف لهم الحجاب يوم من الساعة
التي نضع فيها الموازين . قد اعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم
حامل على كل خير .^{١٦} مبيد من كل ضير^{١٧} ﴿ مشفقون ﴾^{١٨} لأنهم لقيامها
متحققون، و ينصب الموازين فيها عالمين .

(١) زيد فى الاصل: ظلام، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحدواها .

(٢-٣) فى ظ: عظمتنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ .

(٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من مد .

ولما ذكر فرقان موسى عليه السلام . وكان العرب يشاهدون
إظهار اليهود للتمسك به و المقاتلة على ذلك و الاغتياب ، حثهم على
كتابهم الذى هو أشرف منه فقال : ﴿ وهذا ﴾ فأشار إليه بأداة القرب
[إيماء - ٢] إلى سهولة تناوله عليهم ﴿ ذكر ﴾ أى عظيم . و دلهم على
٥ / ٥٠٧ أنه أثبت الكتب و أكثرها فوائد / بقوله : [﴿ مبارك ﴾] و دلهم على
زيادة عظمته بما له من قرب الفهم و الإعجاز و غيره بقوله - [:
﴿ انزلناه ﴾] ثم أنكر عليهم رده و وبخهم في سياق دال على أنهم
أقل من أن يجترئوا على ذلك ، منه على أنهم أولى بالمجاهدة في هذا
الكتاب من أهل الكتاب و كتابهم فقال : ﴿ افا تم له ﴾ أى لتكونوا
١٠ دون أهل الكتاب . برد ما أنزل لتشريفكم عليهم و على غيرهم . مع أنكم
لا تنكرون كتابهم ﴿ منكروا ﴾ أى أنه لو أنكره غيركم لكان ينبغي لكم
مناصبته . فكيف يكون الإنكار منكم ؟

ولما كان مقصود^١ السورة الدلالة على القدرة على ما استبعده
العرب من إعادة الحيوان بعد كونه ترائماً ، وبدأ ذكر الانبياء بمن صرفه
١٥ في العناصر الأربعة كما تقدم فص ذلك من التوراة في سورتي البقرة
و الاعراف إشارة إلى أن من استعد عليه ما جعله إلى بعض عبيده

(١) من ظ و مد ، : في الأصل : المقابلة (٢) أريد من ظ و مد (٣ - ٤) سقط
مابين الرقمين من ظ (٤) العبارة من ها إلى « كتبهم » ساقطة من ظ .
(٥) من مد ، و في الأصل : عيوبهم (٦) في مد : مقصد (٧) من مد ، و في
الأصل و ظ : سورة .

أعمى الناس ، تلاه من الأنبياء بمن سخر له واحدا من تلك العناصر ، مرتباً لهم على الأخف في ذلك فالأخف على سبيل الترقى ، فبدأهم بذكر من سخر له عنصر النار ، مع التيه للعرب على عمائم عن الرشد بانكاره للشرك بعبادة الأوثان على أيه وغيره ، ودعائهم إلى التوحيد ، والمجاهدة في الله على ذلك حق الجهاد ، وهو أعظم آباء الرايين لهذا الذكر ، والمستمسكين بالشرك تقليداً للآباء ، إثباتاً للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد الداعي إليه جميع هؤلاء الأصفياء ، هذا مع مشاركته بانزال الصحف عليه لموسى و محمد عليهما الصلاة والسلام ومشاركته لها^١ في الهجرة ، وإذا تأملت ما في سورتي^٢ الفرقان والشعراء ازداد ما قلته وضوحاً ، فانه لما أخبر تعالى أنهم قالوا " لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة " ١٠ بدأ بقصة موسى الذي كتب له ربه في الألواح من كل شيء ، وقومه مقرّون بعظمة كتابه وأنه أوتي من الآيات ما بهر العقول ، وكفر به مع ذلك [كثير منهم -^٣] . ولما قال في الشعراء " ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث " - الآية^٤ كما هنا ، صنع كما صنع هنا من البداءة بقصة موسى عليه السلام وإيلانها ذكر إبراهيم عليه السلام فقال تعالى : ١٥ (ولقد اتينا) [بما لنا من العظمة -^٥] (إبراهيم رشده) أي صلاحه

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : التمسكين (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : لها (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : سورة (٤) في ظ : انزل (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) آية (٨) زيد من مد .

و إصابته وجه الأمر و اهتداه^١ إلى عين الصواب و أدل الدلالة و أعرف العرف و أشرف القصد^٢ الذي جبلناه عليه^٣؛ و قال الرازي في اللوامع : و الرشد قوة بعد الهداية - انتهى . و أضافه^٤ إليه إشارة إلى أنه رشد يليق به على علو مقامه و عظم شأنه لا جرم ظهر عليه أثر ذلك من بين أهل ذلك الزمان كلهم فأثر الإسلام على غيره من الملل (من قبل)^٥ أي قبل موسى و هارون عليهما السلام (و كنا) [بما لنا من العظمة -^٦] (به)^٧ ظاهره و باطنا^٨ (علين)^٩ بأنه جبلة خير يدوم على الرشد و يرتقى فيه إلى أعلى درجاته لما طبعناه عليه بعظمتنا من طبائع الخير ؛ و تعليق^{١٠} (اذ قال) [أي إبراهيم -^{١١}] (لايه و قومه) بـ "علين" إشارة^{١٢} إلى أن قوله لما كان باذن منا / و رضى لنا نصرناه^{١٣} - و هو وحده - على قومه كلهم ، و لو لم يكن^{١٤} يرضينا لمنعناه^{١٥} منه بنصر قومه عليه و تمكين النار منه ، فهو مثل ما مضى في قوله " قل ربني يعلم القول في السماء و الارض " و مفهوم هذا القيد لا يضر لأنه لا يحصى ما ينفيه من المنطوقات ، و إن شئت فقلقه^{١٦} بـ " ايتنا " ؛^{١٧} ثم ذكر مقول القول في قوله منكرا عليهم محقرا لأصنامهم في أسلوب التجاهل^{١٨} الإثبات دعوى جهلهم بدليل^{١٩} :

- (١) من مد ، و في الأصل و ظ : اهتدا (٢ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
- (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : اضاف (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ،
- و في الأصل : فنصرناه (٦ - ٧) من ظ و مد ، و في الأصل : مرضيا لمنعناه - كذا .
- (٧) العبارة من هنا إلى « و بايتنا » - ساقطة من ظ (٨) من مد ، و في الأصل : فعلت - كذا (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من مد (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ و مد .

(ما هذه التماثيل) أى الصور التى صنعتوها تماثيل^١ بها ما فيه روح ،
 'جاعلين بها ما لا يكون إلا لمن لا مثل له^٢ ، وهى الأصنام
 (التى اتتم لها)^٣ أى لاجلها^٤ وحدها ، مع كثرة ما يشابهها وما هو
 أفضل منها (عكفون ه) أى 'موقعون الإقبال^٥ عليها مواظبون على
 ذلك ، فبأى معنى استحقت منكم هذا الاختصاص ، وإنما هى 'مثال للحى^٥
 فى الصورة وهو اعلى منها بالحياة التى أفاضها الله عليه .

ولما أتاهم بهذا القاصم^٦ ، استأنف الخبز سبحانه عن جوابهم بقوله^٦ :
 (قالوا) مسوين أنفسهم^٧ بالبهائم التى تقاد ولا علم لها بما قيدت له :
 (وجدنا آباءنا لها) خاصة ('عبدن ه) فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير
 ذلك . ولما غلوا فى الجهل غير محتشمين^٨ من إقرارهم على أنفسهم به ،
 بالاستناد إلى محض التقليد بعد إفلاسهم من أدنى شبهة فضلا عن دليل^٩ ،
 استأنف الله تعالى الإخبار عن جوابه بقوله : (قال) أى^٩ منها لهم
 بسوط التقرير على أن الكلام مع آباءهم كالكلام معهم : (لقد كنتم)
 وأكد بقوله : (اتتم)^{١٠} لاجل صحة العطف لأن الضمير [المرفوع -]
 المتصل حكمه حكم^{١١} " جزء الفعل^١ ، هذا مع الإشارة إلى " الحكم على^{١٢} ١٥

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : مائتين (٢ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
 (٢ - ٣) فى ظ : مقبلون (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تماثل الحى .
 (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : أنفسهم (٦) العبارة من هنا إلى « جوابه بقوله »
 ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : التليل (٨) سقط من ظ (٩) العبارة
 من هنا إلى « وأبوأطنهم » ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١ - ١١) من
 مد . وفى الأصل : الجزء للفعل (١٢ - ١٢) من مد ، وفى الأصل : حكم الى .

ظواهرهم و بواطنهم ﴿ و أبؤكم ﴾ أى من قبلكم ﴿ فى ضلل ﴾ قد أحاط
بكم إحاطة الظرف بالمظروف و الملوك بالسلك ﴿ مينه ﴾ ليس به
نوع من الخفاء .

و لما لم تكن عادته مواجهة أحد بما يكره .^١ استأنف الإخبار عنهم
بما يدل عليه فقال : ﴿ قالوا ﴾ ظنا منهم أنه لم يقل ذلك على
ظاهره : ﴿ اجتئنا ﴾ فى هذا الكلام ﴿ بالحق ﴾ الذى يطابقه الواقع
﴿ ام انت من اللعينه ﴾ فظاهر كلامك غير حق ﴿ قال ﴾ [بانيا
على ما تقديره - ٢] : ليس ' كلامى لعبا ' . بل هو جد ، و هذه التماثيل
ليست أربابا ﴿ بل ربكم ﴾ الذى يستحق منكم اختصاصه بالعبادة
١٠ ﴿ رب السموت و الارض ﴾ أى مديرن القائم بمصالحهن ﴿ الذى فطرهن ﴾
أى أوجدهما و اشق بهما ظلمة^٢ العدم ، و أتم و تماثلكم بما^٣ فيها
من مصنوعات^٤ أتم تشهدون بذلك إذا رجعتن إلى عقواكم مجردة عن
الهُوى ﴿ و اتا على ذاكم ﴾ الامر اتين من أنه ربكم وحده فلا تجوز
عبادة غيره ﴿ من الشهدين ﴾ ' أى الذين يقدرون ' على إقامة الدليل

() من ظ و مد ، و فى الأصل : فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) من ظ و مد . و فى الأصل : كلام اعص (٥) العبارة
من هنا إلى « اشق بهما » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : سواها .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .
(٩) زادت الواو بعده فى الأصل ، و تسمى و ظ و مد فحذفناها (١٠) العبارة
من هنا إلى « إلى الضلاله ساقطة من ظ (١١) من مد ، و فى الأصل : يقررون .

على ما يشهدون به لأنهم لم يشهدوا 'إلا على' ما هو عندهم مثل 'شمس' .
لا كما فعلتم أنتم حين اضطركم السؤال إلى الضلال .

ولما أقام البرهان على إثبات الإله الحق . أتبعه البرهان على إبطال
الباطل [فقال - ٢] : ﴿ و تالله ﴾ 'وهو قسم . و الأصل في القسم الباء

الموحدة ، و الواو بدل منها . و التاء بدل من الواو ، و فيها - مع كونها ه
بدلا - زيادة على التأكيد بالتعجب : قال الأصمعي : كأنه تعجب من تسهل

الكيد على يده انتهى . و فيها أيضا أنها تدل على رجوع التسبب
٥٠٩ /

باطنا ، فكأنها إشارة إلى أنه بعد أن نسب في ردهم عن عبادتها ظاهرا
عما خاطبهم به . تسبب من ذلك ثانيا [بطنا - ٢] بافسادها ﴿ لا كيدن ﴾

٨ أكد لأنه ما ينكر أشدة عسره ؛ و الكيد : الاحتيال ؛ في الضرر .

﴿ اصنامكم ﴾ أي هذه التي عكفتم عليها تاسين الذي خلقكم و إياها . أي
لأفعلن بها ما يسوءكم بضرب من الخيلة .

٩ : لما كان عزمه على إيقاع الكيد في جميع الزمان الذي يقع فيه

توليهم في أي جزء تيسر له منه ، أسقط الجار فقال : ﴿ بعد ان تولوا ﴾

أي 'توقعوا' 'تولى' عنها . 'و حقق مرده بقوله' ﴿ مدبرين ﴾ ١٥

١-١ من مد ، و في الأصل : الى (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا

إلى 'بافسادها' ساقطة من ظ (٤) في مد . بالتعجب (٥) من مد ، و في الأصل :

يعد ١٦ في مد : خالطهم (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى 'في الضرر'

ساقطة من ظ (٩) من مد و في الأصل : الاختيار أسقط ما بين

أرة من بين ظ .

لازلكم من الدليل العقلي على تحقيق الحق إذ لم تكونوا من أهله
إلى الدليل الحسي على إبطال الباطل .

ولما كانوا في غاية التعظيم لأصنامهم لرسوخ أقدامهم في الجهل ،
لم يقع في أوهامهم قط أن إبراهيم عليه السلام يقدم على ما قال ، وعلى
٥ تقدير إقدامه الذي هو عندهم من ' قيل المحال لا يقدر على ذلك ، فتولوا
إلى عيديم ، وقصد هو ما كان عزم عليه فشر في إنجازه تشميرا يليق
بتعليقه^٢ المين بالاسم الأعظم (فجعلهم) [أى -] 'عقب توليهم' (جذذا)
قطعا مهشمة مكسرة مفتحة ، من الجذ وهو القطع (الا كبيرا) واحدا (لهم)
أى للأصنام^٣ ، أو لعبادها^٤ ، فانه لم يكسره و جعل الفاس معه (لعلمهم)^٥ : أى
١٠ أهل الضلال^٦ (إليه) وحده (يرجعون^٧) عند إلزامه لهم بالسؤال فتقوم
عليهم الحجة ، إذ لو ترك غيره معه لربما زعموا أن كلاً يكلم الكلام إلى الآخر
عند السؤال لغرض من الأغراض ، فلما عادوا إلى أصنامهم فوجدوها
على تلك الحال علم^٨ أنه لا بد لهم عند ذلك من أمر هائل ، فاستأنف^٩
الإخبار عنه بقوله : (قالوا)^{١٠} ' أى أهل الضلال^{١١} : (من فعل هذا)^{١٢}

(١) من ظ و مد . وفى الأصل : فى (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بتعليق .
(٣) زيد من مد (٤-٤) - سقط ما بين الترفين من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : الأصنام (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كل (٧) من مد ، وفى
الأصل : ثم ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة سائطة فى ظ إلى «عنه بقوله» .
(٨) من مد ، وفى الأصل : فاستأنف (٩) زيد فى الأصل بعده : أى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الفعل الفاحش ﴿بالهتاء﴾ ثم استأنفوا الخبر عن الفاعل فقالوا مؤكدين
لعلهم أن ما أقامه الخليل عليه السلام على بطلانها يميل القلوب إلى
اعتقاد أن هذا الفعل حق: ﴿انه لمن الظلمين﴾ حيث وضع الإهانة
في غير موضعها، فان الآلهة حقها الإكرام، لا الإهانة و الاتقام ﴿قالوا﴾
أى بعضهم لبعض: ﴿سمعنا﴾ ولم يريدوا تعظيمه مع شهرته وشهرة
أبيه وعظمتها فيهم ليجتري عليه من لا يعرفه فنكرهه [بقولهم -]:
﴿قئ﴾ [أى -] شابا من الشبان ﴿يذكركم﴾ أى بالنقص و العيب
﴿يقال له ابراهيم﴾ يعنون: فهو الذى بطن أنه فعله ﴿قالوا﴾ مسيين
عن هذا كارهين لأن يأخذوه سرا فيقال: أخذ بغير بينة، وهم كفرة
وهو قد خالفهم في دينهم فالى الله المشتكى من قوم يأخذون أكبر أهل
دينهم بغير بينة بل ولا ظنة ﴿فاتوا به﴾ إلى هنا أى إلى بيت الأصنام
﴿على آعين الناس﴾ أى جهرة. و الناس ينظرون إليه نظرا لا خفاء معه
حتى كانه ما يش على أبصارهم، متمكنا منها تمكن الراكب على المركوب،
وعبر بالعين عن البصر ليفهم الأكارب. و يجمع القلة لإفادة السياق
الكثرة، فيفيد الأمران قلة ما. ثلاثون من جمع الكثرة جميع ١٥
الناس مطلقا ﴿لعلهم﴾ إذا راوه ﴿يشهدون﴾ أى أنه فعل بالآلهة هذا

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: استأنف (٢-٢) سقط ما بين الرمين من ظ .
(٣) من مد . وفى الأصل: ليجتروا (٤) من مد . وفى الأصل: فنكرهه ،
و العبارة من « ولم يريدوا » إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد
من ظ و مد (٧) سقط من مد .

الفعل، أو أنه ذكرها بسوء. فيكون ذلك مسوغا لأخذه بذلك،
أو يشهد بفعله بعضهم، لأن / الشيء إذا حضر كانت أحواله بالذکر
أولى منها إذا كان غائبا، وكان هذا عين ما قصد الخليل عليه السلام
أن يبين - في هذا المحفل - الذي لا يوجد مثله - ما هم عليه من واضح
الجهل المتضمن قلة العقل .

١٠ ولما كان إحصاره معلوما أنهم لا يتأخرون عنه ، استأنف
أخبار لما يقع التشوف له فقال: ﴿ قالوا ﴾ منكرين عليه "مقررين ،
له بعد حضوره على تلك الهيئة" : ﴿ انت فعلت هذا ﴾ الفعل
الفاحش ﴿ بالهتتا يابراهيم ﴾ قال ﴿ متهمكا بهم ٦ و ملزما بالحجة :
١٠ ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾ غيرة من أن يعبد معه من هو دونه ، وهذا على
طريق إلزام الحجة ؛ وتقييده بقوله : ﴿ هذا ﴾ إشارة إلى الذي تركه
بغير كسر يدل على أنه كان فيهم كبير غيره . وكذا التكرير فيما مضى
من قوله " الا كبيرا لهم " وهذا - مع كونه تهكما بهم - وكناية عن أنهم
لا عقول لهم لعبادتهم من يعلمون أنه لا يقدر على فعل ما - تنبيه على
١٥ قباحة الشرك ، وأنه لا يرضى به إله بل يهلك من عبد غيره وكل
ما عبد من دونه إن كان قادر . غيرة على مقامه العظيم ، ومنصبه الجسيم .
ولما أخبرهم بذلك ، ولم يكن أحد رآه حتى يشهد على فعله . وكانوا

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : كانه (٢) بين سطرى ظ : المجتمع (٣) من ظ
و مد ، وفي الأصل : اوضح (٤-٤) في ظ : فلما احضروه (ه-ه) سقط ما بين
الرقين من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل : لهم ، والكلمة ساقطة من ظ .
(٧) العبارة من هنا إلى « الحجة » ساقطة من مد (٨) من ظ ، وفي الأصل :
الزمام - كذا (٩) بين سطرى ظ : أى قوله " بل فعله كبيرهم " .

قد أحلوم بعبادتهم و وضع الطعام لهم محل من يعقل ، سبب^١ عنه أمرهم
 بسؤالهم فقال : ﴿ فسئلوم ﴾^٢ أى عن الفاعل ليخبروكم به^٣
 ﴿ ان كانوا ينطقون ٥ ﴾ على زعمكم أنهم آلهة يضرون و ينفعون ، فان قدروا
 على النطق أمكنت منهم القدرة و إلا فلا^٤ ، أما سؤال الصحيح فواضح ،
 و أما غيره فكما يسأل الناس من جرح أو قطعت يده أو رجله أو ضرب ٥
 وسطه و بقيت فيه بقية من رفق ، و إسناده الفعل إلى ما لا يصح إسناده إليه
 و أمره بسؤاله بعد الإضراب عن فعله^٥ متضمن لأنه هو الفاعل .

و لما كان روح الكلام إقراره بالفعل^٦ و جعلهم موضع الهزء
 لأنهم عبدوا ما لا قدرة له على دفاع أصلا ، تسبب عنه^٧ قوله تعالى
 الدال على خزيهم^٨ : ﴿ فرجعوا ﴾^٩ أى الكفرة^{١٠} ﴿ إلى انفسهم ﴾^{١١}
 بمعنى أنهم فكروا فيما قال فاضطرم الدليل إلى أن تحققوا أنهم على
 محض الباطل و أن هذه الشرطية الممكنة عقلا غير ممكنة عادة ﴿ فقالوا ﴾^{١٢}
 يخاطب بعضهم بعضا [مؤكداين لأن حالهم يقتضى إنكارهم لظلمهم - ٥] :
 ﴿ انكم اتم ﴾ خاصة ﴿ الظلمون لا ﴾ لكونكم وضعتم العبادة في غير
 موضعها ، لا إبراهيم فانه أصاب في إهاتهم سواء المحز و وافق عين الغرض^{١٣} ، ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسبب (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٣) من مد ، و فى الأصل : عن (٤) فى الأصل بياض ملأناه من مد ، و اعبارة
 من ٥ و لما كان ، إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) بياض فى الأصل
 ملأناه من ظ و مد .

'وفى أنكم بعد أن عبدتموها ولا قدرة لها تركتموها بلا حافظ'.
 ولما كان رجوعهم إلى الضلال بعد هذا الإقرار الصحيح الصريح
 في غاية البعد^٢، عبر بأداته مشيرا إلى ذلك فقال: ﴿ ثم نكسوا ﴾ أى
 انقلبوا^٣ فى الحال غير مستحيين بما يلزمهم من الإقرار بالسفه حتى كأنهم
 قلبهم قلب لم يمكنهم دفعه ﴿ على رؤوسهم ﴾ فصار أعلام أسفلهم
 يرجوعهم عن الحق إلى الباطل، من قولهم: نكس المريض - إذا رجع إلى
 حاله الأول، قائلين فى مجادلته عن شركائهم: ﴿ لقد علمت ﴾ يا إبراهيم!
 ﴿ ما أهولاء ﴾ 'الاصححهم ولاجرحهم' ﴿ ينطقون ه ﴾ فكانوا بما فاهوا
 به ظانين أنه ينفعهم، يمكنين لإبراهيم عليه السلام من جلائل المقاتل .
 ١٠ / ٥١١ ولما تسبب / عن قولهم هذا إقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم، فاتجهت
 لإبراهيم عليه السلام الحجية عليهم، 'استأنف سبحانه الإخبار عنها بقوله':
 ﴿ قال ﴾ منكرا عليهم موخا لهم 'مسبيا عن إقرارهم هذا': ﴿ اقتعدون ﴾
 ونبههم على أن جميع الرب تضاهل دون رتبة الإلهية بقوله: ﴿ من دون الله ﴾
 - أى من أدنى رتبة من تحت رتبة الملك الذى لا ضرر ولا تقع إلايده
 ١٥ لاستجابه صفات الكمال^٦. ولما كانوا فى محل ضرورة بسبب تكسير
 (١-١) -قط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد . وفى الأصل: البصر .
 (٣) العبارة من هنا إلى « دفعه » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل:
 بالسقيم (٥) زيد فى مد : لجميع (٦) العبارة من « لاستجابه » إلى هنا
 ساقطة من ظ .

أصنامهم ، راجين من ينفعهم في ذلك ' ، قدم النفع فقال :
 ﴿ ما لا ينفعكم شيئا ﴾ لرجوه ﴿ ولا يضركم هـ ﴾ شيئا لتخافوه .
 ١٠ ولما أثبت أن معبوداتهم هذه في حيز العدم ، فكانوا العبادتها دونها ،
 استأنف بتكيتهم لذلك بأعلى كلمات التحقير التي لا تقال إلا لما هو غاية في
 القذارة فقال : ﴿ اف ﴾ أي تقذر وتحقير مني ، ١١ وفي الإحفاف ما يتعين ه
 استحضاره هنا ، ثم خص ذلك بهم بقوله : ﴿ لكم ولا تعبدون ﴾ [ولما
 كانت - ١٢] عبادتهم على وجه الإشراك ، ١٣ وكانت [جميع الرتب تحت
 رتبته تعالى ، وكانت أصنامهم هذه في رتب منها سافلة جدا أثبت الجار
 فقال - ١٤] : ﴿ من دون الله هـ ﴾ أي الملك الأعلى ١٥ لدناه تم وقذارتم .
 ولما تسبب عن فعلهم هذا وضوح أنه لا يقربه عاقل ، أنكر عليهم ١٦
 وبخهم على ترك الفكر ١٧ تبيها على أن فساد ما هم عليه يدرك بيديهه
 العقل فقال : ﴿ افلا تعقلون هـ ﴾ أي وأنتم شيوخ قد مرت بكم الدهور
 وحسنتكم التجارب ١٨ .

ولما وصل بهم إلى هذا الحد من البيان ، فدحضت حججهم ، وبان
 عجزهم ، وظهر الحق ، واندفع الباطل ، فانقطعوا انقطاعا فاضحا ، ١٩ أشار ٢٠
 سبحانه إلى الإخبار عن ذلك بقوله استئنافا ٢١ : ﴿ قالوا ﴾ عادلين إلى

(١) زيد في الأصل : اليوم ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخذفناها (٢-٣) سقط
 ما بين الرقين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «هنا» ساقطة من ظ (٤) راجع آية ١٧ .
 (٥) زيد من ظ و مد (٦-٧) في ظ : قال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : الذكر (٩) بهامش ظ : التجارب بكسر الراء جمع تجربة .

العناد واستعمال القوة الحسية: ﴿ حرقوه ﴾ بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه
فلا هو أعظم مما فعل بآلهتكم ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ التي جعلها جذاذاً؛
و أشار التعبير - بأداة الشك و فعل الكون و اسم الفاعل إلى أن أذاه
لا يسوغ، و ليس الحامل عليه إلا حيلة غلبت على الفطرة الأولى السليمة
٥ - في قوله ١: ﴿ ان كنتم فعلين ٥ ﴾ أى النصر لها، فان النار أهول
المعاقبات ٢ و أظلمها، فهي أزجر لمن يريد مثل هذا الفعل، و أتركوا
الجدال فانه يورث ضد ما تريدون، و يؤثر عكس ما تطلبون، فعزموا
على ذلك فجمعوا الحطب شهراً و وضعوه في جوية ٢ من الأرض ٣ أحاطوا
بها جداراً كما ٤ في الصافات ٦ حتى كان ذلك الحطب ١ كالجلج، و أضرموا
١٠ فيه النار حتى كان على صفة لم يوجد في الأرض قط مثلها، حتى أن
كان الطائر ليمر بها في الجو فيحترق ٧، ثم أقره فيها بالمنجنيق فقال:
حسبي الله و نعم الوكيل - أخرجه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما،
و لابن يعلى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال:
لما أتى إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم! إنك في السماء واحد و أنا
١٥ في الأرض واحد، عبدك ٨. و قال البغوى ٩: أتاه خازن المياه فقال: إن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : المعاقبات بفتح القاف جمع
معاقبة وهي مصدر (٣) أى حفرة (٤) العبارة من هنا إلى « الصافات » - ساقطة
من ظ (٥) من مد، و في الأصل: كل (٦) راجع آية ٩٧ (٧) حسب قول
ابن إسحق - راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٤ / ٢٤٣ (٨) في ظ :
عبدك (٩) في العالم - راجع الباب ٤ / ٢٤٣ .

٥١٢/

أردت أخدمت النار، وأناه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة [لى - ١] إليكم / "حسي الله ونعم الوكيل". فأراد الله الذي له القوة جميعا سلامته منها، فعبر عن ذلك بقوله سبحانه^٢ استئنافا لجواب من زاد تشوفه إلى ما كان من^٣ أمره بعد الإلقاء فيها: ﴿ قلنا ﴾^٤ أى بعظمتنا: ﴿ ينار كوني ﴾ بارادتنا التي لا يتخلف عنها مراد ﴿ بردا ﴾^٥. ولما كان البرد قد يكون ضارا قال: ﴿ وسلمنا ﴾ فكانت كذلك، فلم تحرق^٥ [منه - ١] إلا وثاقه^٥.

ولما كان المراد اختصاصه عليه السلام بهذا قيده به، ولما كان المراد حياته ولا بد، عبر بحرف الاستعلاء فقال: ﴿ على إبراهيم ﴾^٦ أى فكان ما أردنا من سلامته، وروى البغوى^٨ من طريق البخارى عن ١٠ أم شريك رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وقال: كان ينفخ [النار - ٩] على إبراهيم. وقال ابن كثير: وقال ابن [أبى - ١] حاتم: حدثنا عبيد الله بن أخى ابن وهب [ثنا عمى - ١] عن جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال: حدثنى مولاة الفاكة ابن المغيرة المخزومى قالت^{١٠}: دخلت على عائشة رضى الله عنها فرأيت فى ١٥

(١) زيد من ظ ومد والمعالم (٢) العبارة من هنا إلى «الإلقاء فيها» ساقطة من ظ.

(٣) من مد، وفى الأصل: عن (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) من

ظ ومد، وفى الأصل: فلم نحر - كذا (٦) زيد من ظ ومد (٧) حسب ما

قال كعب - راجع المعالم (٨) راجع المعالم على هامش الباب ٤ / ٢٤٣ (٩) زيد

من المعالم (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: قال

بينها رحما فقلت : يا ام المؤمنين ! ما تصنعين بهذا الرحم ؟ فقالت : تقتل به هذه ' الاوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفى عنه غير الوزغ ، فانه كان ينفخ على إبراهيم فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله .

٢ ولما قدم ما نبه على شدة الاهتمام به [لإفهامه - ٢] أنه حكم بسلامته من كيدهم عند همهم به فكيف بما بعده ! قال عاطفا على ما تقديره : فآلقوه فيها : ﴿ و ارادوا به كيدا ﴾ [أى مكرا باضراره - ٢] بالنار و بعد خروجه منها ﴿ فجعلتهم ﴾ [أى - ٢] بما لنا من الجلال .

١٠ [ولما كانوا قد أرادوا بما صنعوا له من العذاب أن يكون أسفل منهم أهل ذلك الجمع ، وكان السياق لتحقيق أمر الساعة الذى هو مقصود السورة ، وكان الصائر إليها المفرط فيها بالتكذيب بها قد خسر خسارة لا جبر لها لفوات محل الاستدراك ، قال - ٢] : ﴿ الاخسرين ٤ ﴾ لأن فضيحتهم فى الدنيا الموجبة للعذاب فى الأخرى كانت بنفس فعلهم الذى كادوه به . ولم يذكر سبحانه شعيا عليه السلام مع أنه سخر له النار فى يوم الظلة فأحرقت من عصاه ، لأن فعل النار بقومه كان على ما هو المعهود من أمرها بخلاف فعلها مع إبراهيم عليه السلام . فانه على خلاف

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بهذه (٢) العبارة من هنا إلى « فآلقوه فيها » ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .

المتاد، 'و قد وقع مثل هذا' لبعض أتباع نبينا^١ صلى الله عليه وسلم، وهو أبو مسلم الخولاني، طلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: 'أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم! فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائما يصلى فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما، وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فأجلسه ه عمر بينه وبين أبي بكر رضى الله عنهما وقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أراى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله. ولما كان إنجازوه - وهو وحده - ممن أرادوا به هذا الأمر العظيم من العجائب فكيف إذا انضم إليه غيره، ولم يكن فى ذلك الغير آية تمنعهم [عنه - ٦] كما كان فى إبراهيم عليه السلام، قال: (ونجيتني) ١٠ 'أى بعظمتنا' (ولوطا) [أى - ٦] ابن أخيه وصديقه لكونه آمن به^{١١} وصدقه، من بلادهما كوثى بلاد^{١٢} العراق، متجهين إلى الأرض المقدسة، ولعله عبر بالى الدالة على تضمين / 'نتهى' للدلالة على أن هناك غاية طويلة، فانهما خرجا من كوثى^{١٣} من 'أرض العراق' إلى حران ثم^{١٤} 'من حران'^{١٥}

(١) العبارة من هنا إلى «خليل الله» ساقطة من ظ (٢) راجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٦٨٦/٢ (٣) من مد، وفى الأصل: النبى (٤) من مد والاستيعاب، وفى الأصل: فقال (٥) فى ظ: بهذا (٦) زيد من ظ ومد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: اه (٩) فى ظ: فى (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) بهامش ظ: قوله «فانهما خرجا من كوثى» فيه نظر، فان القرطبي نقل فى تفسيره عن القاضى أبى بكر ابن الفسوى ما نصه: لقد دخلت ضيفا على ألف قرية فأرأيت نساء أصون عينا ولا أعف فما من نساء تابلس التى رعى بها الخليل عليه السلام - إلى آخره، فطاع ذلك إن أردته - والله الموفق . (١٢ - ١٣) سقط ما بين الرقين من مد .

٥١٣ /

﴿ الى الارض ﴾ المقدسة ﴿ التي بركنا فيها ﴾ بأن ملائمتها من
 الخيرات الدنيوية والاخروية بما فيها من المياه التي بها حياة كل شيء
 من الأشجار و الزروع^٢ وغيرها ، وما ظهر منها من الانبياء عليهم السلام
 الذين ملأوا الأرض نورا ﴿ للعلمين^٥ ﴾ كما أنجبتك أنت يا أشرف أولاده
 و صديقك أبا بكر رضى الله عنه إلى طيبة التي شرفناها بك ، و بثنا من
 أنوارها في أرجاء الأرض و أقطارها ما [لم - ٢] نبت مثله قط ، و باركنا
 فيها للعلمين . بالخلفاء الراشدين و غيرهم من العلماء و الصالحين ، الذين
 اثبتت خيراتهم العلمية و العملية و المالية في جميع الأقطار .

ولما أولد له في حال شيخوخته و عجز امرأته مع كونها عقيما ،
 ١٠ و كان ذلك دالا على الاقتدار على البعث الذى السياق كله له ، قال :

﴿ ووهبنا ﴾ دالا على ذلك بنون العظمة ﴿ له استحق^٦ ﴾ أى من شبه
 العدم ، و ترك شرح حاله لتقدمه ، أى فكان ذلك دالا على اقتدارنا
 على ما يزيد لاسيما من إعادة الخلق في يوم الحساب ؛ ولما كان قد يظن أنه
 - لتولده بين شيخ فان و عجوز مع بأسها عقيم - كان على حالة من الضعف ،
 ١٥ لا يولد لمثله معها ، نفي ذلك بقوله : ﴿ و يعقوب نافلة^٦ ﴾ أى * ولد إسحاق *

زيادة على ما دعا به إبراهيم عليهما السلام^٦ ؛ ثم نفي سبحانه أولاد يعقوب
 - و هو إسرائيل - و ذرياتهم إلى أن ساموا النجوم عدة ، و باروا الجبال شدة
 ﴿ و كلاً ﴾ من هؤلاء الأربعة ؛ و عظم رتبهم بقوله^٦ : ﴿ جعلنا صلحين^٥ ﴾

(١) العبارة من هنا إلى « نورا » ساقطة من ظ (٢) في مد : الزرع (٣) زيد
 من ظ و مد (٤) في مد : دليلا (٥ - ٥) من مد ، و في الأصل و ظ : ولدا
 لاسحاق (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى مهينين - لطاعتهم لله - لكل ما يريدونه أو يرادون له أو يراد منهم ،
وهذا إشارة إلى أن العاصي هالك ، لا يصلح لشيء وإن طال عمره ،
واشتد أمره . لأن العبرة بالعاقبة .

ولما ذكر انه أعظم رتبة الصلاح في أنفسهم ، ذكر أنه أعظم
رتبة الإصلاح لغيرهم ، فقال «معظما لإمامتهم» : (و جعلتهم أئمة) ه
أى أعلاما ومقاصد يقتدى بهم ' في الذين بما أعظم من النبوة ' . ولما
كان الإمام قد يدعو إلى الردى ، ويصد عن الهدى ، إذا كانت إمامته
ظاهرة لا يصحبها صلاح باطن ، احترز عن ذلك بقوله : (يهدون) أى
يدعون إلينا من وفقناه للهداية (بامرنا) وهو الروح الذى هو العمل
المؤسس على العلم باخبار الملائكة به [عنا - ٢] ، ولإفهام ذلك عطف عليه ١٠
قوله 'معظما لوجيه' [إليهم - ٤] : (و أوحينا إليهم) [أى - ٢]
أيضا (فعل) 'أى أن يفعلوا' (الخيرات) كلها وهى شرائع الدين ،
ولعله عبر بالفعل دلالة على أنهم امثلوا [كل - ٢] ما أوحى إليهم .
ولما كانت الصلاة أم الخيرات ، خصها بالذكر فقال :

(و أقام الصلوة) قال الزجاج : الإضافة عوض عن تاء التأنيث . ١٥
[يعنى فيكون من الغالب لا من القليل - ٤] ، وكان سر الحذف تعظيم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : اذ .
(٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من مد (٥-٥) تقدم فى الأصل على «معظما»
و الترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى «أوحى إليهم» ساقطة من ظ (٧) من
مد ، وفى الأصل : النبوة (٨) العبارة من هنا إلى «الظن بصلاتنا» وقعت
وفى الأصل بعد " إيتاء الزكوة " و الترتيب من مد ، وسقطت من ظ .

الصلاة لأنها مع نقصها عن صلاتنا - [لما أشار إليه الحذف -] - بهذه المنزلة من العظمة فما الظن بصلاتنا .

٢ ولما كانت الصلاة بين تعدد والحق، وكان روحها الإعراض

عن كل فان ، عطف عليها قوله^٢ : ﴿ وابتأه الزكوة ﴾ [أى التى هى

مع كونها إحسانا إلى الخلق بما دعت الصلاة إلى الانسلاخ عنه من الدنيا ،

فجعلوا ما أوحيناه إليهم -]^٣ ﴿ وكانوا لنا ﴾ دائما / ^٤ جلة وطبعا

﴿ عبدين ﴾^٥ أى فاعلين لكل ما يأمرون به غيرهم ، فعل العبد مع مولاه

من كل ما يجب له من الخدمة ، ويحق له من التعظيم والحرمة .

ولما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السلام إهلاك من

عصاه فى أول الأمر بمجارة الكبريت التى هى من النار ، وفى آخره

١٠ بالماء الذى هو أقوى من النار ، تلاه به فقال : ﴿ ولوطا ﴾^٦ أى

و'اتينا' أو^٧ واذكر لوطا؛ ثم استأنف قوله : ﴿ اتينته ﴾^٨ أى بعظمتنا

﴿ حكما ﴾^٩ أى نبوة^{١٠} [و١ عملا محكما بالعلم -]^{١١} ﴿ وعلما ﴾^{١٢} من ربنا

بالعمل ﴿ وبجيبته ﴾^{١٣} بانفرادنا بالعظمة .

ولما كانت مادة 'قرا' تدل على الجمع ، قال^{١٤} : ﴿ من القرية ﴾

١٥ المسماة سدوم ، [أى من عذابهم وجميع شرورهم ، وأفرد تنديها على

عمومها بالقلع والقلب وأنه كان فى غاية السهولة والسرعة -]^{١٦} ، وقال

(١) زيد من مد (٢ - ٢) وقع ما بين الرقين فى الأصل قبل « وكانوا لنا »

والترتيب من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين

من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : أى (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى

الأصل : وعملا محكما بالعمل . ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحدفتها (٨) زيد

فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحدفتها .

أبو حيان^١ : وكانت سبما ، عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة .
 (التي كانت) قبل إجماعتنا له منها (تعمل الخبث^٢) بالذكران ،
^٣ وغير ذلك من الطغيان^٤ . فاستحقوا النار التي هي أمر المولتات ،
 بما ارتكبوا من الشهوة المحظورة لعدم لها أحلى^٥ الملهذات . والغمر
 بالماء القدر المنتن الذي جعلناه - مع أنا جعلنا من الماء كل شيء حي - ٥
 لا يعيش فيه حيوان . فضلا عن أن يتولد منه ، ولا يتنفع به ، لما خامروا
 من القدر الذي لا ثمرة له .

ولما كان في هذا إشارة إلى إهلاك القرية ، وأن التقدير : ودمرنا
 عليهم بعد انفصاله عنهم . علله بقوله : (انهم كانوا)^٦ أي بما جبلوا
 عليه^٧ (قوم سوء) أي ذوى قدرة على الشر^٨ بانهما كهم في الأعمال ١٠
 السيئة (فسقينه) خارجين من كل خير ، ثم زاد الإشارة وضوحا
 بقوله : (وادخلته) أي دونهم بعظمتنا^٩ (في رحمتنا) أي في
 الأحوال السنية ، والأقوال العلية ، والأفعال الزكية . التي هي سبب
 للرحمة العظمى^{١٠} ومسيبة عنها ؛ ثم علل ذلك بقوله : (انه من الصالحين^{١١})
 [أي - ٥] لما جبلناه عليه من الخير .

١٥

ولما أتم سبحانه قصة لوط المناسبة لقصة الخليل عليها السلام بحجارة
 الكبريت ، و لقصة نوح عليه السلام بالماء الذي غمرت به قراه السبع ،
 أتبع ذلك قصة نوح عليه السلام الذي سخر له [من - ٥] الماء ما لم يسخره

(١) راجع البحر المحيط ٦/٢٢٩ (٢-٣) سقط ما بين الرمين من ظ (٣) زيد في
 الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥) زيد
 من ظ و مد .

لغيره 'لغيره' لجميع 'الارض دانها و قاصيها، واطيها و عاليها، فقال:
{ و نوحا اذ }^٢ 'أى اذكره حين'^٢ { نادى } 'أى دعاربه' "انى مغلوب
فاتصر" "و لا تذر على الارض من الكافرين ديارا"^٢ و نحوه من الدعاء.
'و لما كان دعاؤه لم يستغرق الأزمنة الماضية، أثبت الجار فقال:

• { من قبل } 'أى من قبل لوط و من تقدمه' { فاستجنا } 'أى أردنا الإجابة
و أوجدناها بعظمتنا'^٢ { له } 'فى' ذلك النداء؛ [ثم سبب عن ذلك
قوله - ١]: { فنجينه } [أى بعظمتنا تنجية عظيمة - ١] { و اهله }
الذين أدام ثباتهم على الإسلام و صلتهم به { من الكرب العظيم }
من الأذى و الفرق؛ قال أبو حيان^٢: و الكرب: أقصى الغم، و الأخذ
١٠ بالنفس، و هو هنا الفرق، عبر عنه بأول أحوال ما يأخذ الفريق .

{ و نصرته } 'أى مخلصين له و ماندين'^٢ [و متقمين - ١] { من القوم }
'أى المتصفين بالقوة'^٢ { الذين كذبوا } 'أى أوقفوا التكذيب له
{ بايتنا } 'أى بسبب إتيانه بها.^٢ و هى من العظمة على أمر لا يخفى'.
و لما كان التقدير: ثم أهلكنام، علله بقوله: { انهم كانوا قوم سوء }
١٥ لا عمل لهم إلا ما يسوء { فاغرقهم } 'أى بعظمتنا التى أتت عليهم
كلهم' { اجمعين } / حتى من قطع' الكفر بين نوح عليه السلام و بينه

/٥١٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: يغمرون بجميع (٢-٢) سقط ما بين الرقين
من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن ذلك
النداء و الترتيب من مد، و سقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد.
(٧) راجع البحر المحيط ٦ / ٣٣٠ (٨-٨) فى ظ: خلصناه (٩) من ظ و مد،
و فى الأصل: يطلع.

من أهله فصار لا يبعد من أهله، لاختلاف الانتساب بالدين .
 ولما كانت ربما قيل : لم قدم إبراهيم ومن معه على نوح وهو
 أبوه ومن أولى أعز، وموسى وهارون على إبراهيم وهو كذلك ،
 أشار بقصة داود وسليمان - على جميعهم الصلاة والسلام - إلى أنه ربما
 يفضل الابن الأب في أمر ، فرمما قدم لأجله وإن ن لا يلزم منه ه
 تقديمه مطلقا ، مع ما فيها من أمر الحرث^٢ الذي هو أنسب شيء لما بعد
 غيض الماء في قصة نوح عليه السلام . هذا في أوله وأما في آخره
 "فما يُنته^٣ مثال للدنيا في بهجتها وغرورها . وانقراضها^٤ و مرورها ، ومن
 تصريف داود عليه السلام في الجبال وهي أشد التراب الذي هو أقوى
 من الماء ، وفي الحديد وهو أقوى تراب^٥ الجبال . وسليمان عليه السلام ١٠
 في الريح وهي^٦ أقوى من التراب فقال : ﴿ و داود ﴾ [أى أول من
 ملك ابنه من أنبياء بني إسرائيل -^٧] ﴿ وسليمان ﴾ ابنه . أى اذكرهما
 "و اذكر شأنهما" (اذ) [أى حين -^٨] ﴿ يحكمهن في الحرث ﴾ الذي
 أنبت الزرع ، وهو من إطلاق اسم السبب على المسبب كالسقاء على
 المطر والنبت ، " قيل : كان ذلك كرما ، وقيل : زرعاً " (اذ نقشت) ١٥

- (١) من ظ ومد ، وفي الأصل : عليهم (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : الحرب .
 (٣-٢) من ظ ومد : وفي الأصل : تنبيه - كذا (٤) زيد في الأصل : وغرورها ،
 ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفنا (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : هي .
 (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : تراب (٧) من مد ، وفي الأصل : ظ : هو .
 (٨) زيد من مد (٩) سقط من مد (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (١١ - ١١) ما بين الرقين يياض في الأصل ملأناه من مد .

أى انتشرت ليلا بغير راع (فيه غم القوم ج) الذين لهم قوة على حفظها
فرعته ؛ قال قتادة : النفس بالليل ، و الحمل ' بالنهار . (و كنا)^٢ أى
بعضمتا التى لا تفر على خلاف الأولى فى شرع من ' شروع' (لحكمهم)
أى الحكيم و المتحاكين إليهما (شهدين قلا) لم يغب عنا ذلك و لاشئ
من أمرهم هذا و لا غيره . فلذلك غيرنا على داود عليه السلام تلك
الحكومة مع كونه ولينا و هو ماجور فى اجتهاده [لأن الأولى خلافها ،
فانه حكم بأن يتملك صاحب الحرث الغنم بما أفسدت من الكرم . فكأنه
رأى قيمة الغنم قيمة ما أفسدت -^٤] (فقهنها)^٣ أى الحكومة^٢
[بما لنا من العلم الشامل و القدرة الكاملة على رفع من نشاء -^٥]
١٠ (سليمان ج) فقال : تسلم الغنم لصاحب الكرم^٦ ليرتفق بلبنها و نسلها
و صوفها و منافعها ، و يعمل صاحبها فى الكرم حتى يعود كما كان فيأخذ
حرثه ، و^٧ ترد الغنم إلى صاحبها ، و هذا أرفق بهما . و هذا أدل دليل
على ما تقدمت الإشارة إليه عند " قل ربى يعلم القول " ، و " كنا به
غلين اذ قال لايه " ، و فيه رد عليهم فى غيظهم من النبي صلى الله
(١) من ظ و مد و معالم التنزيل بهامش للباب ٤/٢٤٦ . و فى الأصل : المهمل .
(٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من مد . و فى الأصل و ظ : و ليا .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى « أرفق بهما » ساقطة
من ظ (٦-٧) وقع ما بين الرقين فى الأصل مكررا أخذناها (٧) من مد ، و فى
الأصل : ثم .

عليه وسلم في تسفيه الآباء والرد عليهم كما في قصة إبراهيم عليه السلام لأنه ليس بمستنكر أن يفضل الابن أباه ولو في شيء، [والآية تدل على أن الحكم ينقض بالاجتهاد إذا ظهر ما هو أقوى منه - ١] .

ولما كان ذلك ربما أوهم شيئاً في أمر داود عليه السلام، فناه بقوله ^٢ «دالا على أنهما على الصواب في الاجتهاد» ^٣ وإن كان المصيب في الحكم ه إنما هو أحدهما (وكلا) ^٤ أي منهما (اتينا) بما لنا من العظمة (حكما) أي [نبوة - ١] و« عملا مؤسسا على حكمة العلم ، [وهذا معنى ما قالوه في قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن من الشعر حكما - أي قولاً صادقاً مطابقاً للحق - ١] (وعلما) مؤيدا بصالح العمل ، ^٥ وعن الحسن ^٦ رحمه الله : لولا هذه الآية لرأيت القضاة قد هلكوا ، ^{١٠} ولكنه أتى على سليمان عليه السلام بصوابه ، وعذر داود عليه السلام باجتهاده - انتهى . و أتبعه من الخوارق ^٨ ما يشهد له ^٩ [بالتقدم والفضل - ١] فقال : (وسخرنا) أي بعظمتنا التي لا يعيها شيء -

ولما كان هذا الخارق في التنزيه ، لم يُعَدَّ الفعل باللام زيادة في

(١) زيد من مد (٢-٢) - ققط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) من مد ، وما بين الرقمين - ساقط من ظ ، وفي الأصل : لافي الحكم (٤) سقطت الواو من ظ (٥) راجع مسند الإمام أحمد ١/ ٢٦٩ (٦) العبارة من هنا إلى « انتهى » ساقطة من ظ (٧) من مد و معالم التنزيل بهامش للباب ٤ ٢٤٦ ، وفي الأصل : يحيى . (٨-٨) ما بين الرقمين تقدم في الأصل على « من الخوارق » والترتيب من ظ و مد .

التزيه وإعادا عما ربما أوهم غيره فقل 'مقدما ما هو أدل على القدرة
 في ذلك لأنه أبعد عن النطق': (مع داود الجبال) أى التى هى أقوى
 من الحرث، 'حال كونهن' (يسجن) معه، ولو شئنا لجعلنا الحرث
 أو الغنم يكلمه بصواب الحكم / ولم يذكر ناقة صالح لأنها مقترحة موجبة
 لعذاب الاستئصال، فلم يناسب ذكرها هنا، لما أشار إليه قوله تعالى
 "لقد أنزلنا اليك كتبنا فيه ذكركم"، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين،
 وهذه الآيات التى ذكرت هنا ليس فيها شىء مقترح (والطير) التى
 سخرنها لها الريح التى هى أقوى من الجبال [و-] أكثر سكنها الجبال،
 سخرنها معه تسبح (و كئنا فعلين) أى من شأننا الفعل لامثال، هذه
 الأفاعيل، ولكل شىء نزيده 'بمائلنا من العظمة المحيطة'، فلا تستكثروا
 علينا أمرا وإن كان عندكم عجبنا، وقد اتفق نحو هذا لغير واحد من
 هذه الأمة. كان مطرف بن عبد الله بن أشخير إذا دخل بيته سبحت
 معه ابنته، هذا مع أن الطعام كان يسبح بحضرة النبي صلى الله عليه
 وسلم والحصى وغيره.

١٥ ولما ذكر التسخير بالتسييح. أشار إلى تسخير الحديد الذى هو

(١-١) -قط ما بين الرقمن من ظ (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: -سخرنهاها.
 (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الامثال (٥) العبارة من
 هنا إلى «الحصى وغيره» ساقطة من ظ (٦) وفى الإصابة: ابنة ابنته - راجع
 ترجمة مطرف فى القسم الثانى من حرف الميم.

أقوى تراب الجبال وأصله وأصفاه^١ فقال: (وعلته) [أى بعظمتا -^٢
 (صنعة لبوس) قال البغوى^٣: وهو فى اللغة اسم لكل ما يلبس
 ويستعمل فى الأسلحة كلها. وهو كالجلوس^٤ والركوب. (لكم^٥) أى
 لتلبسوه فى حربكم، وأتاه فى عمله الحديد ليجمع له إلى العلم سهولة
 العمل فى أى كما يريد (لتحصنكم) أى^٦ اللبوس أو داود^٧ أى الله^٨ على
 قراءة الجماعة^٩ فى حصن مانع، وهو معنى قراءة النون^{١٠} الدال على مقام
 العظمة عند أبى بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب، وقراءة أبى جعفر
 وابن عامر وحفص بالفوقانية للدروع نظرا إلى الجنس^{١١} (مر باسمكم)
 الكائن مما يحصل من بعضكم لبعض من شدائد الحرب لا من البأس كله
 (فهل أنتم شاكرون^{١٢}) لما على ذلك لتوحدونا^{١٣} وتؤمنوا بأبياتنا؛ قال
 البغوى^{١٤}: قال قتادة: أول من صنع الدروع رسدها^{١٥} وحلقها داود
 عليه السلام، وكانت من قبل صفائح. والدرع^{١٦} يجمع الخفة والحصانة^{١٧}.
 ولما كان قد سخر لابنه سليمان عليه السلام الرمح التى هى أقوى

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: اصفا (٢) زيد من مد (٣) راجع معالم التنزيل
 بهامش اللاب ٤٧٤ (٤-٤) من ظ و مد والمعالم. وفى الأصل: لما (٥) من
 العالم، وفى النسخ: كالخلوب (٦) تكرر فى الأصل فقط بعد "صنعة لبوس".
 (٧) سقط من ظ (٨) العبارة من هنا إلى «مانع» ساقطة من ظ (٩) بالياء - راجع
 نثر المرجان ٤/١٦٦ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ (١١) فى ظ: لتوحدنا.
 (١٢) بهامش ظ: السرد: الحرر فى الأديم و انثقب ونسج الدرع و اسم جامع
 للدروع وسائر الخلق (١٣) من ظ و مد والمعالم. وفى الأصل: الدروع.
 (١٤) فى ظ: الحصافة. وهامشه: الحصافة: الإحكام.

من بقية العناصر قال : ﴿ ولسليمن ﴾ معبرا باللام لأنها كانت تحت أمره
لنفعه ولا إيهام في العبارة ﴿ الريح ﴾ قال البغوي : وهي جسم لطيف
يتمتع بألفه من القبض عليه ، و يظهر للحس بحركته ، وكان سليمان
عليه السلام يأمر بالخشب فيضرب له ، فإذا حمل عليه ما يريد من
الدواب ، الناس وآلة الحرب أمر العاصفة فدخلت تحت الخشب فاحتلمته
حتى إذا استقلت به أمر الرخاء تمر به شهرا في غدوته و شهرا في روحته -
انتهى ملخصا . فكان لريحان مسخرتين له . ولكن لما كان السياق هنا
ليبان الإقذار على الأفعال الغريبة الهائلة . قال : ﴿ عاصفة ﴾ أي شديدة
الهبوب ، هذا باعتبار عملها . ووصفت بالرخاء باعتبار لطفها بهم فلا
يحدون لها مشقة ﴿ تجرى بامرة ﴾ إذا أمرها غادية و راتحة ذاهبة إلى
حيث أراد ، و عائدة على حسب ما يريد ، آية في آية .

و لما كان قد علم بما مضى من القرآن لحامله المعنى / بتفهم معانيه ،
و معرفة أخبار من ذكر فيه . أنه^٧ من بنى إسرائيل ، و أن قراره بالأرض
المقدسة . فكان من المعلوم أنه يجريها إلى غيره^٨ . و كان الحامل إلى مكان ربما
١٥ تعذر عوده مع المحمول ، عبر بحرف الغاية ذاكرة محل القرار دلالة على أنها

/ ٥١٧

(:) راجع للعالم بهامش اللباب ٢٤٨/٤ (٢ - ٢) من العالم ، و في النسخ : من
لطفه بالقبض (٣) من مد . و في الأصل : شفة ، و العبارة من « هذا باعتبار »
إلى هنا ساقطة من ظ (٤ - ٤) - قط ما بين الترفين من ظ (٥) من مد ، و في
الأصل : إلى . و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « أياما فقال »
ص ٤٥٩ س (٦) من مد ، و في الأصل : فيفهم (٧) من مد ، و في الأصل : آية .
(٨) من مد . و في الأصل : غيرها (٩) من مد ، و في الأصل : من .

كما تحمله ذهابا إلى حيث أراد من قاص ودان - تحمله إلى قراره أياما فقال:
 ﴿ إلى الأرض التي بركنا ﴾ أي بركتنا ﴿ فيها ﴾ وهي الشام ﴿ وكنا ﴾ أي
 أزلا و أبدا باحاطة العظمة ﴿ بكل شيء ﴾ من هذا وغيره من أمره
 وغيره ﴿ عليهنه ﴾ فكنا على كل شيء قادرين ، فلولا رضانا به لغيرناه
 عليه كما غيرنا على من قدمنا أمورهم ، وهذا من طراز " قل ربني يعلم
 القول " كما مضى . و تسخير الريح [له - ٢] كما سخرت للنبي صلى الله
 عليه وسلم ليالي الأحزاب . قال حذيفة رضي الله عنه : حتى كانت تقذفهم
 بالحجارة ، ما تجاوز عسكرهم . فبهزمهم الله بها وردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا .
 ' وأعم من جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام أنه أعطى صلى الله عليه
 وسلم التصرف في العالم العلوي الذي جعل سبحانه منه الفيض على العالم السفلي ١٠
 بالاختراق لطبقة بالإسراء تارة ، و بامسك المطر لما دعا بسبع كسبع
 يوسف ، و بارساله أخرى كما في أحاديث كثيرة ، و أنى مع ذلك بمفاتيح
 خزائن الأرض كلها فردها صلى الله عليه وسلم .

و لما ذكر تسخير الريح له ، ذكرناه سخرله ما أغلب عناصره النار و الريح

للعمل في الماء ، مقابلة لارتفاع الحمل في الهواء باستفالة الغوص في الماء فقال : ١٥
 ﴿ ومن ﴾ أي و سخرنا له من ﴿ الشيطيين ﴾ الذين هم أكثر شيء تمردا و عتوا ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقبن من ظ (٢) في مد : غير (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) العبارة من هنا إلى « فردها صلى الله عليه وسلم » ساقطة من ظ (٥) من
 مد ، و في الأصل : كسني ، و لحديث رواه البخاري في الدعوات و الترمذي
 في التفسير ، و قد مر التعليق عليه (٦) من ظ و مد . و في الأصل : باشتغال .

و أظف شيء أجساما (من) أو غير بالجمع لأنه أدل على عظم التصرف
 فقال: (يقصون له) في المياه لما يأمرهم به من استخراج الجواهر وغيرها
 من المافع . وذلك بأن أكثرنا أجسامهم مع لظقتها لتقبل الغوص في
 الماء معجزة في معجزة ، [وقد خلق نبينا صلى الله عليه وسلم العفريت الذي جاء
 ٥ بشهاب من نار وأسر جماعة من أصحابه رضى الله عنهم عفاريت أتوا إلى
 ثمر الصدقة^٢ و أمكنهم الله منهم -^٣] ثم يعملون عملا أي
 عظيما جدا .

٥ ولما كان إقذارهم على الغوص أعلى [ما -^٢] يكون في أمرهم .
 و كان المراد استغراق إقذارهم على ما هو أدنى من ذلك بما يريد من
 ١٥ نزع الجار فقال: (دون ذلك) أي تحت هذا الأمر العظيم
 أو غيره^١ من بناء ما يريد ، و اصطناع ما يشاء . من الصنائع العجيبة
 و الآثار الغريبة ، و في ذلك تسخير الماء و التراب بواسطة الشياطين .
 فقد ختم . عند انتهاء الإشارة إلى تسخير العنصر - بمن^٢ سخر له العناصر
 الأربعة كما ابتداء بذلك (من) أي بعظمتنا التي تغلب كل شيء
 ١٥ من لهم جهظين (من) ان يعملوا غير . يريد . ولم يذكر هودا
 عليه السلام هنا . إن كان قد سخر له الريح . لأن عملها له كان على مقتضى

(١ - ١) سقط ما بين ارفين من ظ و و عده الأحاديث من الشهرة بحيث
 تغنيها عن التعليق عليها (٣) زيد ما بين الحارين من مد (٤-٤) تأخر ما بين
 ارفين في الاصل عن الجار فقال « و ترتب من ظ و مد (٥) العبارة من هنا
 إلى « الجار فقال » - نقطة من ظ (٦) من مد ، و في الاصل : نزع (٧) من ظ
 و مد ، و في الاصل : من .

العادة في التدمير ، والأذى عند عصفها بزبن كان خارقا بقوة . والتي
لسليمان عليه السلام للنجاة والمنافع . هذا مع تكررها فأمرها أظهر .
وفعلها أزكى وأظهر

ولما تم سبحانه ذكر من سخر لهم العناصر الأربعة التي منها الحيوان
المحتوم ببعثه [تحقيقاً - °] لذلك ، ذكر بعدهم من وقع له أمر من
الحوارق يدل على ذلك . إما بإعادة أو حفظ أو ابتداء . وبداهم بمن
أعاد له ما كان أعدمه من أهل و مال . وسخر له عنصر الماء في إعادة
لحمه وجلده ، لأن الإعادة هي المقصودة بالذات في هذه السورة فقال :

(و ايوب) أي واذكر أيوب ، قالوا : / وهو ابن أموص^١ بن روم
ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وكان صاحب البنية^{١٠}
من بلاد الشام . وكان الله قد بسط عليه الدنيا فشكره سبحانه ثم ابتلاه
[فصر - °] في أنفادى ربه) أي المحسن إليه في عاقبته بضره بما
آتاه من صبره (أن منى الضر) بتسليطك لشيطان علي في دني
وأهلي و مالي وقد طمع الآن في دني . وذلك انه زين لامرأة أيوب

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : التدمير (٢-٣) - سقط بين الرقنين من ظ ،
١٠ من ظ و مد ، وفي الأصل : الذكر (٤) العسارة من هناك « على ذلك »
سقط من مد (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : ادسا (٧) العبارة
من هنا إلى « ثم ابتلاه » ساكنة من ظ (٨) من مد و معالم التنزيل بهامش الباب
٤٤٩ ، وفي الأصل : موصر و زيد في المعالم : بن تاريخ ٩٠١ ، راجع معجم
البيدان - من مد . وفي الأصل : لشكرة ١١١ من ظ و مد ، وفي
الأصل : انقم .

عليه السلام ان تامرہ^١ أن يذبح لصنم^٢ فانه يبرأ ثم يتوب ، فقطن
لذلك وحلف : ليضربنها إن رأ . وجزع من ذلك ،^٣ أو الشكوى إلى الله
تعالى ليست من الجزع فلا تنافي الصبر ، وقال سفيان بن عيينة :
ولا من شكا [إلى -^٤] الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله تعالى .
٥ ﴿ أنت ﴾ أي والحال أنك أنت ﴿ ارحم الرحيم ﴾ فافعل بي ما
يفعل الرحمان بالمضرور ،^٥ وهذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة ، وربّه بأبلغ صفاتها ولم يصرح ، فكان ذلك الطف
في السؤال ، فهو أجدر بالنوال ﴿ فاستجبنا له ﴾^٦ أي أوجدنا إجابته
إيجاد من تأنه طالب لها بسبب ندائه^٧ . هذا بعظمتنا في قدرتنا على
١٠ الامور الهائلة ،^٨ وسبب عن ذلك قوله^٨ : ﴿ فكشفنا ﴾^٨ أي بما لنا من
العظمة^٩ ﴿ ما به من ضر ﴾ بأن أمرناه أن يركض برجله ، فتنبج له
عين من ماء ، فيغتسل فيها . فنبت لحمه وجلده أحسن ما كان و أصحه
^٩ يدل على تعاطف هذا الأمر بقوله^٩ : ﴿ واتيناه الله ﴾^٩ أي أولاده
وما تبهم من حشمه^٩ ، أحبيهم له بعد أن كانوا مانوا ﴿ مثلهم ﴾
١٥ أي و أوجدنا له مثلهم^٩ في الدنيا ، فان^٩ قوله : ﴿ معهم ﴾ يدل على

(١) زيد في الأصل : لى ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفها (٢) من ظ
و مد ، وفي الأصل : لغم (٣) العبارة من هنا إلى « بقضاء الله تعالى » ساقطة من
ظ (٤) زيد من مد و معالم التنزيل بهامش الباب ٤/٢٥٥ (٥) العبارة من هنا
إلى « باننوال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل : يوجبه (٧-٧) في ظ :
نداءه (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ (٩-٩) ما بين الرقنين في ظ « و » .

أنهم وجدوا عندنا وجدان الأهل، حال دون ذلك الكشف والإيتاء
 (رحمة) أى نعمة عظيمة تدل على شرفه بما من شأنه العطف والتحنن،
 وهو من تسمية المسبب^٢ باسم السبب^٣، ونخمها بقوله: (من عندنا)
 بحيث لا يشك من ينظر ذلك أنا ما فعلناه إلا رحمة مناله وأن غيرنا لم يكن
 يقدر على ذلك (وذكرى) أى عظة عظيمة (للعبدین ه) كلهم، ه
 ليتأسوا به فيصبروا إذا ابتلوا بفتنة الضراء ولا يظنوا أنها لحوانهم، ويشكروا
 إذا ابتلوا بنعمة السراء لئلا تكون عين شقائهم، واتبعه سبحانه بمن
 أنبع له من زمزم ماء اباقياً شريفاً، إشارة إلى شرفه وشرف ولده خاتم
 الرسل ببقاء رسالته ومعجزته [فقال - ٦]: (اسمعيل) أى ابن
 إبراهيم عليهما السلام، الذى سخرننا له من الماء بواسطة الروح الأمين ١٠
 ما عاش به صغيراً بعد أن كان هالكا لا محالة، ثم جعلناه طعام طعم
 وشفاء سقم دائماً، وصناه^٧ - وهو كبير - من الذبح فذبحه أبوه
 واجتهد فى إتلافه امثالاً لأمرنا فلم يتذبح كما اقتضته إرادتنا
 (وادريس) أى ابن شيث بن آدم عليهم السلام، الذى أحييناه
 بعد موته ورفعناه مكاناً علياً. وهو أول نبي بعث من بنى آدم عليهما السلام، ٥١

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: عنه (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: السبب.

(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: المسبب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

(٥) من ظ و مد، وفى الأصل: يكون (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ

و مد، وفى الأصل: صيناه - كذا.

.....

(وذا التكفل^١) [الذى - ١] قدرناه على النوم الذى هو الموت الأصغر، فكان يغلبه فلا ينام أو إلا قليلا، يقوم الليل ولا يقتر، ويصوم النهار ولا يفطر، ويقضى بين الناس ولا يغضب. فقدره الله على الحياة الكاملة فى الدنيا التى هى سبب الحياة الكاملة فى الآخرة^٢، [وهو خليفة المسيح عليه السلام تخلفه على أن يتكفل له بصيام النهار وقيام الليل وأن لا يغضب، قيل: إنه ليس بهي، وعن الحسن أنه بهي، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إلياس، وقيل: هو يوشع بن نون، وقيل: زكريا - عليهم السلام -]^٣.

وما فرق^٤ بينهم لهذه المناسبة، استأنف مدحهم فقال: (كل -

٥١٩ / . اى كل واحد منهم / (من الصابرين ه) على ما اتلينا به، فأتيهم ثواب

الصابرين (وادخلتهم) أو دل على عظمة ما لهم عنده سبحانه بقوله:

(فى رحمتنا^٥) [فعملنا بهم من الإحسان ما يفعله الراحم بمن يرحمه^٦ على

وجه عنهم من جميع جداتهم، فكان ظرفا لهم^٧، ثم علل بقوله -]:

(انهم من الصالحين : لكل ما يرضاه الحكيم منهم . بمعنى أنهم جبلوا

جبله خير فعملوا على مقتضى ذلك : ثم أتبعهم من هو أغرب حالا منهم

(زبد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : منهم، ولم تكن الزيادة فى ظ

و مد لعدم ما (٦) راجع لكل ذلك معالم التبريل بهامش الباب ٤/٥٥٧ و ٥٥٧ -

زيد من مداه من ظ و مد وفى الأصل (٧) تأخر ما بين

الرقين - مع سقوطه فى ظ فى الأصل عن « رحمتنا »، والترتيب من مد.

(٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ

في الحفظ [فقال - ١] : (وذا النون) أي أذكره (إذ ذهب مغاضبا)
 أي على^٢ هيئة الغاضب لقومه بالهجرة عنهم ، و لربه بالخروج عنهم دون
 الانتظار لإذن خاص منه بالهجرة ، و روى [عن الحسن - ١] أن معنى
 (فظن ان لن نقدر عليه) أن لن نعاقبه^٣ بهذا الذنب ، أي ظن أنا تفعل
 معه فعل من لا يقدر . و هو تعبير عن اللازم بالمزوم مثل التعبير عن ه
 العقوبة بالغضب ، و عن الإحسان بالرحمة . و في أمثاله كثرة . فهو أحسن
 الأقوال و أقومها - رواه البيهقي في كتاب الأسماء و الصفات^٤ عن
 قتادة عنه و عن مجاهد مثله و اسند^٥ من غير طريق عن ابن عباس
 رضى الله عنهما معناه ، و [كذا - ١] قال الأصمباني [عنه - ١] أن معناه :
 ان نقضى عليه بالعقوبة ،^٦ و أنه قال أيضا ما^٧ معناه : فظن أن لن نضيق^{١٠}
 عليه الخروج ، من القدر الذي معناه الضيق ، لا من القدرة . و منه " فقدر
 عليه رزقه " و روى البيهقي أيضا^٨ عن القراء أن نقدر بمعنى نقدر - مشددا
 و بحكم ، و أنشد عن ابن الأنباري عن أبي صخر الهذلي :

ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع [و - ١] لك الشكر
 (فنادى) أي فاقضت حكمتنا أن عاتبناه حتى استسلم فالتى نفسه في ١٥
 البحر فالتقمه الحوت و غاص به إلى قرار البحر و منعناه من أن يكون

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لن
 نعاقبه (٤) راجع أيضا المعام بهامش الباب ٢٥٨/٤ (٥) من ظ و مد ، و في
 الأصل : اسنده (٦) زيد من مد (٧-٧) من مد . و في الأصل : ورواية أيضا
 قال - كذا (٨) العبارة من « و كذا قال » إلى هنا ساطة من ظ .

له طعاما، فتادى ﴿ في الظلمت ﴾ من^١ بطن الحوت [الذى -^٢] فى
أسفل البحر فى الليل، فهى ظلمات ثلاث - نقله ابن كثير^٣ عن ابن
مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم . ﴿ ان لآاله الآانت ﴾ .
ولما نزهه عن الشريك عم فقال: ﴿ سيخنك ^٤ ﴾ أى تزهدت عن
كل نقص، فلا يقدر على الإنجاء من مثل ما أنا فيه غيرك؛ ثم أفصح
بطلب الخلاص بقوله ناسبا إلى نفسه من النقص ما نزهه الله عن مثله:
﴿ انى كنت ﴾ أى كونا كبيرا^٥ ﴿ من الظلمين ^٦ ﴾ أى فى خروجى
من بين قومى قبل الإذن، فاعف عني كما هى شيمة القادرين، ولذلك
قال تعالى^٧ مسيا عن دعائه^٨: ﴿ فاستجبنا له ^٩ ﴾ أى أوجدنا الإجابة إيجادا
١٠ من هو طالب لها تصديقا^{١٠} لظنه أن لن نعاقبه . أنا عند ظن عبدى
بى، والآية تفهم أن شرط الكون مع من يظن الخير دوام^{١١} الذكر
و صدق الاتجاه^{١٢}، وقال الرازى فى اللوامع: و شرط كل من يلتجئ
إلى الله أن يبتدىء بالتوحيد ثم بالتسبيح و الثناء . ثم بالاعتراف و الاستغفار
و الاعتذار، و هذا شرط كل دعاء - انتهى .
١٥ و لما كان التقدير: نخلصناه بما كان فيه، عطف عليه قوله، تنيها^{١٣}

(١) من ظ و مد . و فى الأصل: فى (٢) زيد من مد (٣) فى تفسيره ١٩٢/٣ .
(٤) من مد، و فى الأصل: كثيرا . و الكلمة مع « اى كونا » ساقطة من ظ .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: تصدرها -
كذا (٧) فى الأصل يابض ملأناه من مد (٨) من مد، و فى الأصل: الاتهام،
و العبارة من « اى أوجدنا » إلى هنا ساقطة من ظ .

أعلى أنها نعمتان لأن أمره مع صعوبته كان في غاية الغرابة^١: (ونجينه)
 أى بالعظمة البالغة^٢ [تنجية عظيمة، وأنجيائه إنجاز عظيمًا-^٣] (من النعم^٤)
 الذى كان ألباء إلى المغاضبة ومن غيره، قال الرازى: وأصل النعم
 الغطاء على القلب - انتهى . فإلقاء الحوت على الساحل وأظله الله
 بشجرة القرع .

- ٥
 ولما كان هذا وما تقدمه أموراً غريبة . / أشار إلى القدرة على
 أمثالها من جميع الممكنات، وأن ما فعله من إكرام أنبيائه عام لاتباعهم
 بقوله: (وكذلك) أى ومثل ذلك الإنجاز العظيم الشأن [والتنجية-^١]
 (نجى) أى بمثل ذلك العظمة^٢ (المؤمنين^٣) [إنجاز عظيمًا و ننجيهم
 تنجية عظيمة،^٤ ذكر تنجية أولاً يدل على مثلها ثانياً، وذكر الإنجاز
 ثانياً يدل على مثله أولاً، وسر ذلك الإشارة إلى شدة العناية بالمؤمنين
 لأنهم ليس لهم كصبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - بما أشار إليه
 بحديث «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»، «يبتلى المرء على
 قدر دينه، فيسلهم سبحانه من البلاء كما تسلى الشعرة من العجين، فيكون
 ذلك مسح السرعة في لطافة وهناء - بما أشارت إليه قراءة ابن عامر^٥
 وأبي بكر عن عاصم رضى الله عنه بتشديد الجيم لإدغام النون الثانية فيه،
 أو يكون المعنى أن من دعا منهم بهذا الدعاء أسرع نجاته-^٦]. فان المؤمن
 (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد (٣) أى فالآية من
 الاحتياك (٤) راجع للتفصيل نثر المرجان ٤/٤٢٢ و ٤٢٣ .

متى حصلت له هفوة^١ راجع ربه فنادى 'معترفاً بذنبه' هذا النداء^٢ ،
و لاسيما إن مسه^٣ بسوط الأدب . فبادر إليه الهرب .

ولما كان حاسل أمر يونس عليه السلام أنه خرج من بطن
لم يعهد الخروج من^٤ مثله ، عطف عليه قصة زكريا عليه السلام في هبته
له ولدا من بطن لم يعهد [الحمل من -^٥] مثله في العقم و اليأس ناظرا
إلى أبيه إبراهيم عليه السلام أول من ذكر نصريفه في أحاد العناصر فيما
اتفق له من مثل ذلك في ابنه إسحاق عليه السلام تكريرا^٦ لأعلام القيامة
وتقريراً^٧ للقدرة التامة فقال : ﴿ و زكرياً ﴾ أى اذكره ﴿ اذ نادى ربه ﴾
نداء الحبيب القريب فقال : ﴿ رب ﴾ باستمط أداة البعد ﴿ لا تذرني فردا ﴾
١٠ [أى -^٩] من غير ولد يرث ما آتيتنى من الحكمة .

ولما كان من^{١٠} الوراثة^١ من يجب من يحجبه [من الإرث أو يشاركه
فيه ، و منهم من لا يجب ذلك و يسمى فى إهلاك من يحجبه -^٩]
أو ينقصه . و منهم من يأخذ الإرث فيصرفه فى المصارف القبيحة على
ما تدعوه إليه شهوته و حاجته ، و منهم من يأخذه بعبءة فينفذ وصايا الموروث
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عفوة (٢ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٢) زيد فى الأصل : بعد الاعتراف بالذنب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد
لحذفها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : بطنه ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ،
و فى الأصل : تكريماً (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقدير (٩) زيد من
مد (١٠) زيد فى الأصل : الحكمة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها
(١٠) العبارة من هنا إلى « ينقصه و منهم » سائطة من ظ .

و يصل ذا قرابته^١ و أهل وده ، و يتصدق عنه ، و يبادر إلى كل ما كان
 يحبه و ينفعه . كل ذلك لغنى نفسه و كرم طبعه مع كونه مجبولا على
 الحاجة و النقص ، و كان الله هو الغنى الحميد . الحكيم المجيد . قال ملوحا
 بمقصده^٢ في أسلوب الإلهاب و التهيج : ﴿ و انت ﴾ [أى و الحال
 أنك -^٣] ﴿ خير الوزنين ﴾^٤ لأنك أغناهم عن الإرث و أحسنهم تصرفا ،^٥
 و كثيرا ما تمنح إرث بعض عبيدك عبيدا آخرين ، فأنت الحقيق بأن
 تفعل فى إرثى من العلم و الحكمة ما أحبه^٦ ، فهنى ولداتن عليه بذلك
 ﴿ فاستجبنا له ﴾^٧ بعظمتنا و إن كان فى حد من السن لا حراك [به -^٨]
 معه و زوجه فى حال من العقم لا يرجى معه حبلها ، فكيف و قد
 جاوزت سن اليأس ،^٩ و لذلك [عبر -^{١٠}] بما يدل على العظمة فقال : ١٠
 ﴿ و وهبنا له يحيى ﴾ و ارثا حكما نيا عظيما^{١١} ﴿ و اصلحنا له ﴾ خاصة^{١٢} من
 [بين -^{١٣}] أهل ذلك الزمان ﴿ زوجه^{١٤} ﴾ أى جعلناها صالحة لكل خير ،
 خالصة له^{١٥} و لاسيما لما مننا عليه^{١٦} به من هذه الهبة^{١٧} بعد أن كانت بعقمها
 و كبرها غير صالحة له بوجه يقدر عليه غيرنا ؛ ثم استأنف البيان الخيرية
 الموروث و الوارث و المصلحة للولادة فقال ، مؤكدا^{١٨} [ترغيا فى مثل ١٥

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : قرابته (٢) من ظ و مد . وفى الأصل : بمقصده .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : احب (٦) زيد
 من مد (٧) العبارة من هنا إلى «العظمة فقال» ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : عليا (٩) العبارة من هنا إلى «الزمان» ساقطة من ظ (١٠) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : لك (١١ - ١٢) تكرر ما بين الرقعين فى الأصل وحده
 بعد « يقدر عليه » .

أحوالهم و أنها مما يلند بذكه و يعجب من أمره -^١] : (انهم كانوا)
 مجبولين في أول ما خلقناهم جلة خير ، مهيبين لانهم (يسرعون في الخيرات)
 أى يبالعون في الإسراع بها مبالغة من يسابق آخر ،^٢ و دل على عظيم
 أفعالهم بقوله : (و يدعوننا)^٣ مستحضرين لجلالنا و عظمتنا و كمالنا^٤
 (رغبا) في رحمتنا / (ورها)^٥ من سطوتنا (و كانوا)^٦ أى جلة
 و طعا^٧ (لنا) خاصة ('شعنينه)^٨ أى خائفين خوفا عظيما يحملهم
 على الخضوع و الانكسار .

٥ / ٥٢١

و لما استدل على الساعة بما وهب لهؤلاء القوم من أهل الطاعة
 من التصرف في العناصر و غيرها إلى أن ذكر أنه خرق العادة في
 ١٠ إبداع يحيى عليه الصلاة و السلام بين والدين لا يولد لثلهما لأن أباه
 زكريا عليه السلام كان قد صار إلى^٩ حالة من الكبر و يبس^{١٠} من^{١١}
 الاعضاء عظيمة ، و أمه كانت - مع وصولها إلى مثل^{١٢} تلك الحال -
 عاقرا في حال شبابه ، تلاه بابداع ابن خالته عيسى عليه السلام الذى
 هو علم للساعة على حال أغرب من حاله ، فأخرجه من أنثى بلا ذكر ،
 ١٥ إشارة إلى قرب الوقت لضعف الأمر ، كضعف الأنثى بالنسبة إلى الذكر ،
 فقال : (و التى احصنت فرجها)^{١٣} أى حفظته من الحلال و الحرام
 (١) ريد من مد (٢ - ٣) سقط ما بين الرئيين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : على (٦) من
 مد . و فى الأصل و ظ : ياس (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثلك .

حفظا يحق له أن يذكر ويتحدث به ، لأنه غاية في العفة والحياسة ،
والتخلي عن الملاذ إلى الانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة ، مع ما جمعت
إلى ذلك من الأمانة والاجتهاد في متانة الديانة ﴿ ففحننا ﴾^١ أي بما لنا
من العظمة التي لا يداني أوجها نقص^٢ ، ولا يقرب من ساحتها حاجة
ولا وهن ﴿ فيها ﴾ أي في فرجها - كما في التحريم^٣ ، [ففحننا هو من جناب
عظمتنا ؛ ودل على عظم خلوصه ؛ صفاته بقوله -^٤ : ﴿ من روحنا ﴾
أي من روح يحق له أن يضاف إلينا لجلالته وطهارته ، فكان من ذلك
النفخ^٥ جبل و ولد^٦ . ولعله أضاف [هنا -^٧] النفخ إليها ، لا إلى فرجها
وحده ، ليفيد أنه - مع خلق عيسى عليه السلام به - إفاضة الحياة عليه
حسا ومعنى^٨ - أحيائها هي به معنى^٩ بأن قوى به معانيها القلبية حتى كانت
صديقة متأهلة لزواجها بخير البشر في الجنة ، وخصت هذه السورة بهذا
لأن^{١٠} مقصودها الدلالة على البعث الذي هو إفاضة الأرواح على الأموات ،
قال الرازي : وعلى الجنة هذه عبارة عن إبداع عيسى عليه السلام في

(١ - ١) في مد : على ما ، و العبارة من هنا بما فيها هاتان الكلمتان ساقطة في ظ
إلى « ولا وهن » (٢ - ٢) في الأصل بياض ملأناه من مد (٣) راجع آية ١٢ .
والعبارة من « أي في » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد ،
و زيد في الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفنا (٦) العبارة من
هنا إلى « على الأموات » ساقطة من ظ (٧) زيد في الأصل : أحيائها ، ولم تكن
الزيادة في مد فحذفنا (٨) من مد ، و في الأصل : يعني (٩) من مد ، و في
الأصل : معا - كذا ز . : من مد ، و في الأصل : لا .

رحم مريم عليها السلام من غير نطفة .

[و لما قدمته من السرفى إفاضة النفخ إلى حملتها . أتبع ذلك

قوله - ١] : ﴿ وجعلناها ٢ و ابنها ٣ ﴾ " أى بتلك العظمة العظمى ٢

﴿ آية ﴾ جعلها نفس الآية الكثرة ما كان فيها ٤ من الأعاجيب .

٥ و لما كان ما فيها ٥ من ذلك ليس مقصودا ٥ لذاته ، بل لتقرير ٦ أمر

عيسى عليه السلام ٧ . لم يقل : آيتين ، أو ثلاثا يظن أن نفس العدد مقصود

فينقص المعنى ﴿ للعلمين ٥ ﴾ أى فى ٨ أن الله ٩ قادر على كل شيء ٣ لاسيما

البعث الذى هو آيته ٢ ، يتحدث بذلك بعدهما جيل بعد جيل ، و عالم بعد

عالم ، و أمة بعد أمة ، إلى قيام الساعة التى هو عليها ، و حفظنا ابنها

١٠ بعلمنا و حكمتنا و قدرتنا و عظمتنا بمن كاده ، و رفعناه إلى محل قدسنا ،

و ختم به الانبياء المذكورين هنا لأنه خاتم المجددين لهذا الدين المحمدي ،

و هو دليل الساعة ، و كتابه أعظم كتاب بعد التوراة التى ابتدأ بصاحبها

ذكر هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة و السلام . حاشى القرآن الذى عجزت

لبلاغته الإنس و الجن .

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر ما بين الرفين فى الأصل عن « العظمى »

و الترتيب من مد (٣-٣) سقط ما بين الرفين من ظ (٤) من ظ و مد ،

وفى الأصل : فيها (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : مقصود (٦) من ظ و مد ،

وفى الأصل : لتقدير (٧) ريدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد

فحذفنا (٨-٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : انه .

ذكر شيء من دلائل كونه آية من الإنجيل :

قال متى^١ أحد المترجمين الأربعة للإنجيل وأغلب السياق له بعد

/ أن ذكر مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام كما مضى في آل عمران : ٥٢٢ /

فلما سمع يسوع مضى من هناك في سفينة إلى البرية مفردا ، وسمع

الجمع فقبوه ماشين من المدينة ، فلما خرج أبصر جمعا كثيرا فتحن عليهم ٥

و أبرأ أعلاهم ومرضاهم^٢ ، وقال مرقس^٣ : فلما خرج يسوع أبصر جمعا

كثيرا فتحن عليهم لأنهم كانوا كحراف لا راعي^٤ لها فبدأ يعلمهم ،

وبعد ساعات كثيرة جاء تلاميذه إليه ، وقال متى : ولما كان المساء أتى

تلاميذه وقالوا : إن المكان قفر^٥ ، والساعة قد جازت ، [أطلق - ٥]

الجمع يذهبوا إلى القرى المحيطة فيبتاعوا لهم طعاما ، فقال لهم : أعطوهم ١٠

أنتم ليأكلوا ، فقلوا : ليس ههنا إلا خمس خبزات وحتوتان ، فقال

[لهم - ٦] : قدموهم إلى ههنا ، وأمر باجلاس الجميع على العشب^٧ .

وقال مرقس : الأخضر أحزابا أحزابا ، فجلسوا رفاقا رفاقا مائة مائة

وخمسين خمسين ، وقال يوحنا^٨ : فقال لفيلبس : من أين نبتاع لهؤلاء

خبزا ؟ قاله ليجره ، فقال فيلبس : ما يكفيهم خبز بمائتي دينار ، وقال ١٥

(١) راجع الآية ١٣ فما بعدها من الأصحاح الرابع عشر (٢) راجع الآية ٣٤ فما

بعدها من الأصحاح السادس (٣) من ظ ومد ومرقس ، وفي الأصل : رعى .

(٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : خفر (٥) زيد من ظ ومد (٦) زيد من

مد (٧) من ظ ومد والإنجيل ، وفي الأصل : الحشب (٨) راجع الآية ٥

فما بعدها من الأصحاح السادس .

إندراوس أخو شمعون الصفاء: إن هنا حدثا معه خمسة أرغفة شعير
و سمكتان ، فقال يسوع: مروا الناس بالجلوس ، وقال متى: وأخذ
الخمس خبزات والحوتين ، ونظر إلى السماء وبارك وقسم وأعطى الخبز
لتلاميذه . وقال مرقس: وقسم الحوتين وناول^٢ التلاميذ الجميع فأكل
جميعهم وشبعوا ورفعوا من فضلات الكسر اثني عشر سلا بملوءة^٣ ،
ومن السمك ، وكان عدد الآكلين خمسة آلاف رجل ، [وقال متى - ٥] :
سوى النساء والصبيان ، وقال يوحنا : فقالوا : حقا إن هذا هو النبي
الجاتي إلى العالم ، فلم يسوع أنهم اجتمعوا ليحتفظوا به و يصيروه ملكا .
فحول إلى الجبل^٤ ، وقال متى: وللوقت أمر تلاميذه ان يصعدوا إلى السفينة
١٠ و يسبقوه إلى العبر ليطلق الجموع . وقال يوحنا: ليعبروا إلى كفرناحوم
و كان ظلاما ، وقال متى: فأطلق الجمع و صعد إلى الجبل^٥ منفردا يصلي ،
وقال مرقس: وللوقت تقدم إلى تلاميذه بركوبهم السفينة و [أن]
يسبقوه إلى العبر عند بيت صيدا ليطلق [هو الجماعة - ٨] ، فلما ودعهم
و ذهب إلى الجبل^٦ ليصلي ، قال متى: فلما كان المساء وكان وحده^٧ هناك

(١) من ظ و مد: وفي الأصل: قام (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: ناواه .
(٣) زيد في النسخ: وقال مرثس . لخذقة الزيادة نظرا إلى تكرارها (٤) من
ظ و مد ، وفي الأصل: عدة (٥) زيد نظرا إلى السياق (٦) من يوحنا ، وفي
الأصول: الجليل (٧) من ظ و مد ومتى ، وفي الأصل: الجليل (٨) زيد من
ظ و مد (٩) من مرثس ، وفي الأصول: الجليل (١٠) من ظ و مد ومتى ،
وفي الأصل: وعده .

و السفينة في وسط البحر، فضربتها الأمواج لمعادنة الريح لها، قال يوحنا:
 فقصوا نحو خمسة وعشرين غلوة^١ أو ثلاثين، و قال متى: و في الهجمة الرابعة
 من الليل جاءهم ماشيا على البحر فاضطربوا و قالوا: ^٢ "إنه خيال"، و من
 خوفهم صرخوا، فكلهم قائلا: أنا هو، لا تخافوا. أجا به بطرس و قال:
 إن كنت أنت هو فرفني أن ^٣ "آي إليك" على الماء، فقال له: تعال ^٤ ه
 فنزل بطرس من السفينة و مشى على الماء، فرأى قوة الريح يخاف، و كاد
 أن يغرق فصاح قائلا: يارب نجني! فللوقت مد يسوع يده و أخذه
 و قال له: ^٥ "يا قليل الأمانة! لم شككت؟ فلما صعد السفينة سكنت"
 الريح، قال يوحنا: و للوقت صارت إلى الأرض التي أرادوها، و في
 الغد نظرت الجموع الذين كانوا معه في عبر البحر أن ليس هناك سوى ^{١٠}
 سفينة واحدة، و أن يسوع لم يرتبها مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا
 و حدهم، و كانت سفن أخر وافت من طبرية حتى انتهت إلى الموضع الذي
 أكلوا فيه الخبز الذي بارك عليه. فحين لم يبر الجماعة يسوع هناك ^{١١} لا تلاميذه.
 ركبوا تلك السفن، و أتوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع. فلما قصدوه
 في عبر البحر قالوا له: يا معلم! متى صرت ههنا؟ أجا ب يسوع ^{١٢} قال:
 الحق الحق أقول لكم! إنكم لم تطلبوني لنظركم الآيات بل لأكلكم
 الخبز فشبعتم، اعملوا لا للطعام الزائل بل للطعام الباقي في الحياة المؤبدة

(١) من ظ و مد و يوحنا، و في الأصل: علوه (٢-٢) من ظ و مد و متى،
 و في الأصل: انهم حبال (٣-٣) من ظ و مد و متى، و في الأصل: اتيك.
 (٤) سقط من مد (٥) من متى، و في الأصول: سكن.

الذى يعطيكموه^١ ابن البشر، ثم قال: لست اعمل بمشيقتي، لكن بمشيقة
الذى ارسلني، ثم قال: قد كتب في الانبياء انهم يكونون باجمعهم معلمين،
الحق اقول لكم^٢ من يؤمن بي فله^٣ الحياة الدائمة، قالوا: ما نضع حق
نعمل اعمال الله؟ قال: عمل الله هو ان تؤمنوا بمن^٤ ارسله، قال متى:
ولا عبروا جاءوا إلى أرض جاناشر^٥، قال مرقس: فأرسوا وخرجوا
من السفينة - انتهى^٥. فعرفه أهل ذلك المكان و أرسلوا إلى جميع تلك
الكور فقدموا إليه [كل المسقومين و طلبوا إليه^٦] أن يلبسوا طرف
ثوبه فقط، وكل من لمسه^٧ خلاص.

ولما دل ما مضى من قصص هؤلاء الانبياء وغيرهم على أن الله
١٠ القدرة الباهرة، والقوة البالغة الشاملة للبعث وغيره، وكان ذلك^٨ دالا
على التوحيد الذي هو أصل الدين، وأنهم كلهم متفقون عليه بالتصريح
من البعض هنا و من الباقين فيما سبق، كان إثباته^٩ فذلكه هذه القصص
وما تقدمها من هذه السورة، فلذلك اتصل به قوله مخاطبا لمن قال
لهم: أفأنتم له منكرون: ﴿ وان هذه ﴾ أى الانبياء الذين أرسلناهم
١٥ قبل نبيكم صلى الله عليه وسلم رجالا نوحى إليهم كما أنه رجل نوحى إليه

(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: التي يعطيكموها، وفي يوحنا: الذى يعطيكم
(٢) من يوحنا، وفي الأصول: له (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: عن .
(٤) في متى: جنسيارت (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: ابنتي (٦) زيد من
ظ و مد ومتى (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: لس (٨) بين سطرى ظ:
أى القدرة الباهرة (٩) بين سطرى ظ: التوحيد .

[لا آباؤكم ولا ما وجدتموه عليه - ١] (امتكم) أى مقصودكم^٢ أيها الخلق^٣ بالافتداء فى الاهتداء، حال كونها (أمة) قال البغوى^٤ : وأصل الأمة الجماعة التى [هى - ٥] على مقصد واحد - انتهى . و أكد سبحانه هذا المعنى فقال : (واحدة لجمع) كما فى الخبر^٦ أنهم^٧ أولاد علات . أمهاتهم شتى و دينهم واحد . لا اختلاف بينهم أصلا فى التوحيد الذى هو ه الأصل و لا فى توجيه الرغبات إلينا، و قصر النظر علينا . علما منهم بما لنا من صفات الكمال . و أن كل شئ فإلينا مفتقر . و لدينا خاضع منكسر ، فاتبعوهم فى ذلك ، . لا تحيدوا عنهم تضلوا ، وإنما فرقناهم و جعلناهم [عددا - ٨] بحسب الأمم المتشعبة فى الأزمان المتطاوله ، و أنا لم يجعل لأحد منهم الخلد ، [و - ٩] لغير ذلك من الحكم ، فبئسناهم فى الإقطار ، حتى ملأوها من الأنوار .

و لما كان المقصود تعيين المراد من غير لبس ، عدل عن صيغة العظمة فقال : (وانا ربكم) أى لا غيرى ، فى كل زمان و كل مكان ، لكل أمة . لأنى لا أتغير على طول الدهر . و لا يشغلى شأن عن شأن فاعبدون^{١٠} . دون غيرى فانه لا كفوء لى .

١٥

و لما كان من المعلوم أنهم لم يفعلوا ، أعرض إلى أسلوب النبية

(١) زيد من مد (٢) من مد . و فى الأصل و ظ : مقصودكم (٣-٣) سقط ما الرقمن من ظ (٤) فى المعالم - راجع للباب ٤/٦٠ : ٥ زيد من ظ و مد و المعالم . (٦) راجع مسند الإمام أحمد ٢/٦٠٤ (٧) زيد فى الأصل : كانوا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المسند فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد .

أو أن يكون مستغرقاً لظرفه^١. [٢- قال: ﴿بينهم﴾ نى فكانوا فرقا كل فرقة على شعبة من ضلال، زينها لها هواها، فلم يدعوا شيئاً من الأمر بغير تقطيع^١، وكان اعطف بالواو دون الفاء كما فى المؤمنون لأن ترك العبادة ليس سبباً للتقطع، بل ربما كان عنه الاجتماع على الضلال، كما يكون فى آخر الزمن^٢، وكما قال تعالى "كان الناس امة واحدة" - الآية^٦ "وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة".

ولما كان كأنه قيل: فماذا يفعل بهم؟ قال ما هو غاية فى الدلالة على باهر^٧ العظمة وتمام القدرة^٨ ليكون أشد فى الوعيد، وصادع التهديد^٩: ﴿كل﴾ أى من هذه الفرق وإن بالغ فى التمرد ﴿الينا﴾ ١٠ على عظمتنا التى لا يكافئها شئ، لا إلى غيرنا^{١١} ﴿رجعون﴾ فنحكم بينهم فيسبب عن ذلك أننا نجازيهم إقامة للعدل فنعطى [كلا من -^{١٢}] المحق التابع^{١٣} لأصفيائنا والمطر المائل إلى الشياطين أعدائنا ما يستحقه، وذلك هو معنى قوله تعالى، فارقا بين المحسن والمسيء تحقيقاً للعدل وتشويقاً بالفضل^{١٤}: ﴿فمن يعمل﴾ أى منهم الآن ﴿من الصالحات وهو﴾ أى ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد ما بين الحزبين من ظ و مد .
 (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و مد . وفى الأصل : هو الوصول ؟ و راجع
 آية ٥٣ (٥) العبارة من هنا إلى « نبيته » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد و القرآن
 الكريم - سورة ٩٨ آية ٤ ، وفى الأصل : ما تفرقوا (٧) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : ما هو (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : البالغ (٩) من مد ، وفى
 الأصل : للفضل ، و العبارة من « فارقا » إلى هنا ساقطة من ظ .

و الحال أنه (مؤمن) أى بان لعمله ' على الأساس الصحيح
 (فلا كفران) أى إبطال بالنقطة (لسميه ٤) بل نحن نجزيه عليه
 بما يستحقه و زبده من فضلنا (اناله) أى لسببه الآن ' على عظمتا'
 (كاتيون ٥) ' ما كتبناه فهو غير ضائع ، بل باق ، لنظامه عليه يوم
 ٥ الجزء بعد أن نعطيه قدرة على تذكره ، فلا يفقد منه شيئا قل أو جل ،
 و من المعلوم ان قسميه ٥ و من يعمل من السيئات و هو كافر فلا
 نقيم له وزنا ، و من عمل منها و هو مؤمن فهو فى مشيئتنا ، و لعله حذف
 هذين القسمين ترغيبا فى الإيمان

ولما كان هذا غير صريح فى أن هذا الرجوع بعد الموت ، بينه
 ١٠ بقوله : (و حرام) أى و ممنوع و محجور (على قرية) أى اهلها
 (اهلكتها) أى بالموت بعظمتنا (انهم لا يرجعون ٥) أى إلينا بأن
 يذهبوا تحت التراب باطلا من غير إحساس ، بل إلينا بموتهم [رجعوا - ٥]
 فحسبناهم فى البرزخ منعمين أو معذبين نعيما و عذابا دون النعيم و العذاب
 الأكبر ، و لقد دل على ما قدرته قوله : (حتى اذا فتحت) بفتح اللام
 ١٥ الذى تقدم و وضعتنا له ، [و أن فرجه لا يد منه و قراءة ابن عامر
 بالتشديد تدل على كثرة التفتيح او على كثرة الخارجين من القتح و إن
 كان فرجة واحدة كما أشار إليه إطلاق قراءة الجماعة بالتخفيف - ٥]

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : عمه (٢) - قط من ظ (٣) - سقط من مد .
 (٤) - قط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .

(يا جوج و ماجوج) فخرجوا على الناس ؛^١ و عبر^٢ عن كثرتهم التي لا يعلمها إلا هو سبحانه بقوله : (و هم) أى و الحال أنهم (من كل حذب) أى نشز^٣ عال من الأرض (ينسلون^٤) أى يسرعون ، من / النسلان و هو تقارب الخطأ مع السرعة كمشى الذئب^٥ ، و فى العبارة إيماء [إلى -^١] أن الأرض كربة (و اقترب الوعد الحق) و هو حشر الأموات^٥ الذى يطابقه الواقع ، إذا وجد^٦ قريبا عظيما ، كأن الوعد طالب له و مجتهد فيه . و لما دلت صيغة ' اقتعل ' على شدة القرب كما فى الحديث^٧ أن الساعة إذاك مثل الحامل المتيم ، علم أن التقدير جوابا^٨ لإذا : كان ذلك الوعد^٩ قمام الناس من قبورهم : (فاذا هى شاخصة) أى واقفة جامدة لا تطرف لما دهمهم من الشدة ، [و يجوز -^{١٠}] و هو أقرب أن تكون إذا هذه الفجائية [هى جواب إذا الشرطية . و هى تقع فى المجازات سادة مسد الفاء ، فاذا جاءت الفاء معها متفاوتة على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد . فالغنى -^{١١}] : إذا كان الفتح و وقع ما تعقبه فاجأت الشخصوس (ابصار الذين كفروا^{١٢}) أى منهم ، لما بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسر ، و بهامش ظ : قاموس : النشز ، المكان المرتفع ، و النشز - محركا ، جمع نشوز . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القريب ؛ و العبارة من بعده إلى « كربة » ساقطة من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى « جوابا » ساقطة من ظ (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : و الوعيد أى - كذا (٧) راجع مسند الإمام أحمد ١/ ٣٧٥ (٨ - ٨) ما بين الرقيين فى ظ : أى و كان (٩) العبارة من هنا إلى « الشخصوس » ساقطة من ظ .

الأهوال ، قائلين : ﴿ يذولنا ﴾ أى حضرنا الويل فهو نديمنا فلا مدعو لنا غيره ﴿ قد كنا ﴾ 'أى فى الدنيا' ﴿ فى غفلة من هذا ﴾ أى مبتدئة من اعتقاد هذا البعث فكنا نكذب به فعمتنا الغفلة .

ولما كان من الوضوح فى الدلائل و الرسوخ فى الخواطر بحيث لا يجهله أحد ، أضربوا عن الغفلة فقالوا : ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ أى بعدم اعتقاده واضعين الشيء فى غير موضعه^٢ حيث أعرضنا عن تأمل دلائله ، و النظر فى مخاييله ، و تقبل كلام الرسل فيه ، فأنكرنا ما هو أضوأ من الشمس

ولما كان هذا محلا يخطر بالبال فيه ألهتهم بما يترجونه منها^٣ ١٠ من الترفع . قال مخاطبا لهم إرادة التعنيف و التحقير : ﴿ انكم ﴾ 'و أكده لإنكارهم مضمون الخبر' : ﴿ و ما تعبدون ﴾ 'أيها المشركون من الأصنام و الشياطين' ؛ و لما كانوا يتعبدون له سبحانه طوعا و كرها مع الإشراك ، قيد بقوله دالا اعلى أن رتبة ما عبده من أدنى المراتب الكائنة تحت رتبته سبحانه^٤ : ﴿ من دین الله ﴾ 'أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له' ؛ ١٥ و لما كانوا يرمى بهم فى جهنم روى الحجارة الصغار التى تسمى الحصباء إلى المحصوب إسراعا و إكراها ، فيكونون وقودها من غير إخراج ، قال : ﴿ حسب جهنم ﴾ 'أى الطبقة التى تلقى المئذب بها بالتهجم و العبوة و التكره' ؛ ثم أكد ذلك بقوله استئنافا : ﴿ اتم لها واردين ﴾ 'أى

(١-١) سقط ما بين الرئيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٤-٤) بياض فى الأصل ملأناه من مد ، و سقط ما بين الرئيين

داخلون^١ دخول ورد الحمى على حالة هي بين السواد بالدخان والاحمرار باللهب^٢.

ولما قرعهم من هذا الكلام بما لاجواب لهم [عنه - ٢] غير المكابرة،
أعرض عنهم الخطاب استهانة بهم واحتقارا لهم فقال: ﴿لو كان أهولاً﴾
أى الذين أهلهم لرتبة الإلهية وهم فى الحقايرة بحيث يقذف بهم فى النار
قذفا ﴿الهة﴾^٣ أى كما زعم العابدون لهم^٤ ﴿ما وردوها﴾^٥ أى جهنم
أصلا، فكيف على^٦ هذه الصفة؛ ثم أخبر عنهم [وعنها - ٢] بقوله:
﴿وكل﴾^٧ أى منهم ومنها ﴿فيها﴾^٨ أى جهنم ﴿تخلدون﴾^٩ لا انفكاك
لهم عنها، بل يحمى بكل منهم فيها على الآخر ﴿لهم﴾^{١٠} أى إن فيه
الحياة من المذكورين العابدين مطلقا والمعبودين الراضين كفرعون ١٠
﴿فيها زفير﴾^{١١} أى تنفس عظيم على غاية من الشد والمد. تكاد تخرج
معه النفس،^{١٢} ويقرون بألهمهم زيادة فى عذابهم حيث جعل^{١٣} المعبود
الذى كان يطلب منه^{١٤} / السعادة زيادة فى الشقاوة فصار^{١٥} عدوا ولا يكون
أنكأ من مقارئة^{١٦} العدو.

٥٢٦ /

ولما كانت تسمية الأخبار بما يعدم الغرار، و يعظم الإكدار، ١٥

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: داخلين (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من مد (٦) العبارة من هنا
إلى «العدوه ساقطة من ظ (٧) من مد، وفى الأصل: كان (٨) من مد، وفى
الأصل: من (٩) من مد، وفى الأصل: انصار (١٠) من مد، وفى
الأصل: مقاربة .

قال: ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾^٥ 'احذف المتعلق' تعميماً لكل مسموع، قال ابن كثير^٢: قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا ابن فضيل ثنا عبد الرحمن - يعني المسعودي - عن أبيه قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا بقي من يخلد^٦ في النار جعلوا في توايت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره، ثم تلا عبد الله - يعني هذه الآية، قال: ورواه ابن جرير من حديث حجاج ابن محمد عن المسعودي عن يونس بن خباب^٧ عن ابن مسعود فذكره.

ولما ذكر حالهم وحال معبوديهم^٦ بغاية الويل، كان موضع السؤال عن عبدوهم^٧ من الصالحين من نبى أو ملك وغيرهما من جميع

١٠ من عبده سبحانه لا يشرك به شيئاً، فقال مينا أنهم ليسوا مرادين لشيء^٨ من ذلك على وجه يعمهم وغيرهم من الصالحين: ﴿ان الذين سبقت لهم منا﴾^٩ أى ولنا العظمة التي لا يحاط بها^٩ (الحسنى^{١٠}) أى الحكم^{١١} بالموعدة البالغة في الحسن^{١١} في الأزل سواء ضل^{١٢} بأحد منهم الكفار فأطروه أو لا (اولئك^{١٣}) أى العالو الرتبة^{١٤} (عنها^{١٥}) [أى جهنم - ١٢].

١٥ "أو لما كان الفوز مطلق الإبعاد عنها" لا كونه من^{١٦} مبعد معين. قال:

(١) العبارة من هنا إلى «مسموع» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفي الأصل: المطلق (٣) راجع تفسيره ٣/١٩٧ (٤) من ظ و مد والتفسير، وفي الأصل: مخلد. (٥) في التفسير: حبان - خطأ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: معبودهم. (٧) زيدت الواو في ظ (٨) سقط من ظ (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠-١١) في ظ: بها (١١) من ظ و مد، وفي الأصل: منا (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) العبارة من هنا إلى «معين قال» ساقطة من ظ (١٤) من مد، وفي الأصل: منها (١٥) سقط من مد.

(مبعدون^١) برحمة الله^١ لأنهم أحسنوا في العبادة و اتقوا، و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؛ قال ابن كثير في تفسيره^٢: قال أبو بكر بن مردويه: [حدثنا -^٣] محمد بن علي بن سهل^٤ ثنا محمد بن حسن الأنماطي ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة ثنا يزيد بن [أبي -^٥] حكيم نا الحكم -يعنى ابن أبان- عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاءه عبد الله بن الزبير^٦ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم^٧ أن الله أنزل عليك هذه الآية "انكم و ما تعبدون من دون الله حسب جهنم أنتم لها واردون" قال ابن الزبير: قد عبدت الشمس و القمر و الملائكة و عزير و عيسى ابن مريم أكل هؤلاء في النار مع الهتنا؟ فزلت^٨ و لما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون و قالوا الهتنا ١٠ خير أم هو ما ضربوه لك الأجدلا بل هم قوم خصمون" ثم نزلت "ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون"^٩ رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه^{١٠} الأحاديث المختارة^{١١} - انتهى - وفي السيرة النبوية^{١٢} أن النبي صلى الله عليه وسلم^{١٣} لما بلغه اعتراض ابن الزبير قال: "كل من أحب"

(١) من ظ و مد . وفي الأصل : له (٢) راجع ٣/١٩٨ (٣) زيد من ظ و مد و التفسير (٤) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد و التفسير (٥) من ظ و مد و التفسير، وفي الأصل: الزبيرى (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من مد، و موضعه في ظ: الآية (٧) في مد: كتاب (٨) من ظ و مد و التفسير، وفي الأصل: المختار (٩) و العبارة من هنا إلى «بعبادته» ساقطة من ظ (١٠) راجع ابن هشام ١/١٢٥ (١١) سقط من مد (١٢-١٢) في الأصل بياض ملأناه من مد و السيرة .

أن يعبد من دون الله فهو [مع -^١] من عبده ،^٢ إنهم إنما^٣ يعبدون
الشياطين و من^٤ أمرتهم بعبادته^٥ . وقد أسلم ابن الزبيرى بعد ذلك
و مدح النبى صلى الله عليه و سز .

و لما كان أقل ما ينكى من المكروه سماعه ، قال :
٥ ﴿ لا يسمعون حسيهاج ﴾ أى حركتها البالغة و صوتها الشديد ، فكيف
بما دونه لأن الحس مطلق^٦ الصوت أو الحنى منه كما^٧ قال البغوى^٨ ،
فاذا زادت حروفه زاد معناه ﴿ و هم ﴾^٩ أى الذين سبقت لهم منا^{١٠}
الحسى ﴿ فى ما ﴾^{١١} و لما كانت الشهوة - و هى طلب النفس اللذة -
لا تكون إلا بليغة ، عبر بالافتعال دلالة على عظيم ما هم فيه من اللذة
١٠ فقال^{١٢} : ﴿ اشتهدت^{١٣} انفسهم ﴾ فى الجنة ﴿ نخلدون^{١٤} ﴾ أى^{١٥}
دائما أبدا^{١٦} .

١٥ / و لما كان معنى ذلك أن سرورهم ليس له زوال ، أكده بقوله :
﴿ لا يحزهم ﴾ أى يدخل عليهم حزنا - على قراءة الجماعة حتى^{١٧} نافع
بالتح ، عن حزنه ، أو جعلهم حزينين - على قراءة أبى جعفر بضم ثم كسر ،
من احزته - رباعيا ، فهى أشد ، فالمنى فيها كونه يكون لهم صفة -^{١٨} [

(١) زيد من مد و السيرة (٢-١) من السيرة . و فى الأصل : انهم و ما . و فى
مد . (٢-٢) من السيرة . و فى الأصل و مد . امرعهم بالعبادة (٤) من ظ
و مد ، و فى الأصل : يطلق على (٥) سقط من مد : (٦) راجع المعالم على هامش
اللباب ٢٦٠٤ (٧) العبارة من هذا إلى و الحسى ، ساقطة من ظ (٨-٨) سقط
ما بين الرقين من ظ (٩) بهامش ظ . قال الأصهبانى : و الشهوة طلب النفس
اللذة (١٠) كذا (١١) زيد ما بين الحازرين من مد .

﴿ الفرع الأكبر ﴾ أى فإ' الظن بما' دونه (وتلقنهم) ٢ أى تلقيا
بالغا فى الإكرام' (الملكه) ٣ حيثما توجهوا ، قائلين بشاره لهم :
﴿ هذا يومكم ﴾ إضافة إليهم لأنهم المتفنون به ٢ (الذى كنتم)
فى الدنيا . [ولما تطابق على الوعد فى الرسل و الكتب و الأولياء من جميع
الاتباع ، بنى الفعل للفعل إفادة للعموم فقال - ١ : ﴿ توعدون ﴾ أى ه
بِحصول ما تمنون ٥ فى من النصر و الفوز العظيم ، و النعيم المقيم ، فأبشروا
فيه بجميع ما يسركم .

و لما كانت هذه الأفعال على غاية من ٦ الأحوال ، تشوف بها النفس
إلى معرفة اليوم الذى تكون فيه ، قال ٧ تعالى شافيا لعى ٧ هذا سؤال ،
زيادة فى تهويل ذلك اليوم لمن له وعى : ﴿ يوم ﴾ أى تكون هذه ١٠
الاشياء يوم ﴿ نظوى ﴾ ٨ أى بما لنا من العظمة الباهرة ٩ (السماء) ١٠ طيا
فتكون كأنها لم تكن ؛ ثم صور طيها بما يعرفون فقال مشبها لاصدره
الذى دل عليه الفعل : ﴿ كطى السجل ﴾ أى الكتاب ١١ الذى له العلو
و القدرة على مكتوبه ١٢ (الكتب) ١٣ أى القرطاس الذى يكتبه ويرسله
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : (٢ - ٣) - قط ما بين الرقبتين من ظ .
(٢) من مد . و فى الأصل : يوم ، و العبارة من - إمامة - إلى هنا ساقطة من ظ .
(٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصول
ما تمنوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، و فى
الأصل : فقال (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالصدر .

إلى أحد ، وإنما قلت ذلك لأن السجل يطلق على الكتاب وعلى الكاتب - قاله في القاموس ، واختير للفاعل لفظ السجل لما مضى في سورة هود من أن هذه المادة تدور على العلو ، وللطوى لفظ الكتاب الدال على الجمع ، لكونه لازما للطى ، مع أن ذلك أنسب لما جعل كل منها مثالا له ، وقرأة المفرد لمقابلة لفظ السماء ، و الجمع للدلالة على أن المراد الجنس ، لجميع السماوات تطوى ؛ قال ابن كثير^١ : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي حدثنا محمد بن سلمة عن أبي الواصل عن أبي المليح عن الأزدي عن أبي الجوزاء الأزدي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يطوى الله السماوات السبع بما فيها من الخليفة ، و الأرضين السبع بما فيها من الخليفة ، يطوى ذلك كله يمينه حتى يكون ذلك^٢ بمنزلة خردلة .

و لما كان هذا عند من لا يعلم أعظم استبعادا من استبعادهم إعادة الموتى ، قال^٣ 'دالا عليه' مقربا له إلى العقول بتشبيهه الإعادة بالإبداء ، في تنازل القدرة لهما على السواء . فانه كما أخرج به علم من خزائن قدرته ١٥ كذلك يرده بعلمه في خزائن قدرته ، كما يصنع في نور السراج ونحوه إذا أطفى ، فكذا في غيره من جميع الأشياء - ° [(كما) أى مثل ما

(١) راجع تفسيره ١٩٩/٣ (٢) زيد في التفسير : كله في يده (٣) زيد في الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحدفتها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد .

(بداناً) 'أى بما علم لنا من العظمة' (أول خلق) [٢-] أى تقدير أى تقدير كان ، انكره ليفيد التفصيل واحدا واحدا ، بمعنى أن كل خلق جل أو قل - سواء في هذا الحكم ، وهو أنا' [(نعيدُهُ) 'أى بتلك العظمة بينها' ، غير ناسين له ولا غافلين ولا عاجزين عنه' ، فما كان متضام الأجزاء فمددناه نضمه بعد امتداده ، وما كان ميتا فأحييناه نميته بعد حياته . وما كان حيا فأمتناه نحيبه بعد موته ، و نعيد منهم من التراب من بداناه' منه ، والحاصل أن من أوجد شيئا لا يبعد عليه التصرف فيه كيفما كان ؛ روى البخارى فى التفسير* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال^٦ : إنكم محشورون إلى الله عراة غرلا " كما بدانا أول خلق نعيده " - الآية ، أول من يكسى يوم^٧ ١٠ القيامة^٨ إبراهيم عليه السلام ، ألا إنه يجاه رجال من أمته فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب ! أصحابي ! فيقال : لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح " كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله : شهيد " فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . ثم أعلم أن ذلك أمر لا بد منه بالتعبير بالمصدر ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (١) زيد من ظ و مد (٣-٣) ورد ما بين الرقنين في ظ بعد 'أى تقدير كان' سطر ١٤ من ظ و مد . وفي الأصل : بداناً . (٥) راجع الصحيح ٢/٦٩٣ (٦) من الصحيح ، وفي النسخ : قال (٧-٧) تأخر في النسخ عن «إبراهيم عليه السلام» . والترتيب من الصحيح (٨) من ظ و مد والصحيح ، وفي الأصل : فقال .

١) أنا كيدا لما أنكروه و بالغوا في إنكاره فقال: ﴿وعدا﴾ وأكد ذلك بقوله: ﴿علينا^٢﴾ وزاده^٢ بقوله: ﴿أنا كنا﴾^٢ أى أزلا وأبدا، على حالة لا تحول^٣ ﴿فعلين﴾ أى شأننا / أن تفعل ما نريد، لا كلفة علينا في شيء من ذلك بوجه .

٥٢٨ /

٥ ولما ذكر صدقه في الوعد و سهولة الأفعال عليه، وكان من محط كثير^٤ مما مضى أن من فعل [ما لا يرضى الله غير عليه، كائنا من كان، ومن فعل - °] ما أمره به نصره وأيده ولو بعد حين، كما أشير إليه بقوله تعالى "قل ربى يعلم القول فى السماء والارض"، وما بعده [من أشكاله - °]، [حتى ختم بقوله "أو لم يروا أنا نأتى الارض ننقصها" - ١٠ الآية - °]، قال تعالى عاطفا على "لقد أنزلنا اليكم كتبنا فيه ذكركم"^٥ و ما عطف عليه من أشباهه مذكرا^٦ بما وعد على لسان داود عليه السلام: ﴿ولقد كتبنا﴾ [أى - °] على عظمتنا التى نفوذها محقق لا تخلف له أصلا^٧ ﴿فى الزبور﴾ أى الذى أنزلناه على داود عليه السلام .

[ولما كان المكتوب المشار إليه لم يستغرق ما بعد الذكر المراد

١٥ من هذا الزبور - °]، [أشار^٨ إلى التبويض باثبات الجار فقال - °]:

(١-١) وقع ما بين الرقيين فى الأصل بعد «أنا كنا» سطر^٢، و الترتيب من مد، وسقط من ظ (٢) فى مد: زاد (٣-٣) وقع فى الأصل قبل «فقال وعداء» سطر^١، و الترتيب من مد، وسقط من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: كثيرة. (٥) زيد من ظ ومد (٦) زيد من مد (٧) من ظ ومد و القرآن الكريم، وفى الأصل: ذكر (٨) من ظ ومد. وفى الأصل: فذكر (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) فى ظ: وأشار .

(من بعد الذكر) أى الكلام الداعى إلى الله تعالى الدال عليه من الدعاء و المواعظ و التسييح و التمجيد^١ الذى ابتدأنا [به - ٢] الزبور (ان الارض) أى جنسها الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها و لأرض المحشر و الجنة و غير ذلك مما يعلمه الله (يرثها عبادى)^٣ وحق ما أفادته؛ إضافتهم إليه من الخصوص^٥ بقوله: (الصلحون^٥) أى المتخلقون^٥ بأخلاق [أهل - ٢] الذكر، المقبلين على ربهم، الموحدين [له - ٢]، المشفقين من الساعة، الرايين من سطوته، الراغبين فى رحمته، الخاشعين له - كما أشرنا إليه بقولنا "قل ربى يعلم القول" و ما ضاهاه و بذكر ما سلف فى هذه السورة من شاهد ذلك من قصص هؤلاء الأنبياء الذين ضمناها بعض أخبارهم دلالة على أن العاقبة لمن أرضانا "لنهلكن الظلمين ١٠ و لنسكننكم الارض من بعدهم"، "ان الارض [لله - ٧] يورثها من يشاء من عباده". "اولئك هم الورثون الذين يرثون الفردوس" و فى هذا إشارة بالبشارة بأنه تعالى يورث هذه الأمة على ضعفها ما أورث داود و ابنه سليمان عليها الصلاة و السلام على ما أعطاهما من القوة [من - ٢] لإتانة الحديد و الريح و الحيوانات كلها من الجن و الإنس و الوحش ١٥

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: التمجيد (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى «الخصوص بقوله» ساقطة من ظ (٤) من مد، وفى الأصل: ادلته - كذا (٥) من مد، وفى الأصل: النصوص (٦) فى مد: الآخرة (٧) زيد من ظ ومد و القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٢٨ (٨) من ظ ومد و القرآن الكريم، وفى الأصل: يرثها.

'والطير' وغير ذلك ، و المراد بهذا الكلام - والله أعلم - ظاهره ،
فانه ابتداء سبحانه الزبور بالاذكار والمواظ على أن قال في الزمور^٢
السادس والثلاثين^٢ - وهو قبل ربه - هذا اللفظ بعينه . يان ذلك^٤ :
الزمور الأول : طوبى للرجل الذى لا يتبع رأى المنافقين ، ولم
يقف فى طريق الخاطئين ، ولم يجلس فى مجالس المستهزئين ، لكن فى
ناموس الرب مشيئته^٥ ، و فى سنه يتلو ليلا ونهارا . فيكون كمثل الشجرة
المغروسة على مجارى المياه التى تعطى ثمرتها فى حينها ، وورقها لا يتثر ،
وكل ما يعمل يتم ، [ليس -^٦] كذلك^٦ المنافقون ، بل كالحبأ الذى
تذريه الرياح عن وجه الأرض ، فلماذا لا يقوم المنافقون فى القضاء
١٠. و لا الخطأة فى جمع الصديقين . لأن الرب عالم بطريق الأبرار ، وطريق
المنافقين^٩ تبيد .

الزمور الثانى : لما ذا ارتجت الشعوب ؟ وهدت الأمم بالباطل ؟
قامت ملوك الأرض ورؤساؤها و اتمروا جميعا على الرب و على مسيحه
[قائلين -^{١٠}] : لنقطع اغلالها^{١١} و نلقى عنا سيرهما^{١٢} . الساكن فى السماء

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ض و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
الزبور (٣) السابع واثلاثين فيما نديننا من نسخة التوراة (٤) زيد فى الأصل :
قال فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى الزبور : مسرته .
(٦) من ظ و مد . و فى الأصل : كما (٧) زيد من مد و الزبور (٨) من ظ
و مد و الزبور . و فى الأصل : ذلك (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الأبرار ،
و فى الزبور ، الأشرار (١٠) زيد من الزبور (١١) فى النسخ : اعلاهم . و فى
الزبور : قيودهما (١٢) فى النسخ : ثيرهم . و فى الزبور : ربطهما .

يضحك بهم، و الرب يمقتهم، حينئذ يكلمهم بغضبه^١، و بسخطه يذهلهم،
 أنا أقمت ملكا منهم على صهيون جبل قدسه^٢، لأخبر ميثاق الرب،
 الرب قال لى: أنت^٣، ابني، أنا اليوم ولدتك^٤، سلتى فأعطيك الشعوب،
 ميراثك و سلطانك على أقطار الأرض، ترعاهم^٥ بقضيب من حديد،
 /ومثل آنية الفخار تسحقهم، من الآن تفهموا أيها الملوك^٦ اتأدبوا يا جميع^٧ / ٥٢٩
 قضاة الأرض اعبدوا الرب بخشية، سبحوه برعدة^٨، الزموا الأدب^٩ لثلا
 يسخط الرب عليكم فتضلوا عن سبيله^{١٠} العادلة، إذا ما توقد رجزه^{١١} عن
 قليل، طوباهم^{١٢} المتوكلين عليه.

المزمور الخامس: استمع يا رب قولى داعيا، و كن لدعائى مجيبا،

و أنصت إلى صوت تضرعى، فانك ملكى و إلهى، إرإنى لك أصلى ١٠
 فى غدواتى، استمع^١ يا رب طلبتى لأقف أمامك بالعبادة و ترانى،
 لأنك إله لا ترضى الإثم، و لا يحل فى مساكنك شرير، و لا يثبت مخالفو
 وصاياك بين يديك، أبغضت جميع عاملى الإثم، و أبدت كل الناطقين
 بالكذب، الرجل السافك الدماء الغاش^٢ الرب يرذله^٣، و انا بكثرة

- (١) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: بغضب (٢) فى الزبور: قدسى.
 (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من الزبور، و فى الأصل: و لا اليوم، و ما
 بين الرقين ساقط من ظ و مد (٥) فى الزبور: تحطمهم (٦) فى مد: الملاك.
 (٧ - ٧) فى الزبور: قبلوا الابن (٨) فى مد: سببه (٩) من ظ و مد و الزبور
 معنى، و فى الأصل: رحوه (١٠) فى الزبور: طوبى لجميع (١١) من ظ و مد،
 و فى الأصل: اتسمع، و فى الزبور: تسمع (١٢) من ظ و مد و الزبور معنى،
 و فى الأصل: الفتن (١٣) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: يرزله.

رحمتك أدخل بيتك، و أسجد^١ في هيكل قدسك مستشعرا بخشيتك .
اهدني يارب بعدلك . و من أجل أعدائي سهل أمامك طريقى ، فانه
ليس في أفواههم صدق . بل الإثم في قلوبهم ، حناجرهم قبور مفتحة ،
و ألسنتهم غاشة ، دنهم يا الله ! و مثل كثرة نفاقهم^٢ ارفضهم لأنهم
٥ أسخطوك^٣ يارب ، و يفرح بك جميع المتوكلين عليك ، و إلى الأبد
يسرون ، و فيهم تحمل بركتك ، و يفتخر بك كل محبي اسمك ، لأنك
يارب تبارك تصديق ، و كمثل سلاح ، المسرة كللتنا^٤ .

المزمور السادس : يارب الا تبكتنى بغضبك ، و لا تؤدبني^٥ بزجرك ،
ارحمى يارب فانى ضعيف . اشفى يارب فان عظامى قلق^٦ ، و نفسى
١٠ جزعت جدا ، و أنت مح نفسى و خلصنى برحمتك ، فليس فى الموتى من
يذكرك ، و لا فى الجحيم من يشكرك . تعبت فى تنهدى ، أحمم^٧ فى كل
ليلة سريرى^٨ ، ز بدموعى أبلّ فراشى ، ذبلت من السخط عينائى ، ابعدوا
عنى يا جميع عاملى الإثم ، فان الرب سمع صوت بكائى ، الرب سمع
صوت تضرعى . الرب قبل صلاتى . يخزون و يبهتون جميع أعدائى ،
١٥ و يتضرعون و يسقطون جدا عاجلا .

(١) من ظ ومد وازبور، وفي الأصل : ادخل (٢) من ظ ومد، وفي الأصل :
تعامهم ، وفي الزبور : ذنوبهم (٣) من ظ ومد و الزبور معنى ، وفي
الأص : يسخطوك (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : كللتنا ، وفي الزبور :
تحيطه (٥) في ظ ومد : تردني (٦) في ظ : خلقت ، وفي الزبور : رجفت .
(٧) في ازبور : أعوم (٨) من ظ ومد وازبور ، وفي الأصل : سريرتى .

وفي المزمور التاسع^١: أشكرك يا رب من كل قلبي، وأقص جميع
عجائبك، أفرح وأسر بك، وأرتل لاسمك العلى حين تولى أعدائى على
أدبارهم يضعفون وبيدون من بين يديك. لأنك قضيت لى وانتقمت
لى، استويت على العرش يا ديان الحق، زجرت الشعوب، أبدت المناق
أسقطت^٢ اسمه إلى الأبد وإلى أبد الأبد. لأنك أبدت سلاح العدو،^٥
وأفيت مدائه، وأزلت ذكرها، الرب دائم إلى الأبد، أعدد كرسيه
لل قضاء ليقضى للسكونة بالعدل، و^٤ يدين الشعوب بالاستقامة .

المزمور الثاني عشر^٥: حتى متى يا رب تنسأى إلى التهام؟ حتى متى
يا رب تصرف وجهك عنى؟ حتى متى ترك هذه الأفكار فى نفسى
والهموم والأوجاع فى قلبى النهار كله؟ حتى متى يعلو عدوى على؟ انظر ١٠
إلى واستجب لى يا ربى وإلهى! أنر عينى لئلا أنام ميتا، ولئلا يقول
عدوى: [لى - ٧] يفرحون إذا
أنا زلت. وأنا على رحمتك توكلت، فلى بخلاصك يفرح، أرتل الرب
الذى صنع لى حسنا، وأسبح اسم الرب العالى .

المزمور الرابع عشر: يا رب من يسكن فى / مسكنك أو من يحل ١٥ / ٥٣٠

فى طور قدسك؟ ذاك الذى يمشى بلا عيب ويعمل البر ويتكلم^٦ فى قلبه

(١) فى مد: العاشر، وربما يكون هو الأصح (٢) سقط من مد (٣) من ظ ومد،
وفى الأصل: اسمك، وفى الزبور: اسمهم (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: أو،
وليس فى الزبور (٥) الثالث عشر فيما عندنا من نسخة الزبور، ونفس الزيادة
تطرد إلى آخر الزامير (٦) بهامش ظ: قاموس: ضهده كنهه: قهره كاضطهده.
(٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: تكلم، وفى الزبور: المتكلم.

بالحق، ولا يغش بلسانه أحدا، ولا يصنع بقربه سوءا، ولا يلتبس
لجيرانه عارا، عيناه تشأ الأئمة، يمجّد أتقياء الرب، يحلف لقربيه ولا يكذب،
ولا يعطى فضته بالربا، ولا يقبل الرشوة على الأزياء، الذى يفعل هذا
يدوم ولا يحول إلى الأبد .

٥ المزمور السادس عشر: استمع يا الله ببرى . وانظر إلى تواضعى ،
وأصت لصلاتى من شفّتين غير غاشتين ، من قدامك يخرج قضائى ،
عينك تنظران الاستقامة ، بلوت قلبى و تعاهدتنى ، جربتنى فلم تجد فى
ظلمًا ، ولم يتكلم فى بأعمال الشر ، من أجل كلام شفّتك حفظت طرق
صعبة لكىما يشتد فى سبلك نهوضى ولا تزل خطاى ، وإذا ما دعوتك
١٠ استجب لى ، اللهم أصت إلى سمعك ، وتقبل دعائى يا مخلص المتوكلين
عليك ، خلصنى يمينك من المضادين [لى - ٢] . احفظنى مثل حدقة
العين ، وبظلال جناحك ظللتى ، من وجه المنافقين الذين أجهدونى ،
وأعدائى الذين اكتفوا نفسى ، نفقدت شحومهم ، وتكلمت أفواههم
بالكبرياء ، عند ما أخرجونى أحاطوا نى ، نصبوا عيونهم ليضربوا نى الأرض ،
١٥ استقبلونى مثل الأسد المستعد للفريسة . ومثل الشبل الذى يأى فى خفية ،
قم يا رب! أدركهم وعرفلهم ، ونج نفسى من المنافقين ، ومن سيف

(١-١) يياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد و الزبور إلا أن كلمة « من »
ليست فى الأوّلين (٢) من الزبور . وفى النسخ : عيناي (٣) من ظ و مد ،
وفى الأص : لايزل ، وفى الزبور : ما زلت (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى
الزبور : وقلبه السمين قد أغلقوا .

أعدائك ، اللهم عن قرب شتتهم في الأرض ، أقسمهم في حياتهم .
المزمور السابع عشر : أحبك يارب قوتي ، الرب رجائي و ملجأى
و مخلصى إلهى عونى ، عليه توكلى ، سارى و خلاصى و ناصرى ، أسبح
الرب و أدعوه ، أنجو من أعدائى ، لأن غمرات الموت اكتفتنى ، و أودية
الآثمة أفزعتنى ، أحاطت بى أهوال الجحيم ، شبك الموت أدركتنى ، ٥
و عند شدتى دعوت الرب ، و إلى إلهى صرخت ، سمع من هيكلك قدسه
صوت دعائى ، أمامه يدخل إلى مسامعه ، تزلزلت الأرض و ارتعدت ،
تحركت أساسات الجبال و ترعزعت ، من أجل أن الرب غضب عليها ،
صعد الدخان من رجزه و التهب النار أمامها ، اشتعل منه جمر نار ، طأطأ
السموات ، و الضباب تحت رجليه ، طار على أجنحة الرياح ، جعل الظلمة ١٠
حجاباه ، تحوط مظلمته مياه مظلمة فى سحب الهواء من الزمهرير ظلالة ، و من
بريق نور وجهه جعل الغمام يجرى بين يديه ، بردا و جمر نار ، أرعد
الرب من السماء ، و أبدى العلى صوته ، أرسل سهامها و فرقهم ، و أكثر
البرق و أفزعهم و ألقهم ، ظهرت عيون المياه ، و انكشفت أساسات
المسكونة من انتهارك يارب ! و من هبوب ريح محطك . أرسل من ١٥
العالى و أخذتنى ، نسلتنى من المياه الغزيرة ، و خلصتنى من أعدائى الأشداء ،
و من المبغضين لى . لأنهم تقورا أكثر منى ، سبقونى فى يوم حزنى .
نجائى فى يوم جزعى . الرب صار لى سنداً ، أخرجنى إلى السعة ، و أنقذتنى
لأنه ترأف لى ، خلصتنى من أعدائى الأشداء المبغضين ، جازانى الرب

(١) فى ظ و مد : ترعزت (٢) سقط من ظ .

مثل برى ، و مثل طهر يدى يعطينى ، لاني حفظت سبل الرب ، و لم ابعده
من الهى ، إذ كل احكامه ^١ قدامى ، و عدله لم ابعده عنى ، اكون معه
بلا عيب ، و لم تزدحف خطاى ، جازانى الرب مثل برى ، و مثل طهر يدى
أمامه ، مع الضيف عفيفا [تكون - ^٢] ، و مع البار بارا تكون ،
٥ / ٥٣١ و مع الملتوى / ملتويا تكون ، و مع المختار مختارا تكون ، من أجل

أنك تنجى الشعب المتواضع و تذل أعين المتعظمين ، و أنت يا رب
تضىء سراجى ، لاني بك أنجو من الرصد ، و باللهى أعبى السور ^٣ ، و الله
لا ريب فى سبله ، كلام [الرب - ^٢] محبب ، يخلص جميع المتوكلين عليه ،
إله مثل الرب ، و لاعزىز مثل إلهنا . [الإله - ^٢] الذى عضدنى بقوته ، جعل
١٠ سبلى بلا عيب ، ثبت قدمى ، و على المشارق رفعتى ، علم يدى القتال ، شدد
ذراعى مثل قوس نحاس ، أعطانى ^٤ الخلاص ، يمينه نصرتنى ^٥ ، و أدبه أقامنى
إلى التمام ، حكمتك علمتنى ، و سمعت خطاى تحتى ، و لم تضعف قدمائى ، أطلب
أعدائى و أدركهم ، و لا أرجع حتى أفنيهم ، أرميهم فلا يستطيعون القيام ،
يسقطون تحت قدمى ، عضدتنى بقوة فى الحرب ، جعلت كل الذين
١٥ قاموا علىّ تحتى ، أبدت أعدائى ، استأصلت الذين شأنونى ، صرخوا فلم

يكن لهم مخلص ، رغبوا إلى الله فلم يستجب لهم ، أسحقهم مثل الثرى

(١) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : احكامى (٢) زيد من ظ و مد
و الزبور (٣) من ظ و مد و فى الأصل : السو ، و فى الزبور : أسوارا (٤) زيد
فى ظ و مد : نصره (٥) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : نصرتنى .

١٠ أمام الرمح ، وكنتل طين الطرق أطام ، نجنى من مقاومة الالسن ، سيرنى
 رأسا على الشعوب ، الشعب الذى لا أعرفه تعبد لى ، سمع لى سماع الأذن ،
 بنوا الغرباء [أقبوا - ٢] و أطاعونى ، ٢ ولم يؤمن بى بنو الغرباء ٣ . حتى
 هو الله ، و تبارك إله خلاصى . تعالى الرب الذى أنقذنى ، الله الذى قبّبت
 لى الانتقام . أخضع الشعوب تحتى ، و نجاني من أعدائى ، و رفنى على ٥
 الذين قاموا على ، [و - ٢] من الرجال الأئمة نجاني ، لذلك أشكرك
 يارب بين الشعوب ، و أرتل لاسمك .

المزمور الحادى و العشرون : إلهى إلهى لما ذا تركتنى ؟ تباعدت
 عن خلاصى لقول جهلى ، إلهى دعوتك بالنهار فلم تستجب لى ، و فى
 الليل ١٠ فلم يكن منى جهلا ، انت كأن فى القديسين يا غر إسماعيل ، ١٠
 بك آمن آباؤنا ، و توكلوا عليك فنجيتهم ، و صرخوا إليك بخلصتهم ،
 رجوك فلم يخزوا ، و أنا فدودة و است إنسانا ، عار فى الناس ، مردول
 فى الشعب ، كل من رآنى يمقتى ، تكلموا بشفاههم و هزوا رؤسهم
 [و - ٩] قالوا : إن كان آمن أو توكل على الرب فلينجه ، و يخلصه إن

- (١) زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد و الزبور فخذفناها .
 (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى الزبور : بنو الغرباء يبلون و يزحفون من
 حصونهم (٤) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : اقاموا (٥) من ظ
 و مد و الزبور ، و فى الأصل : النهار (٦-٦) فى الزبور : فلا هدولى (٧) فى
 ظ : تواكلوا (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : فلم تخزوا - كذا .
 (٩) زيد من مد .

كان يحبه ، و أنت من البطن أخرجتني ، و مذ كنت أرتضع من بطن
 أمي^١ ألقيت إليك ، و عليك من الرحم توكلت ، و من بطن أمي أنت
 إلهي فلا تبعد عني ، فان الشدة قريبة ، و ليس [من -^٢] يخلصني ،
 أحاطت بي عجول كثيرة ، اكتفتني ثيران سمان ، فتحت أنفواها على
 مثل الاسد الزائر المقدس ، و مثل الماء انهرقت عظامي ، و صار قلبي
 مثل الشمع المذاب في وسط بطون ، يبست^٣ قواي مثل الفخار ، لصق
 لساني بحتكي ، و إلى تراب الموت أنزلتني ، أحاطت بي كلاب كثيرة ،
 اكتفتني جماعة الاشرار^٤ ، ثقبوا يدي ورجلي ، و ززعوا جميع عظامي ،
 نظروا إلى^٥ و شتموني ، و اقتسموا بينهم ثيابي ، و اقرعوا على لباسي ،
 و أنت يارب فلا تبعد من معونتي ، انظر إلى تضرعي ، نج من السيف
 نفسي ، و من يد الكلاب التي / احتوشنتني^٦ ، و من فم الاسد خلصني ،
 و من القرن المتعالي على تواضعي ، لا بشر باسمك لإخوتي ، و بين الجماعة
 أجدك ، أيها الخائفون من الرب مجدوه ! يا جميع ذرية يعقوب سبحوه !
 يخشاه كل زرع إسرائيل ، لأنه لم يهن^٧ و لم يرذل دعوة المسكين ،

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : امتي ، و ليس في الزبور (٢) زيد من
 ظ و مد (٣) من الزبور ، و في النسخ : ببس (٤) من ظ و مد و الزبور ،
 و في الأصل : الاسرار (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : شمتوني ، و في الزبور :
 يتفرون في ؛ و زيد بعده في الأدل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة في مد
 لحدوثها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : اجتوشنت ، و الجملة في الزبور :
 من يد الكلب و حيدتي .

/٥٣٢

ولا صرف وجهه عني، وعند دعائي استجاب لي، يأكل المساكين
و يشبعون، ويسجد قدامه جميع قبائل الشعوب، لأن الملك الرب،
وسلطانه على الأمم، تأكل وتسجد قدام الرب جميع ملوك الأرض،
وبين يديه يمشو جميع هابطي التراب لله، يحيى نفسي^١، وذريق له تعبد،
أخبروا بالرب أيها الجيل^٢ الآتي، وحدثوا بعده، ليرى الشعب الذي^٣
يولد صنع الرب.

المزمور الثلاثون: عليك يا رب توكلت فلا أخزي إلى الأبد،
خلصني وأقذني بعدلك، أنصت لي بسمك، واستنقذني عاجلا، كن
لي إلها نصيرا وملجأ ومخلصا لأنك عون وملجأ، وباسمك يا رب
تهديني وتعيني وتخرجني من هذا الفخ الذي أخفي^٤ لي، لأنك ناصر،^٥
وفي يدك أسلم روحي^٦، نجني يا رب إله الحق، شأت الذين يقتبطون
بالأوثان الباطلة، وأنا على الرب توكلت، افرح واسر برحمك لأنك
نظرت إلى تواضعي، وخلصت نفسي من الشدائد، ولم تسلمني في أيدي
الاعداء، اقمت رجلي في السعة، ارحمني يا رب فاني حزين. جزعت^٧

(١) كذا، والجملة في الزبور: ... التراب و من لم يحي نفسه (٢) من ظ
و مد و الزبور. وفي الأصل: الحليل (٣) زيد في الأصل: يا رب، ولم تكن
الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) في مد: انخفي (٥) زيدت الواو في الأصل
ولم تكن في ظ و مد و الزبور فحذفناها (٦) من ظ و مد و الزبور، وفي
الأصل: روح (٧) في الزبور: خسفت.

عيناى من سخطك ، و نفسى و قواى ، فنى عمرى بالأحزان ، و سنى
بالزفرات ، ضعفت بالمسكنة قوتى و قلقت عظامى ، صرت عارا فى أعدائى
و جيرتى ، و رهبة لمن عرفنى ، من عاينى^١ تباعد عنى ، و نسوتى فى
قلوبهم مثل الميت . صرت مثل إناه مكسورا^٢ ، لأنى سمعت سب جميع
٥ من حولى ، هموا بى و عند اجتماعهم^٣ على^٤ جميعا تأمروا لأخذ نفسى ،
فأنا يارب عليك توكلت . قلت : أنت إلهى ، و فى يدك^٥ قسمى ، نجنى
من يد أعدائى و الطاردين لى . أضيق^٦ وجهك على عبدك ، و خلصنى
برحمتك ، يارب لا تخزنى فأنى دعوتك ، تخزى المنافقون و يهبطون إلى
الجحيم ، تبكم الشفاه الغاشة المتقولة على الصديق بالزور و البهتان ، ما
١٠ أكثر^٧ رحمتك يارب لجميع خائفيك . أعددتها لمن اعتم بك أمام بنى
البشر ، استرهم فى كنفك^٨ من^٩ أشرار الناس و فى ظلال وجهك ،
و قهم من مقاومة الألسن ، تبارك الرب الذى^٩ انتخب له^٩ الأصفياء
فى المدينة العظيمة ، أنا قلت فى تحيرى : إنى سقطت من حذاء عينيك ،
و لذلك سمعت صوت تضرعى حين دعوتك ، جوا الرب يا جميع

(١) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : عاقنى (٢) من ظ و مد
و الزبور معنى ، و فى الأصل : مسكون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
اخفايهم (٤) فى ظ : يدك (٥) من الزبور ، و فى الأصول : بضى (٦) من ظ
و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : أكثر (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
كنفك ، و فى الزبور : ستر وجهك (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى
الأصل : بين (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتجت الاولياء ، و فى
الزبور : قد جعل عجبا رحمته لى .

أصفيائه، فان الرب يتغنى الحق، و يكافئ^١ المستكبرين بفعلهم، تشتد
قلوبكم و تقوى أيها المتوكلون على الرب .

٥٣٣ /

المزمور الثالث و الثلاثون: أبارك^٢ الرب في / كل حين، و كل
أوان تسبيحه في فمي، بالرب تفتخر نفسي، فليسمع أهل الدعة و يفرحوا،
عظموا معي الرب و شرفوا اسمه أجمعون، أنا طلبت^٣ الرب فأجابني، و
من شدائدي بجاني، أقبلوا إلى الرب و استروا به، فان جوهكم
لا تخزي، إن المسكين دعا فاستجاب له الرب، و من جميع أحزانه خلصه،
ملك الرب بحوط أتقيائه و ينجيهم، ذوقوا و تيقنوا طيب الرب، طوبى
للرجل المتوكل عليه، اتقوا الرب يا جميع قديسيه^٤ لأنه لا منقصة
لأتقيائه^٥، الأغنياء افتقروا و جاعوا، و الذين يطلبون الرب لا يعدمون^٦
كل الخيرات، هللوا أيها الأبناء و اسمعوا مني لأفهمكم مخافة الرب، من
هو الرجل^٧ الذي يهوى الحياة و يجب أن يرى^٨ الأيام الصالحة،
اكفف لسانك من الشر و شفئك، لا تتكلم بالغدر، ابعد عن الشر،
و اصنع الخير، اطلب السلامة و اتبعها، فان عين الرب على الأبرار.
و سمعه إلى تضرعهم، وجه الرب على صانعي الشر ليمحو ذكرهم من ١٥
الأرض، الأبرار دعوا فاستجاب لهم الرب^٩، من جميع شدائدم بجام،

(١) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: اياك (٢) من ظ و مد و الزبور،
و في الأصل: طلب (٣) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: قديسيه.
(٤) زيد في مد: الاتقياء (٥) في مد: الرب - خطأ (٦) من ظ و مد و الزبور،
و في الأصل: يربي (٧) - فقط من مد .

الرب^١ قريب من مستقيمي القلوب، يخلص متواضعي الارواح، كثيرة^٢
 هي أحزان الصديقين، و من جميعها ينجيهم الرب، الرب^٢ يحفظ جميع
 عظامهم، و واحد منها لا ينكسر، موت الخطاة سيئ، و مبغضو البار
 يهلكون، الرب ينجي نفوس عبده، و لا يخيب المتوكلين عليه .

المزمور الرابع و الثلاثون: حاكم يارب الذين يظلموننى، قاتل
 الذين يقاتلوننى، خذ سلاحا و ترسا و قم لمعوتى، استل سيفا و رد به
 أعدائى الذين يرهقوننى، و قل لفسى: أنا مخلصك، يخزى و يبهت
 طالبو نفسى، يرتدون^٣ على أعقابهم و يخزى الذين يتفكرون بى الشر،
 و يكونون كالغبار أمام^٤ الريح، و ملك الرب [يخزيهم، تكون طريقهم
 ١٠ زلقة ظلمة عليهم و ملك الرب -^٥] يطاردهم، لانهم أخفوا لى نفا .
 بغير حق عبروا نفسى، فليأتهم الشر بقتة، و المصيدة التى أخفوها تأخذهم،
 و فى الحفرة التى حفروها يسقطون، نفسى تبتهج بالرب، و تنعم
 بخلاصه، عظامى كلها تقول: يارب من مثلك منجى المسكين من يد
 القوى، و الفقير و البائس من يد الذين يخطفونه، قام على شهود الزور،
 و عمالم أعلم ساهلونى، جازونى بدل الخير شرا، و أبادوا نفسى و أنا
 عند ما لجوا على^٦ لبست مسحا، و بالصيام اذلت نفسى، و صلاتى عادت
 إلى حضنى، مثل قريب و أخ كنت لهم، صرت كالحزين الكئيب

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: كبيرة .
 (٣) ليس فى الزبور (٤) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: يردون .
 (٥) فى مد: ايام (٦) زيد من ظ و مد و الزبور معنى .

في تواضعي . اجتمعوا عليّ وفرحوا ، اجتمع عليّ الاشرار ولم أشعر ،
 أمموا^١ ولم يندموا ، أحزنوني و هزأوا بي و صروا أسنانهم عليّ ،^٢ يارب^٣
 إلى متى تنتظر انج نفسي من شر ما نصبوا ، و من الأسد نج و حذق ،
 لا شكرك يارب في الجموع الكثيرة و [في -^٤] الشعب الصالح أرتل لك ،
 لا يسر بي المعادون لي ظلما ، الذين يشأونني باطلا و يتغامزون بيونهم ،^٥
 / لأنهم يتكلمون^٦ بالسلام و بالدغل يفكرون ، و علي المتواضعين في الأرض
 يقولون الكذب ، فتحوا عليّ أفواههم ،^٧ و قالوا^٨ : نعمنا نعمنا ! قد قرت
 به عيوننا ، اللهم قد رأيت ، لا تغفل ، لا تبعد عني يارب ! انظر سريعا
 في قضائي إلهي و ربي ، كن^٩ في ظلامي ، و احكم لي مثل برك ياربي
 و إلهي ، لا تسرم بي ، لئلا يقولوا في قلوبهم : تفتحت^{١٠} نفوسنا ، و لا يقولوا :
 قد ابتلعناه^{١١} ، يخزون و يهنون^{١٢} جميعا الذين يفرحون باساءتي ، يلبس الخزي
 و البهت^{١٣} المتعظمون بالقول عليّ ، يسر و يفرح الذين يهونون برى ،
 و يقولون في كل حين : عظيم هو الرب ، الذين يريدون سلامة عبدك ،
 لساني يتلو عدلك و تمجيدك النهار كله .

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : اسمعوا ، و في الزبور : مزقوا (٢-٣) من
 ظ و مد و الزبور ، و في الأصل : ترتب - كذا (٣) زيد من ظ و مد و الزبور .
 (٤) في الزبور : لا يتكلمون (٥-٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فقالوا ،
 و في الزبور : قالوا (٦) من مد ، و في الأصل : و ظ : احكم ، و الجملة في
 الزبور : استيقظ و اتنبه إلى حكمي يا إلهي و سيدي إلى دعواي (٧) من
 ظ و مد ، و في الأصل : تنتحب - كذا ، و الجملة في الزبور : هه شهوتنا .
 (٨) من ظ و مد و الزبور ، و في الأصل : اثلفناه (٩) من ظ و مد و الزبور
 معنى ، و في الأصل : يتهنون - كذا (١٠) من ظ و مد و الزبور معنى ،
 و في الأصل : البيت .

المزمور السادس و الثلاثون : لاتقبط الأشرار و لاتتأس بفاعلى
الإثم ، لأنهم مثل العشب سريعاً يحفون ، و مثل البقل الأخضر عاجلاً
يذبلون ، توكل على الرب و اصنع الخير ، و اسكن فى الأرض ، و عش
من نعيمها ، استبشر بالرب يعطيك مطلوبات قلبك ، و اكشف سبلك
للرب و توكل عليه و هو يصنع لك ، يخرج مثل النور عدلك ، و مثل
الظهيره أحكامك . احضع للرب و اضرع إليه ، لاتقبط الرجل المستقيم
فى طريقه المقيم على إيمه ، و لارجلا يعمل بخلاف الناموس ، اكفف
من السخط ، و دع الغضب ، لاتبار الشرير ، فأن الأشرار جميعاً يبيدون ،
و الذين يرجون الرب يرثون الأرض عن قليل ، لا يوجد الخاطى ،
١٠ و يطلب مكانه فلا يوجد ، أهل الدعة^١ يرثون الأرض ، و يتعمون
بكثرة السلامة ، المناق يرصد الصديق و يهر عليه أسنانه ، و الرب
يهزأ به ، لأنه قد علم أن يومه يدركه . استل الخطاة سيوفهم ، و أوتروا
قسيمهم . ليصرعوا المسكين و البائس ، و يقتلوا^٢ المستقيم القلب ، تدخل سيوفهم
إلى قلوبهم ، و تنكسر قسيمهم^٣ . اليسير للصديق خير من كثرة غنى الخطاة ،
١٥ لأن سواعده الخطاة تنكسر ، و الرب يحفظ الأبرار ، الرب يعرف
أيام صديقيه^٤ الذين لا عيب فيهم^٥ و ميراثهم إلى الأبد . و لا يجزون فى

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : السقيم ، و فى الزبور : الذى ينجح (٢) من
ظ و مد ، و فى الأصل : بطلت ، و فى الزبور : تطلع فى (٣) من ظ و مد
و الزبور معنى ، و فى الأصل « و » : (٤) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى
الأصل : يقتل (٥) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : قسيمهم .
(٦-٦) فى الأصول : التى لا عيب فيها ، و فى الزبور : الكلمة .

زمان سوء. وفي أيام الشدائد يشعون، لأن الأئمة يبديون، أعداء
 الرب حين يرتعون ويتمجدون يذهبون مثل الدخان و يضمحلون،
 الخاطي يقترض ولا يوفي، والبار يترأف ويعطي، لأن مباركيه يرثون^١
 الأرض، ولا عنه يستأصلون، الرب يقوم خطأ الإنسان ويهديه في
 الطريق، إن سقط البار لم يجرع. لأن الرب ممسك يده. كنت صيا^٥
 وشخت ولم أر صديقا رفض، ولا ذريته طلبت خبزا. النهار كله يترحم
 ويقترض^٢ ونسله مبارك، ابعد عن الشر وافعل الخير، واسكن إلى
 أبد الأبد، [لأن الرب -^٣] يحب العدل، ولا يضيع أصفياه، يحفظهم
 إلى أبد الأبد، الأئمة يهلكون ونسل الخطاة / يستأصلون، الصديقون
 يرثون^٤ الأرض و يسكنون فيها إلى أبد الأبد، فم الصديق ينطق بالحكمة
 ١٠ ولسانه يقول العدل، سنة إلهه في قلبه، ولا تزدهف قدما، الخاطي
 يرصد البار ويهم بقتله، والرب لا يسلمه في يديه، ولا يدخله في الحكم،
 ترج الرب واحفظ طرقة، وهو يرفعك لترث الأرض وتعين الخطاة
 يبديون، رأيت المناق يتعالى، يتناول مثل أرز لسان، مررت به فلم
 أجده و طلبت موضعه فلم أصبه. تمسك بالدعة و سترى الاستقامة. فان^{١٥}
 عاقبة الرجل المستقيم سلامة، الخطاة جميعا يبديون، و بقايا الأشرار
 يستأصلون، خلاص الأبرار من عند الرب وهو ناصرهم في زمان الشدائد.

(١) من ظ ومد و الزبور. وفي الأصل: يورثون (٢) من ظ ومد
 و الزبور، وفي الأصل: يقترض (٣) زيد من ظ ومد و الزبور (٤) من ظ
 ومد و الزبور. وفي الأصل: يسكنون.

الرب عونهم ومنجيتهم و متقدم من الخطاة . و يخلصهم لانهم
تولوا عليه .

ولما كان ما ذكر في هذه السورة من الحكم و الدلائل و القصص
واعظا شافيا حكيما ، و مرشدا هاديا عليا ، قال و اصلا بما تقدم إشارة
٥ إلى أنه نتيجة: (ان في هذا) أى الذى ذكرناه هنا من الأدلة على
قدرتنا على قيام الساعة و غيرها من الممكنات ، و على أن من ادعى علينا
أمرا فأبدناه عليه و جعلنا العاقبة له [فيه - ٢] فهو صادق محق ، و خصمه
كاذب مبطل (لبغا) لأمرا عظيما كافيا فى البلوغ إلى معرفة الحق
فما ذكرناه من قيام الساعة و الوحدانية و جميع ما تحصل به البعث
١٠ (لقوم) أى لانس ، أقوياء على ما يقصدونه (عبيد) أى معترفين
بالعبودية لربهم الذى خلقهم اعترافا تطابقه الافعال بغاية الجد و النشاط .
و لما كان هذا مشيرا إلى رشادهم . فكان التقدير : فأرسلناك إلا
لإسعادهم ، و الكفاية [لهم - ٢] فى البلاغ إلى جنات النعيم . عطف عليه
ما يفهم سبب التأخير لإنجاز ما يستعجله غير العابدين من العذاب فقال :
٥ (ما أرسلناك) أى بمظمتنا العامة^٦ على حالة من الأحوال (الا)
على حال كونك (رحمة للعالمين) كلهم ، أهل السموات و أهل الأرض

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نتيجة (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : تعرف (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ناس (٥) العبارة من هنا
إلى « النعيم » ساقطة من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستعمله (٧-٧) سقط
ما بين الرقيين من ظ .

من الجن و الإنس و غيرهم ، طاعتهم بالثواب^١ ، و عاصيهم بتأخير العقاب .
 [الذى كنا نستأصل به الأمم -^٢] ، فنحن نمهلمهم و نترقق بهم ، إظهارا
 لشرفك و إعلاء لقدرك ، حتى نبين أنهم مع كثرتهم و قوتهم و شوكتهم
 و شدة تمالؤهم عليك لا يصلون إلى ما يريدون منك ، ثم نزد كثيرا منهم
 إلى دينك ، و نجملهم من أكابر أنصارك و أعظم أعيانك ، بعد طول
 ارتكابهم الضلال ، و ارتباكهم في أشراك المحال ، و إرضاعهم في الجدال
 و المحال ، فيعلم قطعا أنه لا ناصر لك إلا الله الذى يعلم القول فى السماء
 و الأرض ، و من أعظم ما يظهر فيه هذا الشرف فى عموم الرحمة وقت
 الشفاعة العظمى يوم يجمع الأولون و الآخرون ، و تقوم الملائكة صفوفًا
 و الثقلان وسطهم ، و يموج بعضهم فى بعض من شدة ما هم / فيه ، يطلبون ١٠ / ٥٣٦
 من يشفع لهم فى أن يحاسبوا ليستريحوا من ذلك الكرب إما إلى جنة
 أو نار ، فيصدقون أكابر الأنبياء نبيًا نبيًا عليهم الصلاة و السلام ، و التحية
 و الإكرام ، فيحيل بعضهم على بعض ، و كل منهم يقول : لست لها ،
 حتى يأتوه صلى الله عليه و سلم فيقول : أنا لها . [و يقوم -^٢] و معه لواء
 الحمد فيشفعه الله و هو المقام : المحمود الذى يغبطه [به -^٢] الأولون ١٥
 و الآخرون و قد سبقت^٥ أكثر الحديث بذلك فى سورة غافر عند
 ” و لا شفيع يطاع^٦ “ .

(١) سقط من مد (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : اللواء (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : مضت (٦) آية ١٨ .

و لما كان ' البلاغ الذي رتب^٢ هذا لاجله هو التوحيد الملزوم
 لتام القدرة، أتبع الإشارة إلى تأخيرهم الإيمان^٢ إلى تحذيرهم^٣ فقال: (قل)
 أى لكل من يمكنك^٤ له القول^٥: (انما يوحى^٦ الى^٦) [أى -^٦] بمن^٧
 لا موحى بالخير^٨ سواء وهو الله^٩ الذي خصنى بهذا الكتاب المعجز
 . (انما الحكم)

'و لما كان المراد إثبات الوجدانية^{١٠}. [لإله يجمع على إلهيته منه
 ومنهم، كرر ذكر الإله فقال -^٦]: (إله واحد ج) لا شريك له، لم يوح
 إلى^{١١} فى أمر الإله إلا الوجدانية، وما إلهكم إلا واحد لم يوح إلى^{١٢}
 فيما تدعون من الشركة غير ذلك، فالأول من قصر الصفة على
 ١٠. الموصوف، أى "الحكم على الشيء، أى^{١٣} الموحى^{١٣} [به -^٦] إلى^{١٤}
 مقصور على^{١٥} الوجدانية لا يتعداها^{١٥} إلى الشركة، والثانى

(١) زيد فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
 و مد، وفى الأصل: وجب (٣) فى ظ و مد: الأيماء (٤) من ظ و مد،
 وفى الأصل: تحذيره (٥ - ٥) فى ظ: القول له (٦) زيد من مد (٧) العبارة
 من هنا إلى و سواء وهو ساقطة من ظ (٨) من مد، وفى الأصل:
 الخير (٩) فى ظ: من الله (١٠ - ١٠) -قط ما بين الرقعتين من ظ (١١) العبارة
 من هنا إلى و إلا واحد و وردت فى الأصل فى غاية الإتعام والتداخل بالإضافة
 إلى بعض الزيادة والحذف فرتبناها حسب ظ و مد (١٢ - ١٢) فى الأصل بياض
 ملائمه من مد (١٣) فى ظ: الوحى (١٤) العبارة من هنا إلى مقصور على
 ص ١١٥ س ١ ساقطة من مد (١٥) من ظ و مد، وفى الأصل: لا يتعداها - كذا.

من قصر الموصوف على الصفة ، أى الإله مقصور على الوحدة لا يتجاوزها إلى التعدد ، و المخاطب بهما من يعتقد الشركة ، فهو قصر قلب .

ولما انضم إلى ما مضى من الأدلة العقلية فى أمر الوجدانية هذا الدليل السمعى . وكان ذلك موجبا لأن يخشى إيجاز ما توعدهم به فى خلصوا العبادة لله^١ ، أشار إلى ذلك مرهبا و مرغبا بقوله : ﴿ فهل أنتم مسألون هـ ﴾ أى مدعون له ملقون إليه مقاليدكم متخلون^٢ عن جميع ما تدعونه^٣ من دونه لتسلوا من عذابه و تفوزوا بثوابه ، [فى الآية أن هذه الوجدانية يصح أن يكون طريقها السمع^٤] .

ولما كان توليهم بعد هذه القواطع مستبعد ، أشار إلى ذلك بإيراده بأداة الشك فقال : ﴿ فان تولوا ﴾ أى لم يقبلوا ما دعوتهم إليه ١٠ ﴿ فقل ﴾ [أى لهم - ٥] : ﴿ اذتكم ﴾ أى أعلتكم ببراءتى منكم و أنى غير راجع إليكم أبدا كما أنكم تبرأتم منى و لم ترجعوا إلى ، فصار عليكم أن لاصح يفتا مع التولى كعلمى و علم من اتبعى .^٦ لتأصبوا لجميع ما تظنون^٧ ينفعكم . [فهو كمن بينه و بين أعدائه هدنة فأحس منهم بغيره ، فبذ إليهم العهد ، شهر ذلك النبذ و اشاعه فلم يخفه عن أحد ١٥ منهم ، و هو ما استهر أنه بلغ النهاية فى الفصاحة و الوجازة - ٤] ، أو أبلغتكم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : متخلفون .
 (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تدعون (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد إلا أن « أى » ليست فى ظ (٦-٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : اتأهبوا جميع ما تظنون .

جميع ما أرسلت به ولم أخص به أحدا دون أحد، وهذا كله معنى
 ﴿على سواه﴾ أي إيدانا مستعليا على أمر نصف وطريق عدل، ليس
 فيه شيء من خفاء ولا غش ولا خداع ولا غدر، بل نستوى فيه
 نحن وأنتم .

٥ ولما كان من لازم البراءة من شخص الإيقاع [به - ٢] كان
 موضع أن يقولوا هزوا على عادتهم: نبذت إلينا على سواء ففجلا لنا ما
 توقعنا، به، فقال: ﴿وان﴾ أي وما ﴿ادرى اقريب﴾ جدا بحيث
 يكون قربه على ما تعارفونه ﴿ام بعيد ما توعدون﴾ من عذاب
 الله في الدنيا بأيدي المسلمين أو بغيره، أو في الآخرة مع العلم بأنه كائن
 لا محالة، وأنه لا بد أن يلحق من أعرض عن الله الذل والصغار .

١٠ ولما كان من المقطوع به من / كون الشك إنما هو في القرب
 أو البعد أن يكون التقدير: لكنه محقق الوجود، لأن الله واحد لا شريك
 له، وقريب عند الله، لأن كل ما حقق إيجاداه قريب. علله بقوله:
 ﴿انه﴾ أي الله تعالى ﴿يعلم الجهر﴾ ولما كان الجهر قد يكون
 ١٥ في الأفعال، بينه بقوله: ﴿من القول﴾ مما تجاهرونه [به - ٣] من
 العظامم وغير ذلك، [ونبه تعالى على ذلك لأن من أحوال الجهر
 أن ترتفع الأصوات جدا بحيث تحتلط ولا يميز بينها ولا يعرف كثير
 من حاضريها ما قاله أكثر القائلين. فأعلم سبحانه أنه لا يشغله صوت

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: منى (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد،
 وفي الأصل: بفعل (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: شهدنا (هـ - هـ) سقط ما
 بين الرقيين من ظ .

عن آخر ولا يفوته شيء عن ذلك ولو كثر - [١] (و يعلم ما تكتمون هـ) مما تضمنونه من المخازي كما قال تعالى أولها " قل ربى يعلم القول فى السماء والارض " و من لازم ذلك المجازاة عليه بما " يحق لكم من تعجيل و تأجيل ، فستعلمون كيف يجيب ظنونكم و يحقق ما أقول ، فقطعون بأن صادق عليه و لست بساحر ، و لا حالم و لا كاذب [و لا شاعر -] ٢ ، هـ فهو من أبلغ التهديد فانه لا أعظم من التهديد بالعلم .

و لما كان الإمهال قد يكون نعمة . و قد يكون نقمة ، قال : (و ان) أى و ما (ادرى) أى أىكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أو لا . و لما كان إلى كونه نقمة أقرب . قال معبرا عما قدرته : (لعله) ٦ أى تأخير العذاب و " إيهام الوقت (فنته لكم) أى اختبار من الله ل يظهر ما ١٠ يعلمه منكم من الشر لغيره ، لأن حالكم حال من يتوقع منه ذلك (و متاع) لكم تتمتعون به (الى حين *) أى بلوغ مدة آجالكم التى ضربها لكم فى الأزل ، ثم بأخذكم بغتة أخذة يستأصلكم بها .

و لما كان اللازم من هذه الآيات تجويز أمور تهم سامعها و تقلقه للعلم بأن الله تعالى له أن يفعل ما يشاء من عدل و فضل ، و كان من ١٥ العدل جواز تعذيب الطائع و تنعيم العاصي ٨ ، كان كأنه قيل : فا قال

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) العبارة من هنا إلى « بالعلم » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : ابلغ .
 (٦) العبارة من هنا إلى « الوقت » ساقطة من ظ (٧) يياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الرسول الشفوق على الأمة حين^١ سمع هذا الخطاب ؟ فقيل :^٢ قال مبهلا
 إلى الله تعالى - هذا على قراءة حفص ، و على قراءة الجمهور : لما علم^٣
 سبحانه أن ذلك مقلق^٤ ، أمره صلى الله عليه وسلم بما^٥ يرجى من^٥
 يقلق^٦ من أتباعه فقال : ﴿ قل رب ﴾ أى [أيها -^٧] المحسن إلى^٦ فى
 نفسى و اتباعى بامثال أوامرك و اجتناب نواهيك ﴿ احكم ﴾ أى أجز
 الحكم^٨ بينى و بين هؤلاء المخالفين^٩ ﴿ بالحق ﴾ أى بالامر الذى يحق
 لكل منا من نصر و خذلان على ما أجرته من سنتك القديمة فى
 أوليائك و أعدائك " ما نزل المشكك الا بالحق " أى الامر الفصل الناجز ،
 قال ابن كثير : و عن مالك عن زيد بن أسلم : كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إذا شهد قتالا^{١٠} قال " رب احكم بالحق " . [و فى الآية أعظم
 حث على لزوم الإنسان بالحق لتأهل لهذه الدعوة -^٧] .

ولما كان التقدير : قربنا المنتقم الجبار له أن يفعل ما يشاء و هو
 قادر على ما توعدون ، عطف عليه [قوله -^٧] : ﴿ وربنا ﴾ أى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حيث (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) زيد فى الأصل . الله ، و لم تكن الزيادة فى
 ظ و مد لحذفها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : متعلق (٥ - ٥) بياض فى
 الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعلق - كذا .
 (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقيعين من ظ (٩) راجع تفسيره ٢٠٣/٣ .
 (١٠) فى التفسير : غزاة .

المحسن إلينا أجمعين؛ ثم وصفه بقوله: (الرحمن) أى العام الرحمة لنا
 ولكم بادرار النعم علينا، ولو لا عموم رحمته لأهلكنا أجمعين وإن
 كنا نحن أطعناه، لآما لا تقدره حق قدره "ولو يؤاخذ الله الناس بما
 كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة" والحاصل أنه لما سأل "الحق"
 المراد به الهلاك للعدو والنجاة للولى. أفرد الإضافة إشارة إلى تخصيصه
 بالفضل، وإفراهم بالعدل، ولما سأل العون عم بالإضافة والصفة فتوعا
 بترجيح جانبه بالعون وإن شملتهم الرحمة، [ولأن من رحمتهم خلتهم عمهم
 عليه من الشر -] فقال: (المستعان) أى المطلوب منه العون وهو
 خبر المبتدأ الموصوف (على ما تصفونه) عما هو ناشئ عن غفلتكم الناشئة
 عن إعراضكم عن هذا الذكر من الاستهزاء والقذف بالسحر وغيره، ١٠
 والمناسبة بالعداوة والتوعد بكل شر، فقد انطبق آخر السورة على
 أولها بذكر الساعة ردا على قوله "اقرب للناس حسابهم" وذكر
 غفلتهم وإعراضهم وذكر القرآن الذى هو البلاغ، وذكر الرسالة بالرحمة
 لمن نسبوه إلى السحر وغيره. وتفصيل ما استعجلوا به من آيات
 الأولين وغير ذلك، وقام الدليل بالسمع بعد العقل على تحقق امر ١٥
 الساعة بأنه سبحانه لا شريك له يمنع من ذلك. وأه يعلم السر وأخفى،
 وهو رحمن. فمن رحمته إيجاد يوم الدين ليجازى فيه المحسن بأحسنه،

(١) زيد من مد (م) من ظ و مد، وفي الأصل: الناصبة (م) من ظ و مد،

وفي الأصل: التوعد (ع) من ظ و مد، وفي الأصل: شيء.

والمسء بكفرانه ، وفي ذلك أعظم ترهيب^(٥) في أعلى حاك على
التقوى للنجاة في ذلك اليوم ، وهو أول^(٦) التي تليها - والله الموفق .



(١) يُمن ظ ومسد، وفي الأصل: ترهب (٥) من ظ ومد، وفي
الأصل: ازل .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثاني عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى . يوم السبت ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ = ١٨ شباط سنة ١٩٧٨ م ، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهودده و ضاعفه له أجورده .

و قد تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه و تصحيح الدائرة أخی الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العناء - جامعة مدراس) ، و ساعده على المقابلة وقت الطبع مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندی القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله . و اهتم بتصحيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الثالث عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الحج . و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسلم على من علم فوائح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية